مجلة البحوث العلمية

علمية محكمة نصف سنوية

تصدر عن جامعة أفريقيا
العلوم الإنسانية والتطبيقية

طرابلس - ليبيا

العدد الثالث
السنة الثانية 2017

مجلة البحوث العلمية

جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية

طرابلس - ليبيا

(البحوث العلمية)

مجلة علمية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية - طرابلس -ليبيا

منشورات جامعة أفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية 2017م

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني: 2016/201 - دار الكتب الوطنية - بنغازي

لا يسمح بإعادة إصدار محتويات هذه المجلة أو تخزينها في نطاق استعادة المعلومات أو نقلها أو استنساخها بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No part of this Journal maybe reproduced or transmitted in any form or any means، electronic or mechanical، including photocopying recording or by any stored retrieved system، without the permission from the publisher.

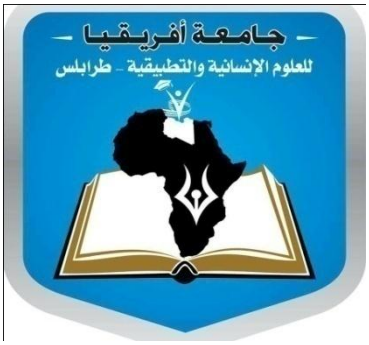

مجلة (البحوث العلمية)

العدد الثالث السنة الثانية (النصف الأول) من سنة 2017 م

مجلة (البحوث العلمية) منشورات جامعة أفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية

(أسعار المجلة)

الجهات	سعر النسخة داخل ليبيا	سعر النسخة خارج ليبيا
الطلبة	3 د.ل	4 دولارات أمريكية
المشتركون	5 د.ل	6 دولارات أمريكية
الأفراد	7 د.ل	6 دولارات أمريكية
الوزارات والهيئات والمؤسسات و ما في حكمها	10 د.ل	12 دولاراً أمريكيا

تنويه:

إن تقديم البحوث المنشورة أو تأخيرها في ترتيب الصفحات لا يعني المفاضلة لكن متطلبات التنسيق الفني هي التي تتحكم في هذا الترتيب. وإن البحوث المنشورة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو الجامعة.

الهيئة الاستشارية لمجلة

(البحوث العلمية)

جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية

هيئة التحرير

المشرف العام:د.المبروك مفتاح أبوشينة

رئيس التحرير:أ.د.عابدين الدردير الشريف

أعضاء لجنة التحرير:

د.عبد الحميد علي المقروس

أ. صلاح المبروك خليل

أ .أكرم الهادي محمد

أ.عبدالرزاق المبروك الكانوني

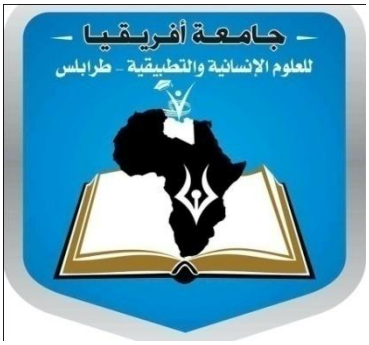

قواعد النشر وشروطه

بمجلة (البحوث العلمية)

بجامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية

نبذة عن المجلة:

مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة **أفريقيا للعلوم الإنسانية و التطبيقية**- طرابلس -ليبيا باللغتين العربية والإنجليزية. وتهتم المجلة بنشر البحوث و الدراسات العلمية، إلى جانب عرض ملخصات الكتب والدوريات، والرسائل العلمية (الماجستير والدكتوراه)، والتقارير الصادرة عن المؤتمرات والندوات وورش العمل من داخل ليبيا وخارجها.

أهداف المجلة:

- تفعيل البحث العلمي وإثراؤه في كافة المجالات العلمية ذات العلاقة بالتخصصات العلمية في الجامعة.
- الاهتمام بقضايا التنمية الشاملة في ضوء المتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.
- إتاحة الفرصة للباحثين لنشر بحوثهم ودراساتهم العلمية، ونقل أفكارهم العلمية من أجل توسعة دائرة المعرفة لدى الباحثين وصانعي القرارات والممارسين في داخل ليبيا وخارجها.
- خلق حوار علمي بنّاء بين الباحثين والمهتمين بالموضوعات المستجدة في كافة المجالات العلمية ذات العلاقة بالتخصصات العلمية

قواعد النشر: يشترط في الموضوعات المقبولة للنشر بالمجلة اتباع القواعد والشروط التالية:

1- **البحوث والدراسات:** يشترط في البحوث والدراسات المقدمة للنشر في المجلة أن تتصف بالآتي:

أ. أصالة أفكار البحث وموضوعه، وكونه لم يسبق نشره أو تقديمه للنشر في مجلة أخرى . ولم يكن جزءًا من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه.

ب. سلامة المنهج العلمي المتبع في البحث.

ج. سلامة لغة البحث ووضوح أفكاره وترابطها.

2- **الإشارة إلى المرجع:** عند التوثيق تتم الإشارة إلى مصادر البحث ومراجعه بأرقام متسلسلة وفقاً لترتيب ورودها فيه، وكذلك الأمر في ثبت المصادر والمراجع. وعلى الباحث أن يلتزم بالأسلوب التالي:-

(أ) في حالة الكتب يذكر اسم المؤلف كاملاً، عنوان الكتاب، مكان النشر، سنة النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات.

(ب) في حالة البحوث أو المقالات المنشورة في دوريات متخصصة، يذكر اسم الكاتب كاملاً، واسم الدورية، ورقم العدد، وتاريخ النشر، ورقم الصفحة أو الصفحات التي يشغلها المقال أو البحث.

(ت) إذا كان النقل غير مباشر، يذكر صاحب المصدر الأصلي.

3- **الهوامش:** يقتصر استخدام الهوامش على شرح بعض النقاط الغامضة التي لا يتسع المجال لتناولها في المتن، أو بهدف تسليط الضوء عليها، وترقم كل صفحة بشكل مستقل، ويظهر الهامش في أسفل الصفحة.

4- **قائمة المراجع والمصادر:**يراعى في كتابة قائمة المراجع والمصادر كتابة المراجع العربية أولا، ثم الأجنبية، على أن تتضمن فقط ما اعتمد عليه الباحث وأشار إليه في متن البحث، ويرتب كل منها ترتيبا هجائيا، وأن تكتب على النحو الآتي:

أولا: المراجع العربية:

- المهدي غنية "مبادئ التسويق"، (طرابلس: الجامعة المفتوحة (2002).).

- عبد السلام أبوقحف "مقدمة في إدارة الأعمال الدولية"، (الإسكندرية: مطبعة الإشعاع الفنية (1998).

- محمد المكي "أهمية المراقبة الداخلية للمراجع الخارجي"، (طرابلس: مجلة دراسات في الإدارة والأعمال المصرفية)، العدد 6 (1984)، ص ص: 5 – 18.

ثانيا: المراجع الأجنبية:

- Drury، Colin (2000)، Management and Cost Accounting، 5th edition، (London: Thomson Learning).

- Kaplan، Robert (2000)، "Balance without profit"، Financial Management، (January)، 23 26.

ثالثا: مصادر الإنترنت ومراجعه:

Learning about professional ، (1997)، Arthur،Andersen –
،development: Our commitment to training

: http://WWW. Arthurandersen.com/careers/training.asp.

5- الشروط العامة والفنية:

- أن يكتب الباحث اسمه، ودرجته، العلمية، ووظيفته، وجهة عمله في الصفحة الأولى من بحثه، مع ضرورة ذكر العنوان الذي تتم مراسلته عليه، ورقم الهاتف والفاكس والبريد الإلكتروني.
- أن تكون البحوث والدراسات العلمية مكتوبة باللغة العربية، كما تقبل باللغة الإنجليزية بشرط إرفاقها بملخص باللغة العربية لا يتجاوز 150 كلمة.
- ألا يزيد عدد الصفحات عن (20) صفحة، بما فيها الجداول والمراجع والأشكال التوضيحية من صور ورسومات.
- أن تكون البحوث والدراسات العلمية مطبوعة على برنامج Microsoft Word، وتقدم في شكل ورقي بحجم (A4) مع ترك مسافة مفردة بين الأسطر (Single Spaced)، وعلى وجه واحد، بالإضافة إلى نسخة مخزنة على قرص ليزري (CD)، مع إرفاقها بنسخة من السيرة الذاتية للباحث.
- أن تكون كتابة البحوث المكتوبة باللغة العربية بالخط:(Simplified Arabic). أما البحوث المكتوبة باللغة الإنجليزية فتكتب بالخط المعروف باسم (Times New Roman).
- أن يكون حجم الخط على النحو التالي:
  - ✓ بنط 18 داكن للعناوين الرئيسة.
  - ✓ بنط 16 داكن للعناوين الفرعية.
  - ✓ بنط 14 للمتن.
  - ✓ بنط 12 للمستخلص بخط مائل.
  - ✓ بنط 10 للهوامش والحواشي.
- تكون الهوامش على النحو التالي:
  - ✓ أعلى وأسفل 2.5 سم.
  - ✓ أيمن 3 سم.
  - ✓ أيسر 2.5 سم.
- تخضع المواد العلمية المقدمة للنشر في المجلة للتقويم العلمي واللغوي من قبل أساتذة متخصصين تحددهم هيئة التحرير بشكل سري، يحق للمجلة مطالبة صاحب المادة العلمية بإجراء التعديلات الواردة من المقومين، كما يحق للمجلة إجراء التعديلات الشكلية فقط متى تطلب الأمر ذلك دون أخذ الإذن المسبق من الباحث. كما يجوز لهيئة التحرير الاستعانة بأكثر من محكم عند الضرورة. ويبلغ الباحث بقبول البحث من عدمه أو تعديله وفقاً لتقارير المحكمين.

- لا يحق للباحث الذي لم يقبل عمله العلمي للنشر أن يطالب باسترجاعه.
- على الباحث أن يتعهد كتابياً بعدم نشر البحث أو الدراسة بأية وسيلة أخرى إلا بعد مرور سنتين من تاريخ النشر.
- جميع الآراء الواردة في المجلة تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو الجامعة.
- تلتزم المجلة بإشعار الكاتب بوصول عمله وإحالته إلى هيئة التحرير في موعد غايته أسبوعان من تاريخ استلامه.
- تُشعر المجلة الكاتب بصلاحية عمله للنشر خلال أسبوعين من استلام ردود المحكمين.
- تعلم المجلة الكاتب في أيّ عدد سيتمّ نشر بحثه.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلّة عند إعلام صاحب البحث المقبول للنشر بقبوله.
- يتم ترتيب نشر البحوث في أعداد المجلة وفقاً لاعتبارات فنية بحتة وأولوية تسليمها للمجلة، ولا علاقة لها بأهمية البحث أو مكانة الباحث.
- يحصل الباحث على ثلاث نسخ من عدد المجلة عند نشر بحثه أو دراسته.

6 – عناوين المراسلة:كافة البحوث والدراسات **وجميع المراسلات المتعلقة بالمجلة ترسل باسم رئيس تحرير مجلة (البحوث العلمية) جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية- طرابلس - ليبيا.** وذلك على العنوان التالي:

العنوان:(البحوث العلمية) مجلة جامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية-، طرابلس ،ليبيا.

أو ترسل إلى العنوان البريدي التالي: **صندوق بريد: 83060 بريد شارع الزاوية- طرابلس - ليبيا.**

أو ترسل على التالي: **البريد الإلكتروني:Info@africanuniversityedu.ly**

الهاتف:218217291428+

بريد مصور:218217291428+

موقع الجامعة على الانترنت:WWW.africuniversityedu.ly

محتويات العدد الثالث السنة الثانية من مجلة (البحوث العلمية) 2017م

ر.م	عنوان البحث	اسم الكاتب	رقم الصفحة
1	الافتتاحية	رئيس التحرير	10
2	دراسة الموارد الطبيعية وإمكانية التنمية المستدامة بمنطقة الشرشارة	د. محمود علي جحيدر د.يحيى محمد الشيباني	11
3	ملامح من تدوين النص التاريخي في العصر الإسلامي	د/ نعيمة عبد السلام أبوشاقور	29
4	التحليل النقدي وفلسفته الجمالية	د.الطاهر عمار العباني	47
5	تحسين جودة الخدمات المصرفية: مدخل تحليل اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني (دراسة ميدانية على مصرف شمال إفريقيا وفرعه بجنزور).	د. خالد مسعود يحي الباروني	76
6	الدلالة الوظيفية والآلية الفلسفية للسرد في الفيلم السينمائي	د. صالح علي مسعود قحلوص	116
7	التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي خلال الفترة 1990-2007م	د.صلاح الدين جمعة أنبية	135
8	الفلسفة السياسية عند أسبينوزا	د.عبدالقادر العجيلي حميد النجار	153
9	السياسة الروسية في مواجهة المطالب الاستقلالية في الشيشان وكازخستان	د.عامر سليمان زريبة	173
10	د ور العقوبات الحدية في المحافظة على المقاصد الضرورية	أ.خطاب خالد خطاب خالد	195
11	إدارة الجودة الشاملة بمستشفى شارع الزاوية بطرابلس	د.حميدة علي البوسيفي	219
12	أثر سياسة الولاة العثمانيين تجاه النشاط الزراعي في الجبل الغربي خلال العهد العثماني الثاني	د- المدني سعيد عمر	241
13	تأثير العولمة في النظام التعليمي في ليبيا	د/ فريحة عوض إبراهيم	264
14	أهمية برامج الخدمة الاجتماعية في مجال انحراف الأحداث	د/ صلاح عبد السلام الضعيف	282
15	صحافة البيانات : طرح معرفي	د.محمد سالم موسى المنفي	303

الافتتاحية

بسم الله الرحمن الرحيم

بتوفيق من الله وبجهود مخلصة تم الانتهاء من العدد الثاني من مجلة (**البحوث العلمية**) بجامعة إفريقيا للعلوم الإنسانية والتطبيقية، ويأتي صدور هذا العدد بعد حصول الجامعة على الاعتماد المؤسسي من مركز ضمان الجودة واعتماد المؤسسات التعليمية والتدريبية،وقد كان هذا تحدياً كبيراً بالنظر لحجم الضغوط والمسؤولية في هذه الظروف الصعبة التي تمر بها بلادنا والتي نسأل الله عز وجل أن يفتح ويسهل الطريق أمام أبنائها المخلصين.

نتمنى أن يكون هذا العدد من المجلة ومن خلال ما يتناول بين دفتيه من موضوعات رافداً من روافد البحث العلمي في ليبيا، وأن يسهم في إثراء المكتبة الليبية خاصة والعربية عامة وأن يكون عوناً للبحاث والمهتمين وطلاب الدراسات العليا والجامعيين على حد سواء. وأن يكون حافزاً لأساتذتها لبذل مزيد من الجهد البحثي حول الموضوعات التي تناولوها سواء بمراجعتها وتحليليها أو بنقدها أو بإخضاع نتائجها للمزيد من البحث والتدقيق.

وبهذه المناسبة نتوجه بالدعوة إلى كل الأساتذة الباحثين والمهتمين بالعلوم الإنسانية والتطبيقية في الجامعات ومراكز الأبحاث والمؤسسات العلمية المحلية والعربية للإسهام بأبحاثهم ودراساتهم في مجلة (**البحوث العلمية**). و نود أن نشير في هذا المقام إلى أننا لا نضع أية شروط أو قواعد مسبقة لقبول البحوث ونشرها، إلا ما تفرضه متطلبات البحث العلمي الرصين من أصول و قواعد وأساليب منهجية متفق عليها. كما نود أيضا، أن نعلن للسادة القراء من الباحثين والمهتمين أن صدورنا مفتوحة لتقبل كل النقد البناء والتعليقات و الملاحظات والآراء ووجهات النظر المختلفة بشأن ما ينشر في هذه المجلة العلمية نصف السنوية المحكمة، والتى لابد وأن تصب لصالح البحث العلمي وتسهم في تطوير موضوعاته ومناهجه من أجل غد علمي أفضل.

تمنياتي للجميع بالتوفيق

والله من وراء القصد والسلام عليكم

أ.د. عابدين الدردير الشريف
رئيس هيئة تحرير المجلة

دراسة الموارد الطبيعية وإمكانية التنمية المستدامة بمنطقة الشرشارة

د. محمود علي جحيدر (*) د.يحيى محمد الشيباني
كلية العلوم – قسم العلوم البيئية - جامعة الزيتونة

المقدمة : تقع منطقة الشرشارة على أحد سفوح الجبال بترهونة وسهولها الممتدة عبر هضبة مترامية الأطراف، يبلغ ارتفاعها عن سطح البحر حوالي 500 متر وتبعد عن مركز المدينة بحوالي 3 كيلومترات، يتخللها مصب مائي عميق بارتفاع ثمانية أمتار، تنبع مياهه العذبة من عدد من العيون الطبيعية، وتصب في الوادي المعروف باسمها، عبر صخور جبلية ذات طبقات رسوبية متعددة، تستمر حتى تختفي في وادي الرمال الذي تحيط به الأحجار القديمة التي ترجع إلى العهد الروماني، إذ توجد به مقبرتان قديمتان تدلان على وجود آثار رومانية وفرن قديم، يعتبر من أقدم أربعة أفران في العالم لا تزال آثاره باقية حتى اليوم، ما يدل على أن المنطقة كانت عامرة بالسكان.ويحيط بالشرشارة النباتات الطبيعية النادرة، والغابات الكثيفة التي تقع بمحاذاة الوادي لمسافات طويلة، وتتخللها طبقات صخرية متموجة تحيط بها المياه من كل جانب في شكل جميل يجمع بين سحر المكان وطوبوغرافية الأرض وخصوبة التربة وعذوبة المياه التي تتجمع في وسط تشابك أغصانها كل أنواع الطيور والحيوانات البرية التي تقتات من مياهها وتتغذى على نباتاتها وتتكاثر في أخاديدها و كهوفها ما يجعلها محمية طبيعية تستحق منا كل الرعاية والاهتمام.غير أن الإهمال الذي طالها، والتسيب الذي نالها، أفقدها بريقها ولمعانها في نفوس زائريها وفي قلوب مرتاديها، مما يستوجب إعادة ترميمها و إصلاحها كي تعود الشرشارة لسابق عهدها تعانق الفرح وتستبشر به، وتكون محمية طبيعية تسهم في إعادة رفع شأن المنطقة، وتكون متنفساً سياحياً لكل أبناء البلاد، ويتمثل مناخ منطقة عين الشرشارة في الرياح الصيفية التي تهب جنوبية شرقية وشمالية شرقية والرياح الشتوية أما الرطوبة النسبية فتعتمد في الجو على كمية ما يحتويه الهواء من بخار الماء وعلى درجة الحرارة فهي تزداد مع معدل التبخر أو انخفاض

* Email: Mahmud_geheder@yahoo.com

درجة الحرارة وتقل مع تناقص كمية بخار الماء وعلى درجة الحرارة ويمثل أدنى كميات الرطوبة النسبية [1] .

مشكلة الدراسة :

1- استنزاف الموارد المائية بالمنطقة.
2- انقراض بعض الحيوانات والطيور بالمنطقة.
3- انقراض بعض النباتات.
4- تدمير العديد من الأشجار عن طريق القطع الجائر أو القلع أو عن طريق الرياح.

لذلك فإن مشكلة الدراسة تتمحور في إظهار كيفية صون البيئة من خلال إقامة المحميات لتحقيق سياحة مستدامة .

ومن خلال مشكلة الدراسة يمكن وضع التساؤلات التالية:

1. هل تقوم المؤسسات الحكومية بمنطقة الشرشارة بدورها في تطوير هذه المنطقة؟
2. هل تتباين وجهة نظر سكان المنطقة حول تفهم الأثر البيئي في الموارد الطبيعية لهذه المنطقة؟
3. ما مدى الأضرار البيئية المحلية والتنموية على هذه المنطقة؟
4. ما الخطط والبرامج للحد من استنزاف الموارد الطبيعية على المنطقة؟
5. ما فاعلية التنمية المستدامة على السكان بمنطقة الشرشارة؟

أهمية الدراسة: تظهر أهمية الدراسة في توجيه أنظار المهتمين والدارسين والباحثين في مجال البيئة إلى الأخطار البيئية التي تهدد منطقة الشرشارة.كما تتضمن أهمية الدراسة نداء لفتح مجالات واسعة في تعميم تطبيق أسلوب المحميات لتشمل كل الثروات البيئية، ولاسيما المهددة منها بالزوال.

أهداف الدراسة:تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف يمكن إبرازها في النقاط التالية:

1- صون الثروات البيئية المهددة بالانقراض بمنطقة الشرشارة.
2-تنمية السياحة البيئية وتشجيع السياحة الهادفة.

[1] - د.يحيى محمد الشيباني، ورقة علمية بعنوان دراسة إمكانية تطوير محمية الشرشارة، ترهونة، 2013، ص4.

3- محاولة الوصول إلى تحقيق التنمية المستدامة من خلال إقامة محمية طبيعية.

منهجية الدراسة :تم اتباع المنهج النظري من خلال الاطلاع على بعض المراجع والكتب والدراسات السابقة.

- تم استخدام المنهج الوصفي المناسب مع طبيعة الموضوع.
- التحليل الأحصائي من خلال عمل استبانة تتكون من أحد عشر سؤالاً واختيار مئه من عينة الدراسة.

حدود الدراسة: الحدود المكانية:حدود بلدية ترهونة. **والحدود الزمانية**: 2015/2014م.

مصطلحات الدراسة:

1. تعريف الموارد: تعرف الموارد، أنها وسائل لتحقيق غايات معينة (أي حاجات الإنسان) وطالما إن الغايات الإنسانية تتغير فلابد وأن تتغير الوسائل ومن ثم يتم تغيير الموارد باستمرار [1].
2.**مفهوم التنمية المستدامة:**ورد مفهوم التنمية المستدامة لأول مرة في تقرير اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987م وعرفت هذه التنمية في هذا التقرير أنها:تلك التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة لتلبية إحتياجاتهم .
3.**المحمية الطبيعية:**تعرف المحمية الطبيعية سواء كانت برية أو مائية بأنها وحدة بيئية محمية تعمل على صيانة الأحياء الفطرية النباتية و الحيوانية وفق إطار متناسق من خلال إجراء الدراسات والبحوث الميدانية والتعليم والتدريب للمسؤولين والسكان المحليين ليتحملوا المسؤولية تجاه بيئتهم الحيوية ومن ثم فهي تعد مدرسة تعليمية تدريبية وتأهيلية لتحقيق الاهداف التي أقيمت من اجلها المحمية الطبيعية [2].
4.السياحة البيئية:وهي السفر المسؤول إلى المناطق الطبيعية التي تحافظ على البيئة، وتتعهد بديمومة الرفاه للسكان المحليين، وحتى نطلق على السياحة اسم السياحة البيئية فإن ذلك يجب أن يتوافق بالكامل مع

[1] - د. عمر رمضان الساعدي وآخرون، مقدمة فب الموارد الطبيعية، جامعة عمر المختار ، البيضاء، 2008، ص10.
[2] - الموسوعة البيئية، د. يونس خليل- كتاب المحميات الطبيعية.

أهداف الحفاظ والحماية في البلد المعني، وفي الوقت نفسه لا تؤثر على الإطلاق في ثقافة المجتمع المعني أو المضيف كما يجب أن تسهم في توليد الدخل والتعليم المستمرين لأفراد المجتمع [1].

الدراسات السابقة:

1. دراسة مطانيوس مخول وعدنان غانم سنة (2009) بعنوان: ((نظم الإدارة البيئية ودورها في التنمية المستدامة)) تتمحور مشكلة البحث حول واقع نظم الإدارة البيئية، ودورها في التنمية المستدامة بسبب عدم اقتصار المشكلة البيئية على مكان محدد ولاسيما عند استقلال الموارد الطبيعية بشكل غير معتاد و مألوف، ودون أي اعتبار لما ينجم عن الفعل اللابيئي المخل في جوهر التوازن البيئي ويهدف هذا البحث إلى تخفيف الآثار السلبية التي تنجم عن تسارع النمو الاقتصادي، وتوصل هذا البحث إلى أن التنمية غير المستدامة تتسبب في تدهور الموارد الطبيعية والتراثية.

2. دراسة خان أحلام وزاوي صورية (2010) بعنوان: ((السياحة البيئية و أثرها على التنمية في المناطق الريفية)) وتعتني هذه الدراسة بصورة أساسية بالمجتمع المدني بجميع عناصره: الزراعة، السكان المحليين والحيوانات و الأنشطة الدينية المختلفة، كما تتضمن إقامة المخيمات ورحلات الصيد وإقامة الأسواق الحرفية.وخلاصة هذه الدراسة أن المناطق الريفية غنية بالمواقع التراثية والموارد الطبيعية ولازالت تحافظ على النواحي الاجتماعية والعادات و التقاليد إلا أن هذه المناطق بحاجة ماسة للتطوير في مختلف النواحي خصوصاً في مجال البنية التحتية.

3. دراسة عبدالرحمن محمد الحسن (2011) بعنوان ((التنمية المستدامة و متطلبات تحقيقها)) ويهدف البحث إلى الوقوف على مفهوم التنمية المستدامة التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة وتكمن أهمية البحث في حماية البيئة و واردتها وخلق الوعي البيئي والتفهم الصحيح لقضايا البيئة بالاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية في ظل التنمية المستدامة هدفاً أساسياً للإنسان و لمنفعة المجتمع وقد توصل البحث إلى عدد من النتائج منها تبني إستراتيجية وطنية للتنمية المستدامة يشارك في بنائها أفراد المجتمع-استهلاك الموارد باعتدال وكفاءة ومراعاة الأسعار الأفضل للموارد والاستخدام الأكثر كفاءة للموارد والأطر الزمنية لاستبدال الموارد غير المتجددة بموارد بديلة و

[1] - د. أكرم عاطف رواشدة، السياحة البيئية الأسس المرتكزات، الطبعة الأولى، 2008، ص31.

الاستخدامات البديلة المحتملة للموارد وعدم استهلاك الموارد المتجددة بوتيرة أسرع من قدرتها على التجدد والتوسع في مجال الاعتماد على الطاقة النظيفة المتجددة كالطاقة الشمسية والطاقة المائية وطاقة الريح.

4. دراسة آسيا قاسمي سنة (2012) بعنوان:**((التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسؤولية عن حماية البيئة))** مع الإشارة إلى التجربة الجزائرية فقد أدركت الجزائر على غرار باقي دول العالم أهمية إقامة توازن بين واجبات حماية البيئة ومتطلبات التنمية من خلال الإدارة الحكيمة للموارد ولتجسيد هذا الهدف اتخذت إجراءات وسياسات من شأنها تحسين الأوضاع المعيشة والاقتصادية والاجتماعية والصحية للمواطن، وتوصلت الدراسة إلى أن الجزائر على غرار العديد من دول العالم التي تبنت المفاهيم المتعلقة بالتنمية المستدامة إلا أنها عموماً تتصف بضعف الثقافة البيئية لدى المسؤولين والمواطنين على حد سواء ، وارتباط مفهوم دراسة التأثير في البيئة بالنسبة لبعض المشاريع التي تصنف بأنها مخرجات خطيرة عن البيئة كالنشاطات الاستخراجية والمحروقات...الخ، في حين أن هناك العديد من الأنشطة الأخرى المتعلقة بالموارد البيئية الحساسة كالغابات ومصائد الأسماك والسدود والمياه ومصادر الطاقة الأخرى التي لم يطلها التشريع بالعناية الكافية بعد. وضعف الجانب الرقابي في الجزائر الأمر الذي لم يسهم في تحقيق نتائج إيجابية من الناحية البيئية ولا من ناحية الاستدامة التنموية.

5. دراسة صليحة عشى سنة (2013) **بعنوان:((المحميات الطبيعية صيانة للتراث البيئي السياحي))**.تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق عدد من الأهداف وهي صون الثروات البيئية المهددة بالانقراض وتنمية السياحة البيئية وتشجيع السياحة الهادفة وتفعيل دور المجتمعات في صون التنوع البيولوجي في التنمية المستدامة، وإبراز أنموذجات دولية في مجال إقامة المحميات الطبيعية. وتم استخدام المنهج الوصفي في هذه الدراسة لتناسبه مع طبيعة الموضوع وأهميته في عرض معطياته لتحقيق أهداف الدراسة. وتوصلت الدراسة- على الرغم من وجود اختلاف كبير في الرؤى والغايات والأهداف وطريقة إدارة المحميات و توجيهها باختلاف البلدان إلى أن هناك إجماعاً حول أهمية إنشاء أشكال من الحماية للحفاظ على التنوع الحيوي والاستهلاك المستدام للموارد الطبيعية.

6. دراسة يحيى محمد الشيباني سنة (2013)**بعنوان:((دراسة إمكانية تطوير محمية الشرشارة بترهونة كمحمية طبيعية))** تخدم المحيط البيئي سنة 2013م وهدفت هذه الدراسة إلى الاهتمام بتكوين محمية طبيعية تعتمد على المصادر

الوراثية النباتية والحيوانية والاستخدام المستدام للموارد الحيوية والنظم البيئية الطبيعية والاستثمار السياحي البيئي للمحمية بشكل لا يؤثر سلباً في مكوناتها الطبيعية الحيوية .

7. دراسة مهدي سهر غيلان بعنوان:**((دراسة تحليلية لأهم مؤشرات التنمية المستدامة في البلدان العربية والمتقدمة))** وتناول البحث التقدم الاقتصادي في بلدان العالم صاحبه إقامة وإنشاء العديد من المشاريع الكبرى والاستثمارات الضخمة، وقد أدى بالنتيجة إلى زيادات مرتفعة في حجم الناتج المحلي الإجمالي، إلا أنها استنزاف للموارد الطبيعية التي تعد رصيداً للأجيال اللاحقة إضافة إلى انعكاساتها على البيئة من خلال زيادة التلوث البيئي والتصحر و انخفاض نصيب الفرد من المياه وغيرها من العوامل. وتوصل البحث إلى أهم الاستنتاجات وهي انخفاض العديد من المؤشرات الاقتصادية في البلدان العربية وعلى الرغم من ارتفاع المؤشرات التعليمية إلا أنها ما زالت دون المعدلات العالمية وبيئياً فإن البلدان العربية تعاني من انخفاض نصيب الفرد من المياه.

نبذة عن الموارد الطبيعية:تحتوي البيئة الطبيعية ضمن مكوناتها الرئيسة الثلاثة التي تعرف بالغلاف اليابس والمائي والجوي على مجموعة من الموارد الطبيعية الضرورية للإنسان والكائنات الحية الأخرى ، وكذلك النظام البيئي ، والموارد البيئية الطبيعية هي موارد لا دخل للإنسان في وجودها ونظراً لأهميتها الحيوية واعتماد الإنسان عليها من هنا فهو يؤثر فيها ويتأثر بها أيضاً . لقد صنف الباحثون البيئيون الموارد البيئية الطبيعية إلى ثلاثة أصناف تندرج في كل واحدة منها عدد من الموارد وهي: الموارد الطبيعية الدائمة والموارد الطبيعية البيئية المتجددة، والموارد البيئية غير المتجددة. إن الموارد الطبيعية الدائمة هي الموارد التي تظل متوفرة في الطبيعة مهما استهلك منها. و تعد الموارد الطبيعية القاعدة التي يعتمد عليها تقدم ورفاه المجتمع البشري إذ إن وفرة أو ندرة تلك الموارد لها تأثيراتها الكبيرة في مركز هذا البلد أو ذاك بين بلدان العالم، فهي تؤثر اقتصادياً كما تؤثر في الحالة المعاشية للسكان وتعتبر مصدر قوة المجتمع أو الدولة . إن توزيع الموارد الطبيعية المتفاوت بين شعوب الأرض قد أدى إلى صراعات عنيفة على مر الزمان بين العديد من دول العالم ، وقد تم اكتشاف أن الموارد الطبيعية الجديدة لها دوراً مهم في تاريخ التقدم البشري والحضارة الإنسانية، لقد أثبت التاريخ أن الدول التي تتمتع

بوفرة الموارد الطبيعية لها مكانة مهمة بين الدول، لذلك فإن الكثير من الدول في عالم اليوم أخذت تهتم بصيانة الموارد الطبيعية وتنميتها تفادياً للمشاكل الاقتصادية وقت السلم ووقت الحرب[1].

أبعاد التنمية المستدامة: التنمية المستدامة لا تركز على الجانب البيئي فقط بل تشمل أيضاً الجوانب الاقتصادية والاجتماعية، فهي تنمية بأبعاد ثلاثة مترابطة ومتكاملة في إطار تفاعلي، يتسم بالضبط والتنظيم و الترشيد للموارد، ولا يكفي وصف هذه الأبعاد بأنها مترابطة معاً كما يظهر مثلث التنمية المستدامة، بل لابد من إشارة واضحة وصريحة إلى هذه الأبعاد مترابطة ومتداخلة ومتكاملة، ويمكن التعامل مع هذه الأبعاد على أنها منظومات فرعية لمنظومة التنمية المستدامة.[2]

البعد الاقتصادي ويشمل:- النمو الاقتصادي المستديم.وكفاءة رأس المال، وإشباع الحاجات الأساسية، والعدالة الاقتصادية.

و**البعد الاجتماعي ويشمل:** المساواة في التوزيع، والحراك الاجتماعي، والمشاركة الشعبية، والتنوع الثقافي، واستدامة المؤسسات، و**البعد البيئي ويشمل:** النظم الأيكولوجية. والطاقة ، و التنوع البيولوجي، و الإنتاجية البيولوجية، والقدرة على التكيف.

1 - كاظم المقدادي، أساسيات علم البيئة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2008، ص32.
2- د.عثمان محمد غنيم، د.ماجدة أبوزنط، التنمية المستديمة (فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها)، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع-عمان، 2010، ص39.

شكل يوضح تداخل أبعاد عملية التنمية المستدامة

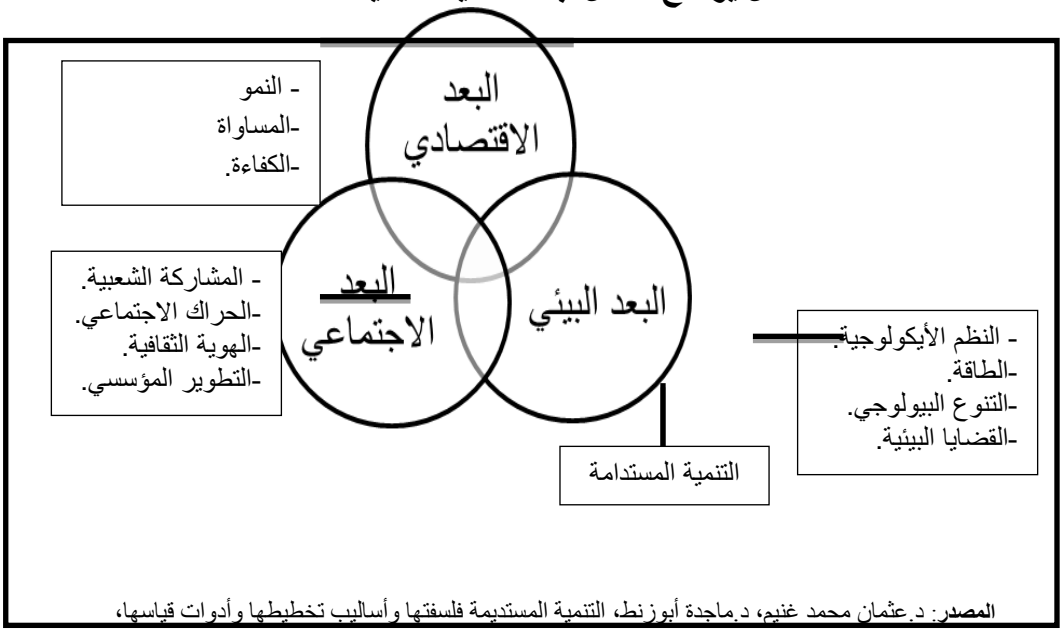

المصدر: د.عثمان محمد غنيم، د.ماجدة أبوزنط، التنمية المستديمة فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها، 2010، ص42.

مؤشرات التنمية المستدامة: لعله من المفيد الإشارة إلى أبرز المؤشرات الأساسية للتنمية المستدامة المتمثلة في الآتي:

1. التنمية عملية وليست حالة، وبالتالي فإنها مستمرة ومتصاعدة، تعبيراً عن تجدد احتياجات المجتمع وتزايدها.

2. التنمية عملية مجتمعية، يجب أن تسهم فيها كل الفئات والقطاعات والجماعات، ولا يجوز اعتمادها على فئة قليلة أو مورد واحد.

3. التنمية عملية واعية، وهذا يعني أنها ليست عملية عشوائية، وإنما عملية محددة الغايات ذات استراتيجية طويلة المدى، وأهداف مرحلية و خطط وبرامج.

4. التنمية عملية موجهة بموجب إرادة تنموية، تعي الغايات المجتمعية وتلتزم بتحقيقها، وتمتلك القدرة على تحقيق الاستخدام الكفء لموارد المجتمع، إنتاجاً وتوزيعاً، بموجب أسلوب حضاري يحافظ على طاقات المجتمع.

5. أهمية إحداث تحولات هيكلية، وهذا يمثل إحدى السمات التي تميز عملية التنمية الشاملة من عملية النمو الاقتصادي.
6. تزايد قدرات المجتمع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتقنية بما يتوازن مع متوسط النمو النسبي المقارن في المجتمعات الأخرى.
7. أن ترتبط التنمية بإطارها الاجتماعي والسياسي من خلال الحفز و التشجيع[1] .

لقد أصبحت قضية البيئة والمحافظة عليها من أهم قضايا العصر لما للتلوث من آثار بالغة في صحة الإنسان وسلامة البيئة، ونظراً للتطور الكبير في مختلف الأنشطة الاقتصادية الذي أدى إلى ظهور العديد من الآثار البيئية بمختلف أنواعها ولا سيما النشاط الصناعي منها، وفي إطار المحافظة على البيئة من الآثار السلبية لهذا النشاط و دعماً للآثار الإيجابية له، نأمل منكم الإسهام بمدنا بالإجابة عن أسئلة هذه الاستبانة في إطار المصداقية والوضوح وبجدية تامة وإننا على ثقة من أن إسهاماتكم بالإجابة عن هذه الأسئلة ستكون لها قيمة كبيرة تعطي مؤشراً واضحاً يضيء الطريق نحو ما نبتغيه في الوصول إلى نتائج سليمة وواقعية من هذه الدراسة العلمية وهي بعنوان : **(دراسة الموارد الطبيعية وإمكانية التنمية المستدامة بمنطقة الشرشارة)**

أولاً/ تحليل مواصفات العينة

1. البيانات الشخصية :

جدول رقم (1)

الجنس	العدد
ذكر	59
أنثى	41

يتضح لنا من البيانات أعلاه أن فئة الذكور أكثر من فئة الإناث الذين أجابوا عن هذه الاستبانة.

[1] - د. عبدالرحمن محمد الحسن، التنمية المستدامة متطلبات تحقيقها، جامعة بخت الرضا، السودان، بحث مقدم لملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، جامعة المسيلة ، 2011، ص5-6.

2. العمر بالسنوات :

جدول رقم (2)

العمر بالسنوات	العدد
من 17 إلى 25	45
من 26 إلى 35	21
من 36 إلى 45	19
من 46 إلى 55	11
أكثر من 55	4

نلاحظ من خلال الجدول أن أكثر أفراد العينة الذين استهدفوا يقعون تحت الشريحة ما بين 17 إلى 25 سنة، وهي الشريحة ذات الخبرة القادرة على العطاء والابتكار.

3. المهنة :

جدول رقم (3)

المهنة	العدد
طلاب جامعات	43
أعضاء هيئة تدريس	21
موظفون	33
معيدون بالجامعات	3

نلاحظ مما سبق أن نسبة طلاب الجامعات هي أكثر أفراد العينة وهو ما يرى الباحثان بأنها نقطة إيجابية لكي يعتمد عليها في هذه الاستبانة.

ثانياً/ تحليل أسئلة الاستبانة

من خلال جمع المعلومات من صحائف الاستبانة التي تم توزيعها تبين الآتي:

س1- هل تهمك البيئة الطبيعية بمنطقة الشرشارة ؟

جدول رقم (4)

البيان	ك	%
نعم	100	%100
لا	0	%0
المجموع	100	%100

يبين الجدول أن البيئة الطبيعية بمنطقة الشرشارة تهم الناس و سكان المنطقة والمحافظة عليها وتم الاستجواب عليها بنعم بنسبة 100% ، وهو مؤشر جيد لدرايتهم بمدى أهمية صحة البيئة في المجتمع.

س2- هل يرضيك قطع الأشجار بالمنطقة؟

جدول رقم (5)

البيان	ك	%
نعم	2	%2
لا	98	%98
المجموع	100	%100

نلاحظ من الجدول بأن الذين أجابوا على البيان بلا نسبتهم 98% أي لا يرضيهم قطع الأشجار في المنطقة لأنه يسبب ضرراً للبيئة المحيطة، بينما نسبة 2% يرضيهم قطع الأشجار بالمنقطة.

س3- هل يرضيك حرق الأشجار بالمنطقة؟

جدول رقم (6)

البيان	ك	%
نعم	0	%0
لا	100	%100
المجموع	100	%100

الجدول يبين أن نسبة 100% لا يرضيهم حرق الأشجار بالمنطقة لكي يتم الاستفادة منها في عمليات صناعية أخرى في حالة جفافها وهلاكها، ولأن حرق الأشجار يسبب في تلوث البيئة بالدخان.

س4- هل يرضيك رمي النفايات بالمنطقة ؟

جدول رقم (7)

البيان	ك	%
نعم	0	%0
لا	100	%100
المجموع	100	%100

الملاحظ من الجدول بأنه تم الإجابة بنسبة 100% ب(لا) لأن رمي النفايات يسبب تلوثاً وتصبح البيئة غير صحية وملوثة، وأفضل طريقة للنفايات أن يتم تجميعها لإعادة تدويرها أو التصنيع.

س5- هل يرضيك الرعي الجائر بالمنطقة؟

جدول رقم (8)

البيان	ك	%
نعم	9	%9
لا	91	%91
المجموع	100	%100

نلاحظ في هذا الجدول أن نسبة 9% يرضيهم الرعي الجائر بالمنطقة ولكن 91% من الذين أجابوا منهم هذا البيان لا يرضيهم الرعي الجائر وهي نسبة كافية للحفاظ على مقومات المنطقة و المحافظة على البيئة الخاصة بها.

س6- هل يرضيك استنزاف المياه بالمنطقة؟

جدول رقم (9)

البيان	ك	%
نعم	0	%0
لا	100	%100
المجموع	100	%100

يتضح من الجدول أعلاه أنه تمت الإجابة بنسبة 100% بأنه لا يرضيهم استنزاف المياه بالمنطقة، والسبب في استنزاف المياه

الاستخدام الأقصى غير الرشيد والتزايد في عدد السكان وحفر الآبار العشوائية بالمنطقة.

س7- هل يعجبك مقترح إنشاء محمية طبيعية؟

جدول رقم (10)

البيان	ك	%
نعم	100	%100
لا	0	%0
المجموع	100	%100

في هذا الجدول مقترح إنشاء محمية طبيعية تحصل على نسبة 100% من قبل المجاوبين عن هذا البيان لكي تصبح المنطقة محمية طبيعية ومنتزهاً وطنياً سياحياً.

س8- هل توافق أن تكون المنطقة سياحية بيئية؟

جدول رقم (11)

البيان	ك	%
نعم	95	%95
لا	5	%5
المجموع	100	%100

نلاحظ أن الذين لم يرضوا على أن تكون الشرشارة منطقة سياحية بيئية نسبتهم 5% بينما 95% وافقوا على أن تكون هذه المنطقة سياحية بيئية.

س9- هل يرضيك الصيد الجائر بالمنطقة؟

جدول رقم (12)

البيان	ك	%
نعم	5	%5
لا	95	%95
المجموع	100	%100

يتبين لنا من الجدول أنه تمت الإجابة بنعم بنسبة 5% و 95% بـ لا لم يرضيهم الصيد الجائر بالمنطقة ،لأن المحمية الطبيعية والمنتزه

الطبيعي يتطلبان وجود حيوانات برية وحديقة حيوانات للنزهة والحياة البيئية.

س10 – هل تلاحظ تلوث الهواء بالمنطقة؟

جدول رقم (13)

البيان	ك	%
نعم	82	%82
لا	18	%18
المجموع	100	%100

الجدول يبين أن نسبة 82% تلاحظ تلوث هواء المنطقة من قبل حرق الأشجار ورمي النفايات وحرقها داخل هذه المحمية وهي نسبة كافية ودالة على وجود تلوث هواء في منطقة الشرشارة.

التحليل الأحصائي: تم أخذ الاختبار الأحصائي (تحليل كاي تربيع chi-square) ويستخدم هذا التحليل لمعرفة أو قياس درجة الارتباط بين أو الاختلاف بين متغيرين كل منهما يأخذ شكل مجموعات فبهذا البحث تم أخذ المتغير الأول الجنس (ذكر/أنثى) والمتغير الثاني كل سؤال من الأسئلة الموجودة بالبحث تتركب من إجابتين (نعم/لا) وبالتالي نسعى للمقارنة بين تكرارات الحالات في المجموعات المختلفة لمتغير الجنس مع تكرارات الحالات المختلفة للمتغير الأسئلة المطروحة بخصوص بيئة منطقة الشرشارة. وبأخذ فرضيتين العدم و البديل حيث نفترض : **بأن فرضية العدم : $H_0:sig \geq 0.05$**

والتي يوجد بها اختلاف بين المتغيرات بين الجنسين في الإجابة عن الأسئلة المرتبطة بالبيئة.

وفرضية البديل : $H_1:sig<0.05$ لا يوجد بها اختلاف بين المتغيرات.

ومن نتائج التحليل نستنتج أن:علاقة متغير الجنس بالسؤال الأول وهو(هل تهمك البيئة الطبيعية بمنطقة الشرشارة) أنه يوجد ارتباط تام بين متغير الجنس والاهتمام بالبيئة . علاقة متغير الجنس بالسؤال الثاني(هل يرضيك قطع الأشجار بالمنطقة) فوجد أن مستوى المعنوية(1.00) أكبر من (0.05) فيدل ذلك على عدم وجود اختلاف، فبهذا نختار فرض البديل ونرفض فرض العدم.وفيما يخص علاقة متغير الجنس بالسؤال الثالث(هل يرضيك حرق الأشجار بالمنطقة) أنه يوجد ارتباط تام بين متغير الجنس في الإجابة بعدم الموافقة على

حرق الأشجار رفضاً تاماً .وعلاقة متغير الجنس بالسؤال الرابع (هل يرضيك رمي النفايات في المنطقة) أنه يوجد ارتباط تام بين متغير الجنس في عدم الرضا برمي النفايات. وعلاقة متغير الجنس بالسؤال الخامس (هل يرضيك الرعي الجائر) فوجد مستوى المعنوية (0.084) أعلى من (0.05) وبهذا يتم اختيار الفرض البديل الذي ينص على عدم وجود اختلاف بين المتغيرات الممانعة من الرعي الجائر بالمنطقة. علاقة متغير الجنس بالسؤال السادس (هل يرضيك استنزاف المياه بالمنطقة) فوجد مستوى المعنوية (1.00) أكبر من (0.05) فبهذا نستدل على عدم وجود اختلاف، فيتم اختيار الفرض البديل واستبعاد الفرض العدم. علاقة متغير الجنس بالسؤال السابع(هل يعجبك مقترح إنشاء محمية طبيعية) فوجد أن هناك ارتباطاً تاماً بين الجنسين في الموافقة على إنشاء المحمية الطبيعية . علاقة متغير الجنس بالسؤال الثامن(هل توافق أن تكون المنطقة سياحية بيئية) فوجد مستوى المعنوية (1.00) وهو أكبر من (0.05) فبهذا نستدل على عدم وجود اختلاف فنقبل فرض البديل ونرفض فرض العدم. علاقة متغير الجنس بالسؤال التاسع(هل يرضيك الصيد الجائر بالمنطقة) فوجد مستوى المعنوية (0.405) وهو أكبر من (0.05) فبهذا نستدل على عدم وجود اختلاف فنقبل فرض البديل ونرفض فرض العدم. علاقة متغير الجنسين بالسؤال العاشر (هل تلاحظ تلوث الهواء بالمنطقة) فوجد مستوى المعنوية (0.567) وهو أكبر من (0.05) فبهذا نستدل بأنه لا يوجد اختلاف بين المتغيرين فبهذا نقبل فرض البديل ونرفض فرض العدم. ومن هذه النتائج مجملة نستنتج عدم وجود اختلاف بين الجنسين (الذكر/الأنثى) في الاهتمام بالبيئة والمحافظة على مكوناتها.

أولاً -النتائج :

1- نقص الأشجار والنباتات نتيجة القطع الجائر أو عن طريق القلع وحرق الأشجار وكذلك الرعي الجائر مما يؤدي لانقراض النباتات.
2- انقراض بعض الحيوانات بالمنطقة نتيجة الصيد الجائر بالمنطقة.
3- شح المياه في منطقة الشرشارة نتيجة حفر الآبار العشوائية بالقرب من العين.
4- من خلال تحليل الاستبانة تبين أن السبب الرئيس في استنزاف المياه بهذه المحمية هو حفر الآبار العشوائية وكثرتها بالمنطقة وقلة سقوط الأمطار بهذه المحمية.

ثانياً- التوصيات:

1- سن التشريعات والقوانين في المحافظة على البيئة الطبيعية.

2- الاهتمام بالمنطقة من حيث تشكيل فريق عمل متكامل من مهندسين وفنيين للمراقبة الدورية.

3- السعي لجعل هذه المنطقة سياحية من المناطق المعروفة بليبيا.

4- الاهتمام بالموارد الطبيعية والمحافظة عليها من الاستنزاف وإعداد دراسات جدوى من مكاتب متخصصة في إدارة الموارد الطبيعية لمعرفة الجدوى الاقتصادية للموارد الطبيعية وحفظها وصيانتها .

5- المحافظة والاهتمام بالمحميات الطبيعية لغرض السياحة البيئية و إجراء دراسات على إدارة المحميات لمعرفة الجدوى الاقتصادية والبيئة الاجتماعية للمحميات الطبيعية حتى يتم تحديد الميزانيات لها.

6- تطبيق قانون حماية البيئة رقم 07 لسنة 1982 م ، والفصل التاسع لحماية الحياة البرية المادة 60 وحتى المادة 75 من القانون .

7- إنشاء محمية بمنطقة الشرشارة، أحد الأهداف الرئيسة لهذا البحث فهو اختيار منطقة بيئية تصلح لإقامة محمية طبيعية بهذه المنطقة ويحيط بمنطقة الشرشارة النباتات الطبيعية النادرة التي تمتاز بأهميتها الطبية والدوائية والعلاجية عندما يتم قيام مراكز البحوث عليها و استجلاب الخبرات الأجنبية المتقدمة لإقامة الصناعات الدوائية و الاستفادة منها في السياحة العلاجية.

8- التعريف بمحمية الشرشارة والاهتمام بها والمحافظة عليها وجعلها منطقة سياحية بيئية ومنتزهاً وطنياً والحفاظ على الموارد الطبيعية بها مثل التربة والماء والنباتات والأشجار والحيوانات البرية و الطيور وعدم استنزافها.

9- الاهتمام بمنطقة الشرشارة وخاصة الغابة والاحتفاظ بها كمحمية و منتزه لما تتمتع به من مناظر جميلة تجذب السياحة الداخلية والخارجية.

10- إعداد قوانين توضح للمواطنين المحيطين بهذه المحمية الممنوعات داخل المحمية وهي :

- الصيد الجائر بكافة الوسائل والطرق ،الرعي الجائر بجميع أنواعه حفاظاً على الحشائش والغابات والأعشاب .

- إقامة المتاحف التي تعرض نماذج للحيوانات والطيور والنباتات داخل المحمية .

11- الاهتمام بالعمليات الزراعية الأساسية من حرث وتنظيف وهذا يتطلب توفير عدد كافٍ من العمالة والمستلزمات الزراعية مثل الجرارات وغيرها.
12- إجراء دراسة شاملة لتربة الغابة لكي يتم تحديد مدى ملائمتها لزراعة أشجار الغابات المناسبة.
13- توفير مصدر مياه ثابت للري (حفر آبار أو النهر الصناعي) خصوصاً في المراحل من عمر النبات في حالة تجديد الغابة.
14- إقامة نوادي ألعاب اللياقة البدنية والملاعب الرياضية بجميع أنواعها .
15- ربط المحمية بالمحميات الأخرى بالمدن الليبية لخلق تعاون ثقافي سياحي بينها
16- زيادة عمليات التشجير الذي يؤدي إلى تماسك التربة وحفظها و عدم انجرافها خاصة في المناطق المنحدرة لتحقيق التوازن البيئي بالمنطقة.
17- الاهتمام بزراعة أشجار الغابات للمحافظة على التربة وأهميتها كمصدات للرياح.
18- ضمان استمرارية إنتاجية الموارد الطبيعية واستمرار التوازن البيئي بالمنطقة.
19- القيام بأعمال الخدمة الزراعية من حرث وتنظيف وإزالة للمخلفات والأشجار الميتة.
20- استعمال المبيدات الخاصة بخنافس قلف الأشجار للحد من موت الأشجار قدر الإمكان.

الخلاصة: تعتبر إقامة المحميات الطبيعية بأنواعها من أهم الوسائل التي تعمل معظم الدول المتقدمة منها وغير المتقدمة على كونها ترتبط بشكل مصيري ببقاء الحياة النباتية والحيوانية والحياة البرية ونظمها البيئية. فمحمية الشرشارة تحيط بها النباتات الطبيعية النادرة والغابات الكثيفة وبها مجموعة كبيرة من الحيوانات البرية والطيور مما يجعلها محمية طبيعية تستحق من الحكومة الاهتمام والرعاية ومؤسسات المجتمع المدني المختلفة بالعمل على إعادة ترميمها وإصلاح الإهمال الذي طالها.

نأمل أن تؤخذ هذه التوصيات بعين الاعتبار وأن تجد طريقها للتنفيذ قبل أن يتم القضاء بالكامل على أشجار الغابات بالمنطقة وإنقاذ المنطقة وإعادة الحيوية لها لتصبح محمية نفتخر بها.

المراجع:

1. أكرم عاطف رواشدة، السياحة البيئية الأسس المرتكزات، الطبعة الأولى، 2008.
2. عبدالرحمن محمد الحسن، التنمية المستدامة متطلبات تحقيقها، جامعة بخت الرضا، السودان، بحث مقدم لملتقى استراتيجية الحكومة في القضاء على البطالة وتحقيق التنمية المستدامة، جامعة المسيلة ، 2011.
3. عثمان محمد غنيم، ماجدة أبوزنط، التنمية المستديمة (فلسفتها وأساليب تخطيطها وأدوات قياسها)، دار صفاء للطباعة والنشر والتوزيع-عمان، 2010.
4. عمر رمضان الساعدي وآخرون، مقدمة في الموارد الطبيعية، جامعة عمر المختار ، البيضاء، 2008.
5. كاظم المقدادي، أساسيات علم البيئة، الأكاديمية العربية في الدنمارك، 2008.
6. الموسوعة البيئية، د. يونس خليل- كتاب المحميات الطبيعية.
7. يحيى محمد الشيباني، ورقة علمية بعنوان: دراسة إمكانية تطوير محمية الشرشارة، ترهونة، 2013.

ملامح من تدوين النص التاريخي في العصر الإسلامي

د/ نعيمة عبد السلام أبوشاقور - جامعة الزيتونة / ليبيا

1- 6 / المقدمة:

إن الكتابة في مجال علم التاريخ تتطلب مهارة عالية وقدرةً لغويةً جيدة، تمكن الباحث من الاستفادة من الكمّ الكبير من الكتب المصدر التي دونت وفق منهجية اهتمت بالنخبة من الفئات الاجتماعية، فجاء تركيزها منصباً على تتبع أحوال الطبقة الحاكمة وطبقة العلماء والفقهاء والأطباء والأدباء وغيرهم، أما بقية الفئات المكونة للمجتمع والتي أطلق عليها مصطلح العامة أو الناس أو الغوغاء، فلم تحظ بالاهتمام الكافي، الذي إن وجد فهو بحاجة إلى جهد كبير من الباحث للعثور عليه، والاستفادة منه في تكوين رؤيته للحدث التاريخي، بسبب تناثر أخباره بين صفحات الكتب.كما أن الميول القبلية والاجتماعية و السياسية، كان لها دور مهم في تحديد الأخبار المدونة في المصادر التاريخية، أو ما هو ضمن نطاق اهتمام الروايات التاريخية. من هذا المنطلق كانت مهمة الباحث في استخلاص المعلومة التي تهتم بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية عسيرةً، إن لم تكن في بعض الأحيان مستحيلة.لذا, فإن هذه الدراسة تحاول تقديم رؤية لمسألة مهمة من وجهة نظر الباحثة تدور حول موضوع تدوين النص التاريخي، وربطه بقبول الرواية أو رفضها، وبرؤية كتب الرجال لبعض الرواة ممن كان لهم دور رئيس في نقل صورة تكاد تكون حية لمجتمع الدولة الإسلامية إبان النصف الأول من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، والتي كان لها دور مهم في مد المهتمين بمجال التاريخ بأحوال العامة، اعتماداً على رواة تم التشكيك في مصداقية أخبارهم، بناء على منهج علم الرجال المعتمد في نقد رواة الحديث النبوي.وقد حاولت الباحثة من خلال استخدام المنهجين الوصفي التحليلي والتاريخي الوصول إلى تحقيق هدف الدراسة، و الذي يدور حول بداية تدوين النص التاريخي وتطوره ، والمراحل التي مر بها، وتوضيح دور بعض الرواة ممن اعتبرت روايته للحديث النبوي رواية كاذبة، ممن كان له دور في نقل روايات تاريخية مهمة عن أحوال الطبقة العامة. فالمسلمون لم يهتموا في بداية الدعوة بتدوين النصوص المختلفة باستثناء القرآن الكريم، بما في ذلك نص الحديث، لأن الرسول كان قد نهى عن تدوين الحديث النبوي[1]،

([1]) اختلفت الآراء حول موضوع تدوين النص في عهد الرسول ρ حيث رأي جواد على: أن الروايات تكاد تجمع على أن الناس كانوا يتهيبون تسطير أحاديث الرسول ρ في كتاب خوفا من أن يكون مع كتاب الله كتاب آخر، فيما لا يعقل أنهم لم يدونوا شيئا من سيرته، ينظر: على، جواد، **تاريخ العرب في الإسلام**، تقديم: فرحان صالح، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م، ص ص 17- 19. فيما رأي شوقي ضيف: أن بعض أحاديث رسول الله ρ دونت في حياته، وخاصة تلك التي تتصل بالزكاة، وقد رخص النبي ρ لنفر من الصحابة رضي

كما روى الإمام مسلم في صحيحه[1]،ويضاف إليه أن عزوف الصحابة-رضي الله عنهم - عن تدوين الحديث يرجع لسببين آخرين. أولهما: قلة عدد الكتّاب الذين فضلّوا أن ينصرف جهدهم لتدوين القرآن الكريم، والثاني:هو اعتماد العرب منذ قبيل الإسلام على الذاكرة باعتبارها الوسيلة الرئيسة للحفظ، الذي تضمن الأنساب والأشعار والخطب وغيرها، فلم ينشأ اهتمام من جانب المسلمين الأوائل في العهد النبوي بتدوين النص التاريخي المرتبط بتاريخ الإسلام[2].

تمت حركة التسجيل التكاملية للحدث بعد حدوثه بفترة زمنية طويلة رغم وجود إشارات في المصادر إلى مدونات خاصة ببعض الأفراد[3]، ومن ثم تنوع الخبر في الرواية التاريخية، باختلاف الرواة، مما أسهم في تحوير عدد من النصوص التاريخية بسبب بعد الفترة الزمنية الفاصلة بين الحدث وروايته، فضلا عن تنوع دوافع الرواة أنفسهم في اختيار أحداث دون الأخرى وصياغتها لتخدم فرضيات محددة، كان للبعد الاجتماعي (القبيلة وأمجادها) دور مهم فيها. إن اهتمام الروايات التاريخية انصب على تسجيل إنجازات الحكام والأمراء، و جاءت الإشارة للتغيرات الاجتماعية والاقتصادية عرضية ضمن الأحداث المهمة التي أرخ لها المؤرخون، إذ يمكن من خلال استقراء ما دونه الطبري في تاريخه –على سبيل المثال- التأكيد على ما سبقت الإشارة إليه، إذ على الرغم من تدوينه لبعض النصوص التاريخية المهمة، فإن تركيزه كان منصباً على ما حدث من إنجازات وأعمال للخلفاء والسلاطين وما يتصل بهما، وقام برواية أخبار موجزة عن بعض السنوات، مقارنة بغيرها من السنوات، مما لا علاقة له بالطبقة الحاكمة، مثل روايته عن أحداث عام (172ه/788م)، وعام (174ه/790-791م)، وعام (175ه/791م)، وعام (254ه868م)، وعام (271ه/884م)، وعام (272ه/885م)، وعام (273ه/886م)، وعام (274ه/887م)، وعام (275ه/888م)، وعام (276ه/889م)[4].

الله عنهم بكتابة أحاديثه، ولكن لم يدون تدوينا عاما إلا في فترة لاحقة. ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)**، دار المعارف، القاهرة، ط4، ص ص 37-38. وهو الرأي المرجح بين العلماء.

(1) "حدثنا هداب بن خالد الأزدي حدثنا همام عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي قال همام أحسبه قال متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"، ابن حجاج، مسلم، **صحيح مسلم**، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م، (كتاب الزهد والرقائق/الحديث رقم 3004)، ص 1201.

(2) معروف أن التدوين كان موجودا لدى العرب قبل الإسلام، للاستزادة ينظر: علي، جواد، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1971 م، ج8، ص ص 248- 249.

(3) المرجع نفسه، الجزء نفسه ، ص 266 عن تذكرة الحفاظ.

(4) الطبري، محمد بن جرير ، **تاريخ الأمم والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1991م، ج4، ص ص 622، 625-627؛ ج5، ص ص 425-426، 590-598.

6-2 / نشأة تدوين النص التاريخي:

اعتمد المؤرخون الأوائل عند تدوينهم للنص التاريخي على الرواية الشفوية، في مرحلة تجاوزت زمن الحدث ذاته بأكثر من قرن من الزمان، ويلاحظ أن الرواية الشفوية نُقلت عن شهود عيان، عبر سند يطول أحيانا، ويقصر أحيانا أخرى، وفق الطريقة الإسنادية التي اتسمت بثلاثة مظاهر:

أ. إنفصال الأخبار فيما بينها واستقلالها.

ب. الطابع القصصي الذي لا يخلو من الحوار.

ج. الاستشهاد بالشعر[1].

وتعد الرواية الشفوية الأنموذج المبدئي لتسجيل النص التاريخي، الذي انتقل مباشرة إلى مرحلة تدوين المصنفات المصدرية الأولى، التي أعتمدت أنموذجاً احتدى به المهتمون بمجال علم التاريخ، وإن ظهرت بعض المصادر التي حادت عن الأنموذج الأول، نحو ابتكار أنماط جديدة، فقد ذكر ابن خلدون في مقدمته، أن علم التاريخ **"فن عزيز المذهب، جمّ الفوائد...فهو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفيضان بصاحبهما إلى الحق، وينكبان به عن المزلات والمغاليط، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكّم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والأحوال في الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب، فربما لم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصدق، وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغاليط في الحكايات والوقائع، لاعتمادهم فيها على النقل غثاً أو سمينا"**[2].

كما قام المقريزي في مصنفه (إغاثة الأمة بكشف الغمة) باتباع طريقة تخصيص كتاب للحديث عن ظاهرة مهمة لفتت نظره وغيره من المؤرخين، وهي ظاهرة البلاء كما يسميها، التي تعني ارتفاع أسعار الحاجات الأساسية، و نقص قيمة النقود، فاستوقفه ما حدث من تكرار للأحداث، وجعله يتجه للبحث عن أسباب البلاء الذي عانت منه مصر خلال عهده، رغم مصادر الاقتصاد المتنوعة، التي حصرها في ثلاثة أسباب رئيسة، تمثلت في ولاية الخطط السلطانية والمناصب الدينية بالرشوة، غلاء الأطيان (ارتفاع قيمة إيجار الأرض الزراعية)، رواج الفلوس (استبدال الذهب بالفضة والنحاس في التعامل النقدي)[3].انقسم المؤرخون في مسألة نشأة تدوين النص التاريخي إلى

([1]) سالم، السيد عبد العزيز، **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، 1999م، ص 75.

([2]) ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م، ج1، ص 9.

([3]) أحمد بن علي المقريزي، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2007م، ص ص 115- 136.

رأيين، حيث يرى أصحاب الرأي الأول: أن التدوين قد بدأ منذ العهد النبوي، ولكن غلب عليه طابع الكتابة الشخصية، واستدل أصحاب هذا الرأي على أنه في حال التشكيك في مصداقية توقيت تدوين النص التاريخي، الذي سبقت الإشارة إليه، فلن يكون هناك خلاف حول زمن تدوين الأنساب، والذي تم بناءً على ما قامت به اللجنة الثلاثية التي أسسها الخليفة عمر بن الخطاب عام (20هـ/640م)، وتكونت من: جبير بن مطعم، ومخرمة بن نوفل، وعقيل بن أبي طالب بهدف تسجيل ديوان العطاء[1].

أما أصحاب الرأي الثاني: فيرون أن التدوين قد تأخر حتى مرحلة تالية، ولم يكن هناك نصوص مدونة حتى نهاية القرن الهجري الأول/ السابع الميلادي[2].

وعلى الرغم من أن للرأي الثاني مصداقيته على مستوى إقليم الشام، إذ لم يشجع خلفاء بني أمية الرواة على تدوين السير والمغازي ونشرها، إنما كان ذلك بين أهل الشام، فيما كان أهل المدينة قد سجلوها في مدونات خاصة كمدونة أبان بن عثمان، وعروة بن الزبير، وعاصم بن عمر بن قتادة، وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز أول خليفة أموي يشجع على تدوين السير و المغازي، وإعلانها وتعليمها جمهور المسلمين[3]، إلا أنه كان هناك رواة للسيرة في الشام، من أبرزهم أبوأمامة الباهلي، وعبادة بن الصامت، وهما من صحابة رسول الله ρ، ثم جاء التابعون، ومنهم شرحبيل بن مرثد، وعبد الرحمن بن جبير، ورجاء بن حيوة وغيرهم، ثم جاء علماء أصبحوا فيما بعد نواة مدرسة الشام في تدوين التاريخ منهم عبيد بن شريه الجرهمي، ويزيد بن ربيعة، ومحمد بن مسلم الزهري وغيرهم[4].

3- 6/مراحل تدوين النصوص التاريخية: مر تدوين النص التاريخي بثلاثة مراحل هي:

أ / مرحلة التدوين الأولى: وقد اتسمت بطابع الشخصية، والعفوية،والفضول، و المنفعة الدينية، أو الاجتماعية، جاء النقل فيها بالمشافهة، حيث ظهر عدة رواة منهم عقيل بن أبي طالب، وعمر بن خولة، وعباد بن كسيب، ومكي بن سوادة، وأبو الجهم بن حذيفة العدوي وغيرهم، وقد استمرت هذه المرحلة حتى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، ونتيجة للحاجة للرواية الدينية والسيرة،

---

(1) مصطفى، شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1978 م، ج1، ص 79 .

(2) نفس الجزء والصفحة.

(3) عطوان، حسين، **رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني الهجريين**، دار الجيل، 1986م، ص ص 22 –27 .

(4) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص ص 121 – 127.

ظهرت روايات عبد الله بن العباس، وأبان بن عثمان، وعروة بن الزبير، و شرحبيل بن حسنة، والزهري وغيرهم[1].

ب / المرحلة الثانية: بدأت مع القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، وبرز فيها عدة رواة منهم أبومخنف، وعوانة بن الحكم، وسيف بن عمر الضبي، وهشام بن محمد السائب الكلبي، والهيثم بن عدي، والواقدي، وأبو عبيدة بن معمر، ونصر بن مزاحم، والمدائني[2].

ج / المرحلة الثالثة:وتم فيها تدوين التاريخ على الأساس الزمني المتسلسل، و جمع المواضيع المتعاقبة على التوالي وفق وحدة التاريخ الإسلامي، وأهمية تجارب الأمة الإسلامية، ضمن وحدة تاريخ البشرية من خلال قصص الأنبياء، وتم تدوين التاريخ بناءً على هذين الاتجاهين[3]، وتعد هذه المرحلة بداية نضج الكتابة التاريخية.ظهرت اختصاصات معينة في تدوين النصوص التاريخية، انتشر كل اختصاص منها في مدرسة من مدارس التدوين التاريخي، فقد اهتمت مدرسة المدينة بالمغازي والسير لوجود الصحابة رضى الله عنهم، الذين عملوا على التسجيل والرواية لسيرة الرسول الكريم ρ وغزواته[4].أما الكوفة و البصرة فقد ظهرت بهما طبقة الإخباريين، ومدرسة العراق الإخبارية التي ركزت على الأخبار والأنساب، فيما دون اليمنيون تاريخهم، ونتيجة لاهتمام خلفاء بني أمية بمعرفة أخبار الملوك وتاريخهم ظهرت مدرسة الفرس، أما الروم الذين لم يفقدوا سلطانهم، فلم يهتموا بتدوين تاريخهم باستثناء بعض المعلومات المسيحية والتوراتية منه، التي تسربت إلى المسلمين[5]. ورأى شاكر مصطفى أن مدرسة المدينة كانت أطول عمراً، فيما اعتبرت مدرسة العراق أكثر ازدهاراً، أما مدرسة اليمن فقد ذابت نتيجة لبعد اليمن وانعزالها، بينما تحطمت مدرسة الشام مع قوة مد الدولة العباسية، واندمجت مدرسة الفرس مع مدرسة العراق حتى القرن السابع/الثالث عشر الميلادي ثم انفصلت عنها[6].اعتمد المؤرخون في تدوينهم للتاريخ على عدة أساليب ومناهج، حيث اهتم الذين تأثروا بمدرسة الحديث بذكر الأسانيد[7]، وتجميع الخبر بأكثر من رواية، مع عدم نقد الرواية وتمحيصها أحياناً، فيما ذهب آخرون إلى اختيار

(1) المرجع نفسه، ج1، ص ص 93 – 96.
(2) نفسه، الجزء نفسه ، ص ص 96 – 99.
(3) نفسه، الجزء نفسه ، ص ص 99 – 101.
(4) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص ص 116-117.
(5) المرجع نفسه، الجزء نفسه ، ص 117.
(6) نفسه، الجزء نفسه ، ص ص 117-118.
(7) أَسْنَدَ الحديث إلى قائله : رَفعَهُ إليه ونَسَبَه، **قاموس المعاني**، شبكة المعلومات الدولية.

رواية معينة، واغفلوا في بعض الأحيان ذكر الأسانيد، وكان منهج الحوليات[1] واحداً من الطرق المعتمدة في تدوين النص التاريخي، وذلك بتقسيم أحداث التاريخ الإسلامي إلى سنوات، مثلما استخدمه محمد بن جرير الطبري في كتابه (تاريخ الأمم والملوك)، وعلي بن محمد بن الأثير في كتابه (الكامل في التاريخ)، وإسماعيل بن عمر بن كثير في كتابه (البداية والنهاية)، وابن حجر العسقلاني في كتابه (أنباء الغُمر بأنباء العمر).وقام آخرون بتدوين مؤلفات مخصصة لسيرة خليفة أو أسرة حاكمة ، مثل: كتاب (سيرة معاوية بن أبي سفيان وبني أمية) لعوانة بن الحكم، أو بعض الأشخاص ممن كان له دور مهم في الأحداث السياسية مثل: كتاب (المختار بن أبي عبيد)، وكتاب (سليمان بن صرد وعين الوردة)، وكتاب (مطرف بن المغيرة) لأبي مخنف، وكتاب (فتوح خالد بن الوليد) للزهري[2]، كما اتجه بعض الرواة إلى الاهتمام بتدوين الروايات الإخبارية ذات الميول القبلية مثل: كتاب (الخريث بن راشد وبني ناجية) لأبي مخنف[3]، فيما اهتم آخرون بكتابة مؤلفاتهم وفق عهود الخلفاء أو السلاطين مراعين التسلسل الزمني، وهو ما نجده في كتاب محمد بن سالم بن و اصل(مفرج الكروب في أخبار بني أيوب)، أو التدوين لحادثة معينة مثل: كتاب (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم المنقري، أو منطقة معينة مثل: كتاب (تاريخ المدينة المنورة) لعمر بن شبة، أو كتاب عبدالرحمن بن عبد الحكم (فتوح مصر وأخبارها)، بالإضافة إلى تدوين الأنساب، وقد اشتهر منهم محمد بن السائب الكلبي في مؤلفه (أنساب العرب)، أو الموضوعات مثل: كتاب أحمد بن يحيى البلاذري (فتوح البلدان).كما ظهر رواة جمعوا أخباراً متفرقة حوت الشعر و الأخبار والحديث منهم حماد الراوية وأبو مخنف والهيثم بن عدي و المدائني، بالإضافة إلى علماء الأدب واللغة الذين احتوت كتبهم على بعض المعلومات المهمة كأبي عبيد بن القاسم بن سلام ومعمر بن المثنى والأصمعي وابن عبد ربه والمبرد والفراء وابن قتيبة الدينوري وغيرهم[4]، ويعد الطبري آخر من دون على الطريقة الحديثية، باستخدامه أسلوب رواية الحديث النبوي الشريف،

(1) الحول: يعني السنة، **قاموس المعاني**، شبكة المعلومات الدولية، ومنهج الحوليات يعني نقل الأخبار باستخدام تنظيم الروايات السنوية.

(2) ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق: محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د.ت)، ص ص 132، 135

(3) المصدر نفسه، ص 135.

(4) نفسه، ص ص 107-108، 84-86، 90-91، 100-101، 115-116و 132-133، 135، 143-149.

فيما كان المسعودي يمثل الطريقة التاريخية اللاسندية التي لم تهتم بذكر السند، بقدر اهتمامها برواية الحدث[1].

4-6 / تصنيف مصادر التاريخ الإسلامي: تنوعت مصادر التاريخ الإسلامي ويمكن تقسيمها وفق أنموذج التدوين إلى:-

أ. كتب التاريخ العام: ككتاب (التاريخ) لخليفة بن خياط (ت:240هـ/854م)، وكتاب (الإمامة والسياسة) المنسوب لابن قتيبة الدينوري (ت:276هـ/889م)، وكتاب (الأخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري (ت:282هـ/895م)،وكتاب (التاريخ) لليعقوبي (ت:292هـ/905م)،وكتاب (تاريخ الأمم والملوك) للطبري (ت:310هـ/922م)، وكتاب (الكامل في التاريخ) لابن الأثير (ت:630هـ/1232م).

ب. كتب التاريخ المحلي:مثل كتاب (الفتنة وموقعة الجمل) لسيف بن عمر(ت:182هـ/798م)، وكتاب (وقعة صفين) لنصر بن مزاحم (ت:212هـ/827م)، وكتاب (تاريخ المدينة المنورة) لابن شبة (ت:262هـ/875م).

ج. كتب التراجم والطبقات:منها كتاب (الطبقات الكبرى)لابن سعد(ت:230هـ/844م)،وكتاب أبي نعيم الأصفهاني (ت:430ه/1038م) (حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)،وكتاب (أُسد الغابة في معرفة الصحابة) لابن الأثير(ت:630هـ/1232م)، و(شرح نهج البلاغة)لابن أبي الحديد(ت:655هـ/1256م)، وكتاب (طبقات الشافعية الكبرى) لتاج الدين عبد الوهاب السبكي (ت:771ه/1370م.

د. كتب السيرة النبوية: ومنها كتاب (السيرة النبوية) لابن هشام (ت:213هـ/828م)، و(السيرة النبوية) لابن كثير (ت:774هـ/1372م)، وكتاب (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) للسمهودي (ت:911هـ/1508م).

ه. كتب المغازي والفتوح:ومنها كتاب (المغازي) للواقدي (ت:207هـ/822م)، وكتاب (فتوح مصر وأخبارها) لابن عبد

(1) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص 378.

الحكم (ت:257هـ/870م)، و(فتوح البلدان) للبلاذري (ت:279هـ/892م)، وكتاب (الفتوح) لابن أعثم الكوفي (ت:314هـ/926م).

و. كتب الأنساب:ومنها كتاب (أنساب الأشراف) للبلاذري (ت:279هـ/892م)،وكتاب(الأنساب) للسمعاني (ت:562هـ/1166م).

ز. كتب الخراج والأموال:ومنها كتاب (الخراج) لأبي يوسف (ت:182هـ/798م)، وكتاب (الخراج) ليحيى بن آدم (ت :203هـ/818م)، وكتاب (الأموال) لابن سلام (ت: 224هـ/838م)، وكتاب (الخراج وصناعة الكتابة) لأبي الفرج قدامة بن جعفر(ت:337هـ/948م)، وكتاب (الأحكام السلطانية و الولايات الدينية) للماوردي (ت:450هـ/1058م).

ح. الكتب الفقهية والصحاح: مثل كتاب (الجامع الصحيح) البخاري لمحمد بن إسماعيل(ت:256ه/870م) وكتاب (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج (ت:261ه/875م).

ط. المصادر الجغرافية وكتب البلدان منها:كتاب(المسالك و الممالك) لعبيد الله بن عبدالله ابن خُرداذبة (ت:280ه/893م)، و كتاب (المسالك الممالك)لإبراهيم بن محمد الاصطخري (ت:340ه/951م)،

ي. الكتب الأدبية ومنها: كتاب (العقد الفريد) لابن عبد ربه الأندلسي (ت:328ه/940م)، وكتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني (ت:356ه/967م)، وهي ليست كتباً متخصصة في علم التاريخ، ولكن كان لها دور مهم في مد المؤرخ بالنصين التاريخي والأدبي، الّذين مكّناه من رسم صورة قريبة لزمن الحدث التاريخي.

وعلى الرغم من وجود كمّ كبير من المؤلفات التاريخية، إلا أن كثيراً من المصادر التي دونت فُقدت، ويمكن لنا من خلال كتاب (الفهرست) للنديم التعرف على عناوين عدة مؤلفات مفقودة في علم التاريخ، التي كان من الممكن

أن تسهم في توسيع رقعة الدراسات التاريخية وإثرائها[1]، إلا أن بعضاً من الروايات الواردة في بعض الكتب المفقودة، حفظت منها نصوص في مصادر تالية نتيجة لإطلاع مؤرخيها على هذه الكتب، واقتباس معلومات منها، فالديار بكري (ت:966هـ/1560م) في كتابه (تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس) – على سبيل المثال- يورد كمّاً كبيراً من المصادر، حيث احتوت قائمته على عدة كتب منها:(المواهب اللدنية)، و(الاكتفاء)، و(فتح الباري)، و(العلل و الشواهد)، و(أنوار التنزيل)، و(معالم التنزيل)، و(خلاصة الوفاء)، و (المنتقى)، و(شواهد النبوة)، و(المشكاة)، و(حياة الحيوان)، و(كنز العباد)، و (تلخيص المغازي)، و(الكشاف)، و(شرح المواقف)، و(الصفوة)، و(روضة الأحباب)، و(الأكليل)، و(مورد اللطافة)، و(خلاصة السير)، و(المدارك) و غيرها مما وصل إلينا، ومما لم يصل[2].وعلى الرغم من نشاط حركة التدوين، إلا أن المعالجة التاريخية للنص التاريخي بنوع من الدراسة الشمولية بهدف استخلاص الأحكام العامة، قد ظهرت في فترة متأخرة على يد ابن خلدون (ت808هـ/1405م)، كما ينبغي الإشارة إلى الدور الذي قام به المؤرخون المميزون، الذين ارتبط بعضهم بالوظائف الإدارية التي مكنتهم من اختيار نوعية الموضوعات والأخبار المنقولة عن طريق الاطلاع على السجلات الحكومية[3].ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ما كتبه أبو يوسف (ت:182هـ/798م) في كتابه (الخراج)، والبلاذري (ت:279هـ/892م) في كتابيه (أنساب الأشراف)، و(فتوح البلدان) الذين احتويا على معلومات مميزة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عما سجله المسعودي (ت:346هـ/957م) في كتابه (مروج الذهب ومعادن الجوهر)، والأسعد بن مماتي (ت:606هـ/1209م) في كتابه (قوانين الدواوين)، والقلقشندي (ت:821هـ/1418م) في كتابه (صبح الأعشى في صناعة الإنشاء)، والمقريزي (ت:845هـ/1442م) في كتبه (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)، و (إغاثة الأمة بكشف الأمة)، و(السلوك لمعرفة دول الملوك) وغيرهم. أما ابن خلدون (ت:808هـ/1406م) فقد استطاع دمج علم التاريخ بعلم الاجتماع، و تمكن من خلال عرض الروايات التاريخية وتمحيصها، دفع الشبهات التي الصقت ببعض حقب التاريخ الإسلامي، بالإضافة إلى اهتمامه بتتبع مراحل

(1) ابن النديم، **الفهرست**، ص ص 129-162.

(2) الديار بكري، حسين بن محمد، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مطبعة عثمان عبدالرزاق، 1302م، ج2، ص ص 3، 5، 17، 18، 19-20، 23، 29، 39، 41، 45، 47، 52، 55، 56، 62، 66، 67، 77، 85، 87.

(3) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص ص 276، 313-318.

العمران البشري، مما مكنه من الخروج بنتائج سجلها في المقدمة[1]، كما اتبع المقريزي في كتبه طريقة اختيار موضوع معين، وجعله محور كتابه باستعمال أسلوب المؤرخ[2].وكان لإحساس الرحالة لدى المسعودي دور في اختيار الروايات التي تحاكي الأحوال الاجتماعية والاقتصادية[3]، كما ساعد عمل القلقشندي وابن مماتي وغيرهما في المجال الإداري للدولة من الاطلاع على ملفات مهمة موثقة بناء على إحصائيات ومراسلات وسجلات، الأمر الذي أعطى مدوناتهم أهمية كبيرة من ناحية حجم المعلومات ومصداقيتها[4]. لقد اهتمت معظم المدونات التاريخية بأخبار الخلفاء والقادة والعلماء والفقهاء وغيرهم من النخب، ولم تكتب عن أخبار العامة الذين أطلق عليهم حديثاً مصطلح المهمشين في التاريخ إلا فيما ندر[5]، حتى أن الباحث في مجال التاريخ قد يجد بعض المؤرخين ممن استخدم أسلوب الحوليات يولى بعض السنوات أهمية أكبر، فيكون حجم المدونة كبيراً، فيما نجد الأخبار عن بعض السنوات قصيرة وتخلو من التفاصيل، وحين نتأمل رواياتهم نجدها تتناول حياة الطبقة الخاصة ولا تورد أخباراً للطبقة العامة رغم أن الحياة في مجملها مستمرة وتوجد بها أحداث كثيرة يمكن صياغتها في شكل أخباري، وبالتالي

(1) ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص ص 9-35.

(2) قام المقريزي في كتابه **إغاثة الأمة بكشف الغمة** بمناقشة موضوع الأوبئة التي حلت بأرض مصر خلال مراحل مختلفة من تاريخها، فيما خصص كتابه **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء** للحديث عن تاريخ الفاطميين في مصر، وهي كتب مخصصة لها أهداف محددة.

(3) كان المسعودي من بين الأوائل من العلماء الذين عرضوا في كتبهم تفاصيل مهمة عن حياة الناس وعاداتهم وأجناسهم وصفاتهم وحرفهم وملابسهم ومساكنهم، فضلا عن ملاحظاته عن الكائنات الحية والنباتات والتي أعطت صورة مقربة عن حياة الناس خلال القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي؛ ينظر: المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والأشراف**، تصحيح ومراجعة: عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، القاهرة، 1938م، ص 27، 37-38، 63، 127، 138

(4) ينظر مثلا ما كتبه: القلقشندي عن وظيفة النظر في الأملاك السلطانية، وتطور نظام الإقطاع في مصر، و الاختلاف في قيمة الخراج وفق المناطق بناءًا على أهميتها الاقتصادية، وارتفاع قيمة إيجار الأرض الزراعية بعد عام (790هـ/1388م)، وقيمة الجزية المفروضة على أهل الذمة، وأنواع الدواوين في مصر في الفترة المملوكية، القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الانشاء**، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة= =والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، (ب.ت)، ج3، ص ص 449 – 452، 458، ج4، ص 32، ج13، ص117، وابن مماتي عن قيمة الخراج عن القطيعة، ومتحصل دار الضرب بالقاهرة في الفترة الأيوبية، ابن مماتي، الأسعد، **قوانين الدواوين**، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م، ص ص 331 – 333، 258 – 270. وابن الجيعان عن قيمة الضرائب على بعض الملكيات الزراعية، ابن الجيعان، يحيى بن المقر، **التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية**، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر و التوزيع، القاهرة، 2007م، ص ص 3، 5، 7-9، 11 .

(5) أبودشيش، إبراهيم القادري، **المهمشون في التاريخ**، محاضرة ألقيت في مركز البحوث التاريخية، (26 / 6 / 2013م).

اغفال الاهتمام بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية لهذه الفئات، فعلى سبيل المثال يورد الطبرى أخباراً في عام (172ه/788م) على النحو التالي:

أ. مغادرة الخليفة العباسي الرشيد بغداد إلى مرج القلعة بسبب تلوث المدينة (استثقل مدينة السلام، فكان يسميها البخار)، فالرواية ركزت على الخليفة الرشيد، ولكنها لم تبين حال العامة والأساليب التي اتخذوها لمواجهة تلوث المدينة[1].

ب. ذكر خبر قيام الخليفة الرشيد بخفض قيمة الضريبة على أهل السواد بما قيمته العشر الذي كان يؤخذ منهم بعد النصف، ولم يهتم بذكر تفاصيل عن أحوال أهل السواد جراء قيمة الضريبة المرتفعة، ولا موقفهم من خفض قيمة الضريبة[2].

إن تدوين النص التاريخي لا يرتبط مع الحدث ذاته مباشرة فحسب، وإنما بثلاثية فاعلة-إن صح التعبير- تصب في ذات المعين، وهي الحدث والراوي و الخلفية، فالحدث كحقيقة واقعية قد يكون موجوداً فعلاً ولكنه يتعلق في التاريخ بأبعاد أخرى منها على سبيل المثال القبلية، وهي التي تدفع في بعض الأحيان راوياً ينتمي لأصول قبلية، ويحمل خلفية معينة للاهتمام بحدث ما، والعمل على روايته دون غيره، بل وتضخيمه، وهذا الاهتمام يندرج تحت منحيين الإيجابي والسلبي، إذ أحياناً يعمل الراوي على تغير الحدث السلبي لحدث إيجابي لصالح شخص، أو جماعة معينة بهدف تمجيد قبيلة، أو مجموعة أو فرد وفق خلفيته القبلية، أو تقرباً للذين روى لهم لأجل منفعة مما يجعله يمدنا بخبر محور. وقد يقوم في أحيان أخرى باختلاق الحدث ذاته، الذي يجعله مقارباً لحدث مماثل أو ينسج قصة وهمية، فيمدنا بخبر كذوب، وذات الأمر يمكن أن ينسحب على الخلفية الثقافية والدينية...الخ، بالإضافة إلى ما سبق قد يقوم الراوي بالاهتمام بجزئية معينة في حدث تاريخي كبير لارتباطها بخلفيته الاجتماعية و الاقتصادية، ويغفل بقية صورة الحدث، مما يؤدي إلى مدنا بخبر ناقص، أو تم رصده من ناحية معينة، الأمر الذي يجعل الباحث التاريخي في بعض الأحيان يخرج باستنتاج خاطئ لاسيما وأنه لا يملك المعلومات الكافية التي تمكنه من تجميع حلقات الموضوع، وإن كان في بعض الأحيان يستطيع استكمال بقية الخبر، أو نقده من خلال خبر ذكره مؤرخ آخر، وهي مهمة لا يجيدها معظم الباحثين، لأنها تتطلب معرفة بالراوي والحدث معا، فضلا عن الصبر وسعة الإطلاع، والبحث في المصادر، ومن ثم فإن الخروج باستنتاج قريب من الحدث ذاته قد يكون صعباً، ولكنه ليس مستحيلاً، فالعوامل التي تسهم في

(1) **التاريخ**، ج4، ص 622.
(2) المصدر نفسه، الجزء والصفحة ذاتها.

إنجاحه موجودة وغير موجودة معا. إن النص - وكما تمت الإشارة آنفا- عادة ما يكون قد دون في زمن بعيد عن الحدث بأكثر من نصف قرن، كما أن معالجته تمت من زاوية أحادية، وبالتالي فالرواية فشلت في تقديم نص متكامل الأبعاد، كما لا يمكن إغفال الخلفية الاجتماعية للراوي والحدث، مما يدفع الباحث إلى الدخول بأدواته جمعيها في مرحلة صراع صعبة مع فرضية يحاول إثباتها أو نفيها.

5- 6 / علم الرجال وتدوين الحديث النبوي:

لقد اهتم علماء الحديث الشريف بعلم أطلق عليه علم الرجال وهو:"**علم يبحث فيه عن أحوال الرواة من حيث اتصافهم بشرائط قبول أخبارهم أو عدمه. وإن شئت قلت: هو علم يبحث فيه عن أحوال رواة الحديث التي لها دخول في جواز قبول قولهم وعدمه**"[1]، كما عُرف بعلم الجرح والتعديل، الذي كما قال عنه الحلبي: "**علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، و عن مراتب الألفاظ، وهذا العلم من فروع علم رجال الحديث**"[2].

ويعد الحديث النبوي أحد أهم المجالات التي اهتم العلماء فيها بمعرفة مدى مصداقية الراوي من كذبه، نتيجة لظهور الوضاع، الذين تركوا لنا عدداً كبيراً من الأحاديث الموضوعة على لسان النبي ρ.وقد صنفت كتب كثيرة في مجال نقد الرواة في محاولة لتخليص الحديث النبوي الصحيح من الأحاديث الموضوعة، وفق المراحل التالية:

أ. مرحلة الصحابة.

ب. مرحلة التصنيف، وقد ظهرت فيها مؤلفات عديدة منها: كتاب (الطبقات الكبرى) لمحمد بن سعد (ت:230هـ/844م)، وكتابا (الضعفاء) و(علل الحديث ومعرفة رجاله) لعليّ بن عبد الله المديني (ت:234هـ/848م).

ج. مرحلة التخصص في مباحث الجرح والتعديل واستقصاء أحوال الرواة، وترتيبها منهجياً على الأسماء والكنى، التي ظهرت فيها مؤلفات كل من: البخاري (ت:256هـ/869م) الذي دون كتابيه (التاريخ الكبير) و(الضعفاء الصغير)، وكتابي (الثقات) و(الجرح والتعديل) لأحمد بن عبد الله بن صالح العجلي (ت:261هـ/874م)، وكتاب (الجرح والتعديل) الذي ألفه أبو حاتم محمد بن إدريس

(1) السبحاني، جعفر، **كليات في علم الرجال**، مؤسسة النشر الإسلامي، ط3، (ب ت)، ص11.
(2) المظاهري، تقي الدين الندوي، **علم رجال الحديث**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1987م، ص 91 .

الرازي (ت:277هـ/890م)، وكتاب (الجرح والتعديل) الذي ألفه ابنه ابن أبي حاتم الرازي (ت:327هـ/938م).

د. مرحلة التصنيف المنهجي الشمولي في الضعفاء، والتي ظهرت فيها مؤلفات العقيلي، وابن حبان، وابن عدي السجستاني[1].

إن الربط الذي قامت به الباحثة بين تدوين النص التاريخي، وعلم الجرح والتعديل يهدف إلى إبراز نقطة مهمة من وجهة نظرها، وهي أن الدراسة الجادة للرواة تبين أن ما يمكن تطبيقه باستخدام علم الجرح والتعديل على علم الحديث النبوي، قد لا يمكن استعماله على رجال علم التاريخ، فمثلا عبد الله بن لهيعة قاضي مصر، وهو أحد الرواة المعروفين في تاريخ مصر، ضُعف في رواية الحديث، فيما نقلت لنا نصوص كثيرة عن تاريخ مصر عن طريقه، ولم يضعف في رواية التاريخ، وكان واحداً من أهم رواة تاريخ مصر عند مؤرخها ابن عبد الحكم في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)[2]. وقد ترك لنا ابن لهيعة روايات مهمة عن فتح مصر منها على سبيل المثال:

أ. رواية مصالحة القبط على مقدار جزية محددة بلغت دينارين على الرجال، ولم يفرض على النساء والصبيان والشيوخ[3]، الأمر الذي أوضح أن مصر فتحت صلحاً، وليس عنوة.

ب. رواية تقسيم الأعطيات في عهد مسلمة بن مخلد، التي شملت أعطياتهم وأعطيات عيالهم وأرزاقهم ونوائبهم، ونوائب البلاد من الجسور، و أرزاق الكتبة وحملان القمح إلى الحجاز، وبعث إلى معاوية بستمائة ألف دينار[4]، والتي بينت تقسيم الإيرادات المتبع في مصر .

ج. رواية نقل جزية الأموات من القبط إلى الأحياء منهم[5]،التي عبرت عن اصرار الدولة على الحصول على القيمة المحددة ذاتها من أموال الجزية، رغم موت أصحابها، والتي نتجت عنها محاولات الأقباط التهرب من دفع الضريبة.

والمفارقة العجيبة في رواية النص التاريخي ورواته، أن بعضاً ممن اتهم بالكذب والزيادة، قد نقل إلينا نصوصاً تاريخية ذات أهمية بالغة، مكنت الباحثين في مجال التاريخ من رصد كثير من التغيرات الاجتماعية و

---

(1) قلعجي، عبد المعطي أمين، **مقدمة التحقيق لكتاب العقيلي الضعفاء الكبير** .

(2) ينظر ما رواه عنه كمثال: ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ، القاهرة، (ب.ت)، ص ص 70-71، 81-82، 92.

(3) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 127.

(4) المصدر نفسه، ص 146.

(5) نفسه، ص 208.

الاقتصادية، ومن هؤلاء على سبيل المثال سيف بن عمر الضبي الذي نقلت لنا رواياته كمّاً مهماً من التغيرات الاجتماعية والاقتصادية خلال النصف الأول من القرن الأول الهجري/السابع الميلادي منها:

أ. رواية تعديل الفتوح بين أهل البصرة والكوفة عام (22هـ/642م)، وذلك بناء على طلب تقدم به والى البصرة - آنذاك- عمر بن سراقة للخليفة عمر بن الخطاب، **"يذكر له كثرة أهل البصرة، وعجز خراجهم عنهم، و يسأله أن يزيدهم أحد الماهين أو ماسبذان وبلغ ذلك أهل الكوفة، فقالوا لعمار (بن ياسر والي الكوفة آنذاك): أكتب لنا إلى عمر أن رامهرمز و إيذج لنا دونهم، ولم يعينونا عليهما بشيء... ولما أبى أهل الكوفة إلا الخصومة فيها لأهل البصرة، شهد لهم أقوام على أبي موسى (الأشعري) أنه قد آمن أهل رامهرمز وإيذج، و أن أهل الكوفة والنعمان راسلوهم وهم في أمان، فأجاز لهم عمر ذلك، وأجراها لأهل البصرة بشهادة الشهود..."**(إلخ الرواية)، فقام الخليفة عمر بتقسيم الفي بين أهل الكوفة والبصرة وفق هذه الرواية بناءً على شهادة الشهود، وبما افتتحه أهل كل مدينة منهما[1].

ب. رواية قتل ابن الحيسُمان الخزاعي على يد أزديان وهما:زهير بن جندب الأزدي، وشبيل بن أُبي الأزدي، وأسدي هو مورّع بن أبي مورّع الأسدي بدافع السرقة عام (30هـ/650م)، التي ساعدت الباحثين في التعرف على الأحوال الداخلية للكوفة في الفترة السابقة لأحداث الفتنة الكبرى، مما كان له دور في تعليل أحداثها، وفهم حجم التغيرات الاجتماعية والاقتصادية في مدن الأمصار لاسيما تلك التي قامت بدور مباشر في أحداث المدينة المنورة، وأسفرت عن قتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم إن هذه الرواية فيها رد على من قال بأن سيفاً ينسج روايات لتمجيد قبيلته أسد، ولا يروى الروايات التي تحط من قدرها، وهو هنا ذكر بأن أحد اللصوص كان أسدياً، وقد أورد سيف الرواية بسندين الأول: عن محمد وطلحة، والثاني: عن عبدالله بن سعيد عن أبي سعيد[2].

([1]) الطبرى، **التاريخ**، ج2، ص 543، **الماهان**: تعني ماه البصرة وهي نهاوند وهمذان وقم وماه الكوفة وهي الدينور ، الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1957م، ج5، ص 49؛ ويُعتقد وفق الرواية أن المقصود بالماهين هما: ماه دينار ومهرجانقذق، الطبري، **التاريخ**، ج2، ص 543؛ **ماسبذان**: هي عدة مدن إلى اليمين من الطراز؛ **إيذج**: كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان؛ **رامهرمز**: مدينة مشهورة بنواحي خوزستان؛ الحموي، **معجم البلدان**، ج1، ص 288؛ ج3، ص 17؛ ج5، ص 41.

([2]) الطبري، **التاريخ**، ج2، ص ص 608-609.

ج. رواية التغيرات الاجتماعية التي حدثت في الكوفة، التي بينت حجم التغير الاجتماعي الذي سادها عام (30ه/650م)، فقد ذكر سيف عن محمد وطلحة بإسنادهما، أن والي الكوفة سعيد بن العاص كتب للخليفة عثمان قائلاً:"**إن أهل الكوفة قد اضطرب أمرهم، وغلب أهل الشرف منهم و البيوتات والسابقة والقدمة، والغالب على تلك البلاد روادف ردفت، و أعراب لحقت**"[1].

6-6 / الخلاصة: مرت كتابة التاريخ الإسلامي بمراحل كثيرة ومتنوعة، اتسمت بالطابع العفوي ثم انتهت إلى اكتمال صورة التدوين عند أكابر المؤرخين المسلمين خلال القرن الهجري الثالث/الحادي عشر الميلادي، كما تنوعت الفئات الاجتماعية للمؤرخين أنفسهم، واختلفت أهدافهم وأساليبهم في تدوين النص التاريخي، إنما بشكل عام برز التأريخ للطبقة الحاكمة من الخلفاء والسلاطين والقادة وغيرهم، واختفى الاهتمام بالفئات الفقيرة والعامة فضلا عن عدم الاهتمام بدراسة التغيرات الاجتماعية والاقتصادية، التي هي مهمة الباحث في مجال التاريخ، الذي يريد إلقاء الضوء على الفئات المهمشة، وإن كانت المهمة شديدة الصعوبة –وإن لم تكن مستحيلة- بسبب ندرة الروايات، وتفرقها في المصادر.

اهتمت مدارس تدوين التاريخ المختلفة بالنخب السياسية والثقافية، الأمر الذي لم يعط صورة متكاملة عن الفئات الاجتماعية المختلفة، وبالتالي لم نحصل على نص تاريخي متكامل، وإنما هي صورة مجزأة للحدث، لذا اتجهت الدراسات الحديثة إلى محاولة سبر أغوار الروايات التاريخية في محاولة للوصول إلى وضع صورة شبه شاملة للحدث التاريخي، تركز على الفئات المهمشة من الفلاحين والصناع والحرفيين وغيرهم من خلال جملة من الروايات التاريخية التي اهتمت بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، ورصدها للشبكات الاجتماعية من خلال النتف القليلة التي يمكن العثور عليها بين ثنايا المصادر التاريخية، ضمن فرضية محددة تهدف إلى محاولة استخلاص دور هذه الفئات في المجتمع، وتتبع أحوالها، والخروج باستنتاج قادر على تقديم صورة مقاربة للحدث التاريخي. إن دراسة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي تتطلب جهداً كبيراً من الباحث، الذي بحاجة إلى أدوات كثيرة في محاولة لفهم الحوادث التاريخية وفق نطاق الزمن الذي اختاره مجالاً لدراسته، التي هي مهمة صعبة إن لم تكن مستحيلة، تأتي على رأس القائمة فيها معرفة اللغة التي كتب بها الحدث، والتعرف على مصطلحات المرحلة التي تخصص فيها، وهي

(1) المصدر نفسه ، الجزء نفسه، ص 613.

ملاحظة شديدة الأهمية، إذ تمكنه من فهم النص فهماً دقيقاً، والوصول إلى تحليل واستنتاج صحيحين، كما ينبغى له الاستعانة بكمّ كبير من المصادر المتنوعة، وعدم الاقتصار على المصادر التاريخية فحسب.كما تتطلب من الباحث ضرورة دراسة الحدث ضمن مساحة واسعة من الزمن، فالظاهرة التاريخية بحاجة إلى حوالى القرن من الزمن حتى تصبح حادثة جديرة كي يكتب عنها المؤرخ، لذا على الباحث العودة في دراسته لحادثة معينة إلى البحث في السنوات السابقة لظهورها حتى يتسنى له معرفة أسبابها، فكثير من الأحداث لم يتم تسجيلها من قبل المؤرخين إلا بعد أن أصبحت ظاهرة واضحة المعالم.ويجب على دارس التاريخ استخدام عدة أدوات، تتيح له معرفة أبعاد الرواية التاريخية، وتحليل النص وعدم الوقوف على رأى واحد في معالجته، مع استعماله أسلوب النقد الداخلي، بهدف الوصول إلى وضع صورة مقاربة للحدث، فضلا عن دراسة وافية للرواة لمعرفة خلفياتهم الاجتماعية و الاقتصادية والثقافية، وعدم التردد في اقتباس أي رواية تاريخية إذا تبين أنها رواية فريدة في مجالها، ولا تخدم المصالح الأيدلوجية للرواة بقدر ما تعبر عن التغيرات الاجتماعية و الاقتصادية للمرحلة التاريخية التي تناولها الحدث.

ويمكن لنا الخروج بملاحظات مهمة عن تدوين النصوص التاريخية على النحو التالي:

أ. تميز القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بظهور المؤرخين الكبار نتيجة نضج حركة التدوين منهم البلاذري والطبري والمسعودي وغيرهم.

ب. اهتم الرواة بانتماءاتهم القبلية واتجاهاتهم، فالانتماء إلى قبيلة معينة، جعل الراوي يهتم بتتبع أخبارها، فضلا عن الوقوف على أخبار جماعة معينة دون الأخرى، وإضفاء الصبغة المذهبية على بعض الروايات[1].

ج. حاول بعض الرواة تلفيق الأخبار التاريخية عن طريق الطعن في شخصية معينة، أو حقبة تاريخية محددة، تقرباً للملوك و الأمراء، أو بناءً على الانتماء لقبيلة أو اتجاه معينين لاسيما و التاريخ عادة يكتبه الأقوياء والمنتصرون[2].

د. تأخر التدوين عن مرحلة الحدث، التي قد تصل إلى نصف قرن، وقد اتسمت المرحلة الأولى منه بالرواية التاريخية، ثم جاءت مرحلة تدوين النصوص التاريخية.

([1]) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص 83.

([2]) المرجع نفسه، الجزء ذاته ، ص 86.

ه. محاولة أصحاب الأهواء وأهل الديانات الأخرى الذين اعتنقوا الإسلام، والزنادقة دس الأخبار المكذوبة، والروايات التي تقلل من قيمة رموز الأمة الإسلامية، لاسيما الدور الذي قام به اليهود في دس الأخبار، واختراع الأكاذيب التي ترفع من شأنهم، وتحط من شأن المسلمين[1].

و. قد يسهم السند باستخدام علم الجرح والتعديل في تتبع صحة الرواية من خطأها، ولكنه يعجز أحيانا عن الوصول إلى ذلك، إذ عُرف بعض الرواة بالمصداقية في الرواية التاريخية كعبد الله بن لهيعه، فيما ضعف في رواية الحديث، وذلك بعد احتراق كتبه[2]، بالإضافة إلى أن وضاع الأخبار قد يختفون خلف أسانيد معروفة وقوية، رغم أن المتخصص بهذا العلم قادر على التعرف على الحديث الضعيف من القوي باستخدام معايير محددة[3].

ز. اهتم بعض المؤرخين المتأخرين باختيار روايات تاريخية دون الأخرى، كما قام بعضهم بنقد بعض الروايات التاريخية [4]، فيما بدأ الاهتمام بالإسناد يقل تدريجياً حتى اختفى إلا فيما ندر، الأمر الذي جعل استخدام نقد الأسانيد، لا يحقق الغرض المطلوب من معرفة صحة الرواية من عدمها.

ح. ساعد تدوين الموالى للنصوص التاريخية، وعدم اهتمامهم بتمحيص الأخبار، أو رغبتهم ذكر أخبار عن تاريخ دولهم في إدخال مثالب، وأساطير ومفاخر خاصة بهم، دون تفريق أو تمييز أو تثبت من صحة الرواية، بما أثر سلباً في حركة التدوين[5].

المصادر والمراجع :

أولا / المصادر:

1. ابن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد هبة الله بن محمد، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار الفكر، بيروت، ط2، 1967م.
2. ابن الجيعان، يحيى بن المقر، **التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية**، المكتبة الأزهرية للتراث، الجزيرة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2007م.
3. ابن حجاج، مسلم، **صحيح مسلم**، بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض، 1998م.
4. الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1957م.

(1) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص ص 83-84.

(2) https://ar.wikipedia.org/wiki

(3) .https://saaid.net/Doat/assuhaim/86.htm

(4) ابن خلدون، **المقدمة**، ج1، ص ص 9-21.

(5) شاكر مصطفى، **التاريخ العربي والمؤرخون**، ج1، ص 87.

5. ابن خلدون، عبد الرحمن، **المقدمة**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1992م.
6. الديار بكري، حسين بن محمد، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس**، مطبعة عثمان عبدالرزاق، 1302م.
7. الذهبى، شمس الدين محمد بن أحمد ، **تهذيب التهذيب**، دار صادر، 1325هـ.
8. السبحاني ، جعفر، **كليات في علم الرجال**، مؤسسة النشر الإسلامي، ط3، (د . ت).
9. الطبري، محمد بن جرير، **تاريخ الرسل والملوك**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1991م.
10. الطرطوشي، أبو بكر، سراج الملوك، دار صادر، بيروت، 1995م.
11. ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق: عبد المنعم عامر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ، القاهرة، (ب.ت).
12. القلقشندي، أحمد بن علي، **صبح الأعشى في صناعة الانشاء**، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة و الطباعة والنشر، مطابع كوستاتسوماس وشركاه، القاهرة، (ب. ت).
13. المسعودي، علي بن الحسين، **التنبيه والأشراف**، تصحيح ومراجعة: عبدالله إسماعيل الصاوي، مكتبة الشرق الإسلامية ومطبعتها، القاهرة، 1938م.
14. المظاهري، تقي الدين الندوي، **علم رجال الحديث**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1987م.
15. المقريزي، أحمد بن علي ، **إغاثة الأمة بكشف الغمة**، تحقيق: كرم حلمي فرحات، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2007م.
16. ـــــــــــــــ، **اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء**، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ط2، 1996م.
17. ابن مماتي، الأسعد، **قوانين الدواوين**، جمع وتحقيق: عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
18. ابن النديم، محمد بن إسحاق، **الفهرست**، تحقيق: محمد أحمد أحمد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، (د. ت).

ثانيا / المراجع:

1. أبودشيش، إبراهيم القادري، **المهمشون في التاريخ**، محاضرة ألقيت في مركز البحوث التاريخية، (26 / 6 / 2013م).
2. سالم، السيد عبد العزيز، **التاريخ والمؤرخون العرب**، مؤسسة شباب الجامعة، 1999م.
3. شبكة المعلومات الدولية.
4. ضيف، شوقي، **تاريخ الأدب العربي(العصر الإسلامي)**، دار المعارف، القاهرة، ط4، (ب ت).
5. عطوان، حسين، **رواية الشاميين للمغازي والسير في القرنين الأول والثاني الهجريين**، دار الجيل، 1986م.
6. على، جواد، **تاريخ العرب في الإسلام**، تقديم: فرحان صالح، دار الحداثة، بيروت، ط2، 1988م.
7. ـــــــــــــ، **المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، 1971م.
8. قلعجي، عبد المعطي أمين، **مقدمة التحقيق لكتاب العقيلي الضعفاء الكبير**.
9. مصطفى، شاكر، **التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1978م.

التحليل النقدي وفلسفته الجمالية

د.الطاهر عمار العباني أستاذ النقد والتحليل-كلية الفنون والإعلام-جامعة طرابلس

مقدمة: يلعب النقد دورا أساسياً للرقي بالذوق العام في المجتمع وتوجيه الابداع وصانعيه وتقويم انتاجاتهم وذلك لإثراء الفكر والثقافة والتراث الابداعي للحركة الفنية والأدبية والإعلامية, حيث لا يمكن ان تكون هناك نهضة إعلامية ولا أدبية أو فنية ما لم تكن هناك نهضة نقدية مواكبة لذلك , كون ان النقد لم يعد يركز على أثر الموضوع الفني أو الأدبي أو الإعلامي وما يميزه عن الموضوعات الأخرى, بل صار تعبير يعبر به الإنسان عن كيفية صياغة الخطاب مضمونا وشكلاً لإحداث ألأثر الايجابي في المتلقي عبر وسائط التواصل المختلفة . كما ان النقد أصبح أحد العناصر المؤثرة في تطوير أداء وسائل التواصل وذلك باهتمامه بالكتابة والحديث و أدوات التعبير الفني و الاعلامي من خلال وصفها وتفسيرها وتحليلها وتقويمها , بغرض توضيحها و وإبانة محتواها وغاياتها وأهدافها وذلك من خلال قراءتها قراءة جادة و موضوعية. ويتضمن النقد المعاصر، الوصف والتفسير والتقويم والتنظير حول فلسفة العمل الابداعي وأهدافه وذلك لزيادة التعمق في فهم معطيات المنتج الابداعي واستيعابه في جميع المجالات التواصلية التي تتم بين مرسل لرسالة ما وجمهوره المستهدف واستيعابه.

أهمية البحث:تكمن الأهمية في حاجة الدارسين والمهتمين بالقراءات النقدية للتعرف على:-أولا:اهمية النقد في تطوير الآداء الفني والأدبي والإعلامي.ثانيا: في معرفة الطرق المنهجية والعلمية للعملية النقدية وفلسفتها التي تثري المنتج الابداعي بقراءة تحليلية تسهم في فهمه وتحليله . فإذا كان الكاتب أو الفنان في امكانه ان يتخلى عن حدة وعيه في بعض الأحيان ليسمح للإبداع العفوي بالظهور, فإن الناقد يعتمد على وعيه بالدرجة الأولى في دراسة العمل الابداعي وتحليله وذاك هو الفارق بين الناقد والفنان ,الناقد يحاول ان يطل من منطقة الوعي المدرك على منطقة اللاوعي والفنان ينتقل من مرحلة الوعي إلى مرحلة اللاوعي حتى ينتج الإبداع .

مشكلة البحث:إن تنمية المجتمع تتطلب نوعية من الجوانب المعرفية والبناء الفكري الذي يتناسب وطموحاته في التطور والرقي خاصة بعد توسع الثقافات وتأثرها ببعضها التي تجعل من وثيرة التقبل والامتزاج ملزمة بوعي وادراك

على قدر معين يتجنب تأثير الاقوى في الأضعف. خاصة في المجالات الإعلامية والثقافية والأدبية .ولعل النقد وهو القراءة التفسيرية التقويمية التي اصبحت ضرورة حتمية لصياغة قيم ومفاهيم ومدركات جديدة لأي مجتمع يطمح الى تطوير امكاناته الفكرية وانتاجاته الإبداعية. من خلال تطبيق آليات معتمدة وتقويم انتاجات ادوات التواصل وعلى رأسها الوسائل الإعلامية . وبناء على ذلك فقد حددت مشكلة البحث في تحديد أهمية التحليل النقدي وفلسفته الجمالية الوعي المعرفي للقائم بالاتصال.

تساؤلات البحث:

(1) ما أهمية النقد؟

(2) ما علاقة النقد بالتطور الابداعي ؟
(3) ما وظائف النقد ؟
(4) ما اسس النقد ونظرياته؟

النقد:هو القراءة الجادة والموضوعية التي تنحى منحى البحث العلمي في تفسير المنتج الابداعي المراد تقديره من خلاله إحداث عملية تواصلية وينقسم إلى فرعين:-

النقد التفسيري, الذي يفسر ما هو غير معلوم وغير مفهوم من خلال معرفة و إلمام ودراية وثقافة واسعة باللغة والشروح وايضا إستبانة الرموز والمعاني و الدلالات الخفية والمبطنة(محي الدين-ص84) .

- **والنقد التقديري**,الذي يقدر القيمة الابداعية في المنتج الابداعي ويقومها ويحكم عليها. والنقد التقديري(جيروم ستولينز-ص30) يتفرع الى عدة انواع هي :

1- النقد بواسطة القواعد وهو النوع الذي ينحو منحى تطبيق مجموعة من المقاييس والمعايير الخاصة بالعمل وينقسم الى ثلاث طرق(الطريقة الاستقرائية_ الطريقة الاستنتاجية أو الاستدلالية_والطريقة التداخلية)
2- النقد القصدي الذي يهتم بالمضمون أكثر منه بالشكل.

3 - النقد الانطباعي وله طريقتان (الاعتناقية_ والظواهرية) .

4 - النقد السياقي ويعتني بالسياقات التي تظهر في العمل كمكونات بنيوية تشكل في وحدتها صورة جديدة تختلف عما سبقتها من أعمال آخرى للمبدع نفسه .

5- النقد الباطن (الجديد) الذي ينظر إلى العمل وحدة مستقلة وجب قراءة مكوناتها للوصول إلى صورتها الكلية بعيدا عن اي تجربة سبقتها .

أهمية النقد في المجتمع:يكتسب النقد أهميته من خلال الأدوار التي يقوم بها، ويؤثر بواسطتها في الابداعات عامة، التي تعتبر جزءاً من ثقافة المجتمع و هويته ويتخذ النقد من وسائل الإعلام العامة (Mass media) مثل الصحافة و الإذاعة المسموعة والمرئية، أداة للوصول إلى هدف معين ألا وهو الرقي بالذوق العام في المجتمع من خلال شرح القيم الفنية وتفسيرها في المنتج التواصلي. ويستوضح النقد السبل والطرق للقائمين بالاتصال حول الكيفية التي يجب أن تنتج بها الاعمال التواصلية، متأثراً بوجهة نظر المجتمع تجاه الإنتاجات المعروضة.وكذلك يقف النقد في مواجهة التيارات الفكرية المتعارضة مع قيم المجتمع وعاداته وتقاليده، سواء أكان ذلك في الإعلام المحلي أم الدولي أم في الحركة الفنية عموما.وترتبط الفنون البصرية و المسموعة بعلاقة وطيدة بالمجتمع وهويته الفكرية والدينية التي أنتجت فيه وله ومن أجله، كونها نشاطاً إنسانياً تقوم به فئة معينة محدودة من المجتمع، الذين يتفاعلون مع بيئتهم ومحيطهم لينقلوا صوراً صادقة تعكس حالة البيئة و المحيط الذي يعيشون فيه من خلال تفاعل متبادل بين ثلاثة عناصر: إبداعات القائم بالاتصال النقد ومنظومة العلوم والثقافة والتراث التي تشكل الذوق العام في المجتمع. حيث أن التفاعل بين هذه العناصر يتم في حركة ديناميكية متبادلة، ففي دائرة الابداع،لا وجود لأي من هذه العناصر لوحده في غياب العناصر الأخرى، فكل عنصر من هذه العناصر يؤثر في الآخر.هناك أدوار ذات أهمية عديدة للنقد (أحمد زكي-ص 34) منها الرقي بالذوق العام في المجتمع، وتوجيه القائمين بالاتصال والفنانين وتقويم أعمالهم، ونقل صور الفكر والثقافة والتراث الإبداعي الذي يطرحونها في انتاجاتهم. كما للنقد دور مهم في التربية الذوقية، وفي مواجهة التيارات الفكرية الوافدة و المخالفة لثقافة المجتمع .ومن المأمول أن يكون النقد في خدمة المجتمعات. فنجد أفلاطون "صاحب المبدأ المثالي في القرن الخامس قبل الميلاد يؤكد على أثر الابداعات الفكرية والفنية في السلوك الاجتماعي. وهو يرى أن يستبعد الإبداع الذي يؤدي إلى سلوك غير مرغوب في المجتمع،وأن يستخدم الابداع الذي يؤدي إلى سلوكيات محمودة في المجتمعات.ويؤيد هذا الرأي المفكر الروسي ليو تولستوي (جيروم-ص252)،

وهو من أبرز مفكري القرن السابع عشر، فالنقد من وجهة نظره هو قوة يجب أن تنتج أعلى مستويات السلوك الأخلاقي السوي . ويعتبر أن أهم ما يميز النقد عبر التاريخ هو دوره الاجتماعي الذي من خلاله تم التأثير في حياة الأفراد و الجماعات.وقد كان النقد في شتى صوره يتعامل مع ذلك من منظور اجتماعي ونفعي ومن خلال الإرضاء الجمالي.يحلل النقد ويفسر الأعمال للرقي بالذوق العام في المجتمع، وتتأكد أهميته بصفته عنصراً فاعلاً في الحركة الابداعية بشكل خاص وفي المجتمع وفي الحركة الثقافية و الفكرية بشكل عام من خلال الوظائف والأدوار التي يقوم بها في الحياة المعاصرة.حيث أصبحت للنقد وظيفتان ,الوظيفة الأولى مباشرة تنطلق باسم المجتمع والجمهور، لتقوده نحو منظومة القيم والتوجهات التي تميز بها المجتمع أو يطمح إليها. أما الوظيفة الثانية فهي معكوسة تنطلق من ان الابداع بالنسبة إلى المجتمع، مهمته تقديم القيم المبتكرة وتفسيرها والجديدة التي يطرحها المبدعون في أعمالهم .وبذلك يكون النقد في قيامه بدوره هذا، مركزاً على الوصل بين المبدعين والذوق العام في المجتمع ومنظماً للحوار بينهما، و بذلك يمثل النقد صوت المجتمع و الجمهور، وصوت المبدعين في نفس الوقت (محمد القدس-138).ويتضمن النقد عملية تقويم للأعمال المنتجة ، فهو رد فعل مدروس من قبل الناقد نحو العمل المنتج الابداعي. والناقد هو ذلك الشخص الذي يكتب أو يتحدث عن انطباعاته حول ذلك الانتاج . ولا يعني ذلك أن النقد هو محاولة استخراج العيوب أو المحاسن ، بل يعني أن يقوم الناقد بتفحص الأعمال المقدمة تفحصاً دقيقاً مبنياً على قدراته المعرفية الخاصة، و خبراته الفنية، وما يتمتع به من ثقافة عامة، ليقدم تلك الأعمال إلى جمهور المتلقين بصورة مكتوبة أو منطوقة، وليساعدهم على إدراك خصائص هذه الأعمال وأبعادها ومضامينها وإستبانة المخفي فيها من معاني ودلالات و رموز.ويتبع بعض النقاد اتجاهات فنية معينة تتضح من خلال كتاباتهم، هذه الاتجاهات قد تكون متأثرة بفكر سياسي أو اجتماعي ما...أو غيرها من التوجهات، بينما يحاول البعض الآخر تجنب التأثر بأي فكر مهما كان نوعه، و يفضلون الحديث عن الأعمال الانتاجية من المشاهدات الظاهية فقط الانطباعية ، أو ما يعبر عنه بعض النقاد بالقراءة النقدية الأولى الايجابية أو كما يؤكد ذلك مجموعة من النقاد المعاصرين على أنه من المفروض أن يكتب الناقد عن حبٍ للعمل الابداعي، أي أن لا يكتب عن الأعمال التي لا تعجبه، بل أن يكتب عن تلك الأعمال التي يفضلها عن غيرها، وهذا في اعتقادهم ما يجب أن يقوم به الناقد في الأساس. فالناقد هو شخص متحمس للقراءة النقدية، ومن واجبه أن يشعل الحماس في المبدعين الذين ألهموه بأعمالهم المتميزة التي قدمت تجربة جديدة تستحق التقدير والحديث أو

الكتابة عنها، لتقديمها من خلال الصحافة إلى أكبر عدد ممكن من المهتمين و المتابعين. وبالتالي فإن الناقد هو شخص متعاطف مع المبدع والعمل الذي قدمه لينقل وجهة نظر الفنان إلى الجمهور، و يقوم أعمال الانتاجية من خلال قيم المجتمع وتقبل الأشخاص فيه لما تم تقديمه ، وينقل وجهة النظر المؤيدة أو المخالفة بطريقة أدبية، دون الإساءة إلى قيمة العمل أو منتجه ذاته.ويتطلب النقد معرفة الناقد بمجالات عديدة(محمود البسيوني- ص26) أهمها وسائل الانتاج و أدواته والتاريخ وفلسفته مع قدرة الناقد عن الإجابة عن الأسئلة الحيوية التالية في عملية توضيح العمل الانتاجي:

1- ما هو؟ أي العمل وما موضوعه وما يريد أن يقوله القائم بالاتصال الى المتلقي وكيفية قوله؟

2- من القائل؟أي الحديث عن القائم بالاتصال الذي أنتج العمل وأبدعه ويتضمن ذلك شخصيته وحياته الاجتماعية وحالته النفسية وكل ما يتعلق به.

3- متى قيل؟أي تحديد التاريخ والفترة التي تم فيها إنتاج العمل الفني وما يحيط بها من أحداث واتجاهات فكرية وسياسية واجتماعية وثقافية.

4- أين قيل؟أي التعريف بالمكان الذي قام المبدع بإنتاج عمله الفني فيه، أو انتمائه الحضاري، سواء أكان إلى بلد أو مدينة أو حضارة شعب .

5- كيف قيل؟ وتعني وصف الكيفيات الأدائية للقائمين بالاتصال والممارسات الخاصة بالإنتاج وما يتعلق به من خامات وأدوات وتقنيات.

6- لماذا قيل؟ وهي عملية اكتشاف وتفسير الأسباب التي أدت إلى الحكم على جودة العمل سواء العقلية أو العاطفية عند المنتج في عمله وعند المتلقي في التذوق، مع مناقشة فلسفة العمل ونظرية البنائية .

وتعتبر إجابة الناقد عن هذه الأسئلة مهمة في توثيق الأعمال، والحفاظ على انتمائها الحضاري، وتحقق الفهم لها. فالأعمال هي نتاج الحضارة الإنسانية بمختلف أشكالها. والحضارات من مختلف الانتماءات تحتاج إلى نقل صورة واضحة عن انتاجاتها الإبداعية والفكرية، وتسجيلها للتاريخ، هنا يقوم النقد بهذه المهمة التوثيقية ويمهد الطريق للأجيال التي تدرس هذه الأعمال فيما بعد. كما يقوم الناقد في أثناء نقده بتوضيح جودة العمل ومعانيه وهي كما يلي:

1- يعتني الناقد بتوضيح المدركات الحسية التي تساعد على فهم حكمه على الجودة البصرية الملموسة في العمل والخصائص الأخرى التي تتحد وتعمل على تشكيل صورة جمالية ذات معانٍ مختلفة.

2- يقوم الناقد بقياس عقلاني للجودة في العمل بواسطة معايير تقوم على عمل مقارنات بأشكال أخرى من الأعمال سواء أكانت للقائم بالاتصال نفسه أو لآخرين ينتمون إلى البيئة نفسها. ويمكن القياس بالنظر إلى الأعمال ذات الطبيعة الوظيفية .

3- يحاول الناقد تحسين البيئة الثقافية من خلال بث الأفكار الموضوعية التي تبرر الأسباب التي دفعت إلى تقدير قيمة مختلف الأعمال من مختلف البيئات و الحضارات.

4- يركز الناقد على المستويات المختلفة لمعاني الأعمال ومضامينها لمساعدة المتلقي على تقدير القيم المتنوعة التي يحتويها العمل المقدم .

ويرى (البسيوني-ص36) أن "الأصل في النقد أن يكون مدخلاً للتذوق والاستجابة للقيم الجمالية في العمل، وهو أيضاً أداة الحكم التي يعرف من خلالها فيما إذا كان القائم بالاتصال قد أجاد، وصاغ شخصيته الفريدة وأصبح له عطاء متميز عن غيره، أم أنه مازال يبلور شخصيته بعد .ويؤكد أن من يتصدى للنقد يفترض أن يكون على درجة عالية من التذوق وقادر على التنقيب عن الاتجاهات الأصيلة وكشفها وتشجيعها والحث على تطويرها.إن العلاقة بين الناقد والقائم بالاتصال هي علاقة تبادلية، قد يأخذ فيها الثاني برأي الناقد في إنتاجه. وقد يلتقي الناقد بالقائم بالاتصال فيتم تبادل الرأي مباشرة، أو قد يتناول الناقد العمل بالدراسة والتحليل، ويكتب عنه مقالاً نقدياً ينشر في الصحافة ليقرأه صاحب العمل كما يقرأه أي قارئ آخر. وقد تصل العلاقة بينهما إلى حد الخلاف والشد بين الطرفين بسبب تضارب الآراء أو عدم رضى الناقد عن العمل، كذلك عدم رضى القائم بالاتصال عن ما يكتبه الناقد. ومهما كان نوع العلاقة بينهما إلا أنهما في حاجة إلى بعضهما. فالناقد ينقد العمل من خلال فهمه وخبرته ومعرفته الثقافية ليرفع بكتابته النقدية من مكانة العمل أو قد يؤثر في المتلقين من الجمهور حول أهمية بعض الأعمال الأخرى.ويؤكد(البسيوني -145) أن على الناقد أن لا يكون في موقع المراقب الذي يبحث عن الأخطاء في الأعمال الانتاجية، بل يجب أن يبحث عن الإيجابيات. كما أن عليه أن لا يضع نفسه في موضع المتحدي مما يجعل عملية النقد ذات صفة شخصية

وليست موضوعية، بل أن على الناقد أن يتجرد من الأهواء الشخصية، وأن يحكم على الأعمال من غير تحيز أو تشدد في الرأي. حيث يعتبره البسيوني حكـما أو قـاضيا لديـه معـرفة بالأصـول وهو يحـاول تطبيقها.ويرى أن النقد يشارك في صنع المبدعين والأعمال الإبداعية، "فقد يربط الناقد بعض المؤثرات بعمل ما، لا يكون المبدع نفسه قد تأثر بها، وقد يتوقف في مرحلة سياسية مرتبكة...فيسارع الناقد إلى الربط الآلي بين الارتباك العام والتوقف الخاص، وربما كان هذا التوقف عائداً لسبب فردي بحت لا علاقة له بذلك الاضطراب العام، ولأن معظم القائمين بالاتصال، إن لم يكن كلهم، لا يمارسون الكتابة الاحترافية عن سيرتهم الذاتية،أو الكتابة الموضوعية عن تجاربهم في الإبداع، لذلك يتحمل الناقد الذي لا يجد أمامه إلا وثيقة العمل المنتج عبء التفسير والتحليل والتقويم الذي يظل مفيدا على الدوام. إن ما يدعو الناقد إلى القيام بمهمة الكتابة عن الأعمال المنتجة، هو كون سمات الانتاج المعاصر لكثير من القائمين بالاتصال المعاصرين غير مفهوم لدى كثير من الناس. ويرجع ذلك إلى تعدد واختلاف مفاهيم القول والطرح والاسقاطات و اختلافها عن العصور السابقة. فالنقد يفسر ويوضح ويحلل الظاهرة ، ويدعو إلى أن يتعايش الناس مع التطور في تلك المفاهيم بموضوعية وحيادية بما يسهل على الناقد مهمته في رفع مستوى الذوق العام في المجتمع، وتوضيحه لمعاني الأعمـال وبنائهـا وقيمتهـا التـعبيرية والـرمزيـة عند المتلقـين. و يعتبر(البسيوني-ص 63) أن المغالاة في المدح قد تؤدي إلى الخداع الذي يقلل من الاجتهاد، كما أن الهجوم والهدم المستمر قد يثبط من الهمم، ويقلل من الفرص، لذلك يؤكد على الحاجة إلى نقد متزن لا مغالاة فيه ولا هدم. يقول: "يجب أن تبرز المحاسن والرؤى الكلية، ويقل الاهتمـام بالهفـوات كيـلا تضيـع المعـالم الرئيسيـة في العنـاية غير المحدودة بالتفاصيل.ويعد النقد عملية تحليلية تمكن الناقد من جعل الأشخاص غير القادرين على قراءة الأعمال، قادرين على إدراك القيم التي تؤدي إلى الرؤية الابداعية الصحيحة، وقد ينقل الناقد من خلال نقده رؤية جديدة لم تكن واضحة لدى المبدع الذي أنتج العمل، فالنقد "هو طريق الرؤية السليمة المرتكزة على الموضوعية والفهم السليم والدراسة."ويرى عرابي أن يكون الناقد شخصاً متواضعاً، يتحرى الحقائق المطلقة في الشكل والمضمون، وأن لا يطلق النقاد الصحفيون تقويمات عامة ومصطلحات مزاجية غير مسئولة لا تعبر عن الأعمال المنتجة أو أساليب اصحابها. ويعتقد البسيوني أن النقاد الذين فشلوا سابقاً كمبدعين وهم يتخذون من النقد مهنة بديلة، "هؤلاء كثيراً ما تكون آراؤهم وأحكامهم غير صحيحة وقد تحمل تعويضاً عما كان ينقصهم في الأداء والممارسة."

وتعتبر وظيفة الحكم (حلمي مرزوق-ص13) هي أهم وظائف النقد حيث يحتاج النقاد إلى مبررات تدعم هذا الحكم لتكون آراءهم وأحكامهم مبنية على أسس واضحة ومحددة. فلا يمكن الوصول إلى الحكم دون أن يحيط الناقد بظروف العمل أو بالسيكولوجية المحيطة بالمبدع وظروفه الاجتماعية. كما أن عليه أن يتتبع البناء الشكلي والجمالي ويفسر دلالته التعبيرية أو الأيديولوجية أو الاجتماعية أو التراثية أو السياسية... وغيرها من الدلالات. ولابد للناقد من أن يقيم نوع من العلاقة الإنسانية مع المنتج ، يستطيع من خلالها أن يستنتج بعض المبررات للأحكام التي يطلقها على العمل.فالناقد هو من يستشعر الصفات الإبداعية في الأعمال ويكشف النقاب عنها ويوجه النظر لرؤيتها وفهمها. و يعتمد الحكم على الأعمال المختلفة عند النقاد(أحمد زكي-ص65) على معايير وأسس، يتم الحكم من خلالها على الأعمال . هذه المعايير قد تكون مستمدة من المعرفة بما أنتج في الماضي أو قد تكون مستمدة من داخل العمل أو من خلال السياق الاجتماعي والأخلاقي والديني. ولا يستطيع أي ناقد مهما كانت قدرته ومهارته النقدية أن يفرض أي مقاييس مسبقة على الأعمال، ولكن هناك معايير عامة للقياس ولإصدار الأحكام على أساسها. وحتى هذه المعايير ليست مطلقة بل تعتبر مساعدة للناقد، فلكل عمل مبتكر قوانينه ومعاييره الخاصة التي تصلح في وقت ما، بينما قد لا تصلح لعمل مختلف ووقت آخر.وينظر الناقد المعاصر بمرونة إلى الأعمال وبأسس مختلفة في كل عمل، حيث يوجه الناقد الانتباه إلى الشكل الظاهري للعمل والطريقة التي تم بها بناؤه الشكلي والمضموني ، ثم ينتقل إلى معاني الرموز، والروح التعبيرية للعمل ككل، ويزيل الغموض و يوضح المضامين الفكرية داخل العمل في سياق الأحداث التي تدور في المجتمع.

2- أهمية النقد في التنشئة:كانت الستينيات من هذا القرن هي بداية الاهتمام بتعليم النقد ضمن المؤسسات التعليمية في الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك عندما عقدت حلقة دراسية عن النقد في جامعة أوهايو عام (يوسف غراب-ص 63) 1966. وكان لهذه الحلقة أثر كبير في تغيير الاتجاهات في تدريس النقد ضمن مادة التربية الفنية في المرحلة الثانوية. وكان من أهم المشاركين إدموند فيلدمان ويوجين كلين وديفيد اكر، وكان هدف هذه الحلقة هو الدعوة إلى جعل دراسة تاريخ الفن وفلسفته ونقده، وسائل لتعليم التذوق في المدارس الثانوية الأمريكية، وقد أسفرت هذه الحلقة عن دراسة كبيرة للنقد والاهتمام بتاريخ الابداع والفلسفة الجمالية في منهج التربية الفنية. واعتبر أن ما يقوم به المدرس داخل الفصل هو بالضرورة شكل من أشكال النقد، فالمدرسون يصفون و

يحللون ويفسرون ويقيمون الأعمال ويتخـذون من النقـد والمـذاهب النقدية وسيـلة لتعليـم أسس التذوق والإنتاج الابداعي.إن أحد أهداف التنشئة هو تحقيق النمو الشامل والمتكامل لخبرات المتعلمين وشخصيتهم. ويعتبر التذوق الفني وتقدير الفن من الأمور التي يمكن أن تحقق بعض أهداف التنشئة. لقد أصبح للنقد والتذوق الفني في التنشئة الفنية مكانة خاصة فبعد أن كانت التربية الفنية تصب اهتمامها على مهارات الرسم والأشغال والمحاكاة للأشكال الطبيعية، أصبحت من خلال النظريات النقدية المعاصرة ، تركز على التنمية الشاملة لنمو خبرات وثقافة ومهارات المتعلمين، وأهم هذه النظريات (علي عبدالعاطي-ص27) هي نظرية التربية الفنية المنظمة على أساس معرفي (Discipline Based Art Education)وتختصر بالأحرف اللاتينية (DBAE) ويمثل النقد أحد عناصرها الرئيسيـة، بالإضـافة إلى الإنتـاج العملي، وعلـم الجمـال والتاريخ .وتعتبر العلاقة متبادلة بين هذه العناصر الأربعة في التنشئة النقدية ضمن النظريات المنظمة علي أساس معرفي.

1- فالتاريخ له ارتباط وثيق بالنقد , هو يمثل وجهة النظر التاريخية ، كما أنه أي تاريخ يقوم بتوضيح مضامين بعض الأعمال الابداعية المرتبطة بأحداث تاريخية وصور شعبية وتراثية، وقضايا متعلقة باتجاهات وآراء سادت في فترات سابقة.

2- يعتبر النقد أساساً تقليديا للتاريخ من ناحية توثيق الأعمال التي أصبحت اليوم من الأعمال الأثرية (محمد نظمي-34) .

3- ويعتبر علم الجمال و فلسفته في التجربة الجمالية التي تثير أسئلة عن طبيعة الابداع، عاملاً اساسياً يساعد على دراسة معني العمل الفني وفهمه من خلال النقد الجاد يحسب لمعرفة رد فعل المشاهد في تقبله واستجابته لجمالية العمل الابداعي.

4- ويرتبط النقد بالإنتاج بالضرورة حيث إنه يتحدث عن أساسيات العمل ، كالعلاقات الشكلية والمضمونيه بين مكوناته،وأن فهم هذه الأساسيات في العمل يؤدي إلي تقدير القيمة المتميزة في العمل، وفهم كيفية تفكير القائمين بالاتصال في تعاملهم مع المصاعب المتعلقة بالإنتاج .

النقد والتذوق في التنشئة الفنية هو تمكين المتعلمين، من معرفة الطرق السليمة للحديث عن الأعمال الإبداعية، من خلال مجموعة المناقشات و الحوارات التي تدور بين المعلم والطلاب في حجرة الدرس، ويتم خلالها

استخدام المفاهيم والمصطلحات النقدية ، التي تصف وتفسر وتحلل الأعمال و توفر للطلاب ثقافة معرفية كافية لفهم جمالية العمل . ويعرف الغامدي النقد و التذوق بأنه: "إتاحة الفرصة للطالب بالحديث عن انتاجه أو أعمال زملائه الآخرين بأسلوب موضوعي موجه من قبل المعلم، للوصول إلى مرحلة متقدمة في معرفة وقراءة العمل للرقي بمستوى التعبير النقدي .

وتتعدى أهمية النقد في الاعمال المنتجة كل التوقعات(ارنست فيشر- 53) فيما يخص نمو الثقافة المعرفية. فعندما يتحدث الطالب عن عمله بشقيه المضموني والشكلي ويعبر عن ميوله، ويناقش مع زملائه القيمة في العمل و الأسلوب، والمعالجة التقنية، والصعوبات التي مر بها، وكيف فكر بالحلول المناسبة لها، كل هذا وغيره من الخبرات الأخرى سوف يكسب الطالب قدرات نفسية ولغوية وعلمية واجتماعية تسهم في نمو شخصيته. ، يقول ويلسون "النقد إنما هو وسيلة لبلوغ الغاية وليس غاية في حد ذاته."ويؤكد فيشر على أن تدريس النقد والتذوق ضمن نظرية التنشئة الفنية المنظمة على أساس معرفي يتطلب التركيز على ملاحظة الأعمال المنتجة بواسطة الطلاب وبواسطة المحترفين، ويمكن عمل مقارنة ومفاضلة من نواحي انتاجية مع الاهتمام بالمضامين المختلفة التي قد تحتويها هذه الأعمال. ويمكن أن تطرح بعض التساؤلات التي قد تفيد في هذا الجانب لإثارة عبارات وصفية وتحليلية و تفسيرية من قبل الطلاب مثل التالي:

- ما هو موضوع العمل أو ما الهدف منه؟

- كيف تمت الاستفادة من عناصر العمل الابداعي، الشكلية، والمضمونيه ، للتعبير بفاعلية عن صورة أو قول إنساني ؟

- كيف يتحدث النقاد عن هذه الأعمال ؟ وماذا يقول النقاد عن عمل انتاجي ما؟

- ما هي الوظيفة التي يمكن أن تكون لعمل ما من هذا النوع في المجتمع؟ وكيف يمكن أن يختلف الناس في تقبلهم للأعمال الابداعية التي تقدم اليهم من خلال أدوات التواصل ووسائله ؟

- هل قدم العمل قيماً جمالية مرضية في القول والشكل للذوق العام في المجتمع؟

- وهل جذبت هذه الأعمال الإنتباه وجعلت المتلقي يكتشف أشياء جديدة؟

ويوضح بيشر بأن المتلقي في حاجة إلى تنمية القدرة على قراءة البيئة البصرية من خلال اللغة البصرية واللغة المنطوقة او المكتوبة، وذلك لأن هذه المقدرة تكوِّن جوانب الشخصية المثقفة. باعتبار انه يعّرف المتلقي المثقف بأنه "ذلك الشخص الذي يستطيع التعايش مع الصفات العظيمة المتعددة للبيئة (زكريا ابراهيم-ص132) وخصوصاً البيئة المرئية،وكذلك الإلكترونية، والبيئة الفراغية المنظمة، وبيئة وسائل الاتصال." وهو يعتقد أن النقد سوف يساعد الطلاب في المدارس على توصيل أفكارهم بشكل مؤثر، وأنه سوف يكون للنقد والتذوق دور في تعزيز المعرفة العلمية من خلال مناقشة، ودراسة، وتأويل، و إعطاء الأحكام، على الأعمال المنتجة. وهو هنا يحاول إعادة صياغة معنى التنشئة الفنية من مجرد مادة تركز على الإنتاج إلى القول بأنها هي: "دراسة لنقل البعـد البصري للحياة الاجتماعية في المجتمع .ويحاول معلمو النقد عند تدريسهم للنقد تقديم إجابات عن الأسئلة التالية:

1- ماذا يفعل النقاد عند القيام بنقد عمل ؟

2- ما الذي يجب أن يفعله المعلمون والطلبة عند القيام بالنقد؟

3- ما العلاقة بين ما يقوم به النقاد وما يقوم به المدرسون والطلبة؟

ويشير جيهن إلى أنه من الواجب على المعلمين أن يضعوا في الاعتبار تعدد أنواع النقد وطرقه، وأن يتفهموا أن بعضها قد تكون مناسبة أكثر من غيرها في ظروف تعليمية معينة. وتعتقد ستوليتز أنه بالإمكان تكريس تعليم النقد عن طريق بحث الصلة بين فلسفة النقد وعلم الجمال، وهي تعتبر أن فلسفة النقد تختبر المفاهيم التي تشكل أساس تفكير الأفراد وردود أفعالهم نحو ما يتلقونه.ويذكر زكريا بعض الفوائد الاجتماعية من دراسة النقد والتحليل ، فأبرز هذه الفوائد هي: في الجمهور المتفتح جمالياً في ظل التطور المعرفي، و التثقيف الجمالي من خلال الحديث عن الابداع، والإدراك الأكبر للمضامين الاجتماعية والتاريخية التي تنقلها لنا الأعمال المشاهدة والاستماع وايضا القراءة، وتنمية الحس الوجداني للشعور، وتنمية القدرات البصرية والسمعية للاختيار المناسب لما يحتاجه الإنسان في مجالات التلقي والإنتاج الصناعي و المعماري واللباس والأثاث. ونجد فيلدمان يعتبر الفعل النقدي متمماً للتجربة الجمالية بجعلها اجتماعية أو عامة.وتبرز أهمية تدريس النقد والتذوق في المؤسسات التعليمية من خلال الحاجة الملحة لتثقيف الطلاب. ويتم ذلك من خلال إعطائهم كمية مناسبة من المعلومات والمفاهيم المرتبطة ببعض

المصطلحات الصعبة والمفاهيم المرتبطة بالنقد المعاصر ومستجداته محلياً و عالمياً. وهذه العملية التثقيفية سوف تعزز الحركة الثقافية وتجعلها موازية لما تقدمه الثقافات المتقدمة في العالم إلى أبنائها في تدريس النقد بشقيه التفسيري و التقديري. ويتحقق ذلك بالاهتمام بإعداد قدرات علمية تحمل الوعي النقدي المثقف والمتمكن من تزويد الطلاب بالقدرات النقدية والذوقية، وذلك بتكثيف مقررات النقد ونظرياته بالإضافة إلى المواد العملية الاخرى التي يتعرض لها الطالب خلال فترة إعداده.

3- وظائف النقد:لقد تبين لنا من خلال الحديث عن أهمية النقد في الثقافة بشكل عام وفي التنشئة الفنية بشكل خاص، أن هذه الأهمية ناتجة عن تأثير النقد فيمن يوجه إليهم. ويتم تحديد هذا التأثير تبعاً لنوع الفئة من الجمهور المتلقي الذين يتم التوجه إليهم بالكتابة أو الحديث في المقال النقدي. وتبعا لذلك يتخذ النقد مقوماته ومحتواه للقيام بوظيفته ضمن مجموعة من الأشكال النقدية التي حددها فيلدمان ، في الأشكال النقدية التالية وهي: النقد الأكاديمي والنقد التعليمي، والنقد الصحفي، والنقد الشعبي.

النقد الاكاديمي (Scholarly Art Criticism):وهو"نتاج التطور لدراسة طويلة متخصصة، وحساسية نقدية مصقولة. وظيفته هي توفير ذلك النوع من التحليل، أو التأويل، والتقويم المنهجي، الذي يجعل التجرد العلمي أو عدم التحيز ممكناً." ويحتاج هذا النوع من النقد إلى فترة طويلة لتحقيقه. الأمر الذي يمكن النقاد الأكاديميين من أن يصدروا أحكاماً على الانتاج الجاد، لتزودهم بحماية التحصيل العلمي الأكاديمي والبحث عن الحقيقة النزيهة. والذي يأتي من خلال الدراسة الطويلة. ويكون كذلك نتاج تطور مستمر تعرض له الناقد فصقل عنده حساسية نقدية تجعله قادراً على إصدار حكم تقديري.ويتعرض النقد الأكاديمي(حلمي مرزوق-ص35)لدراسة الأعمال من منطلقات علمية تحدد لها الأهداف وتوضع الفرضيات لتقويم الأعمال وفق معايير وقواعد محددة. ويتم نشر المقال النقدي الأكاديمي في أبحاث علمية أو ضمن دوريات متخصصة صادرة عن هيئات معترف بها أكاديمياً. ويهتم النقد الأكاديمي كذلك بدراسة القيم والأساليب التي ارتبطت بفترات زمنية سابقة تميزت برؤية راقية لم تجد التشجيع في وقتها، ولكنها أتضحت جودتها لاحقاً بسبب الدراسات و الأبحاث النقدية التي أثبتت تمتع هذه الأساليب بالقيم الابداعية العالية التي لم تدرك في تلك الفترة. ويقوم النقاد الأكاديميون بدراسة تلك الأعمال بناءً على دراسة علمية للأساليب تكون قائمة على البحث الدقيق والملاحظة التي تستنتج من تلك الأعمال ما هو ملائم للذوق العام في الوقت الحاضر.

النقد التعليمي (Pedagogical Art Criticism):ويهدف النقد في التنشئة الفنية إلى "تطوير نضج وإدراك الطلاب للأبداع...ويعمل على تمكين الطلاب من المقدرة على إعطاء الأحكام النقدية بأنفسهم، إضافة إلى مقدرتهم على الحكم على أعمالهم."ويقوم معلم متخصص بتعليم النقد للطلاب، يكون لديه معرفة بالأساليب التربوية في تعليم الابداع للصغار والموهوبين و الشباب، ويكون عارفاً بالإبداع الراقي والساذج، والوسائل التقنية التنفيذية لذلك ،ورواده المجددين والمقلدين. فتعليم النقد يحتاج إلى المعرفة. ثم القدرة على التحليل والتأويل حتى يتعلم الطالب كيف يحلل ويفسر، ويدرك الاتجاه الذي اتخذه في العمل.وبالنسبة للمراحل الأولى يقوم المعلم بالنقد في أثنـاء تنفيـذ العمـل الفني على أن لا يفـرض على الطـالب شكـلا من التبعية التقليدية . (مجموعة من الباحثين.ومن خلال ما تم طرحه عند الحديث عن أهمية النقد في التنشئة (محمود البسيوني- ص44) فإن تعليم النقد يتطلب مساعدة المتعلمين على تطوير مقاييسهم الذاتية في نقد الأعمال، تلك المقاييس التي تتناغم وظهور شخصية مبدعة. كما يجب تقوية قدرات التمييز الجمالي بالموازاة مع الخبرات والمهارات التقنية.فالنقد التعليمي يتم من خلال الممارسة الحية للإنتاج الفني.

النقد الصحفي (Journalistic Art Criticism): يعرف فلدمان مجموعة النقد الصحفي بأنه "نوع من الإخبار يقصد منه إعلام القراء عن أحداث عالم الابداع للاحتفاظ بولائهم لصحيفة أو مجلة معينة... وطبعاً تتصف كتابة المقال بأسلوب يحاول إيجاد مرادفات كلامية للأعمال الموجودة في المعرض." ويتخذ هذا النوع من الكتابة النقدية من وجهة نظر فيلدمان شكل التقرير الذي يصف ما بداخل الانتاج الابداعي، وتكون في الغالب بقلم أحد محرري الصحيفة مما يعرض هذا النوع من النقد إلى مخاطر عدم الدقة والقرارات المتسرعة في الحكم على الأعمال الانتاجية، واستبدال التحليل بالرأي الذاتي، ومحاولة الكاتب الصحفي اضفاء ذلك على حساب العمل الانتاجي.أن ما يتوجب من خلال هذا الشكل من أشكال النقد على القائمين بالاتصال في الصحافة هو أن يبينوا للقراء الأعمال التي لا يمكنهم رؤيتها. وعليهم أيضاً (أي النقاد) تقديم تفسيرات وتحليلات نظرية وفلسفية وجمالية لما تحتويه اتجاهات الأعمال الموصوفة. إن تقديم الكتاب لهذا النقاش والجدل حول الأعمال سوف ينعكس على الساحة الاجتماعية وعلى الاعمال المنتجة بالتطوير والازدهار، وينعكس على الجمهور بالتعبير عن ميولهم نحو القراءة السليمة بطريقة فعالة .

النقد الشعبي (Popular Art Criticism):وهو الذي يقوم على خلفية حكم الجمهور سواء أكانوا مؤهلين أم غير مؤهلين، ويعتبر رأي الجمهور فيما

يتعرض إليه مؤثراً بدرجة ما، يقول مارك توين "إن الجمهور هو الناقد الوحيد الذي يستحق رأيه شيئاً من الاعتبار."والاهتمام بنقد النخبة من المفكرين والنقاد لا يلغي الاهتمام بنقد العامة فهو يمثل رأي شريحة من المجتمع لهم علاقة وطيدة ويتأثرون به ويؤثرون فيه.ويعد النقد الشعبي قليل التغير بحكم أن رأي العامة ثابتاً، وهم متمسكون بالحكم على الفن بناءً على الرؤية الاعتيادية وعلى واقعيته. ويعتبر رأي العامة ثابت عبر التاريخ، لذلك لا يمكن تجاهله ولا تجاهل المقاييس التي يقوم عليها. وأهم هذه المقاييس أنه يجب أن يكون الفن نابعاً من الحقائق البصرية، ويحاكي الواقع المرئي. إلا أن كثيراً من الفنانين لا يلتزمون بهذا الأمر كثيراً، نظراً لوجود الكاميرا وأدوات التكنولوجيا القادرة على نقل الصورة الواقعية بأمانة. لذا كان من واجب التربية الفنية أن تدرب الأفراد على تقبل الفن المعاصر برؤية نقدية جديدة قائمة على فهم الشكل و التكوين القائم على المضامين الفكرية.

أسس النقد وفلسفته الجمالية

أولاً: أسس النقد:

يقوم النقد الفني على مجموعة من الأسس التي تؤثر في تقبل الأشخاص بمختلف ثقافاتهم للفن وللأعمال الفنية.(هيجل-ص97) يمكن تلخيص هذه الأسس في الأساس النفعي، والمعرفي، والأخلاقي، والتاريخي، و الاجتماعي، والنفسي، والجمالي البحت.

1- الأساس النفعي:وهو القائم على وظيفة الابداع النفعية. فقد نظر الإنسان منذ القدم إلى الابداع في إطار الفائدة المادية التي يجنيها منه، وفي إطار الإحساس بالمتعة التي قد يشعر بها عند مشاهدته للأعمال المنتجة. وقد ارتبط تقبل الابداع في مختلف الحضارات القديمة بالمنفعة المتمثلة في وظيفة الإنتاج الحرفي، حيث كان إنتاج المهن التنفيذية يلبي حاجة الإنسان اليومية ويجعلها أسهل وأجمل. وكانت المنفعة التي يجنيها الإنسان من الشيء الوظيفي، تؤثر في حكمه بجماليته.لقد اختلف الفلاسفة حول الجمالية النفعية، فقد أصر أفلاطون على ضرورة النفع في الجميل. فمن وجهة نظره، أن الأشياء الجميلة هي الأشياء الممتعة والنافعة. وأن كل جميل طيب وأن الطيب نافع. ولكن هناك رأي مخالف يقول باختلاط النافع بالضار في بعض الحالات وذلك ينفي الجمال عن النافع في المطلق. ورغم رأي المعارضين لفكرة ضرورة جمال الشيء النافع إلا أن ارتباط المنفعة بالحكم الجمالي على الأشياء قد تعرض للجدل، و

كان هناك رأي يقول بعدم ضرورة الجمال في الشيء النافع، وكذلك عدم ضرورة النفع في الفن.ويبقى التساؤل قائماً "هل الجميل هو النافع حقاً؟". فالنفع لا يتحقق في الأشياء البعيدة عنا وليس لها تأثير فينا، وأنه متى انتفعنا بهذه الأشياء حكمنا بجمالها. فالحكم الجمالي القائم على أساس المنفعة، حكم نسبي يختلف من شخص إلى آخر والفائدة في العمل الابداعي التي تكون سببا في الحكم بجماله، قد تكون في حالات أخرى وعند أشخاص آخرين ليست كافية أو مبررة. يقول إسماعيل "فالمنفعة ليست قيمة في الشيء المحكوم عليه وإنما هي أثر أو امتداد له (محي الدين حسين-ص64) .

2- الأساس المعرفي:وهو الأساس الذي يؤكد على قيام العمل الانتاجي بتوصيل رسالة، محملة بالفكر والحكمة والمشاعر الوجدانية التي تعلم الناس من خلال المتعة التي في العمل الجميل، وتنقل رسائل محملة بالمعاني المعرفية التي توضح الأفكار والتوجهات المختلفة. وحيث أن المنتج الابداعي يسعى إلى الفضيلة فقد أسهم في التعليم والموعظة في مختلف العصور. وبذلك كانت المعرفة التي ينقلها في معظم الأحيان لا تكون في شكل العمل فحسب بل وفي محتواه أيضاً. وعليه فقد كان الحكم على تقدير القيمة التعليمية في العمل يبدو نسبياً أيضاً بناءً على المحتوى المعرفي فيه، فبعض الأعمال قد لا تكون مقنعة بالحكم على جديتها في نقل رسالة معرفية واضحة من خلال الصورة الشكلية فقط.ويبقى التساؤل قائماً "هل ينبغي أن يكون لما يقدم غاية تعليمية؟"، فالعمل الابداعي بما يضفيه على العلم من شكل جميل يمكنه أن يسوق المعرفة إلى النفس البشرية بسهولة ودون شعور منها. ويبقى عامل الاستعداد الشخصي لتقبل تلك المعرفة، فالحكم على هذا الأساس نسبي هنا أيضاً، يقول إسماعيل "فنحن نستفيد من حكمة يطلقها المبدع بكميات متفاوتة من المعرفة بحسب استعدادنا الشخصي وقدرتنا العقلية وحالتنا النفسية... ومن ثم يحدث التفاوت في مدى القيمة التي تضفيها أحكامنا المختلفة على هذه الحكمة."

3- الأساس الأخلاقي والديني:وهو الأساس الذي يربط بين الشعور الديني و الحاجة الجمالية. فلقد ارتبط العمل الانتاجي بالدين في بعض الحقب التاريخية (زينات بيطار-ص53) وكانت الأخلاق التي يحث عليها الدين هي الأساس الذي يؤثر في الحكم على جمالية العمل الفكري. وقد عرف أفلاطون الجميل بأنه هو الذي يقود إلى الخير، وأن الفكر والأخلاق يعتمد كل منهما على الآخر في نشر الوعي الديني في حياة الأفراد، وقد استعان بعض النقاد باستلهام الجوانب الدينية في الأعمال الفنية لتوضيح مفاهيمها الغامضة، فالحكم على جمالية الفن من هذه الناحية قد جاء بهدف الإرشاد إلى الخير، وكراهية

الشر،وتصحيح السلوك، وتهذيب الوجدان، ونشر الفضيلة، وضبط النفس. و يعارض بعض الفلاسفة ضرورة وجود الأثر الأخلاقي والديني في الفن الجميل. يرى أرسطو في كتابه الميتافيزيقا الذي كتبه في القرن الخامس قبل الميلاد أن الخير والجمال مختلفان وأن الخير يظهر في السلوك أما الجمال فهو صفة تظهر في الأشياء. وترجع أهمية هذا الأساس إلى الغاية التي يختلط من أجلها الدين مع الفن فهو يوصي بالخير ويوحي بكراهية الشر. وبذلك يطرح التساؤل التالي "هل كل ما أنتج من خلال هذا الأساس هو جميل بالضرورة؟"، وبطبيعة الحال لن يكون بالإمكان الفصل بين ما هو أخلاقي وديني وبين الفن و لكن يمكن التمييز بينهما.وقد كانت للعقيدة الإسلامية أثرها في تقبل الجمال في الفن، فالجمال في العقيدة الإسلامية هو وعي معرفي سبيله التفكير الذي يقود إلى الإيمان بالله. ولقد كان لمفهوم الجمال في الدين الإسلامي معناه الخاص فهو صفة من صفات الخالق جل وعلا، وهو موجود (أي الجمال) في كل الأشياء (في الحياة الزوجية، وفي الطلاق، وفي الصفح، وفي الصبر، وفي الهجر، و في متعة النظر إلى الأشياء والكائنات..) كما دلت على ذلك بعض آيات القرآن الكريم.

4- الأساس التاريخي:فكل حكم جمالي معاصر هو قائم على أساس حكم جمالي تاريخي، وأي حكم حالي سوف يصير تاريخياً. وعلى هذا الأساس فقد يقوم بعض النقاد بإصدار أحكام جمالية على الأعمال الفنية (حلمي مرزوق-ص463) بناءً على أحكام تاريخية مسبقة، أو قواعد كلاسيكية قديمة. إلا أن لهذا النوع من الحكم قوة وسطوة، فالناقد في هذه الحالة يكون متمتعاً بثقافة فنية تاريخية، وقدرة تذوقيه عالية من خلال هذه الثقافة، وقادراً على تقبل الفن الجديد وبالتالي يصف ويفسير الأعمال الفنية من خلال الرؤية التاريخية.ورغم أن الأساس التاريخي يقوم على قواعد كلاسيكية إلا أنه قد يتأثر بالآراء الشخصية عند الناقد. يقول إسماعيل عن الحكم القائم على الأعمال الفنية بناء على سمعتها التاريخية بأنها "أحكام شخصية تشترك فيها العوامل الخارجية الخاصة بالناقد أحيانا والخاصة بالأثر ذاته في أحيان أخرى. ولو فحصنا قدراً من أحكامنا النقدية على الآثار الفنية القديمة لوجدنا أغلبها متأثراً إلى حد ما بهذا الأساس."وقد تستهوي البعض منا أعمال فنية تاريخية تدخل في أسباب تفضيلنا لها عوامل منها أنها أصبحت آثار فنية يضرب بها المثل ويقتدي بها الفنانون، فيكون الحكم الجمالي على هذا الأساس قائم على سمعة العمل التاريخية. وتشترك في هذا الحكم تفضيلات الناقد الشخصية المشتركة مع قيمة الأثر ذاته.

5- الأساس الاجتماعي:وهو الذي يرتبط بالحياة الاجتماعية والحضارية ويتوجه إلى المجتمع. فللفن مهمة حيوية بالنسبة للمجتمع الذي يظهر فيه، وهي تحقيق القيم الاجتماعية بالإضافة إلى المتعة الجمالية. فلا يجب أن يكون الفن منعدم الصلة بالمجتمع، فالأساس الاجتماعي يضم جميع الأسس السابقة التي يرتبط فيها الفن بالحياة والفائدة والمعرفة والتاريخ والأخلاق والدين. والحكم النقدي القائم على الأساس الاجتماعي يبين الوظيفة التي يقوم بها الفن في المجتمع ويحافظ عليها ويحرص على تطويرها. ويرفض الأساس الاجتماعي الفردية في الفن التي لا تنشأ بينها وبين أفراد المجتمع علاقة، ويعتبر أن العمل الفني الناجح هو الذي يقدم إلى المجتمع شيئاً يتفاعل معه ويفيد منه وينسجم مع البيئة ويلائم الظروف المحيطة.والنظرية الاجتماعية في النقد تربط بين الفن و الحياة وتؤكد على أن الإنسان يستجيب للمتغيرات الاجتماعية والحضارية بأشكال تناسب البيئة. والتغيرات الثقافية السريعة التي تفرز قيماً جمالية جديدة، تجعل من تقبل الفن والجمال شيئاً متقلباً وغير ثابت في المجتمعات المعاصرة. وتؤكد هذه الأحكام أن الجمالية القائمة على الأساس الاجتماعي هي أحكام شخصية عند الأفراد وأن أحكام النقاد تكون متأثرة بعوامل خارجة عن العمل الفني ولكنها مرتبطة به.

6- الأساس النفسي:وهو يركز على نفسية الأفراد، ويجعل الحالة النفسية التي يكون فيها متلقي العمل الفني موضوع دراسة لمعرفة تقبله أو نفوره من العمل الفني. الأمر الذي يجعلنا قادرين على أن نتوقع حكمه عليه بالجمال والقبح. و يساعد علم النفس(محمود البسيوني-ص125)في فهم العوامل المؤثرة في الحكم الجمالي وفي تحقيق الفن لذاتية الإنسان. ويعتبر الأساس النفسي الفنان إنساناً متميزاً بشعوره وطريقة إحساسه. ويقوم علم النفس كذلك بدراسة الإبداع وأثر الحالة النفسية فيه.والنقد الفني القائم على الأساس النفسي قد يكون نقداً ذاتياً لا يقوم بعمل تقويم جمالي للأعمال الفنية وإنما يقدم الحكم من خلال تصورات الناقد الذاتية والآراء الخاصة به والتي تكون غير موضوعية.إن محاولة فهم الأعمال الفنية وتحليلها وتفسيرها وربطها بالمتلقي أو بحياة الفنان وماضيه وحاضره تتطلب دراسة النظريات النفسية التي تساعد الناقد على استيعاب التحليل النفسي وتوظيفه في خدمة الأهداف الفنية.

7- الأساس الجمالي البحت:ويتجه هذا الأساس إلى الموضوع، والعمل الفني ذاته متجرداً عن كل المؤثرات الخارجية،فيبحث عن القيمة الإستاطيقية في الشكل، ولا يعتمد حكم القيمة على الأهواء الشخصية عند الناقد وإنما على التعاطف مع العمل الفني من خلال العلاقات التي يقدمها، ويعتمد تقبل الفن في

هذا الأساس على مدى الرضى عن العمل ذاته وإذا ما كان المتلقي قد تذوق البناء الشكلي في العمل الفني، ويبحث النقد الفني من خلال هذا الأساس عن "عناصر الجمال في الجميل ذاته، على أساس أن هذه العناصر لازمة لتمييزه من الأشياء العادية.ومن المعروف أن العناصر الجمالية التي تجعل من العمل الفني موضوعاً جميلاً(جيروم ستولينتز-ص243) هي عناصر التكوين Composition الذي هو: جمع العناصر والخامات التي في الطبيعة لصنع أشياء من عمل الفنان الذي لا يتعدى دوره أن يكون أداة لتنظيم عناصر العمل الفني وفقاً لنمط أو نهج رآه معبراً، "فالفنون لا تخلق وإنما تشكل العناصر" التي تتصف بالجمال.وتتلخص هذه العناصر في النقاط والخطوط و المساحات والظلال في علاقات التدرج والتباين مع النور والألوان وملامس الخامات وحجم الكتلة وحدود وحدة العمل الفني، كل هذه العناصر تربطها علاقات داخل فراغ اللوحة تؤدي إلى الحكم بجمالها، هذه العلاقات هي: التنوع والتكرار والتماثل والتناظر والتوازن والثبات والإيقاع والسيادة والتناسب و العمق والوحدة والانسجام. وقد وضح هذه العناصر وعلاقاتها عبد الفتح رياض في كتابه التكوين في الفنون التشكيلية، حيث يمكن الرجوع إلى الكتاب للتوسع في فهم تفاصيل هذه العناصر وتفاعلاتها.لقد كان للأساس الجمالي أهمية ونقلة في الفن والتوجهات النقدية قديماً وحديثاً، لذا سنفرد له الحديث في المحور التالي من هذا المبحث.

ثانياً: فلسفة النقد الجمالية:يقوم كل علم على فلسفة خاصة به تشمل المنطلقات الفكرية والأهداف وخطوط العمل الكبرى. وفي مجال نقد الفنون يكون لكل ناقد فلسفته الخاصة بشكل واعٍ ،أو غير واعٍ. وتحدد هذه الفلسفة رؤيته وممارسته. وقد شاعت الكثير من النظريات الجماليَّة وبرز البعض منها أكثر من غيرها، وفيما يلي يفصل البحث أهم هذه النظريات وهي (أحمد زكي-ص132) :

النظرية الواقعية (المحاكاة) Realism ، النظرية الشكلية Formalism .

يهتم النقد بالحكم الجمالي على الأعمال الابداعية ، فهو يتوقف عند العناصر والأسس التي تجعل من العمل الانتاجي، عملا يمكن تذوقه جمالياً. و تمهد النظريات الجمالية الطريق لفهم ما وراء الحكم الجمالي. حيث يقوم الباحث بتحليل عينة من مقالات النقد الفني للتحقق من استخدام النقاد لتلك النظريات والمفاهيم الفنية في كتاباتهم عند تحليلهم للأعمال الفنية. ويهتم النقد الفني المعاصر بتحليل الأعمال الفنية من خلال هذه النظريات ويركز على عدة محاور: المحور الأول: يضم عناصر العمل الفني المرئية، والأسس التي

استخدمت في بنائها. والمحور الثاني: يركز على العلاقات بين عناصر العمل الفني والتي تجعل منه شكلاً ينتمي إلى أحد أنواع الفنون. أما المحور الثالث فيهتم بالأساليب الفنية، ومقاصد الفنان، والأصالة في الإنتاج، والقدرة في استخدام الأدوات الفنية والاستفادة من الخامات المتنوعة لإنتاج الأعمال الفنية.وفيما يلي عرض لتطور هذه النظريات:

1- النظرية الواقعية أو (نظرية المحاكاة):لقد تكونت بذور نظرية المحاكاة من خلال الفلسفات الكلاسيكية للفن (هيجل-ص 183)، وكانت النظرية الكلاسيكية في النقد الفني أو النظرية الواقعية أو نظرية المحاكاة، تجيب بطريقة ما عن التساؤل القائل (ما هو الفن الجميل؟)، فكانت هذه النظرية كما تقول ستولين تز تعتبر الفن هو محاكاة ونقل لأشياء من الطبيعة، وتعتبر أن الفن الجميل هو "الترديد الحرفي الأمين لموضوعات التجربة المعتادة وحوادثها."، وأن موضوع العمل الفني يجب أن يشبه الأنموذج الموجود في الحقيقة. فالعمل الفني يحاكي صورته ويماثله. ويركز النقد القائم على هذه النظرية، على واقعية العمل الفني وظاهريته أي إمكانية إدراك ظواهره.وتقوم نظرية المحاكاة (الواقعية) على الفلسفة الإغريقية القديمة عند أفلاطون وأرسطو، فقد مثلت الأفكار الإغريقية مثالاً أنموذجياً للفن، وكان لها أثرها وسطوتها في الفن الهي ليني والروماني وفنون عصر النهضة الأوروبية وفي القرن التاسع عشر عند ظهور الكلاسيكية الجديدة والرومانتيكية والواقعية، وفي فنون ما بعد الحداثة. حيث كانت هذه النظرية تملي قواعدها على الفنانين. فظل النقد يعتمد على هذه النظرية لفترات طويلة من الزمن رغم تعدد الاتجاهات الفنية وتنوعها.وما زالت هذه النظرية تؤثر في النقد الفني المعاصر، ولكن لا يتعامل كثير من النقاد معها من منطلق أنها تعكس جمالاً فنياً، بل من منطلق المهارة الحرفية و القدرة على المحاكاة الدقيقة حيث إن أفلاطون نفسه لم يكن متعاطفاً مع فكرة المحاكاة بل اعتبرها تزييفاً للطبيعة والحقيقة، وتساءل في جمهوريته "هل الرسم محاولة لمحاكاة ما هو حقيقي كما هو أم المظهر كما يظهر؟". وقد أكد على أن المحاكاة المستنيرة لا بد وأن تكون في حقيقة الأشياء وجوهرها لا في مظهرها. أما أرسطو فقد اعتبر المحاكاة عملية خلاقة ومعبرة عن الكلي، و يقصد بالكلي التعبير عن السلوك أو نمط معين ليعكس سلوكيات وأنماط أخرى.ويعتبر أرسطو أن المحاكاة يجب أن تكون لما هو جوهري في الطبيعة، ويمكن للفنان أن يصل إلى هذه المحاكاة من ثلاث نواح:

1- الوسيلة أو الأدوات التي يستعملها الفنان.

2- الموضوع وهي إما أن يكون للشيء كما هو عليه أو أفضل مما هو عليه أو أسوأ مما هو عليه.

3- الطريقة وهو الأسلوب الفني الخاص.

يعتمد النقد في النظرية الواقعية (نظرية المحاكاة) على النقد بواسطة القواعد وهو أحد اتجاهات النقد التي سوف يأتي تفصيلها في الفصل التالي، وهي متأثرة في إصدار أحكامها بالقواعد الكلاسيكية. ويعتبر النقاد الكلاسيكيون أن قواعد الفن تتمثل في أعمال الفنون الإغريقية والرومانية القديمة وفنون عصر النهضة. ويستند حكمهم على دراسة المنظور والنسب في الأجسام الحية وفي التكوين الكلي للعمل الفني، والمحاكاة الواقعية الصادقة للتعبير عن الانفعالات سواء أكانت واقعية أم رومانسية أم خيالية أم رمزية.وإذا كانت المحاكاة Imitation قد سيطرت زمنا طويلا على الفن اعتماداً على آراء "أرسطو طاليس" التي ترى أن(حلمي مرزوق-ص321) (المحاكاة غريزة في الإنسان منذ طفولته، ويميزه من الحيوانات الأخرى أنه من بينها أكثرها تقليدا، وأنه بهذه الغريزة يتلقى معارفه). وقد انتظم هذا المبدأ - أي المحاكاة - جميع الفنون الممثلة، وانسحب أيضا على جميع الصور الأخرى كالموسيقى. ولكن مع العصر الحديث وُوجهت المحاكاة بوجود القوة الخالقة للفنان تعلن عن نفسها. وكان من الصعب التوفيق بين المحاكاة، وهذه القوة. فإذا كانت المحاكاة هي الغاية الحقة للفن- كما رأت العصور الكلاسيكية- فمن الواضح أن التلقائية، أي القوة المنتجة لدى الفنان عامل مزعج لا عامل بناء لأنها تغير أوجه الأشياء بدلا من أن تصفها في طبيعتها الصحيحة. وقد أدى ذلك إلى ظهور نظرية التعبير التي تفسح لهذه القوة مكانا.فإذا كان الفنان يبدع موضوعه، لا ينقله ولا ينسخه، كما أنه لا يتقيد بما تفرضه نظرية المحاكاة الأرسطيه عليه، أو حتى التطورات التي أضيفت عليها فيما بعد، فإنه بالضرورة يقدم معادلاً حسّيا لما يجول في وجدانه، أي أنه (يعبّر) عن أفكار، أشياء تختلج في نفسه، عبر رؤيته، ولا يقوم بمحاكاة "مثل أعلى" أو محاكاة للجوهر.والجدير بالذكر أن (هيجل-ص231) " قد ميز بدقة بين التعبير، وبين "الطريقة القديمة التي كانت ترى أن الفن كنشاط انتاج النُّسخ أو المحاكاة Imitation لما هو أصلى ووفقا لنظرية المحاكاة فإن الفنان ينظر إلى، الإنسان أو إلى الجبل ويصّور ما يراه ، والنتيجة تكون هي المحاكاة أو النسخ أو صورة لما هو أصلى. بهذه الطريقة في التفكير، يكون عمل الفن بمثابة شيء من قبيل نسخ الرموز، وهذا يخبرك بما يجب أن تعرفه لو أنك كنت عليما بالأصل، وتستطيع أن تحدّد مدى تفوقه بمقارنـة عمله بما هو أصلى. بهذه الطريقة في التفكير فإن كاميرا جيدة سوف

تقدم عملا فنيا أفضل مما يقدمه المصور ، وإذا قارنا الأصل بالصورة الفوتوغرافية فإننا نجدها أكثر دقة من السم اليدوي ، بل إننا يمكننا الحصول على صورة بالغة الدقة باستعمال مرآه في مواجهة الأصل. وقد زعم "فيرون" بأن صورة المرآة والصورة الفوتوغرافية، والتسجيل، هذه جميعا ليست أعمالا فنية، والنشاط المنتج لها ليس نشاطاً فنيا، فالفنان يجب أن تكون له مشاعر و انفعالات معينه، ويجب أن (يعبر)العمل الفني عن هذه المشاعر أو الانفعالات" لقد كانت لنظرية المحاكاة من السطوة والتأثير على النقاد ما جعلهم يشنون هجوما عليها، الأمر الذى دفعهم الى مواجهتها و مواجهة سطوتها ووصفها بالسطحية، وتجاهلهم لأبعادها الحقيقية، والمحاولات التي حاولت تطويرها في القرون الأخيرة. وذلك لكى يتهيآ المجال لرؤيتهم التي ترى أن الفن (لا يحاكى)، بل (يعبّر)،لا يقع في أسر هذه الحيادية الباردة، بل هو فن مفعم بالمشاعر والانفعالات، ووظيفته هي التعبير الجمالي عنها.وقد كانت مسألة المحاكاة أو إعادة إنتاج الأنموذج من الأمور المزعجة للفلاسفة منذ "أفلاطون" الذى رأى الفن محاكاة للمحاكاة-على حد قول هيجل، فالعمل الفني له حياته الخاصة، فهو رمز مبدع وليس محاكاة. وتذوقه يكون بالتأمل في العمل ذاته، و وحدته وحيويته وفعاليته. وقد رأى "سانيانا" أيضا "كلا من الشعر والدين يتضمن التخيل، والتعبيرات الرمزية أو تفسير الوجود .وفى نفس الوقت أن الفن تعبير عن انفعال وليس محاكاة وأن التعبير عملية معقدة، "فلو كان التعبير مجرد عملية نقش أو نسخ، أو كان شعوذة يراد من ورائها اخراج أرنب من مخبئه، لكان التعبير الفني أمرا بسيطا يهون أمره، ولكن ثمة فترة طويلة من الحمل تكمن بين لحظة (الحمل) ولحظة ظهور الوليد إلى عالم النوّر. وخلال هذه الفترة قد لا يقل التحوّل الذى تخضع له المادة الباطنة للانفعال والفكر بسبب تأثيرها وتأثرها بالمادة الموضوعية، عن ذلك التحوّل الذى تعانيه المادة الموضوعية بسبب استحالتها إلى واسطة تعبير،وهذا التحول وعلى وجه التحديد-إنما هو الذى يغير طابع الانفعال الأصلي مُدخلا على كيفيته من التعديل ما يجعله ذا طبيعة جمالية متمايزة، ولو أننا التزمنا التعريف الشكلي، لكان في وسعنا أن نقول إن الانفعال يكون جماليا حينما يتقيد بموضوع عمل على تكوينه فعل تعبيري"عملية التعبير إذن ليست عملية بسيطة، بل إن الفنان الذى يقع تحت تأثير الانفعال (الجمالي) لا يقوم بمجرد النقل أو النسخ للعمل، سواء كان ذلك النسخ يتصل بالطبيعة أو من مخزون أفكاره، بل يعيش عملية حمل معقدة، يتم فيها الحوار بين المواد المستخدمة، وبين الانفعال، فيحدث التعديل - ليس في المادة فحسب، بل وفى الانفعال أيضا، حتى يصير الانفعال جماليا، أي يرتبط بموضع عمل (مُبدع) يكون هو نتيجة هذه العملية

المعقدة.وإذا كان التعبير يمرّ بهذه العملية المعقدة - كما يرى "علي عبدالعاطي- ص56) - فإنه أيضا - بالإضافة إلى أنه يختلف جوهريا عن المحاكاة، فإنه في نفس الوقت يتميز عن الزخرفة (التزيين) اذ أن "التعبير يعد خاصية للفن، ولا نحكم عليه أي على الفن بواسطة قدرته على بث البهجة والسرور، بل بقدرته على التعبير. والقول بأن الفن رمز انفعالي Emotive Symbol و إمكانه أن يطور التكامل الفني. فالتكامل يقتضى أن يعبر إنسان ما عما لديه من انفعال، وليس ما يجب أن يشعر بـه هذا الإنسان، أو الذى يرغب في الحصول عليه. والأسلوب هو السبيل الذى على أساسه يحدد الإنسان الطريقة التي يقدم بها تعبيره عن الانفعال" إذا كان الفن بمثابة التعبير عن انفعال، وأن الفن رمز انفعالي-كما يرى "فيرون". وأنّ التعبير بقدر ما يختلف عن المحاكاة، فإنه أيضا يختلف عن الزخرفة أو التزيين. وذلك على اعتبار أن "الفن الحديث لا يميل في الوقت الحاضر إلى الاتجاه الزخرفي. فلم تعد الزخرفة مقبولة لدينا في الفن. فهناك أشياء أخرى يجب توافرها في الفن سوى الزخرفة، والسمة الرئيسية للفن الحديث هي القدرة على التعبير عبر الصورة.. والفن كي يدرك يقتضى وجود ملكات عقلية، والتعبير في الفن يكون عن طريق الصورة المعبرة، وصورة الانفعال هي تجميع للعاطفة. والفن لا يعبر عن الوجدان بشكل فعلى بل يعبر عن الأفكار الخاصة بالوجدان كما تعبر اللغة، لا عن الأحداث والأشياء بل عن الأفكار التي تتعلق بها، كما يرى(عبدالعزيز عفت- ص32)معبرة، ولذلك فهي ذات معنى، وهذا المعنى يكون من داخل الصورة ذاتها ولا يشير إلى شيء خارجها. فالصورة ليست نسخاً، وإنما تعد الصورة اسقاطاً لما يجول في نفس المبدع من انفعالات.ولكن "فيرون" كان يرى أن الفن الحديث "مزدوج التعبير Doubly Expressive، لأنه - في الوقت الذى يكون الفنان فيه مهتما بالصورة Form وصوت العواطف والأفكار الخاصة بالشخصية التي يقدمها، فإنه أيضا يكون مهتما، بالقدرة، والسلوك اللذين يقدمان معياراً سديداً لحساسيته وخياله وتفكيره".التعبير هنا لا يقتصر على ما رأته "سوزان لانجر" لاحقا بأنه تعبير عن طريق الصورة المعبّرة، ويكمن في باطن الصورة فحسب، بل إنه تعبير مزدوج، ينصب فيه اهتمام الفنان إلى جانب الصورة المعبرة، والشخصية التي يقدمها-أيضا- على السلوك، أي على ما هو خارج الصورة المعبّرة.بل ويؤكد (محمد القدس-ص78) بأن الفن التعبيري Expressive Art ليس طريقة لمعاداة الجمال، الأمر الذى قد يراه البعض نتيجة لأن "فيرون" فرق بين التعبير والزخرفة، بل إنه يستخدم (الجمال) كأحد العناصر التي تطلبه، ولكن دون أن يقصر التعبير على مثل هذا التصوّر. إنه-أي التعبير- ليس محايداً إزاء لذّة الرؤية أو السماع، ولكنه

يرى أشياء أخرى فيما وراء ذلك. فقيمته يجب ألا تقوّم فقط بواسطة اكتمال الصورة، ولكن أيضا وبشكل رئيسي بواسطة القوة الثنائية للتعبير. بل ويجب أن يقوّم أيضا بواسطة العواطف والأفكار التي يعبّر عنها.وإذا كان الفن تعبيرا عن انفعال، فإن التعبير يختلف أيضا-بالإضافة لاختلافه عن المحاكاة، و الزخرفة - عن الوصف. فالتعبير عن الانفعال شيء و(وصفه) شيء آخر، كما يرى "(علي عبدالعاطي-ص89) ". فقولك أنا غاضب يعنى أنك قد وصفت الانفعال، ولكنه لا يعنى تعبيرك عنه. فلا يلزم أن نتضمن الكلمات المستخدمة في التعبير عنه أية إشارة صريحة للغضب اطلاقاً.. وهذا يفسّر السبب الذى جعل استخدام الصفات أو النعوت فى الشعر-أو حتى النثر- حيث يكون التعبير مقصوداً خطراً. وهذا أمر يعرفه نقاد الأدب جيداً. فإذا أردت التعبير عن الرعب الذى يحدثه أي شيء، فعليك ألا تنعته بكلمة (مرعب) لأن هذه الكلمة تصف الانفعال بدل امن أن تعبر عنه، وبذا تصبح لغتك فاترة على الفور، أي غير معبّرة. والشاعر الحق في لحظات شاعريته الحقة، لا يحدّد أبدا الانفعالات التي يعبّر عنها، والوصف لا يفيد التعبير، بل يضره، لأن الوصف يؤدى إلى التعميم. فوصف الشيء يعنى اعتباره شيئاً من نوع معين، أو وضعه تحت تصور، وتصنيفه، أما التعبير فإنه على العكس يظهر تفرّده.التعبير غير محايد، بينما يكون الوصف محايداً. لأن التعبير يفصح عن انفعالات مبدع محدد تجاه موضوعات محددة، وهذه الانفعالات تتداخل معها أمور كثيرة، لتعكس في النهاية تصور الفنان ورؤيته لما يعبر عنه، بينما في الوصف يكون الهدف هو التعميم، ووضعه تحت تصور وتصنيف محدّين، ويكون نقلا لما هو كائن بصرف النظر عن عواطف الفنان ومشاعره. ولذا يجئ الوصف متصفا بالعمومية، والتجريد وعدم اللبس-أو هكذا يجب أن يكون- بينما يكون التعبير منبثقا من انفعالات الفنان، ولذا فهو يأخذ سمتها ويظهرها إلى الوجود بشكل فنى، قد لا يتفق مع انفعالات فنان آخر حول الموضوع نفسه ، بل ويجب أن يحدث هذا الاختلاف، كأساس للتفرد."لقد ظهرت نظريتان متعارضتان في تصوّر طبيعة التعبير، وكل نظرية منهما قد جانبت الصواب كالأخرى سواء بسواء.والنظرية الأولى تقرر أن الطابع التعبيري (الجمالي) يرجع إلى الكيفيات الحسّيّة المباشرة، وأن كل ما يتخلف عن طريق الإيحاء إنما تقتصر مهمته على جعل الموضوع أكثر تشويقاً، دون أن يصبح جزءًا لا يتجزأ من صميم وجوده الجمالي.أما النظرية الثانية فهي تتخذ موقفا معارضاً تماماً للنظرية الأولى، لأنها تنسب القوة التعبيرية برمتها إلى العناصر المرتبطة بالموضوع"ويوضح "ديوي" أنه بالنسبة للنظرية الأولى، فإذا كان في امكاننا أن ننظر إلى (الخطوط) سواء كانت دائرية أو منحنية أو متعرجة، أفقية أم رأسية، الخ -

على أنها كيفيات جمالية مباشرة، إلا أن هذه النظرية-الأولى- تـزعم أن القوة التعبيرية الخاصة التي تتميز بها هذه الخطوط يمكن تفسيرها دون أدنى إشارة إلى أي شيء يتجاوز الحسّ المتضمن فيها مباشرة. وكون بعض الخطوط في علاقتها بالعين-على حد زعم أصحاب هذه النظرة - تكون سارة أو غير سارة، فإن هذا في الحقيقة لا يكاد يمس من قريب أو بعيد الطابع التعبيري أو القوة التعبيرية.

أما النظرية الثانية، فإنها تفصل الحس عن العلاقات، والمضمون أو الموضوع عن الصورة، والجانب الفاعل عن الجانب القابل، فتعزل مراحل التجـربة بعضها عن بعض، وتقدم لنا تقريرا منطقيا عما يحدث عندما تتم هذه العملية الانفعالية. النظرية الأولى تكمل الثانية، ولكن لا سبيل إلى بلوغ الحقيقة في مضمار النظرية الجمالية عن طريق إضافة (آلية) نضم فيها إحدى النظريتين للأخر. أن "القوة التعبيرية التي يمتاز بها الموضوع الفني إنما ترجع إلى أنه ينطوي على تداخل كامل تام للمواد المتقبلة والمواد الفاعلة. وهذه الأخيرة تضمن إعادة لتنظيم المادة المحصلـة من الخبرة الماضية. والملاحظ في عملية التداخل أن هذه العناصر ليست مضافة عن طريق الارتباط الخارجي كما أنها ليست مجرد طبقة سطحية توضع فوق الكيفيات الحسّيّة و إنما تتمثل القوة التعبيرية للموضوع كحصيلة أو ثمرة للامتزاج التام الذى يتم بين ما نتقبله، ونعانيه من جهـة، وما يجلبه نشاط إدراكنا المنتبه إلى ما يرد إلينا عن طريق الحواس من جهة أخرى" إن التعبير في العمل الفني إنما ينجم عن مجمل العمل الفني، لا عن أحد العناصر، وهو ينتج عبر علاقة جدلية عميقة بين العناصر الحسية والعنـاصر المعنوية.فالعمل الفني حين نتلقاه، لا يكون هذا التلقي منصبًّا على عنصـر دون آخر، بل إن هذه العناصر لا يمكن أن توجد منفردة في ما يمكـن تسميته بعمل فنى ذو قيمة. فالوحدة التي تجمع كل هذه العناصر،"هي التي تكون الجمال الفني في التعبير الكامل" وإن أي اهتمام بعنصر دون آخر إنما يكون على حساب العمل الفني، ويجلب له الضرر. و الجدير بالذكر أنه ينتج عن كون موضوعات العمل الفني تعبيرية، فإنها تقـوم أيضا بمهمة التوصيل، وليس معنى ذلك أن مهمة الفنان تنحصر في هـذا فحسب، بل إننا نعنى أنه النتيجة التي تترتب على عمله. فالعمل الفني لا يحيا إلى إذا دخل إلى صميم خبرة الآخرين. وكون التعبير في صميم العمل الفني، فذلك لأنه هو الذى يخلع عليه وحدته وطابعـه الخاص، فالتعبير ليس "مجرد عرض خارجي قد تلبس بالعمل الفني، وإنما هو بمثابة مركز اشعاع تنتظم فيما

حوله سائر مقوّمات العمل الفني.. فليس التعبير ثمرة لمجموعة من التأثيرات المتلاحقة، وإنما هو (وحدة) تدرك لأول وهله وبطريقة مباشرة"

2- **النظرية الشكلية**:كانت نظرية المحاكاة تركز على الدقة في استخدام الألوان والعلاقات والخطوط وكان ذلك يمثل جذوراً للنظرية الشكلية، إلا أن بداية ظهورها كمبدأ مستقل في نقد الأعمال الفنية، كان في بريطانيا في أوائل القرن العشرين. (حلمي مرزوق-ص42) لقد درس فراي لوحات كثير من الفنانين الإيطاليين وكتب عن أعمال سيزان وفان جوخ و ما تيس، وكان هو أول من أطلق على اتجاههم مسمى ما بعد الانطباعية Post impressionism، ثم استخدم هذا المصطلح كثير من النقاد فيما بعد. لقد تحدث فراي في نظريته الشكلية عن الفن التشكيلي والعلاقات الشكلية في العمل وخص منها العلاقة بين الشكل والفراغ. لقد كانت كتابات فراي ثورة في مجال نقد الفنون التشكيلية، و كانت الحسنة التي قدمها إلى الفن هي أنه لم يعتمد على الواقعية والمحاكاة للقياس والحكم على الأعمال الفنية، واعتبر الشكل هو محور عملية التحليل للوحة التعبيرية والأعمال الفنية الحديثة. ، وقد أكد على أن قيمة العمل الفني تتمثل في التنظيم الشكلي للعناصر الفنية سواء أكانت خطوطاً أو كتلاً أو مسطحات لونية. وينصب اهتمامه النقدي على توضيح العلاقات المدركة بين العناصر الشكلية الكامنة والفريدة في التصوير. وتقوم النظرية الشكلية على أساس نظرية أخرى(حلمي مرزوق-ص261) في فلسفة الفن هي نظرية الفن للفن. وتعتبر النظرية الشكلية مرادفة لمفهوم الحداثة في الفن التشكيلي، فهي تستبعد كل صور المحاكاة في الفن وتعتبر التنظيم الشكلي هو المعيار الوحيد للحكم على العمل الفني. ولا تعترف بأي أثر للقيم سواء الأخلاقية أو الاجتماعية أو السياسية في الفن. فلم يعد للموضوع وكذلك المضامين أي أهمية، بل المهم هو الشكل فقط. وفي الخمسينات والستينات من القرن العشرين كان لكتابات الناقد جرين برج أثر في تطور هذه النظرية فقد مجد التجريد و عارض أن يقوم النقد على أي شيء خارج العمل الفني وعناصره الشكلية، و ذلك بعدما انتشرت مدارس مختلفة في النقد منها ما يبحث في الجوانب النفسية والجوانب التسجيلية لواقع حياة الفنانين. وتحاول النظرية الشكلية أن تبين أن ما يعده الناس البسطاء فناً (من صور الفن الواقعي)، ليس في حقيقته فناً على الإطلاق، وتعتبر أن الأشخاص الذين يتذوقون الفن الواقعي فقط، لم يفهموا الفن بالطريقة الصحيحة، وبالتالي تفوتهم قيمته. وتعارض هذه النظرية أي ارتباط للفن بالحياة ومضامينها. تقول ستوليتز "وترى هذه النظرية أن الفن الصحيح منفصل تماماً عن الأفعال والموضوعات وبأنه عالم قائم بذاته و

مستقل، ومكتفي بذاته، وليس مكلفاً بترديد الحياة والاقتباس منها فقيم الفن لا توجد في أي مجال آخر من مجالات التجربة البشرية." وتقول أستاذة النقد سارة جيل "قدمت النظرية الشكلية طريقة جديدة لتحليل الأعمال الفنية التجريدية التي لم تتمكن النظرية الواقعية في النقد من توضيحها."لقد تخلى النقاد الشكليون عن كل ما يرتبط بالعمل الفني من دراسة تاريخية ومضمون و اتجهوا إلى التعمق في دراسة الشكل وتنظيم العناصر الداخلية في الأعمال الفنية. وبذلك يندرج النقد البنيوي تحت مظلة النقد الشكلي، حيث يقول عطية في هذا الشأن حول النقد البنيوي "فهو يستبعد من موضوعه كل اعتبار حول قصد العمل الفني أو أي علاقة بين هذا العمل والقيم الاجتماعية، بتعبير آخر يعتبر هذا النقد العمل كغرض ما، أو أيضاً كشيء، لا يريد النظر لغير تنظيم و ترتيب المواد التي تؤلفه." وكذلك يعتبر النقد الشكلي أن "قيمة الفن تنحصر في عناصر وسطه، مثل الخط، والمساحة في التصوير، والكتلة والسطح في النحت، أي تلك العناصر التي تتفاعل من أجل تكوين البناء الشكلي لكل عمل فني." وتوضح جانسن هذه النظرية بقولها "هي التحقق من أجزاء العمل الفني التي يمكن تعريفها وتوثيقها كمرجع للحصول على المعلومات، والتي يمكننا قراءتها كوثائق مقروءة أو مكتوبة. إن قراءة خصائص الطراز الشكلي تتضمن حالة ومظهر العمل الفني والخامة والموضوع وشخصية الفنان وأدواته المساعدة، كما وأيضاً مقارنة العمل الفني بأعمال أخرى لنفس الفنان، وأحكام مؤرخي الفن على أعمال أخرى لفنانين من نفس الاتجاه." إلا أن ما يؤخذ على هذه النظرية، أنها لم تقدم تبريرات مقنعة حول الاستجابة الجمالية للأعمال التجريدية (أي لماذا هي جميلة؟). فقد كان النقاد الشكليون يصفون استجاباتهم الجمالية بأنها وبكل بساطة انجذاب، لذلك فقد حاولت جيل أن تبرر هذه الاستجابة بقولها:"في محاولة مني لتبرير الاستجابة الجمالية للنظرية الشكلية فأنا أقترح بأن الطريقة التي نستجيب بها لجمال الشكل في العمل الفني نابعة من حواسنا وتجربتنا السيكولوجية. وقد كان بِلْ قد اقترح أن ما قصده من الفاعلية الشكلية يرجع إلى المثالية الأفلاطونية في قوله إن الفاعلية الشكلية تقع حيث نجد الحس بالحقيقة الجوهرية، وأن الحقيقة موجودة في مظاهر الأشياء." وعلى أي حال فإن جيل ترجع الاستجابة الجمالية للنظرية الشكلية إلى التفضيل الشخصي الذي يعتبر واحداً عند الجنس البشري فهي تعتقد أن الأفراد سواء أعاشوا في أفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا، سوف يكون لهم نفس الاستجابة الجمالية للشكل الجميل. فقيم الجمال واحدة عند البشر وهي(الترتيب والنظام في الأشكال، والتكوين سواء اتسم بالاستقرار أو بالحركة، والاتزان، و التناظر، والإيقاع، والتنوع في الوحدة،.. الخ. وبذلك فإن النقد هو سرد تفاصيل

حول العمل الفني لتوضيح الأسباب التي تجعل الناقد قادر على إقناع المتلقي بجودة العمل الفني أو الحكم بقبحه. فإذا ما تمكن الناقد من تحليل العمل الفني للبحث عن المفاهيم الكامنة وراء الشكل، أو تأليف صياغة لغوية تلفت الأنظار وتعبر عن الصيغ الشكلية واللونية وتقديمها كحجج أو مسلمات تؤيد أو تفند أحكامه على العمل الفني فسوف نطلق على ما يقوم به مسمى النقد الفني. وهذا لا ينطبق على ممارسات بعض الكتاب الذين يحاولون تقديم أنفسهم كنقاد فنيين في الحركة الإبداعية(محمد القدس-ص95). وينخدع الكثير من القراء بالقدرات اللغوية التي يتمتع بها بعض هؤلاء في الكتابة وتنميق الكلمات في صالح بعض الفنانين وضد البعض الآخر.وفي الحقيقة أن الكتابة حول شخصية الفنان وتاريخه الفني لا تعد جزءاً أساسياً من النقد ولكنها تعد من الحجج التي يستطيع أن يوردها الناقد ليقنع المتلقي بما يقدمه أو قدمه ذلك الفنان. وفي سعي الناقد ليحقق الهدف بإقناع المتلقي بقيمة العمل الفني من الناحية الجمالية أو بعدم صلاحيته فإنه لا يجب أن يخلط بين مايراه في العمل الفني وبين استجاباته كشخص، فإذا كان يتحدث من خلال انطباعاته الشخصية فإن كل ما سيقوله سيكون مجرد خداع للمتلقي، وذلك لأن حكمه النهائي على العمل الفني إنما هو رأي لم يتكون من خلال الحجج والبراهين المتوافرة في بنية العمل الفني. أما إذا استطاع الناقد أن يثبت لنا كيف تحقق من القيم التي أيدت الحكم، وما إذا كانت مطلقة في العمل، وأنها ثابتة نستطيع التحقق منها في كل حين وإثباتها ولفت نظر الأشخاص الذين لم يجدوا في العمل الفني قيمة ما، فنتمكن من خلال تلك الحجج من تصحيح وجهة النظر المخالفة أو المعارضة للعمل الفني. فإذا لم يكن النقاد والمتلقون قادرين على الاتفاق على هذه الأسس فإن مناقشاتهم لن تنتهي حول الأعمال الفنية والفنانين وآراءهم حولها. وأذكر أن بعض النقاد قد كان لهم رأي في عمل أحد الفنانين الكبار، الذي وجدوا فيه كبوة في إنتاجه، إلا أن بعض المتلقين والفنانين لم يقبلوا بذلك الرأي لأنهم أثبتوا جودة أعمال ذلك الفنان من خلال معرفتهم به واقتناعهم بأعماله السابقة التي لم يستنكر أحد جودتها وقيمتها، فكانت مناقشاتهم قريبة من الحرب الكلامية في الأخذ والرد على رأي هؤلاء وأولئك. لم تكن القدرة على إثبات الحجج هي الفاصل في تلك النقاشات بل كانت القناعات بأحكام سابقة على الفنان وتاريخه الفني. وكان الأجدر أن تكون الأسس والحجج النقدية هي التي ينطلق منها الطرفان للقبول بما يقوله الطرف الآخر. كما يقول(جيروم ستوليتز-ص264):"لماذا نحكم و ننقد؟ لماذا لا نقبل العمل الابداعي،المرئي أو المسموع على ما هو عليه؟، و نكتفي بالاستمتاع به إلى أقصى حد ولماذا يتعين علينا أن نثرثر حوله ونحاول الاهتداء إلى مآخذ عليه ونقيس قيمته الشكلية والمضمونيه بدقة؟" ثم يجيب

فيقول:"قد يكون من أسباب ذلك أننا نستمتع بالكلام عن الأعمال التي نتعرض اليها بالمشاهدة أو بالاستماع ، فهذه مسلاة لا ضرر فيها، ومن الممكن المضي فيها بقدر كبير من التعمق والتعقيد. أي أننا بعد أن نكون قد استمتعنا بمزايا التعرض في التجربة الجمالية ، نميل إلى إعمال الفكر فيها من خلال تفسيرها أو تقديرها...وفضلا عن ذلك فإن لأحكامنا التفسيرية او التقويمية وجهاً اجتماعيا. فنحن نشترك مع الآخرين فيما نحبه ونكرهه...والأهم من ذلك أننا ندعوا الآخرين لكي يأتوا بدورهم حتى نستطيع أن نختبر استجاباتنا الخاصة الناتجة عن عملية التعرض فنحن نود أن تتأكد أحكامنا.

النتائج والخاتمة: النقد أصبح قراءة مركبة تعتمد الفكر والخيال والثقافة و المعرفة وعلى الموقف الخاص والظرف الاجتماعي والسياسي .

- ليس من السهل الاعتماد على آلية من آليات النقد لتسمية القراءة نقدية، فالنقد لا يعتمد في دراسة الواقعة الجمالية على الذائقة والمشاعر واللذة فحسب وهي حالات حسية، بل لابد أن يعتمد أيضا على قراءة موضوعية وذلك لتحديد القيم الجمالية إذ أن النقد هو ادراك لقيمة العمل في حياة الإنسان .

- الأعمال البصرية أو السمعية،واقعية أو غير واقعية ، ليس من مهامها نقل ما هو مألوف ولكن بوصفها تقدم عالما جديدا من الرؤى التي تجدد المعرفة بالأشياء حتى وان كانت تختلف عن الواقع.

- النقد يقدم قراءة جديدة للعمل الإبداعي شكلا ومضمونا لم يكن صانع العمل قد قصده أو توقع طرحه. كون مهمة الناقد أن يكتشف ما هو الممكن في النص أو العمل وأن يقرأ بعين العام الجمعي في عين الخاص الفردي.

- الناقد غالبا ما يتجه إلى الكشف عن الجوانب الغامضة والملتبسة في المنتج ويفسرها ويعيد خلق مفاهيم جديدة تسهم في إعادة صياغة الاثر الناتج عن التلقي .

- أصبح من الضرورة بمكان استيعاب القيم المعاصرة والمتطلبات الحتمية لتولي المؤسسات التعليمية لتضمين مقررات تدريسية تختص بالقراءات الجادة والموضوعية بشكل منهجي ذلك للرفع من مستوى الاعمال

الاتصالية واستبانة الطرح فيها الذي يؤدي بالضرورة إلى الرفع من مستوى الوعي المعرفي لدى المتلقي .

المراجع:

1- أحمد كمال زكي, نقد دراسة وتطبيق ,المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر, دار الكتاب العربي للطباعة والنشر. القاهرة ,د ت . ص34-65-132.
2- أرنست فيشر , ضرورة الفن ,ت. اسعد حليم, الهيئة المصرية العامة للكتاب, القاهرة . ص53.
3- جيروم ستوليتز, النقد الفني دراسة جمالية وفلسفية ,ت. فؤاد زكريا, الهيئة المصرية العامة للكتاب, مصر1981. ص 30-243-252-264.
4- حلمي علي مرزوق, تطور النقد و التفكير الادبي الحديث في مصر ,دار المعارف , القاهرة 1966. ص13-35-463-321-42-261. .
5- زكريا ابراهيم , مشكلة الفن , دار مصر للطباعة, القاهرة1959 . ص132.
6- زينات بيطار , الاستشراق في الفن الرومانسي الفرنسي, عالم المعرفة , الكويت 1992 . ص53.

7-عبدالعزيز عزت , الفن وعلم الاجتماع , مطبعة كوستا توماس , القاهرة 1948. ص32.

8- علي عبد العاطي, مشكلة الابداع الفني, دار الجامعات المصرية, الاسكندرية 1977. ص27-89.
9- .محمد كامل القدس ,محمد خير الدرع , الفن الذي يحتاجه الشعب , دار اليقظة للتأليف والترجمة , دمشق 1961. ص138-78-95.

10- محمد عبدالعزيز نظمي سالم, القيم الجمالية , دار المعارف , مصر1984 . ص.34

11- محمود البسيوني , التربية الفنية والتحليل النفسي , دار المعارف , مصر1972. ص26-36-63-44-125-145

12-محي الدين احمد حسين , القيم الخاصة لدى المبدعين , دار المعارف , مصر1981 .ص84_64.
13- هيجل , الفن الرمزي , ت. جورج طرابيشي ,دار الطباعة , بيروت1979 . ص97-183-231.

14- يوسف خليفة غراب، المدخل للتذوق والنقد الفني، دار أسامة، الرياض، 2001. ص63.

تحسين جودة الخدمات المصرفية: مدخل تحليل اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني (دراسة ميدانية على مصرف شمال أفريقيا وفرعه بجنزور).

د. خالد مسعود يحي الباروني -أستاذ الإدارة الإستراتيجية المشارك/ كلية الاقتصاد/ جامعة طرابلس

مستخلص الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى تحليل طبيعة العلاقة بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية في عينة من القطاع المصرفي الليبي، وهي الإدارة العامة لمصرف شمال افريقيا وفرع المصرف بجنزور، وإستهدفت الدراسة القيادات الإدارية بالمصرف، وبلغت عينة الدراسة 51 مفردة هي القيادات الإدارية بالإدارة العامة وفرع المصرف بجنزور، وتم تحليل عدد 40 صحيفة إستبانة، وهدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، والتعرف على تأثير اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني في مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بعينة الدراسة. تم استخدام برنامج التحليل الاحصائي للعلوم الإجتماعية (SPSS) في تحليل البيانات الأولية المجمعة بواسطة صحيفة الإستبانة ، ومن أهم نتائج هذه الدراسة:

1.أن هناك انخفاضا في مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

2.هناك انخفاضا في مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

3.هناك ارتفاعا في مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني.

4.وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني.

5.وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني.

6.وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية.

7.وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية.

8.وجود علاقة طردية موجبة بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني و مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

المقدمة:من أهم المظاهر التي يشهدها العالم العربي في هذه الفترة هو الاهتمام بالتغيرات والمستجدات المتمثلة في تطوير التقنية بمعداتها واستخداماتها الواسعة. ومن أحدث وأهم هذه المستجدات تبني فلسفة حديثة في مجال التسويق وهو التسويق الالكتروني، الذي استطاع خلال السنوات القليلة الماضية أن يكون لهُ الدور البارز في الأعمال التسويقية في مختلف الأنشطة، حيث أثرت هذه التقنية في حياة الأفراد والمجتمعات، وأحدثت فيها تغيرات عميقة من خلال ما يعرف بالشبكات الالكترونية أو الشبكة العنكبوتية "الانترنت". فقد ربطت هذه الشبكة العالم مع بعضه البعض، واختصرت الزمان وقلصت المكان، و أصبحت تحتل حيزاً مهماً في حياتنا اليومية لكونها مصدراً من المصادر المهمة للحصول على المعلومة، وقد نافست في ذلك الوسائل التقليدية في نشر الأخبار والمعلومات،مثل:الجرائد والمجلات والإذاعات (المرئية و المسموعة) ، فقد أفرزت هذه الشبكة مفاهيم جديدة، فإلى جانب اعتبارها مصدر مهم للمعرفة فبإمكانهاأيضاً أن تُستثمر في التسويق لبعض السلع والخدمات، و تأتي في مقدمتها الخدمات المصرفية، حيث أنها تشغل مركز الريادة دوماً. ومن هنا فإن عملية التسويق للخدمات المصرفية الكترونياً تعتبر نقطة البداية في دخول هذه التقنية لأي دولة (برهان،خطاب:2009).إن تسويق الخدمات المصرفية الكترونياً بمعناها الواسع ليست مجرد تسويق للخدمات المالية التي يقدمها المصرف فحسب، بل هي عملية توعية وتثقيف المجتمعات بأهمية الخدمات المصرفية، واقناعهم بضرورة تطوير هذه الخدمات وأهمية دخول التقنية عليها للتحسين من جودتها والرفع من مستواها، فقد أصبح الاحتياج كبيراً لنوعية جديدة من الخدمات المصرفية غير التقليدية التي تتجاوز نمط الأداء الاعتيادي، بحيث يسهل على العميل أداء خدماته المصرفية بكل ثقة ورضا عن الخدمة المقدمة لهُ. وهذا ما يمثل أهم تحد في ميدان الخدمات المصرفية، حيث بدأت المصارف تتسابق من أجل تقديم خدماتها المصرفية على أحدث ما توصلت إليه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات مما أدى لانتشار تطبيق مفهوم التسويق الالكتروني في الخدمات المصرفية للتعريف بهده الخدمات للعملاء.من هنا جاءت هذه الدراسة لقياس مستوى جودة الخدمات المصرفية التي يقدمها المصرف قيد الدراسة (المتغير التابع)، من خلال تحليل علاقة مستوى تطبيق

التسويق الالكتروني وقياسه (المتغير المستقل)، واتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني(المتغير الوسيط)،ومستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات اللازم لتطبيق التسويق الالكتروني(المتغير الوسيط)، بالمتغير التابع (مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة).

الإطار العام ومنهجية الدراسة:

مشكلة الدراسة:من خلال عرض الدراسات السابقة المتعلقة بالتسويق الالكتروني وبجودة الخدمات المصرفية الكترونياً، ونظراً لأهمية وحداثة موضوع تأثير التسويق الالكتروني على جودة الخدمات المصرفية، حيث تعد هذه الدراسات أحد السبل المهمة لتطوير أداء المصارف الليبية، ومن خلال الزيارة الاستطلاعية التي قام بها الباحث، اتضحت بعض المظاهر التي تشير إلى وجود مشكلة تستوجب الدراسة، منها قصور مصرف شمال أفريقيا في تطبيق أساليب التسويق الالكتروني بالمصرف، مما أدى إلى ضعف مستوى جودة هذه الخدمات. ومن مظاهر مشكلة الدراسة التي تشير لوجود مشكلة في مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة (المتغير التابع في هذه الدراسة) ما يلي:

- زيادة عدد شكاوى العملاء من البطء في إجابة المصرف عن استفساراتهم وطلباتهم الكترونياً، وهذه الشكاوي تم معرفتها من خلال صندوق الشكاوي بالمصرف.
- انخفاض مستوى الإقبال على الخدمات الجديدة التي يقدمها المصرف قيد الدراسة، مثل خدمة معرفة الرصيد المصرفي الكترونياً، وخدمة شحن ارصدة الهواتف النقالة، وخدمة فتح الحسابات وتحويل الأرصدة الكترونياً.
- انخفاض عدد البطاقات الائتمانية التي تم إصدارها لزبائن المصرف الكترونياً.
- العدد المحدود من الدورات التدريبية في مجال تحسين جودة الخدمات المصرفية والتسويق الإلكتروني الموجهة للعاملين والقيادات الإدارية بالمصرف ، مما يشير إلى ضعف اتجاهات القيادات الإدارية نحو تحسين جودة الخدمات المصرفية و تطبيق التسويق الالكتروني.
- وجود عدد قليل جداً من المتخصصين في مجال تقنية المعلومات والاتصالات بالمصرف قيد الدراسة.
- عدم وجود دليل للجودة بالمصرف قيد الدراسة وفرعه بجنزور.

- انخفاض مستوى البرمجيات وعدم تحديثها بالمصرف قيد الدراسة، حيث تعد البرمجيات ومنظومات الاتصالات الأساس لتطبيق برامج وتقنيات التسويق الالكتروني وتحسين جودة الخدمات المصرفية.

من هنا فإن مشكلة الدراسة تتبلور في الإجابة عن التساؤل التالي:ما هي العلاقة بين إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني و مستوى جودة الخدمات المصرفية؟.

أهداف الدراسة: هدفت هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. التعرف على اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.
2. التعرف على طبيعة العلاقة التأثيرية بين مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.
3. التعرف على طبيعة العلاقة التأثيرية بين مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.
4. التعرف على طبيعة العلاقة التأثيرية بين مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات ومستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.
5. التعرف على طبيعة العلاقة التأثيرية بين مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.
6. التعرف على طبيعة العلاقة التأثيرية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.
7. الإسهام في تقديم بعض الحلول والتوصيات التي من شأنها مساعدة إدارة المصرف قيد الدراسة لتبني مفهوم التسويق الالكتروني مدخلاً لتحسين جودة االخدمات المصرفية.

فرضيات الدراسة: بنيت الدراسة على الفرضيات التالية:

- **الفرضية الرئيسية: "هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة".**

وقد تم ترجمة هذه الفرضية إلى أربع فرضيات فرعية وهي:

- **الفرضية الفرعية الأولى:**"هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة".

- **الفرضية الفرعية الثانية:**"هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات واتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة".
- **الفرضية الفرعية الثالثة:**"هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة".
- **الفرضية الفرعية الرابعة:**"هناك علاقة ذات دلالة احصائية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة".

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة فيما يلي:

1. هذه الدراسة مهمة كونها تعالج ظاهرة يعاني منها كثير من المصارف في ليبيا، وهي ظاهرة انخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية.
2. هذه الدراسة تسلط الضوء على متغير مهم لإحداث تطوير في مستوى جودة الخدمات المصرفية، هذا المتغير هو التسويق الالكتروني وبعض العوامل الوسيطة المؤثرة فيه، مثل إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، ومستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات.
3. هذه الدراسة مهمة كونها إضافة إلى علم الإدارة في مجال التسويق الالكتروني وجودة الخدمات المصرفية، والعوامل الوسيطة المرتبطة بهما.

منهجية الدراسة:اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي، حيث إن هذا المنهج أكثر ملاءمة لطبيعة متغيرات الدراسة، إذ يهدف هذا المنهج إلى جمع الحقائق والبيانات حول متغيرات الدراسة مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيراً كافياً، وتحليلها واستخلاص دلالتها. وتم مراجعة الدراسات السابقة ذات الصلة بمتغيرات الدراسة من كتب ورسائل علمية ودراسات وأبحاث ودوريات، وتحديد مصطلحات الدراسة تحديداً دقيقاً بحيث يمكن الوصول الى فهم عام لمتغيرات الدراسة.تم تحليل البيانات الأولية للدراسة إحصائياً باستخدام الأساليب الإحصائية المتعارف عليها:(الإحصائي الوصفي،والإحصاء التحليلي أوالاستدلالي)، لإثبات فرضيات الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها، وتم تجميع البيانات الأولية باستخدام صحائف الاستبيان.

حدود الدراسة:

الحدود المكانية:تمثلت في الإدارة العامة لمصرف شمال إفريقيا وفرع المصرف بجنزور.

الحدود الموضوعية:ركزت هذه الدراسة على تحليل العلاقة بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني وجودة الخدمات المصرفية

بالمصرف قيد الدراسة، وتم تصميم الإستبيان ليغطي أبعاد جودة الخدمات المصرفية المتمثلة في:الملموسية، الضمان، التعاطف، الاعتمادية، الاستجابة.

الحدود الزمنية:استغرقت هذه الدراسة أربعة شهور من العام 2016م لإنجازها في صورتها النهائية، وتضمنت هذه الفترة الدراسة الإستكشافية وصياغة مشكلة الدراسة وفرضياتها وتحديد منهجيتها، وتصميم الاستبيان، وجمع البيانات وتحليلها، والخروج بنتائج وتوصيات الدراسة.

مجتمع الدراسة وعينته: تمثل مجتمع الدراسة في جميع القيادات الإدارية بمصرف شمال أفريقيا وفرعه، والبالغ عددهم 670 على مستوى المصرف وفرعه، أما عينة الدراسة قصدية شاملة بلغت 50 مفردة، هم كل القيادات الإدارية بالإدارة العامة وفرع المصرف بجنزور.

أنموذج الدراسة:

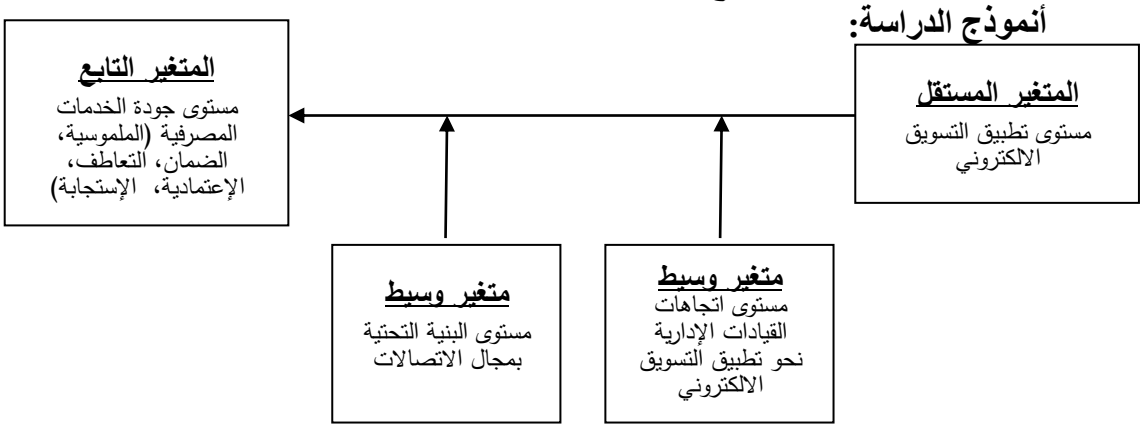

شكل رقم (1) أنموذج الدراسة

التعريفات الإجرائية المستخدمة في الدراسة:إعتمد الباحث بهذه الدراسة التعريفات الإجرائية التالية:

1. التسويق الالكتروني: هو استخدام إمكانات شبكة الانترنت وشبكات الاتصال المختلفة والوسائط المتعددة في تحقيق الأهداف التسويقية مع ما يترتب على ذلك من مزايا جديدة وإمكانات عديدة (إبراهيم، 2008: 299).

2. جودة الخدمات:هي مجموعة الخصائص والمواصفات التي يجب أن تتوافر في الخدمات التي يتم تقديمها بما يفي باحتياجات العملاء الحاليين والمرتقبين (عسكر، عميش: 2006).

3. الجودة: هي مجموعة المزايا والخصائص الخاصة بالمنتج أو الخدمة، التي تسهم في إشباع رغبات المستهلكين، وتتضمن السعر والأمان والتوفر و الموثوقيه والاعتمادية والقابلية للاستعمال. (الدرادكة، الشلبي، 2002: 16).

4. التسويق المصرفي: يتضمن مجموعة الأنشطة التي تضمن وبالتعاون مع الوظائف الأخرى استمرار تقديم الخدمات المصرفية إلى العميل في الوقت والمكان المناسبين، وبالجودة المطلوبة وبأقل تكلفة ممكنة. (رمضان، جودة، 2003: 303).

5. الخدمات المصرفية: هي مجموعة من الأنشطة والعمليات ذات المضمون المنفعي الكامن في العناصر الملموسة وغير الملموسة والمقدمة من قبل المصرف، والتي يدركها المستفيدون من خلال ملامحها وقيمها المنفعية والتي تشكل مصدراً لإشباع حاجاتهم ورغباتهم المالية والائتمانية الحالية والمستقبلية (العجارمة، 2005: 32).

6. الخدمات: منتجات غير ملموسة يتم تبادلها مباشرة من المنتج إلى المستعمل، ولا يتم نقلها أو خزنها، وهي تقريباً تفنى بسرعة (سويدان، حداد، 2003: 226).

الخدمات المصرفية: هي مجموعة من الأنشطة والعمليات ذات المضمون المنفعي الكامن في العناصر الملموسة وغير الملموسة والمقدمة من قبل المصرف.

7. المصرف: هي تلك المنظمة التي تتبادل المنافع المالية مع مجموعات من العملاء بما لايتعارض مع مصلحة المجتمع وبما يتماشى مع التغير المستمر في البيئة المصرفية"(الصيرفي،7:2007)،وهو في هذه الدراسة الإدارة العامة لمصرف شمال إفريقيا وفرعه بجنزور.

8. القيادات الإدارية: هم متخذو القرارات اللذين يقومون بالتأثير في مرؤوسيهم لإقناعهم وحثهم على الإسهام الفعال بجهودهم للقيام بنشاط متعاون (زيادة، 2004: 272).

9. الاتجاهات: هي عبارة عن تكوينات ثابتة نسبياً من المعتقدات والمشاعر والنوايا السلوكية حول أشياء موجودة في البيئة (ماهر، 2006: 225).

10. اتجاهات القيادات الإدارية: هو ميل القائد أو المدير للاستجابة فكراً وسلوكاً نحو المنهج العلمي والتوجه العالمي، وهو الاستعداد الذهني للمديرين لتبني فلسفة إدارية وتنظيمية وتطبيقها (بواشري، 2005: 127).

11. الاعتمادية:

هي قدرة مقدم الخدمة على أدائها بشكل يمكن الإعتماد عليها وبدرجة عالية من الدقة (الضمور، 2008: 365).

12. الاستجابة: هي القدرة على تلبية الإحتياجات الجديدة أو الطارئة للمريض من خلال المرونة في إجراءات ووسائل تقديم الخدمة (المحياوي، 2006: 94).

13. الضمان: هي السمات التي يتسم بها العاملون من معرفة وقدرة في تقديم الخدمة (البكري، 212:2005).

14. التعاطف: يقصد به درجة الرعاية والاهتمام الشخصي بالزبون (البكري، 212:2005).

15. الملموسية: هي حداثة وجاذبية المباني والتصميم الداخلي والتطور التقني للمعدات والأجهزة وغيرها من التسهيلات المادية المستخدمة في إنتاج الخدمة، ومظهر العاملين في مواقع الخدمة (إدريس، 2006: 294).

الإطار النظري والدراسات السابقة:

التسويق الالكتروني: تعددت تعريفات التسويق الالكتروني حيث عُرف بأنه عبارة عن "استخدام الانترنت والتقنيات الرقمية المرتبطة به لتحقيق الأهداف التسويقية وتدعيم المفهوم التسويقي الحديث" (أبوالنجا، 2008: 81).وعرف أيضاً بأنه "استخدام إمكانات شبكة الانترنت وشبكات الاتصال المختلفة والوسائط المتعددة في تحقيق الأهداف التسويقية مع ما يترتب على ذلك من مزايا جديدة وإمكانات عديدة" (إبراهيم، 2008: 299).أما كيلر فيعرفه بأنه "استخدام قوة شبكات الاتصال المباشر واتصالات الحاسب والوسائل التفاعلية الرقمية لتحقيق الأهداف التسويقية" (أحمد، 2009: 132). ويمكن تعريف التسويق الالكتروني بانه عملية الاستخدام والتطوير الفعال (وفق رؤية رقمية و اضحة) والكفوء (مقدرة جوهرية) للموارد التسويقية الرقمية (الخبرات، المعارف، الافراد،القواعد، البيانات، العلاقات....وغيرها)، والأدوات المتاحة على الانترنيت من اجل تحقيق ميزة تنافسية في سوق الأعمال الالكتروني (نجم،2004: 325). ويعرف التسويق الالكتروني أيضاً بأنه تطبيق الانترنيت والتقنيات الرقمية ذات الصلة لتحقيق الاهداف التسويقية. (العلاق،2002: 19).كما يعرف التسويق الالكتروني بأنه "الاستخدام الأمثل للتقنيات الرقمية، بما في ذلك تقنيات المعلومات والاتصالات لتفعيل انتاجية التسويق وعملياته المتمثلة في الوظائف التنظيمية والعمليات والنشاطات الموجهة لتحديد حاجات الأسواق المستهدفة، وتقديم السلع والخدمات إلى العملاء وأصحاب المصلحة في المنظمة".(الطائي واخرون، 338:2006-339).كما يعرف التسويق الالكتروني بأنه عملية استخدام شبكة الإنترنت والتكنولوجيا الرقمية لتحقيق الاهداف التسويقية للشركات وتدعيم المفهوم التسويقي الحديث، وبالتالي يمكن للمسوقين عبر الانترنت أن يقوموا بنشر المعلومات عن منتجاتهم وشركاتهم بسهولة اكبر وحرية اكبر مقارنة بالتسويق التقليدي، لذلك اصبحت المنافسة في عصر الانترنت أقوى وأشد بشكل لا يمكن تصديقه، ولا يمكن التنبؤ به (ابو قحف، وآخرون، 2006: 427).لذا يمكن إعتبار التسويق الالكتروني بأنه

تكنولوجيا التغيير، وذلك لما حدث من تحولات جوهرية في مسار و تطبيقات و فلسفة التسويق التي يمكن تحديدها فيما يلي (عبد الغني،2005: 5):

أ. إن عملية التبادل التقليدية تبدأ بالمسوقين وتنتهي بهم حيث يسيطرون على الأمور، أما في عصر الإنترنت أصبح العملاء يحددون المعلومات التي يحتاجونها والعروض التي تستجيب لحاجاتهم ورغباتهم، والأسعار التي تلائمهم، لذا أطلق على التسويق الالكتروني مصطلح التسويق المعكوس Reverse marketing.

ب. إن المعايير المستخدمة لتقويم أداء الأنشطة التسويقية أصبحت تحتل مكانة أعلى في عصر الإنترنت، حيث أن العملاء من خلال المواقع الالكترونية يبحثون عن منتجات ذات جودة عالية وبأسعار مناسبة وخدمات أسرع وأفضل.

جـ. لم تعد التبادلات التسويقية تدور حول عملية تبادل منفردة، بل أصبح المسوقون في عصر الإنترنت يعملون باتجاه إشباع الحاجات والرغبات من خلال تقديم حزم سلعية وخدمية متنوعة ذات قيمة مضافة يدركها ويقدرها العملاء. ويرى آخرون بأن مفهوم التسويق الالكتروني لا يختلف عن المفاهيم الأخرى للتسويق، إلا فيما يتعلق بوسيلة الاتصال بالعملاء، حيث يعتمد التسويق الالكتروني على شبكة الانترنت كوسيلة اتصال سريعة وسهلة وأقل تكلفة.(طايل،13،2006).فالتسويق الإلكتروني يعتمد بشكل أساسي على الإنترنت (Internet Based Marketing)في ممارسة كافة الأنشطة التسويقية كالإعلان/البيع/ التوزيع/بحوث التسويق/تصميم المنتجات الجديدة/ التسعير وغيرها.

مميزات التسويق الالكتروني: من أهم مميزات التسويق الالكتروني ما يلي: (أبو قحف، وآخران، 2006: 431-433).

1. رخص أسعار المنتجات التي يتم تسويقها عبر شبكة الانترنت مقارنة بالسلع الأخرى المباعة باستخدام الكتالوجات المرسلة بالبريد أو المباعة من خلال المتاجر التقليدية. فتجارة التجزئة على الانترنت عملت على تخفيض التكاليف الثابتة، والتكاليف الإدارية من خلال تقديم المنتجات على شبكة الانترنت، و تفسير ذلك أن التسويق الالكتروني لا يحتاج إلى وجود متجر مادي للتعامل معه، وبالتالي تختفي بعض أنواع المصروفات مثل الإيجار، والكهرباء وأجور العمالة، مما ينعكس في النهاية في شكل تخفيض الأسعار وتحقيق مزايا تنافسية.

2. يساعد التسويق الالكتروني المستهلكين على التسوق على مدار 24 ساعة، كما يوفر مدى واسعا أو تشكيلة كبيرة من المنتجات أو الماركات أو العلامات التجارية وذلك بخلاف التسويق التقليدي.

3. يمنح التسويق الالكتروني المستهلكين الفرصة لإجراء مقارنات لأسعار المنتجات قبل شرائها بشكل أفضل وأسرع، حيث لا يبذل المستهلكون جهداً و وقتاً كبيراً مقارنة بما كان يحدث عند التجول عبر المحلات التجارية لمقارنة الأسعار.
4. يساعد التسويق عبر الانترنت المستهلكين الذين لا يتوافر لديهم الوقت الكافي للتسويق مثل المرأة العاملة أو رجال الأعمال في الوصول إلى ما يرغبونه من منتجات بأسرع وأسهل وسيلة.
5. يساعد التسوق عبر الانترنت على التغلب على الحواجز الجغرافية، حيث يمكن للمستهلكين معرفة المتاح في الأسواق من منتجات وخدمات حتى خارج حدود المدينة السكنية التي يعيشون بها، حيث يمكنه معرفة ما هو متاح على مستوى السوق القومي أو السوق العالمي كما هو الحال في مواقع الانترنت الشهيرة، أي إمكانية توسيع الأسواق التي يتعاملون فيها.
إما من وجهة نظر الشركات التي تتعامل بالتسويق الالكتروني فهي تحصل على مجموعة من المزايا تتمثل في:
1. التكامل Integration:فالتسويق الالكتروني هو صورة جيدة للتسويق المتكامل، حيث أنه يمد المسوقين بإجابات عن القضايا المتعلقة بالمسؤولية و العائد على الاستثمار ومدى اتساق الرسالة مع حاجات العملاء، فهو يسمح للمسوقين بالقيام بالاختبارات والبحوث المسحية لتحسين جودة الخدمة و المعلومات التي يحتاجها العملاء، ويساعد على تكامل الأنشطة التسويقية في الشركات.
2. بناء حق ملكية للعلامة التجارية Building brand equity: وهذه الميزة تناسب بشكل اكبر الشركات الصغيرة التي يمكنها ان تتنافس مع الشركات الكبيرة على الانترنت، وذلك لأن العملاء يعرفونها فقط من خلال جودة الخدمات التي يقدمونها على الانترنت.
3. علاقة فرد لفرد one – to –one relationship: حيث يمكن من خلال التسويق الالكتروني التفاعل مع العملاء بصورة فردية وكأنها حوار بين فرد و فرد، مما يساعد على بناء العلاقات مع العملاء بطريقة شخصية لفترات طويلة.
4. الفعالية Effectiveness : التسويق الالكتروني يتميز بالفعالية العالية وذلك لأنه يجعل العملاء في حالة انتباه وتركيز تام طوال الوقت، حيث ان أعينهم على الشاشة وأيديهم على لوحة المفاتيح، فهو موقف بيع متميز جداً ونادر حدوثه في الواقع.
معوقات تطبيق التسويق الالكتروني: على الرغم من المنافع والمزايا التي يقدمها التسويق الالكتروني لكل من المستهلك والمسوق، إلا أن هذا لا يمنع من

وجود العديد من العوامل التي قد تعوق ممارسة هذا النوع من التسويق. ويمكن تلخيص البعض منها فيما يلي: (أبوالنجا، 2008).

1. عدم توفر البنية الأساسية لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات: ويُعد هذا من أحد العوائق التي تسهم في عدم ممارسة التسويق الالكتروني سواء من قبل الشركة أو من قبل المستهلكين، حيث أن فرص استخدام الانترنت المتاحة للمستهلكين والقدرة على استخدامه غير متساوية في كل دول العالم، كما أنها ليست متاحة بالقدر بنفسه لكل المستهلكين في الدولة الواحدة، بالإضافة إلى عدم توافر القدرة المادية أو المالية للمستهلكون للمشاركة في الأسواق الالكترونية، حتى لو كان هؤلاء المستهلكين لديهم الرغبة في المشاركة في هذه الأسواق. و من العوائق التي نلاحظها في هذه النقطة أيضاً وجود قصور في نضم الاتصالات بعيدة المدى (ضعف نظم الاتصال بعيد المدى) حتى لو كان الانترنت متاحاً، ويلاحظ أن هذا العائق يمكن أن يكون موجوداً على الرغم من الوعي والاعتراف بأهمية الاتصال بعيد المدى للمنظمة والدولة للوصول إلى أسواق ومجتمعات جديدة.

2. مستوى الأمية الخاصة بالكمبيوتر:وقد يرجع انخفاض هذا المستوى إلى بعض العوامل مثل:

أ. نقص التعليم الخاص بالكمبيوتر.

ب. انخفاض درجة الرغبة في قبول تكنولوجيا جديدة.

ج. انخفاض نسبة المستهلكين القادرين أو الراغبين في المشاركة بالأسواق الالكترونية.

3. عدم توفر عنصر الأمان: يعتبر هذا العامل من أهم العوائق التي تمنع بعض المنظمات والمستهلكين من المشاركة في التسويق الالكتروني، وذلك بسبب شعورهم بأن درجة أو مستوى المخاطر التي يتحملونها غير مقبولة. ومن هنا أكد كل من روهم وبيرنيل (Rohm and Pernul) كما يشير (أبوالنجا، 2008: 200) على ضرورة توفير أسواق إلكترونية أمنة، حيث يرون بأنه على الرغم من أن الانفتاحية تمثل أحد أهم المزايا الخاصة بالانترنت، إلا أن ذلك يعمل على ظهور المخاطر الأمنية للمعلومات والرسائل التي يتم إرسالها عبر الانترنت، والتي يمكن اعتراضها أو تغييرها، الأمر الذي يعني عدم توافر عناصر الثقة والسلامة والصدق لتلك الرسائل. ويرى ويستلاند (Westland) كما أشار (أبوالنجا، 2008: 202) بأن مخاطر المعاملات تنشأ عندما تفشل الأسواق في تحقيق واحد أو أكثر من هذه العناصر (الأمان في الدفع مقابل المنتج "السلعة/ الخدمة"، وأداء الخدمة بشكل مناسب، توصيل المنتج "السلعة/ الخدمة" في الوقت وبالجودة المناسبة) أثناء القيام بالتعاملات الالكترونية، و

يوضح (أبوالنجا، 2008: 203) بأن انجيليديس (Angelides) يشير "إلى أن يأتي الوقت الذي تحل فيه تلك المشاكل فأن عنصر عدم التأكد سيظل أحد العوائق المحيطة باستخدام تكنولوجيا الانترنت في العمليات التسويقية"، وذلك لان نجاح الأسواق الالكترونية تعتمد وبشكل كبير على عنصر الأمان، ويتطلب مستويات مرتفعة من الثقة الخاصة بالتعامل.

خصائص جودة الخدمات المصرفية:في الواقع العملي ليست هناك مستويات ثابتة ومستقرة لجودة السلع والخدمات، وهذا ما يجعل تقويم جودة الخدمة أمراً صعباً، وذلك لان الجودة دائمة التغيير مرتبطة بالحاجات والرغبات المتزايدة للمستهلكين، ونظراً لان الحاجات الإنسانية ليست محددة فإن الجودة تعتمد على أسس ومبادئ ومرتكزات يتم من خلالها تدعيم الجودة وتحديد الأبعاد المستهدفة وتتمثل في التالي: (حمود، 2002: 69).

1. الجودة تمثل مدخلاً شاملاً لكافة الأنشطة المرتبطة بالمنظمة، حيث تتضمن إسهام (القطاعات التشغيلية والإنتاجية والتسويقية والتمويلية.... الخ)، من خلال إسهامات كافة المستويات التنظيمية.
2. الجودة تمثل مدخلاً لاستمرارية التحسين والتطوير في القرارات التنافسية والفاعلية في الأداء والكفاءة في الانجاز على مستوى المنظمة ككل.
3. الجودة تعتمد القواعد الفكرية والإدارية الهادفة في التخطيط والتنظيم والتنسيق والتكامل للجهود الفردية والجماعية لمختلف الأنشطة التي تعتمدها المنظمة.
4. تعتمد الجودة على الإسهام والمشاركة والتعاون والترابط والتكامل بين كافة المستويات التنظيمية والإدارية والفنية في المنظمة في إنجاز الأعمال، حيث تعتبر المرتكز الأساس لبناء الجودة التي تحقق أهداف المنظمة.
5. تعتمد الجودة على اكتشاف الأخطاء والانحرافات أثناء العملية الإنتاجية ومحاولة معالجتها قبل تفاقمها، بدلاً من التفتيش والفحص بعد إنجاز العمل.
6. تعتمد الجودة على فرق العمل في التحسين المستمر لمستوى الخدمة المقدمة، بعكس الطابع الفردي فهو ليس له الدور البارز في تطوير الأداء، حيث يعد العمل الجماعي أكثر عطاء وتطويراً للمنظمة.
7. تمثل الجودة مدخلاً يقوم على فاعلية المشاركة والإقناع لكل العاملين ولكل المعنيين بالإسهام في إنجاز الجودة الملائمة، وهذا لا يتم بالقوى والإكراه بل بالفهم والاقتناع الذاتي للفرد والجماعة.

محددات جودة الخدمات المصرفية:يمكن الإشارة إلى محددات جودة الخدمة في خمسة متغيرات رئيسة تتمثل في التالي:(سويدان، حداد، 2003: 231).

1. **المحدد المادي:**وهي الأمور المترابطة بالمرافق والتسهيلات المادية التي يوفرها المصرف في سبيل خدمة عملائه، كالمباني بكل فروعها، ومدى انتشارها جغرافياً وتجهيزاتها كالآلات وملابس الموظفين والديكور الداخلي والخارجي .
2. **المحدد المرتبط بالاستجابة:**وهو رغبة الموظفين واستعدادهم وقدرتهم في كافة المستويات بالمصرف على تقديم الخدمة المناسبة للعملاء، مثل الاهتمام بتلقي استفسارات وشكاوى العملاء، ومدى سرعة معالجتها ودقتها.
3. **المحدد المرتبط بالثقة:**وهي قدرة المصرف على إنجاز الخدمات في مواعيدها المتوقعة وبشكل دقيق وثابت، وهذا ما يهيئ العميل على رسم الصورة الذهنية عن المصرف.
4. **تأكيد الثقة المتبادلة:**وتتسم بمدى نجاح المصرف في تقديم خدماته للعملاء بما يتوقعونه من دقة وأمان وسرعة وحسن الضيافة، ووفق سياسات واضحة ومفهومة، ومدى قدرتهم على زرع الثقة بينهم وبين عملائهم.
5. **المحدد المرتبط بالعناية:**ويعبر عما يدركه العميل من رعاية واهتمام خاص على أساس فردي والتركيز على تلبية توقعاته وسرعة الرد الصريح على استفساراته.

تقويم جودة الخدمات المصرفية:توصل عدد من الدراسات إلى أن الزبون ينظر إلى الجودة الجيدة للخدمة على أنها هي التي تتفق وتتطابق مع توقعاته، وهناك بعض الأبعاد والمعايير التي توضح الكيفية التي ينظم بها الزبون معلوماته حول جودة الخدمة من وجهة نظره ومنها: (الضمور، 2005: 445).

1. الاعتمادية:وهي تعني مدى جودة الخدمة التي يقدمها المصرف وحسب ما وعد بها عملاءه وبالشكل الموثوق وبدرجة عالية من الصحة والدقة، بحيث يُمكن الاعتماد عليه، فالعميل يتوقع أن تقدم لهُ خدمة دقيقة من حيث الالتزام بالوقت والأداء، فهو يريد أن يجري أعماله مع المصارف التي تحافظ على وعدها وخصوصاً تلك التي تخص الميزات الجوهرية للخدمة، كتوفير الخدمة في الوقت المناسب، وحل المشاكل التي تواجه العميل، والالتزام بالأسعار التي يحددها لخدماته.

2. الأمان:يعبر عن شعور العميل بالأمانة تجاه الخدمة المقدمة إليه، ومقدار الثقة في من يقدم الخدمة له، أي ما مدى المخاطرة الناتجة عن تلقي الخدمة من هذا المصرف أو من مقدمها أو كليهما، ومثال ذلك ما هي درجة الأمان المترتبة

على قيام العميل بتحويل مبلغ معين إلى شخص أخر بمصرف أخر أو بفرع أخر من المصرف نفسه.

3. مدى إمكانية الحصول على الخدمة: وهي تتعلق بمدى قدرة المصارف على تقديم خدمات العميل في الوقت المناسب إلى جانب توفيرها في المكان الذي يرغبه العميل، وذلك بانتشار فروع خاصة بالمصرف في مناطق جغرافية مختلفة، وكذلك السرعة في تلبية الخدمة التي يطلبها العميل وفب أي وقت.

4. درجة تفهم مقدم الخدمة لحاجات العميل:ويشير هذا المؤشر إلى مدى قدرة المصرف على تقديم الخدمة للزبائن من خلال تحديد احتياجاتهم وتفهمها و تزويدهم بالرعاية والعناية، فالعميل يفضل المصرف الذي يتفهم مشاعره و يتعاطف مع مشكلته ويتعرف على احتياجاته ويدركها.

5. الاستجابة:تتعلق بقدرة ورغبة واستعداد المصرف على أداء الخدمة للعملاء وبشكل دائم، وقدرته على تقديم الخدمة في الوقت الذي يحتاج إليها العميل، إلى جانب شعور مقدم الخدمة بالحماس والسعادة عند تقديم الخدمة للعميل.

6. الكفاءة والجدارة:وهي تتعلق بكفاءة وجدارة مقدمي الخدمة في المصرف من حيث مهارتهم وقدراتهم على التحليل والاستنتاج والمعرفة الذي تمكنهم من أداء مهامهم بشكل جيد، فالعميل عادةً ما يلجا للمصرف التي يشعر بأن موظفيه يتمتعون بنسبة عالية من الخبرة وأنهم ذو مستويات تعليمية عالية.

7. الجوانب الملموسة:وتشير إلى التسهيلات المادية المتاحة ضمن الخدمات المصرفية، مثلاً:المعدات المستخدمة، ومظهر الموظفين، وأدوات الاتصال ووسائله، ففي الكثير من الأحيان يلجا العميل للحكم على جودة الخدمة من خلال الخصائص الشكلية المرافقة للخدمة، كالتكنولوجيا المستخدمة في تقديم الخدمة، والديكور وتصميم المصرف، ومدى اهتمامهم بتوفير الجو المريح للعملاء.

8. الاتصالات:وتعتمد على مدى التزام المصرف بالاتصال بعملائه بأسلوب واضح وبالاعتماد على طرق ملائمة وحسب مستوى ثقافة العميل، بحيث يتم توضيح جميع خصائص الخدمة التي يطلبها العميل، أي إعلامه بالأشياء المطلوبة منه لكي تتم الخدمة، وشرح الأضرار التي يمكن أن تلحقه إذا لم يلتزم بما طلب منه، والمشاكل التي يمكن أن تحدث أثناء تقديم الخدمة، و كيفية تجنبها.

9. المصداقية:وهي تتمثل في درجة صدق المصرف والتزامه بالوعود التي يقدمها للعملاء، والتي ينتج عنها مقدار الثقة التي يكونها العميل حول خدمات المصرف.

الدراسات السابقة:

1. دراسة (حداد، شفيق، 2002)، بعنوان "التسويق الإلكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية:دراسة ميدانية على المصارف التجارية العاملة بالأردن". هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على مدى إدراك عملاء المصارف التجارية في الأردن لمفهوم التسويق الالكتروني وأهميته، دور التسويق الالكتروني في تعزيز العلاقة بين المصارف وعملائها،أثر التسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية، أثر العوامل الديموغرافية في فهم جودة الخدمات المصرفية، حيث تكون مجتمع الدراسة من عملاء المصارف التجارية العاملة في الأردن والبالغ عددها 20 مصرفاً تجارياً، وقد أخذت عينة عشوائية بسيطة من (254) عميلاً من عدد خمسة مصارف تجارية أردنية، و توصلت هذه الدراسة إلى أن هناك فروقات ذات دلالة إحصائية في إجابات عينة الدراسة في جودة الخدمات المصرفية تعزى الى العوامل الديموغرافية. و من نتائج الدراسة أيضاً أن هناك علاقة بين توافر قاعدة معلوماتية للتسويق و جودة الخدمات المصرفية، وبين البحث والتطوير وجودة الخدمات المصرفية، وبين توفر الأمان في الأعمال المصرفية وجودة الخدمات المصرفية، ووجود علاقة بين إستراتيجية التسويق وجودة الخدمات المصرفية، وبالتالي وجود تأثير للتسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية.

2. دراسة (شيروف،2009-2010)، بعنوان "أثر التسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية – دراسة حالة لبعض المصارف في دولة الجزائر". هدفت الدراسة إلى دراسة واقع دور التسويق الالكتروني وتحليله في تحسين جودة الخدمات المصرفية بالجزائر، وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي مع طريقة دراسة الحالة، وهي طريقة تقومية اعتمدت تعبئة الاستبيانات الموجهة للعملاء كأداة لإختبار الفروض لقياس اثر التسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية لعينة من المصارف بالجزائر. أثبتت الدراسة أن هناك تأثيراً للتسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية بالمصارف قيد الدراسة.

3. دراسة (عبدالله، 2009)،بعنوان"دور تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في تفعيل النشاط البنكي".

بينت النتائج الميدانية للدراسة بأن قوة العلاقة بين المؤشرات التسويقية الثلاث (نظام المعلومات التسويقية، وبحوث التسويق المصرفي،والاستراتيجية التسويقية المتبعة) لاترقى إلى المستوى المطلوب، مما يعني وجود نقائص مثل : لا تعطي الوكالة الأهمية الكافية لبحوث التسويق، وعدم فاعلية نظام

المعلومات التسويقية نظرا لقلة البيانات والمعلومات اللازمة لاتخاذ القرارالتسويقي المناسب.

4. دراسة (أبوخريص، شكشك، 2015)، بعنوان "التسويق الالكتروني وأثره في جودة الخدمات المصرفية: دراسة ميدانية عن المصارف التجارية بمدينة زليطن".

هدفت الدراسة للتعرف على مدى أثر تطبيق أسلوب التسويق المصرفي الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية بالمصارف العاملة في ليبيا وتحديدا المصارف العاملة بمدينة زليتن من وجهة نظر زبائن هذه المصارف، بهدف معرفة الواقع الممارس بها وما يحقق من مزايا لها ولزبائنها، و الكشف عن أهم المشكلات التي تواجهها هذه المصارف وإيجاد الحلول المناسبة لها، وذلك سعياً لتحقيق أعلى درجة من الأمان، وتوفير قاعدة للمعلومات ونهج أسلوب البحث والتطوير مع بناء استراتيجية فعالة. ولتحقيق ذلك فقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي في هذه الدراسة، غير أنه و نظراً لصعوبة حصر عدد العملاء الذين يترددون على المصارف محل الدراسة، اذ ليس لهم مقياس محدد، فقد قام الباحثان بتصميم استمارة استبيان و زعت على عينه عشوائية من (250) فرداً من المتعاملين مع هذه المصارف، تم خلالها التوصل للعديد من الاستنتاجات التي من أبرزها: أن هناك تأثيراً للتسويق الالكتروني في جودة الخدمات المصرفية بهذه المصارف، وذلك تبعا للمتغيرات المحددة بهذه الدراسة وهي(البحث والتطوير، توفر قاعدة معلومات، وجود استراتيجية للتسويق، الأمان). كما أوصى الباحثان بضرورة تبني واستخدام التسويق الالكتروني بهذه المصارف والاستفادة بأقصى ما يمكن من وسائل التقنية الحديثة في هذا المجال، مع إعادة هندسة العمل الإداري بها وتطويره، وكذلك التركيز على تفعيل البرامج التدريبية بالداخل والخارج وبما يتناسب ويواكب التطورات العالمية الحديثة.

5. دراسة (الخيال،2002)بعنوان"العوامل المؤثرة في تبني المستهلكين للتسوق عبر شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) في جمهورية مصر العربية.هدفت الدراسة إلى تحديد درجة أهمية العوامل المؤثرة في عملية تبني التسويق عبر الأنترنت من وجهة نظر المستهلكين ودرجة توافرها، والتعرف على الخصائص الديموغرافية لكل من المتبنين وغير المتبنين للتسوق عبر الأنترنت وتحديد ما إذا كانت هناك فروق جوهرية بينها. وتوصلت الدراسة إلى أنه لا توجد فروق معنوية بين إدراك المتبنين لأهمية العوامل المؤثرة في التسوق عبر الأنترنت وتوفر تلك العوامل، وأن هناك فروقا معنوية بين المتبنين للتسوق عبر الأنترنت ترجع للعوامل الديموغرافية (النوع، المستوى التعليمي،

الوظيفة، متوسط دخل الأسرة)، في حين لاتوجد فروق معنوية بين المتبنين وغير المتبنين للتسوق عبر الأنترنت بالنسبة لخصائص (العمر، الجنسية، الدولة).

6. دراسة (رمضان، 2005) بعنوان "أثر استخدام التقنية في جودة الخدمات المصرفية".

وهي عبارة عن دراسة مقارنة بين مصرفي الأمة والتجارة والتنمية في الفترة مابين 2001 و2005، حيث انحصرت الدراسة على الفروع الواقعة في نطاق مدينة طرابلس. وتركزت مشكلة الدراسة في تدني جودة الخدمات المصرفية التي تقدمها المصارف قيد الدراسة، وقد أعتمد الباحث على التحليل الإحصائي الوصفي لقوائم الاستبيان التي تم تجميعها، للحصول على البيانات والمعلومات اللازمة عن الواقع العملي، وقد اشتملت عينة عشوائية لموظفي المصارف المستهدفة في الدراسة، وتضمنت عينة الدراسة القيادات الإدارية (العليا و الوسطى وموظفي الإدارات التنفيذية).

وهدفت الدراسة إلى:

- التعرف على مستوى ونوع التقنية المستخدمة داخل المصارف.
- معرفة العلاقة بين مستوى التطور التقني في المصارف محل الدراسة ومدى تأثيرها على جودة الخدمات المصرفية.

ومن نتائج الدراسة مايلي:

- هناك ارتباط قوي بين المتغيرات المؤثرة في التقنية المصرفية الحديثة وبين جودة الخدمات المصرفية بالمصارف قيد الدراسة.
- زيادة اهتمام مصرف التجارة والتنمية بالبنية التحتية وخاصة في مجال الاتصالات، التي يعمل على تطويرها بدرجة أعلى مقارنة بمصرف الأمة.

7. دراسة(المزوغي،2007) بعنوان"تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة وتأثيرها في جودة الخدمات المصرفية".

وهي دراسة تحليلية على بعض المصارف التجارية العاملة بمدينة طرابلس، وتحديداً لمصرفي الصحاري والأمة كمجتمع للدراسة، وتركزت مشكلة الدراسة في قصور إدارات المصارف التجارية في تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في العمليات التي تقوم بها مما يؤدي إلى ضعف مستوى جودة الخدمات المصرفية التي تقوم بتقديمها للعملاء. وقد تم استخدام صحيفة الاستبيان أداة للدراسة لجمع البيانات الأولية التي يرتكز عليها الجانب التطبيقي.

وهدفت هذه الدراسة إلى:

- معرفة تأثير تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة في مستوى جودة الخدمات المصرفية.
- الرفع من مستوى جودة الخدمات المصرفية عن طريق معالجة القصور في تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة.

أما نتائج الدراسة فمنها:

- عجز مصرفي الصحاري والأمة عن مقابلة توقعات العملاء لمستوى الخدمة المصرفية المقدمة، ويتمثل هذا العجز في وجود فجوة بين ما يتوقعه العملاء وبين ما تلقوه عند طلبهم الخدمة.
- هناك علاقة إيجابية بين تطبيق متطلبات إدارة الجودة ومستوى جودة الخدمات بمختلف أبعادها.
- يؤثر القصور في تطبيق متطلبات إدارة الجودة الشاملة بمصرفي الصحاري والأمة في أبعاد جودة الخدمة باختلاف هذه المتطلبات واختلاف هذه الأبعاد.

8. دراسة (أبو القاسم، 1998) بعنوان "الخدمات المصرفية بالمصارف التجارية الليبية وإمكانية تطويرها". وهي دراسة تحليلية على المصارف التجارية، وقد اتجه الباحث بالدراسة الميدانية إلى ثلاثة مصارف وهى (مصرف الجمهورية، ومصرف الأمة، ومصرف الصحاري)، وقد ركزت الدراسة عل الخدمات المصرفية في الفترة من 1986 إلى 1995. وتمثلت مشكلة الدراسة في مدى قيام المصارف قيد الدراسة العاملة داخل لبيبيا بمواكبة الاتجاهات الحديثة في مجال الخدمة المصرفية وسعيها لدفع مستويات الأداء والخدمات. وقد اعتمد الباحث في جمع المعلومات على تحليل قوائم الاستبيان، بالإضافة إلى تحليل البيانات التي تم جمعها عن طريق المقابلات الشخصية.

وهدفت هذه الدراسة إلى:

- التعرف على الخدمات المصرفية "التقليدية والحديثة" بالمصارف قيد الدراسة، عن طريق دراسة الخدمات المصرفية التي تقدمها تلك المصارف والتعرف على حجم نشاطها وخططها المستقبلية.

أما نتائج الدراسة فمنها:

- أن المصارف التجارية قيد الدراسة قد قامت بإدخال بعض وسائل الميكنة الحديثة التي تلبي حاجات العملاء، لتطوير إنجاز المعاملات وتسريعها و تقليص الروتين.

- أن صالات الانتظار في الفروع التي يتعامل معها العملاء غير ملائمة بسبب عدم توفر وسائل الراحة الكافية فيها.
- وجود تأثير واضح وقوي للإداريين في المصارف قيد الدراسة في عملية تطوير الخدمات المصرفية، وهذا التأثير يؤثر بشكل إيجابي في عملية تطوير الخدمات المصرفية.

عرض وتحليل البيانات الأولية للدراسة:

صدق أداة الدراسة:استخدم الباحث **صدق المحكمين:**وهو عرض أداة جمع البيانات الأولية على مجموعة من المحكمين المتخصصين في موضوع الدراسة بصفة خاصة وطرق البحث بصفة عامة ،وذلك حتى يدلوا برأيهم في الأداة من جوانب عديدة منها : الشكل، والصياغة، والترتيب، وسلامة البنود أو الأسئلة، ومدى مناسبتها للموضوع المراد قياسه. (أبوالنصر،2004: 183) . وقام الباحث بإعداد الصورة المبدئية لعبارات إستبيان الدراسة بعد الإطلاع على العديد من المراجع العلمية، والدراسات السابقة في مجال موضوع الدراسة الحالية، وبعد العرض والمناقشة مع الزملاء الأكاديميين، تم إجراء بعض التعديلات والتوصل إلى الصورة الأولية للإستبيان، وبعد ذلك قام الباحث بعرضه على عدد من المحكمين مرة أخرى للتأكد من مدى ملائمة عبارات الإستبيان لعينة الدراسة، وأن العبارات تقيس ما وضعت لقياسه، وتجيب عن أسئلة محاور الدراسة، بالإضافة إلى مدى ملائمة معيار الإجابات المستخدمة للأسئلة الواردة في الإستبيان.

صدق الاتساق البنائي لمجالات الدراسة:بينت النتائج في الجدول (1) أن معاملات الارتباط بين كل مجال من مجالات الدراسة، وإجمالي الاستبيان دالة إحصائياً عند مستوى المعنوية 0.05 ، حيث كانت قيم الدلالة الإحصائية جميعها أقل من 0.05 ، وبذلك تعتبر المحاور صادقة لما وضعت.

جدول (1) معامل الارتباط بين مجالات الدراسة و إجمالي الاستبيان

ت	المحاور	معامل الارتباط	قيمة الدلالة الإحصائية
1	مستوى جودة الخدمات المصرفية	0.908	**0.000
2	اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني	0.636	**0.000
3	مستوى البنية التحتية بمجال الإتصالات	0.631	**0.000
4	مستوى تطبيق التسويق الالكتروني	0.809	**0.000
5	مستوى جودة الخدمات المصرفية	0.864	**0.000

** القيم ذات دلالة إحصائية عند مستوى المعنوية 0.01

ثبات أداة الدراسة: لقياس مدى ثبات أداة الدراسة "الاستبيان"، استخدم الباحث اختبار (كرونباخ ألفا)، وهذا الاختبار يقيس درجة تناسق إجابات المستقصى

منهم على كل الأسئلة الموجودة بالمقياس، وإلى المدى الذي يقيس فيه كل سؤال المفهوم نفسه ، والجدول رقم (2) يبين معامل ثبات كل محور من محاور الدراسة في الإستبيان..

جدول رقم (2) نتائج اختبار كرونباخ ألفا لاستبيان الدراسة

ت	المحور	عدد العبارات	ألفا كرونباخ
1	مستوى جودة الخدمات المصرفية	11	0.817
2	مستوى تطبيق التسويق الالكتروني	09	0.663
3	اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني	06	0.885
4	مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات	11	0.834
	جميع العبارات	37	0.799

ويتضح من الجدول رقم (2) أن معامل ثبات أداة الدراسة (معامل ألفا كرنباخ) قد تراوح بين (0.663 ، 0.885) لمختلف عباراته ، وأن معامل ثبات (ألفا كرنباخ) لجميع عبارات الإستبيان (0.799) وهذه النسبة تعد مقبولة وتعد مؤشراً كافياً على قدرة عبارات الاستبيان على قياس مستوى متغيرات الدراسة.

ترميز البيانات الأولية للدراسة: بعد تجميع صحائف الاستبيان استخدم الباحث الطريقة الرقمية في ترميز البيانات الأولية، وبما أنه يقابل كل عبارة من عبارات محاور المتغيرات الأساسية للاستبيان قائمة تحمل الاختيارات التالية وفقاً لمقياس ليكارت الثلاثي: (موافق – موافق إلى حد ما – غير موافق)، وقد تم إعطاء كل من الاختيارات السابقة درجات لتتم معالجتها إحصائياً على النحو التالي: موافق (3) ثلاث درجات ، موافق إلى حد ما (2) درجتان ، غير موافق (1) درجة واحدة، وبما أن هناك مسافتين وثلاثة اختيارات لذلك تم تحديد المدى لكل اختيار حيث إن $\text{المدى} = \frac{2}{3} = 0.666$ بالتالي فأن المدى بين كل اختيار يساوي 0.666 ، ومن ذلك فأن مدى كل اختيار يتم حسابه كما هو مبين بالجدول رقم (3).

جدول رقم (3) يوضح مدى الاختيارات المستخدمة بالدراسة

الإختيارات	مدى الاختيار
غير موافق	من 1 إلى أقل من 1.666
موافق إلى حد ما	من 1.666 إلى أقل من 2.333
موافق	من 2.333 إلى 3

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة وتحليل البيانات الأولية التي تم جمعها، فقد تم استخدام العديد من الأساليب الإحصائية المناسبة باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية

" Statistical Package for Social Sciences " والتي يرمز لها إختصاراً بالرمز (SPSS) ، واستخدم الباحث على وجه الخصوص الأساليب الإحصائية التالية:

1. اختبارTحول المتوسط:يستخدم اختبارT حول المتوسط لاختبار الفرضيات الاحصائية المتعلقة بمتوسط المجتمع إذا كانت بيانات العينة كمية أي (في المستوى الفتري على الأقل) وتتبع التوزيع الطبيعي (البلداوي، 1997: 332).

2. معامل الارتباط (بيرسون):يستخدم هذا المعامل لقياس العلاقة بين ظاهرتين كمية وتتبع التوزيع الطبيعي.(داودو، فاضل،15:2004).

3. الانحراف المعياري: (محمد، 2007: 51).

يستخدم الانحراف المعياري لقياس تشتت الإجابات ومدى انحرافها عن متوسطها الحسابي، فإذا كانت لدينا مجموعة من البيانات من مجتمع إحصائي عدد مفرداته N على الصورة $x_1, x_2, x_3, \ldots, x_n$ وكان متوسط هذه البيانات $\bar{x}$ فإن مربع انحرافات هذه القيم عن وسطها الحسابي يكون على الصورة $(x_1 - \bar{x})^2, (x_2 - \bar{x})^2, \ldots, (x_N - \bar{x})^2$

وبالتالي فإن قيمة الانحراف المعياري تحسب من العلاقة:

$$\sigma = \sqrt{\frac{1}{N}\sum_{i=1}^{n}(Xi - \overline{X})^2}$$

حيث إن σ تمثل الانحراف المعياري، N يمثل عدد المفردات ، $\overline{X}$ يمثل المتوسط الحسابي و يمكن حسابه من المعادلة في حالة البيانات المبوبة:

$$\sigma = \sqrt{\frac{\sum x_i^{\,2} f_i - \frac{(\sum x_i f_i)^2}{n}}{n}}$$

حيث إن f يمثل عدد التكرارات، n عدد المفردات

عرض البيانات العامة (الشخصية) للدراسة:

الوظيفة:

جدول رقم (4) التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب الوظيفة

الوظيفة	ك	النسبة المئوية
مساعد مدير	08	%20.0
رئيس قسم	18	%45.0
مدير مكتب	04	%10.0
مدير عام	02	%5.0
مدير إدارة	08	%20.0
المجموع	40	%100.0

يتضح من الجدول السابق رقم (4) أن غالبية مفردات عينة الدراسة هم من فئة رؤساء الأقسام، حيث بلغ عددهم 18 رئيس قسم، يليها مدراء الإدارات وعددهم 8، ومساعدو مدراء وعددهم 8.

المؤهل العلمي:

جدول رقم (5) التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	ك	النسبة المئوية
بكالوريوس	28	%70.0
لسانس	02	%5.0
دبلوم متوسط	01	%2.5
دبلوم عالي	05	%12.5
ماجستير	04	%10.0
المجموع	40	%100.0

يتضح من الجدول رقم (5) أن غالبية مفردات عينة الدراسة هم من الفئة التي تحمل البكلوريوس وعددهم 28، يليها حملة الدبلوم العالي وعددهم 5، ثم حملة الماجستير وعددهم 4.

التخصص:

جدول رقم (6) التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب التخصص

التخصص	ك	النسبة المئوية
تمويل ومصارف	01	%2.5
قانون	03	%7.5
تمويل ومصارف	03	%7.5
محاسبة	13	%32.5
إدارة الأعمال	12	%30.0
تحليل نظم	03	%7.5
اقتصاد	03	%7.5
علوم سياسية	01	%2.5
إحصاء	01	%2.5
المجموع	40	%100.0

يوضح الجدول رقم (6) أن غالبية المؤهلات العلمية لعينة الدراسة تخصصهم العلمي في مجال المحاسبة وعددهم 13، ثم إدارة الأعمال وعددهم 12، أما اللذين تخصصهم تحليل نظم فعددهم 3.

سنوات الخبرة في المجال المصرفي:

جدول رقم (7) التوزيع التكراري والنسبي لمفردات عينة الدراسة حسب سنوات الخبرة

سنوات الخبرة	ك	النسبة المئوية
أقل من 5 سنوات	06	%15.0
من 5 سنوات إلى أقل من 10 سنوات	14	%35.0
من 10 سنوات إلى أقل من 15 سنة	12	%30.0
من 15 سنة فأكثر	08	%20.0
المجموع	40	%100.0

من خلال بيانات الجدول السابق رقم (7) يتضح أن ما نسبته (35%) من مفردات عينة الدراسة سنوات خبرتهم في المجال المصرفي تتراوح (من 5 إلى أقل من 10 سنوات) ، وأن (30%) من مفردات عينة الدراسة سنوات خبرتهم تتراوح (من 10 إلى أقل من 15 سنة)، وهما النسبتان المئويتان الأبرز من بين النسب المئوية الأخرى، يليهما من كانت سنوات خبرتهم (من 15 سنة فأكثر) وتمثل نسبة (20%)، ثم الذين سنوات خبرتهم (أقل من 5 سنوات) وتمثل نسبة (15%).

المتوسط العام لسنوات الخبرة في المجال المصرفي:

الجدول رقم (8) نتائج اختبار (t) لمتوسط سنوات الخبرة لمفردات عينة الدراسة

متوسط العينة	الإنحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		قيمة إختبار (t)	مستوى المعنوية المشاهد
		الحد الأدنى	الحد الأعلى		
9.775	6.229	7.78	11.77	9.926	0.000

الجدول السابق رقم (8) يبين المتوسط العام لسنوات الخبرة في المجال المصرفي لعينة الدراسة، ومن الجدول نلاحظ أن متوسط سنوات الخبرة لمفردات عينة الدراسة (9.775) بانحراف معياري (6.229)، وأن (95%) فترة ثقة لمتوسط سنوات الخبرة في مجتمع الدراسة يتراوح بين (7.78-11.77). وحيث إن قيم اختبار (t) المحسوبة تساوي (9.926) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية عند مستوى معنوية (5%) وتساوي (1.684)، مما يشير إلى أن متوسط سنوات الخبرة لمجتمع الدراسة حولي 9 سنوات.

مستوى جودة الخدمات المصرفية:

الجدول رقم (9) آراء مفردات عينة الدراسة حول مستوى جودة الخدمات المصرفية

العبارات	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الإنحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		الترتيب
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى	
يسعى العاملون بالمصرف لتخفيض نسبة ارتكاب الأخطاء أثناء تقديم الخدمات للعملاء	28	70.0	10	25.0	02	5.0	2.650	0.580	2.46	2.84	1
يمكن الاعتماد على موظفي المصرف في تقديم الخدمات المصرفية بالشكل المطلوب	18	45.0	20	50.0	02	5.0	2.400	0.591	2.21	2.59	2
يتوفر لدى المصرف صالات انتظار مجهزة بلوحات إرشادية تعرف العملاء بخدمات المصرف	08	20.0	12	30.0	20	50.0	1.700	0.791	1.45	1.95	9
يتمتع العاملون بالمصرف بمظهر لائق وشخصية مقبولة لدى عملاء المصرف	16	40.0	22	55.0	02	5.0	2.350	0.580	2.16	2.54	3
يحسن موظفو المصرف استقبال العملاء والترحيب بهم ومعاملتهم معاملة راقية	10	25.0	26	65.0	04	10.0	2.150	0.580	1.96	2.34	5
تأخذ إدارة المصرف آراء العملاء ومقترحات هم بعين الإعتبار لأجل تطوير الخدمات المصرفية	08	20.0	18	45.0	14	35.0	1.850	0.736	1.61	2.09	7
يهتم موظفو المصرف بمطالب العملاء والاهتمام بمشكلاتهم	09	22.5	29	72.5	02	5.0	2.175	0.501	2.01	2.34	4

والسعي لحلها والاستجابة لها											
يحافظ المصرف على سرية البيانات والمعلومات الخاصة بعملاء المصرف مما يشعرهم بالأمان	17	42.5	12	30.0	11	27.5	2.150	0.834	1.88	2.42	6
يلتزم المصرف بتطبيق معايير جودة معتمدة " كالايزو" مثلاً لضمان جودة الخدمات التي يقدمها للعملاء	03	7.5	25	62.5	12	30.0	1.775	0.577	1.59	1.96	8
يتوفر لدى المصرف عناصر متخصصة في مجال الجودة المصرفية	07	17.5	13	32.5	20	50.0	1.675	0.764	1.43	1.92	10
يتوفر لدى المصرف وحدة إدارية مختصة بجودة الخدمات المصرفية	06	15.0	14	35.0	20	50.0	1.650	0.736	1.41	1.89	11

الجدول رقم (9) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول العبارات المتعلقة بمستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة مرتبة استناداً إلى درجة موافقتهم على كل منها، ومن الجدول نلاحظ أن العاملين موافقون عن أنهم يسعون لتخفيض نسبة ارتكاب الأخطاء أثناء تقديم الخدمات للعملاء، وكذلك يمكن الاعتماد على موظفي المصرف في تقديم الخدمات المصرفية بالشكل المطلوب ، ويوافقون أيضاً على أنهم يتمتعون بمظهر لائق وشخصية مقبولة لدى عملاء المصرف.أما بقية العبارات في محور مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة جاءت ضمن فئة موافق إلى حد ما. ولأجل تحديد مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة, تم استخدام إختبار (t) حول المتوسط العام لعبارات محور مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة والجدول رقم (10) يبين ذلك.

الجدول رقم (10) نتائج اختبار (t) حول المتوسط العام لآراء عينة الدراسة حول مستوى جودة الخدمات المصرفية

متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		قيمة اختبار t	مستوى المعنوية المحسوبة
		الحد الأدنى	الحد الأعلى		
2.047	0.398	1.92	2.17	32.530	0.000

الجدول رقم (10) يبين المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة حول محور **(مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة)**، ومن الجدول نلاحظ أن متوسط إجابات مفردات عينة الدراسة يساوي (2.047)، بانحراف معياري (0.398)، وأن (95%) فترة ثقة لإجابة هذا المتغير في مجتمع الدراسة يتراوح بين (1.92 -2.17).ولاختبار (أن متوسط الإجابة حول محور مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، تم استخدام اختبار (t)، وحيث إن قيمة (t) المحسوبة تساوي (32.530) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية عند مستوى معنوية (5%) وتساوي (1.671)، مما يشير إلى أن متوسط الإجابة في مجتمع الدراسة حول محور مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة هو ضمن فئة (موافق إلى حد ما) ، بما يدل على أن غالبية مجتمع الدراسة **موافقون إلى حد ما على انخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.**

مستوى تطبيق التسويق الالكتروني:

الجدول رقم (11) آراء عينة الدراسة حول مستوى تطبيق التسويق الالكتروني

العبارات	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		الترتيب
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى	
يوجد لدى المصرف موقع الكتروني يسهل الوصول إليه ومعروف لكافة عملائه تقريباً	12	30.0	20	50.0	08	20.0	2.100	0.709	1.87	2.33	6
يقوم المصرف بمواكبة آخر التطورات التقنية لتسويق الخدمات المصرفية التي يقدمها	13	32.5	21	52.5	06	15.0	2.175	0.675	1.96	2.39	5
يساعد تسويق الخدمات المصرفية الكترونياً في الحفاظ على العملاء الحاليين	14	35.0	20	50.0	06	15.0	2.200	0.687	1.98	2.42	4
يساعد تسويق الخدمات المصرفية الكترونياً على جذب عملاء جدد	13	32.5	23	57.5	04	10.0	2.225	0.620	2.03	2.42	3
يهتم المصرف بعقد برامج	11	27.5	16	40.0	13	32.5	1.950	0.783	1.70	2.20	7

										توعوية على شبكة الانترنيت حول خدماته الجديدة التي يقدمها
2	2.42	2.08	0.543	2.250	5.0	02	65.0	26	30.0	12	يساهم تطبيق المصرف للتسويق الالكتروني في زيادة ثقة العملاء بالخدمات المصرفية الجديدة
8	2.07	1.63	0.700	1.850	32.5	13	50.0	20	17.5	07	يعتمد المصرف على الانترنيت والأساليب الالكترونية بشكل أساسي لترويج الخدمات التي يقدمها
9	1.89	1.61	0.439	1.750	25.0	10	75.0	30	00.0	00 0	يقوم المصرف بتحديث معلوماته المنشورة على الموقع الالكتروني بشكل دوري
1	2.73	2.37	0.552	2.550	2.5	01	40.0	16	57.5	23	التسويق الالكتروني المصرفي ذو أهمية لتسهيل العمليات المصرفية

الجدول رقم (11) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول العبارات المتعلقة بمستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة مرتبة استناداً إلى درجة موافقتهم على كل منها، ومن الجدول نلاحظ أن العاملين موافقون عن أن التسويق الالكتروني المصرفي ذو أهمية لتسهيل العمليات المصرفية.أما بقية العبارات في محور مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة فجاءت ضمن فئة موافق إلى حد ما. ولأجل تحديد مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة, تم استخدام اختبار (t) حول المتوسط العام لعبارات محور مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة والجدول رقم (12) يبين ذلك.

الجدول رقم (12) نتائج اختبار (t) حول المتوسط العام لاجابات مفردات العينة على مستوى تطبيق التسويق الالكتروني

متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		قيمة اختبار t	مستوى المعنوية المشاهد
		الحد الأدنى	الحد الأعلى		
2.116	0.333	2.00	2.22	40.110	0.000

الجدول رقم (12) يبين المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة حول محور (مستوى **تطبيق التسويق الالكتروني)** ومن الجدول نلاحظ أن متوسط إجابات مفردات عينة الدراسة يساوي (2.116)، بانحراف معياري (0.333)، وأن (95%) فترة ثقة لإجابة هذا المتغير في مجتمع الدراسة يتراوح بين (2.00 -2.22). ولاختبار (أن متوسط الإجابة حول محور مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، تم استخدام اختبار (t)، وحيث أن قيمة (t) المحسوبة تساوي (40.110) وهي أكبر من قيمة (t)

الجدولية عند مستوى معنوية (5%) وتساوي (1.671)، مما يشير إلى أن متوسط الإجابة في مجتمع الدراسة حول محور مستوى تطبيق التسويق الالكتروني هو ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، بما يدل على أن غالبية مجتمع الدراسة موافقون إلى حد ما على أن التسويق الالكتروني مطبق بالمصرف قيد الدراسة.

ومن خلال بعض الأسئلة المدرجة لتفسير بعض العبارات وتحليلها ضمن هذا المحور كانت إجابات مفردات عينة الدراسة كالتالي:

1. **إذا كانت إجابتك بأن هناك موقعا الكترونيا للمصرف، فأنه تتم الاستعانة به من قبل العملاء للاستفسار عن خدماتهم بدلا عن زيارة المصرف مباشرة.**

الجدول رقم (13) آراء عينة الدراسة حول استعانة العملاء بموقع المصرف الالكتروني

البيان	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع	
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى
مجموع من سئلوا 12 مفردة من عينة الدراسة	01	2.5	09	22.5	02	5.0	1.917	0.515	1.59	2.24

الجدول رقم (13) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول استعانة العملاء بموقع المصرف الالكتروني إن وجد، ومن الجدول نجد أن متوسط إجابات من أقروا بوجود موقع الكتروني للمصرف، وعددهم 12 مفردة كان ضمن فئة موافق إلى حد ما.

2. **إذا كانت إجابتك بأن هناك مواكبة لآخر التطورات المتعلقة بتسويق الخدمات المصرفية، فما هي الأساليب التي يعتمدها المصرف حالياً للترويج لخدماته.**

الجدول رقم (14) آراء مفردات عينة الدراسة حول الأساليب التي يعتمدها المصرف حالياً للترويج عن خدماته

البيان		موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الإنحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع	
		ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى
مجموع من سئلوا 13 مفردة من عينة الدراسة	إعلانات عبر موقع المصرف	10	25.0	03	7.5	000	00.0	2.769	0.439	2.50	3.03
	التعاقد مع وكالات إعلانية	06	15.0	07	17.5	000	00.0	2.462	0.519	2.15	2.78

الجدول رقم (14) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول الأساليب التي يعتمدها المصرف حالياً للترويج عن خدماته ، ومن الجدول نجد أن متوسط إجابات من أقروا بأن المصرف يواكب آخر التطورات المتعلقة بتسويق الخدمات المصرفية وعددهم 13 مفردة كان ضمن فئة موافق لاستخدام إعلانات عبر موقع المصرف، وكذلك كان المتوسط الحسابي لاستخدام التعاقد مع وكالات إعلانية ضمن فئة موافق إلى حد ما.

3. **إذا كانت إجابتك بأن هناك برامج توعوية عن الخدمات المصرفية الجديدة على شبكة الانترنت، فهل يساعد ذلك على إقبال العملاء على هذه الخدمات.**

الجدول رقم (15) آراء مفردات عينة الدراسة حول مساعدة البرامج التوعوية على إقبال العملاء

البيان	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع	
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى
مجموع من سئلوا 11 مفردة من عينة الدراسة	09	22.5	02	5.0	000	00.0	2.818	0.405	2.55	3.09

الجدول رقم (15) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول مساعدة البرامج التوعوية في الخدمات المصرفية الجديدة على شبكة الانترنيت على إقبال العملاء على هذه الخدمات إن وجدت، ومن الجدول نجد أن متوسط إجابات من أقروا بوجود مساعدة للبرامج التوعوية على إقبال العملاء على هذه الخدمات وعددهم 11 مفردة كان ضمن فئة موافق.

اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني:

الجدول رقم (16) آراء مفردات عينة الدراسة حول اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني

العبارات	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		الترتيب
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى	
تهتم إدارة المصرف بتوفير برامج تدريبية للعاملين في إدارة التسويق لرفع مستواهم في مجال التسويق الالكتروني المصرفي	12	30.0	19	47.5	09	22.5	2.075	0.730	1.84	2.31	1
تأخذ الإدارة العليا بالمصرف ملاحظات العملاء حول التسويق الالكتروني بعين الاعتبار وتحاول دراستها ومعالجتها بأسرع وقت ممكن	07	17.5	20	50.0	13	32.5	1.850	0.700	1.63	2.07	4

تهتم الإدارة بتشجيع موظفي ومدراء التسويق بالمصرف على تقديم الأفكار الجديدة لتطوير أسلوب تسويق خدمات المصرف	11	27.5	15	37.5	14	35.0	1.925	0.797	1.67	2.18	2
تسعى القيادات الإدارية بالمصرف لتوفير ميزانية محددة للقيام بأنشطة التسويق الالكتروني	07	17.5	22	55.0	11	27.5	1.900	0.672	1.69	2.11	3
تهتم إدارة المصرف بتعيين عناصر متخصصة من الخبراء والمستشارين في مجال التسويق الالكتروني لوضع الخطط والبرامج التسويقية للمصرف	06	15.0	14	35.0	20	50.0	1.650	0.736	1.41	1.89	6
تقوم إدارة المصرف بمراجعة الخطط والبرامج المتعلقة بالتسويق الالكتروني لخدمات المصرف لضمان تطابقها وملاءمتها لحاجات العملاء ورغباتهم	09	22.5	15	37.5	16	40.0	1.825	0.781	1.58	2.07	5

الجدول رقم (16) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول العبارات المتعلقة باتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، مرتبة استناداً إلى درجة موافقتهم على كل منها، ومن الجدول نلاحظ أن العاملين غير موافقين على أن إدارة المصرف تهتم بتعيين عناصر متخصصة من الخبراء والمستشارين في مجال التسويق الالكتروني لوضع الخطط و البرامج التسويقية للمصرف.أما بقية العبارات في محور إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة فجاءت ضمن فئة موافق إلى حد ما.ولأجل تحديد مستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني, تم استخدام اختبار(t) حول المتوسط العام لعبارات محور مستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ، والجدول رقم (17) يبين ذلك.

الجدول رقم (17) نتائج اختبار (t) حول المتوسط العام لإجابات مفردات العينة على إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني

متوسط العينة	الإنحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		قيمة إختبار t	مستوى المعنوية المحسوبة
		الحد الأدنى	الحد الأعلى		
1.870	0.587	1.68	2.05	20.132	0.000

الجدول رقم (17) يبين المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة حول محور **(إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني)**

ومن الجدول نلاحظ أن متوسط إجابات مفردات عينة الدراسة يساوي (1.870)، بانحراف معياري (0.587)، وأن (95%) فترة ثقة لإجابة هذا المتغير في مجتمع الدراسة يتراوح بين (1.68- 2.05).ولاختبار (أن متوسط الإجابة حول محور إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، تم استخدام اختبار (t)، وحيث إن قيمة (t) المحسوبة تساوي (20.132) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية عند مستوى معنوية (5%) وتساوي (1.671)، مما يشير إلى أن متوسط الإجابة في مجتمع الدراسة حول محور اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني هو ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، بما يدل على أن غالبية مجتمع الدراسة **إتجهاتهم إيجابية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، حيث تقع إجاباتهم ضمن فئة موافق إلى حد ما.**

مستوى البنية التحتية بمجال الإتصالات:

الجدول رقم (18) آراء مفردات عينة الدراسة حول مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات

العبارات	موافق		موافق إلى حد ما		غير موافق		متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		الترتيب
	ك	%	ك	%	ك	%			الحد الأدنى	الحد الأعلى	
يهتم المصرف بمواكبة التطورات التقنية وتطوير وسائل الاتصال الخاصة به	11	27.5	23	57.5	06	15.0	2.125	0.648	1.92	2.33	7
يسعى المصرف إلى إيجاد نظام متطور وفعال لسرعة الاتصال بين فروعه	23	57.5	14	35.0	03	7.5	2.500	0.641	2.30	2.70	2
يهتم المصرف بتخفيض نسبة تكلفة اتصالات العملاء الكترونياً	14	35.0	16	40.0	10	25.0	2.100	0.778	1.85	2.35	8
يهتم المصرف بصيانة وتحديث الأجهزة التقنية (الحواسيب)	15	37.5	22	55.0	03	7.5	2.300	0.608	2.11	2.49	5
يهتم المصرف بتوفير أساليب بديلة لاستمرار العمل في حالة إنقطاع التيار الكهربائي	25	62.5	09	22.5	06	15.0	2.475	0.751	2.23	2.72	3
يمر المصرف بتوقفات مستمرة في تقديم الخدمة المصرفية لاسباب تقنية	26	65.0	11	27.5	03	7.5	2.575	0.636	2.37	2.78	1

لدى المصرف نظام معلومات تسويقي متطور يوفر معلومات كافية عن احتياجات العملاء	05	12.5	22	55.0	13	32.5	1.800	0.648	1.59	2.01	11
لدى المصرف نظام معلومات متطور يوفر معلومات كافية عن جودة الخدمات المقدمة للعملاء	06	15.0	21	52.5	13	32.5	1.825	0.675	1.61	2.04	10
لدى المصرف مبرمجي ومحللي نظم إتصالات على مستوى عال من التأهيل والكفاءة	10	25.0	20	50.0	10	25.0	2.000	0.716	1.77	2.23	9
يسهم تطبيق برامج الحاسوب المتطورة في تحسين مستوى جودة الخدمات وتسريعها	22	55.0	14	35.0	04	10.0	2.450	0.677	2.23	2.67	4
تسعى إدارة المصرف لإيجاد الحلول المناسبة بسرعة للمشاكل المرتبطة بالعوامل التقنية التي قد تؤدي إلى توقف تقديم الخدمة للعملاء	15	37.5	21	52.5	04	10.0	2.275	0.640	2.07	2.48	6

الجدول رقم (18) يبين متوسط درجة إجابة مفردات عينة الدراسة حول العبارات المتعلقة بمستوى البنية التحتية بمجال الإتصالات بالمصرف قيد الدراسة مرتبة استناداً إلى درجة موافقتهم على كل منها، ومن الجدول نلاحظ أن العاملين موافقون عن أن المصرف يمر بتوقفات مستمرة في تقديم الخدمة المصرفية المرتبطة بعوامل تقنية، و يسعى المصرف إلى إيجاد نظام متطور وفعال لسرعة الإتصال بين فروعه، ويهتم المصرف بتوفير أساليب بديلة لسريان العمل في حالة إنقطاع التيار الكهربائي، ويسهم استخدام برامج الحاسوب المتطورة في تحسين مستوى جودة الخدمات وتسريعها. أما بقية العبارات في محور مستوى البنية التحتية بمجال الإتصالات بالمصرف قيد الدراسة فجاءت ضمن فئة موافق إلى حد ما.ولأجل تحديد مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات بالمصرف قيد الدراسة, تم استخدام اختبار(t) حول المتوسط العام لعبارات محور مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات بالمصرف قيد الدراسة، والجدول رقم (19) يبين ذلك.

الجدول رقم (19) نتائج اختبار (t) حول المتوسط العام لإجابات مفردات العينة على مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات

متوسط العينة	الانحراف المعياري للعينة	95% فترة ثقة لمتوسط المجتمع		قيمة اختبار t	مستوى المعنوية المحسوبة
		الحد الأدنى	الحد الأعلى		
2.220	0.414	2.08	2.35	33.859	0.000

الجدول رقم (19) يبين المتوسط العام لإجابات مفردات عينة الدراسة حول محور **(مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات)**، ومن الجدول نلاحظ أن متوسط إجابات مفردات عينة الدراسة يساوي (2.220)، بانحراف معياري (0.414)، وأن (95%) فترة ثقة لإجابة هذا المتغير في مجتمع الدراسة يتراوح بين (2.08 - 2.35).ولاختبار (أن متوسط الإجابة حول محور مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، تم استخدام اختبار (t)، وحيث إن قيمة (t) المحسوبة تساوي (33.859) وهي أكبر من قيمة (t) الجدولية عند مستوى معنوية (5%) وتساوي (1.671)، مما يشير إلى أن متوسط الإجابة في مجتمع الدراسة حول محور مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات هو ضمن فئة (موافق إلى حد ما)، مما يدل على أن غالبية مجتمع الدراسة موافقون إلى حد ما على أن مستوى البنية التحتية بمجال الاتصالات جيد بالمصرف قيد الدراسة.

إختبار فرضيات الدراسة:

1. **الفرضية الرئيسية تنص على:**"هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة".

ولاختبار هذه الفرضية فإنه يمكن صياغتها في صورة إحصائية كما يلي:

الفرضية الصفرية (H_0): لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

الفرضية البديلة (H_1): توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة. لاختبار الفرضية السابقة فقد تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين المتوسط العام لعبارات محور اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، والمتوسط العام لعبارات محور مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة، والجدول رقم (20) يبين ذلك.

جدول رقم (20) معامل ارتباط بيرسون بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية

المتغيرات	مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة	
	معامل ارتباط بيرسون	مستوى المعنوية المشاهد
اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني	0.414**	0.008

من خلال البيانات الواردة بالجدول السابق رقم (20) نلاحظ أن قيمة معامل ارتباط (بيرسون) بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية يساوي (0.414)، كما أن مستوى المعنوية المشاهد يساوي (0.008)، وهو أقل من مستوى المعنوية المعتمد بالدراسة (0.05)، وهذا يشير إلى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، مما يدل على وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية، حيث إنه كلما ضعف إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني أدى ذلك لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة والعكس صحيح.

2. **الفرضية الفرعية الأولى**:"هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة". ولاختبار هذه الفرضية فإنه يمكن صياغتها في صورة إحصائية كما يلي:الفرضية الصفرية (H_0):لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

الفرضية البديلة (H_1):توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

لاختبار الفرضية السابقة تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين المتوسط العام لعبارات محور (البنية التحتية في مجال الاتصالات) والمتوسط العام لعبارات محور (مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة) والجدول رقم (21) يبين ذلك.

جدول رقم (21) معامل ارتباط بيرسون بين البنية التحتية في مجال الإتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية

المتغيرات	مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة	
	معامل ارتباط بيرسون	مستوى المعنوية المشاهد
البنية التحتية في مجال الاتصالات	0.320*	0.044

من خلال البيانات الواردة بالجدول السابق رقم (21) نلاحظ أن قيمة معامل ارتباط (بيرسون) بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية يساوي (0.320)، كما أن مستوى المعنوية المشاهد يساوي (0.044) وهو أقل من مستوى المعنوية المعتمد بالدراسة (0.05)، وهذا يشير إلى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، مما يدل على وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة، حيث أنه كلما ضعفت البنية التحتية في مجال الاتصالات أدى ذلك لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة والعكس صحيح.

3. **الفرضية الفرعية الثانية**:"هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة". ولاختبار هذه الفرضية فإنه يمكن صياغتها في صورة إحصائية كما يلي: الفرضية الصفرية (H_0): لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

الفرضية البديلة (H_1): توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة. لاختبار الفرضية السابقة فقد تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين المتوسط العام لعبارات محور (البنية التحتية في مجال الاتصالات) والمتوسط العام لعبارات محور (مستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة) والجدول رقم (22) يبين ذلك.

جدول رقم (22) معامل ارتباط بيرسون بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني

المتغيرات	إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني	
	معامل ارتباط بيرسون	مستوى المعنوية المشاهد
البنية التحتية في مجال الاتصالات	0.647**	0.000

من خلال البيانات الواردة بالجدول السابق رقم (22) نلاحظ أن قيمة معامل إرتباط (بيرسون) بين النية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني يساوي (0.647)، كما أن مستوى المعنوية المشاهد يساوي (0.000) وهو أقل من مستوى

المعنوية المعتمد بالدراسة (0.05)، وهذا يشير إلى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، بما يدل على وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، حيث إنه كلما ضعفت البنية التحتية في مجال الاتصالات أدى ذلك لانخفاض مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة والعكس صحيح.

4. الفرضية الفرعية الثالثة:"هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة". ولاختبار هذه الفرضية فإنه يمكن صياغتها في صورة إحصائية كما يلي: الفرضية الصفرية (H_0):لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

الفرضية البديلة (H_1): توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

لاختبار الفرضية السابقة فقد تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين المتوسط العام لعبارات محور (البنية التحتية في مجال الاتصالات) والمتوسط العام لعبارات محور (مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة) والجدول رقم (23) يبين ذلك.

جدول رقم (23) معامل ارتباط بيرسون بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة

المتغيرات	مستوى تطبيق التسويق الالكتروني	
	معامل ارتباط بيرسون	مستوى المعنوية المشاهد
البنية التحتية في مجال الاتصالات	0.655**	0.001

من خلال البيانات الواردة بالجدول السابق رقم (23) نلاحظ أن قيمة معامل ارتباط (بيرسون) بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة يساوي (0.655)، كما أن مستوى المعنوية المشاهد يساوي (0.001) وهو أقل من مستوى المعنوية المعتمد بالدراسة (0.05)، وهذا يشير إلى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، بما يدل على وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة، حيث إنه كلما ضعف مستوى البنية التحتية في مجال

الاتصالات أدى ذلك لانخفاض مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة والعكس صحيح.

- **الفرضية الفرعية الرابعة:**"هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بعينة الدراسة".ولاختبار هذه الفرضية فإنه يمكن صياغتها في صورة إحصائية كما يلي:**الفرضية الصفرية (H_0):** لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

الفرضية البديلة (H_1):توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.لاختبار الفرضية السابقة تم استخدام معامل ارتباط بيرسون بين المتوسط العام لعبارات محور(مستوى تطبيق التسويق الالكتروني)،و المتوسط العام لعبارات محور (مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة) والجدول رقم (24) يبين ذلك.

جدول رقم (24) معامل ارتباط بيرسون بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية

المتغيرات	مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصارف قيد الدراسة	
	معامل ارتباط بيرسون	مستوى المعنوية المشاهد
مستوى تطبيق التسويق الالكتروني	0.430**	0.006

من خلال البيانات الواردة بالجدول السابق رقم (24) نلاحظ أن قيمة معامل ارتباط (بيرسون) بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية يساوي (0.430)، كما أن مستوى المعنوية المشاهد يساوي (0.006)، وهو أقل من مستوى المعنوية المعتمد بالدراسة (0.05)، وهذا يشير إلى رفض الفرضية الصفرية وقبول الفرضية البديلة، بما يدل على وجود علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة، حيث إنه **كلما ضعف** مستوى تطبيق التسويق الالكتروني أدى ذلك لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة والعكس صحيح.

نتائج الدراسة:

أظهر التحليل الإحصائي للبيانات الأولية المجمعة النتائج التالية:

1. هناك علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات

المصرفية، حيث إن ضعف مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني يؤدي لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

2. هناك علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة، حيث إن انخفاض مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات يؤدي لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

3. هناك علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى إتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني، حيث أن انخفاض مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات يؤدي لانخفاض مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

4. هناك علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين البنية التحتية في مجال الاتصالات ومستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة، حيث إن انخفاض مستوى البنية التحتية في مجال الاتصالات يؤدي لانخفاض مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

5. هناك علاقة طردية (موجبة) ذات دلالة معنوية بين مستوى تطبيق التسويق الالكتروني ومستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة، حيث إن انخفاض مستوى تطبيق التسويق الالكتروني يؤدي لانخفاض مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

6. هناك انخفاض في مستوى جودة الخدمات المصرفية بالمصرف قيد الدراسة.

7. هناك انخفاص في مستوى تطبيق التسويق الالكتروني بالمصرف قيد الدراسة.

8. هناك ارتفاع في مستوى اتجاهات القيادات الإدارية نحو تطبيق التسويق الالكتروني.

9. هناك مستوى جيد للبنية التحتية في مجال الاتصالات بالمصرف قيد الدراسة.

توصيات الدراسة: بناء على نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

1. الاستعانة بالخبراء والمستشارين المتخصصين في مجال تقنية المعلومات لتطوير منظومة التسويق الالكتروني واقتراح الحلول المناسبة للمشاكل التي تعترض تطبيقه.

2. تكثيف الدورات التدريبية في مجال إدارة الجودة المصرفية والتسويق الالكتروني وتطبيقاتهما في القطاع المصرفي.
3. دعم قرارات الاستثمار في قطاع البنية التحتية المعلوماتية المصرفية من خلال سن التشريعات التجارية المناسبة.
4. تكثيف البرامج التوعوية والتثقيفية في مجال تطبيق التسويق الالكتروني والتعريف بأهميتها كمدخل لتحسين جودة الخدمات المصرفية.
5. الترويج لمبدأ المسؤولية الاجتماعية وأخلاقيات المهنة المصرفية كمدخل للاهتمام بإحتياجات العملاء كونهم طرفا في عملية التبادل النقدي والتجاري وليسوا مجرد مودعين وساحبين لأرصدتهم بالمصرف.
6. التأكيد على مبدأ تحسين جودة الخدمة كمعيار ومؤشر أساسي لقياس مستوى الأداء المصرفي المتميز.

المراجع:

1. إبراهيم، خالد ممدوح (2008)، **لوجستيات التجارة الالكترونية**، ب.ط، الإسكندرية، دار الفكر الجامعي.
2. أحمد، محمد سمير (2009)، **التسويق الالكتروني**، ب.ط، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
3. الطائي، يوسف حجيم سلطان والعبادي، هاشم فوزي دباس (2009)، **التسويق الالكتروني**، ب.ط، عمان، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
4. أبو النجا، محمد عبد العظيم (2008) **التسويق الالكتروني "آليات التواصل الجديدة مع العملاء**، ب.ط، الإسكندرية، الدار الجامعية.
5. العجارمة، تيسير (2005)، **التسويق المصرفي**، ب.ط، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.
6. الدرادكة، مأمون، الشلبي، طارق (2002)، **الجودة في المنظمات الحديثة**، ب.ط، عمان، دار الصفاء للنشر والتوزيع.
7. الصيرفي، محمد (2007)، **إدارة الجودة** ، ب.ط، الاسكندرية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.
8. أبوالنصر، مدحت (2004)، **قواعد ومراحل البحث العلمي**، ط1، القاهرة، مصر، دار مجموعة النيل العربية.
9. البلداوي، عبد المجيد، (1997)، **الإحصاء للعلوم الإدارية والتطبيقية**، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق.
10. الخيال، حصة (2002)، **العوامل المؤثرة في تبني المستهلكين للتسوق عبر شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت) في جمهورية مصر العربية**، مصر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عين شمس.
11. الطائي، حميد وآخرون (2006)، **الأسس العلمية للتسويق الحديث-مدخل شامل**، ط1، عمان: الأردن، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.
12. العلاق، بشير عباس (2002)، **التسويق عبر الانترنيت**، ط1، عمان، الأردن، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
13. العلاق، بشير عباس (2004)، **الخدمات الالكترونية بين النظرية والتطبيق- مدخل تسويقي استراتيجي**، ب.ط، القاهرة، مصر، المنظمة العربية للتنمية الإدارية.
14. الضمور، هاني حامد (2008)، **تسويق الخدمات**، ط3، عمان، الأردن، دار وائل للنشر.
15. المحياوي، قاسم نايف (2006)، **إدارة الجودة في الخدمات: مفاهيم وتطبيقات وعمليات**، ط1، عمان، الأردن، دار الشروق للنشر والتوزيع.
16. البكري، ثامر ياسر (2005)، **تسويق الخدمات الصحية**، ب.ط، عمان، الأردن، دار اليازوري.
17. المزوغي، عزيزة الهادي (2007)، **تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة وتأثيرها على جودة الخدمات المصرفية**، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس، ليبيا، أكاديمية الدراسات العليا.
18. أبوقحف، عبد السلام وآخران (2006)، **التسويق**، ب.ط، الإسكندرية، مصر، المكتب الجامعي الحديث.

19. أبوخريص، عمران علي، شكشك، مصطفى أحمد (2015)، **التسويق الالكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية: دراسة ميدانية عن المصارف التجارية بمدينة زليطن**، ليبيا، المجلة الجامعة، العدد السابع عشر، المجلد الثاني، ليبيا، Bulletin.zu.edu.ly، تاريخ الزيارة اكتوبر 2016م.
20. أبو القاسم، الصادق أمحمد (1998)، **الخدمات المصرفية بالمصارف التجارية الليبية وإمكانية تطويرها**، طرابلس، ليبيا، رسالة ماجستير غير منشورة، أكاديمية الدراسات العليا.
21. إدريس، ثابت عبدالرحمن، (2006)، **كفاءة وجودة الخدمات اللوجستية: مفاهيم أساسية وطرق القياس والتقييم**، ب.ط، الإسكندرية، مصر، الدار الجامعية.
22. برهان، محمد نور، خطاب، عز الدين (2009)، **التجارة الالكترونية**، ب.ط، القاهرة، مصر، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات.
23. بواشري، أمنة (2005)، **توجيه القيادات الإدارية**، ب.ط، القاهرة، مصر، دار الجامعي.
24. حداد، جودة، شفيق، محفوظ (2002)، **التسويق الالكتروني وأثره على جودة الخدمات المصرفية: دراسة ميدانية على البنوك التجارية الأردنية**، على موقع أبحاث فقه المعاملات الإسلامية / figh/ banks.htm www.Kantakji.org
25. حمود، خضير كاظم (2002)، **إدارة الجودة الشاملة**، ب.ط، عمان، الأردن، دار المسيرة للنشر والتوزيع.
26. سويدان، نظام موسى، حداد، شفيق إبراهيم (2003)، **التسويق مفاهيم معاصرة**، ب.ط، عمان، الأردن، دار الحامد للنشر والتوزيع.
27. شيروف، فضيلة (2009-2010)، **أثر التسويق الالكتروني على جودة الخدمات المصرفية، دراسة حالة لبعض المصارف في دولة الجزائر**، الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة.
28. طايل، مجدي محمد محمود (2006)، **توظيف التسويق الالكتروني كأداة للتميز بمنظمات الأعمال**، السعودية، ورقة عمل مقدمة إلى ندوة التجارة الالكترونية، جامعة الملك خالد.
29. داودو، جمال إبراهيم، فاضل، سمير سليم (2004)، **تحليل الارتباط ونماذج الانحدار البسيط**، ط1، بنغازي، دار الكتب الوطنية.
30. رمضان، زياد سليم، جودة، محفوظ أحمد (2003)، **الاتجاهات المعاصرة في إدارة البنوك**، ط2، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
31. رمضان، عبد السلام علي (2005)، **اثر استخدام التقنية على جودة الخدمات المصرفية**، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس، ليبيا، أكاديمية الدراسات العليا.
32. زيادة، فهمي فريد (2004)، **إدارة الأعمال الأصول والمبادئ**، ط3، عمان، الأردن، مطبعة الشعب.
33. عبدالغني، عمرو أبو اليمين (2005)، **فرص وتحديات التسويق الالكتروني في ظل الاتجاه نحو العولمة**، ب.ط، القصيم، السعودية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
34. عبدالله، سليمة (2009)، **دور تسويق الخدمات المصرفية الالكترونية في تفعيل النشاط البنكي**، الجزائر، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الحاج لخضر.
35. عسكر، علي أحمد، عميش، عامر محمد (2006) جودة الخدمات المصرفية وأثرها على القدرة التنافسية دراسة عملية لبعض المصارف التجارية والاهلية ، طرابلس: كتيب وقائع مؤتمر الجودة.
36. ماهر، أحمد (2006)، مدخل بناء المهارات، ط7، القاهرة، مصر، الدار الجامعية.
37. محمد، أماني موسى (2007)، التحليل الإحصائي للبيانات، ب.ط، القاهرة، جامعة القاهرة، معهد الدراسات والبحوث الإحصائية.
38. نصير، محمد طاهر (2005)، التسويق الالكتروني، ب.ط، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع.
39. نجم ،عبود نجم (2004)، الإدارة الالكترونية- الاستراتيجية والوظائف والمشكلات، ب.ط، الرياض، السعودية، دار المريخ للنشر.

الدلالة الوظيفية والآلية الفلسفية للسرد في الفيلم السينمائي

د. صالح علي مسعود قحلوص - الأكاديمية الليبية

المقدمة :لقد شدد الدارسون اللذين يشتغلون في ميدان السرد على البعد العلمي للسرديات، وإنها اختصاص له كل المقومات والمستلزمات التي يتميز بها أي اختصاص يتوفر على شروط وضرورات العمل العلمي[1]، فالسرديات علم مرت بعدة مراحل تطويرية متعددة يمكن أن نلخصها في ثلاث مراحل وهي :

1- **المرحلة الجنينية**:وهي مرحلة التشكيل منذ اجتهاد الشكلانين الروس.

2- **مرحلة المخاض**:حيث ظل هذا المصطلح (السرديات) متعثراً في بدايته خاضعاً لاستعمالات متعددة قبل أن يستقر نهائياً .

3- **مرحلة الدلالة**: ظهور السرد بشكل فعلي في بداية السبعينات مع ظهور كتاب خطاب الحكاية (لجرار جينيت) .

حيث يقف الشكلانيون والبنيويون على دراسة السرد من خلال الخطاب و ليس الأعمال الفردية بحد ذاتها، ولهذا فإن الوظيفة السردية ليست مجرد العرض أو الوصف ولكنها الكشف عن وظائف وعناصر وعلاقات من خلال وجود الراوي والحبكة ووجهات النظر وظهور الشخصيات لكون السرد مجموعة من البنى تتبع أحكاماً ضمن الحكاية .وحظي السرد في الفضاء الأدبي والثقافي بالعديد من الدراسات الأدبية والثقافية شفوية كانت أم مكتوبة و خاصةً في مجال القصة والرواية، وإن أغلب الدراسات السينمائية ذات الوجهة السردانية لم تتأسس من خلال دراسة الظاهرة السينمائية بل أتت إلى السينما من مجالات سردية أخرى التى سبق ذكرها .وطالما إن السرد في اللغة هو بناءات سينمائية لها معنى بنفسها ومعنى ينبعث منها، وهذا انعكاس على السرد الفيلمي (سينمائي) كون الفيلم مجموعة من البنيات السردية سواء ما يتعلق باللغة العلمية أو باللغة السمعية أو مكونات البنية السطحية التي هي مجموعة العلاقات التركيبية الدلالية أو بنية الحكاية الكبرى. من فهم السرد يعني السيطرة على القوانين التي تحكم التتابعي نفسه، وبالتالي يتحدد الفهم السردي بالتسليم بوجود ألفة مع الشبكة المفهومية المكونة لدلاليات الفعل ثم إنه يتطلب ألفة مع قواعد التأليف التي تحكم النسق التعاقبي للقصة.[2]

مشكلة البحث: تحدد مشكلة هذا البحث في محاولة الإجابة عن السؤال الرئيس التالي:**ماهي أبعاد الدلالة الوظيفية والآلية الفلسفية للسرد في الفيلم**

السينمائي؟ويركز هذا البحث على موضوع دلالة الوظائف السردية التي تلعب دوراً مهماً في بنية السرد بشقيه الروائي والسينمائي، ومنه جاءت الأهمية لما يقدمه من معرفة علمية ودلالية وفلسفية للدارسين والمهتمين في مجال السرد وخاصةً في المجال السينمائي كون السرد السينمائي مجموعة من المتواليات الدلالية من الأنساق أو البنى أو المكونات الفنية والتقنية وهذه المكونات تشكل الإطار السردي الكلي للفيلم باعتبار كل بنية عبادة عن مكون، ومن خلالها (البنى السردية) التي تدخل في إطار الجوانب السينمائية والتأويلية وصولاً إلى معرفة الأبعاد الفلسفية والجمالية والتعبيرية للفيلم السينمائي، ولذا فإن الهدف الأساس من هذا البحث هو محاولة التوصل إلى بناء حقيقة أدواتية لمفاهيم السرد الأساسية، وكيف يمكن توظيفها في تحليل القصة أو الرواية أو الفيلم حيث تقسم الموضوعات الأدبية إلى عدة أجناس منها الأجناس الأدبية التقليدية، الشعر،الدراما، القصة والنصوص التي يجدها المرء في مجال القصة، كالروايات، والقصص القصيرة، بالإضافة إلى أنواع أخرى من السرد، وإن كل ما يمكن أن تجده في أنواع أخرى من السرد تجده في الرواية ، ومعظم ما تجده في الرواية يمكن أن تجده في أنواع أخرى من السرد أكانت ذلك النوع في السرد الطبيعي غير التخيلي أو الروائي أو الدرامي أو السينمائي. وما يهمنا هنا هو السرد في السينما الذي تفتح الصفحات له وما يمكننا الحصول على رؤية تحليلية له لأن "كل سرد يعرض لنا قصة، وإن القصة هي تتابع الأحداث التي تستلزم شخصيات لذا فإن السرد وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسبب فيها أو جربتها الشخصيات".[3] ويندرج هذا البحث في إطار البحوث النظرية المكتبية التي تعتمد على المصادر والمراجع المتخصصة في جمع المعلومات لسبر غور مشكلة أو ظاهرة معينة.[4] إن الموضوع الرئيس لهذا البحث يتناول الدلالة الوظيفية للسرد في الفيلم السينمائي، وقد تضمن البحث عدة مواضيع تشكل البنيان العلمي للسرد حسب وجهة نظر الباحث ويتم تناول ذلك من خلال مبحثين، حيث يركز المبحث الأول على مفهوم السرد و دلالته الوظيفية، فيما يبين المبحث الثاني البنية السردية والآلية الفلسفية للفيلم السينمائي.

المبحث الأول:مفهوم السرد ودلالته الوظيفية

أولاً:مفهوم السرد:تقدمة شيْ إلى شيْ ما يأتي به متسقاً بعضه في أثر بعض متتابعاً، ويقال سرد الحديث ويسرده سرداً إذا تابعه وفلان يسرد الحديث سرداً إذا كان جيد السياق له[5] أي أن السرد يعني التنسيق والتتابع، وقد تتسع دائرة السرد ليشمل عدة مجالات على حد قول (رولان بارث) لذا يرى أن " السرد تحمله اللغة المنطوقة شفوية كانت أو مكتوبة والصورة ثابتة أو متحركة و

الإيمائة "[6]، وهو حاضر في الأسطورة، والخرافة، والحكاية، والملحمة، و المأساة والملهات، وفي اللوحة الزيتية.[7] والسرد عند (رولان بارث) يتمثل في عدة أشكال لا حصر لها ما دامت اللغة منطوقة بغض النظر عنها، شفوية أو مكتوبة، فهو يتمثل في كل ما يحمل أو يعبر عن فكرة ما أو حكاية بالرغم من الأساليب المختلفة، فقد ظهرت أشكال السرد قديماً، حيث يقول (رولان بارث) إن السرد يوجد في كل الأمكنة، وفي كل الأزمنة، حيث يبدأ السرد مع التاريخ، فلكل الطبقات والتجمعات الإنسانية سرداتها، وقد يسعى أناس من ثقافات و بيئات مختلفة لتذوق هذه السردات.[8] ويرجع أصل السرد أو اشتقاقه إلى(Nar-rati0) فهو من اللاتينية، إلا أن السرد كعلم ظهر في العصر الحديث حيث شق طريقاً منهجياً جديداً في تناول الفن الحكائي خاصةً فيما يتعلق بجنس الرواية بوصفها أهم شكل سردي ظهر حديثاً وأكثر تعقيداً، ويطلق أسم السرد على الفعل السردي المنتج، وبالتوسع على مجموع الوضع الحقيقي أو التخيلي الذي يحدث فيه ذلك الفعل.[9] ويعني الحديث أو الاخبار لواحد أو أكثر من و اقعة حقيقية أو خيالية من قبل واحد أو أكثر من الساردين وذلك لواحد أو أكثر من المسرود لهم[10]، كما يمكن اعتبار السرد إنرياح من زمنية عادية من أجل تأسيس زمنية جديدة تهيئ للتجربة التي ستروي بؤرتها وإطار وجودها.[11] و يتعلق السرد بطريقة تقديم الرواية حيث يختلف من شخص إلى آخر وبالتالي يتأثر بالراوي الذي يقدم الرواية والمروي الذي يتلقاها ويتأثر بها، لأن السرد يعتمد في هذه الحالة على الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق هذه القناة نفسها، وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي، والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها [12] ولكي يكتمل السرد لابد من حصول تفاعل بين النص و القاريْ، كما يشير إلى ذلك (بول ريكور) بقوله "ما يؤكد أن معناه أو دلالته (السرد) تنبثق من التفاعل بين عالم النص وعالم القاريْ".[13] وقد تعددت مصطلحات السرد عند ظهورها على الساحة النقدية وأول هذه المصطلحات هي السرديات اقترحه (تودوروف 1969) ليدل على عالم الحكي وبعد تواصل الأبحاث واستمرارها وتطورها أدت إلى شيوع مصطلح آخر هو السردية مع (جيرارجينيت)، كما اقترح الشكلانيون مصطلح المتن الحكائي و المبني الحكائي كون " المتن الحكائي الذي هو مجموع الأحداث المتصلة فيما بينها والتي يقع إخبارنا بها من خلال العمل، والمبني الحكائي الذي يتألف من نفس الأحداث بيد أنه يراعي نظام ظهورها في العمل" [14] وعليه فإن السردية تهتم بالجانب الشكلي للخطاب، كما أنها تهتم بالجانب المضمون أو المحتوى (القصة) إضافة إلى الجانب الأسلوبي. وبما أن السردية هي فرع من فروع الشعرية التي تسعى بدورها إلى معرفة القواعد العامة التي تنظم ولادة عمل

أدبي، فهي العلم الذي يعني بمظاهر الخطاب السردي أسلوباً وبناءا و دلالةً.[15] وعليه إن كل السرد يعرض لنا قصة، وأن القصة هي تتابع أحداث تستلزم شخصيات، كما تكون وسيلة اتصال تعرض تتابع أحداث تسببت فيها أو جربتها الشخصيات في زمان ومكان، فإن الصلة التواصلية تكون محتملة بين المؤلف والقاريْ على مستوى التواصل اللاتخيلي أو اللاروائي، والسارد و المتلقي، أو المخاطب أو المخاطبين على مستوى التوسط التخيلي أو الروائي، وتكون الشخصيات على مستوى الحدث، حيث نطلق على المستوى الأول مستوى خارج النص، أما الثاني والثالث من المستويات داخل النص، فالقصة والحكاية أو الرواية تسرد بواسطة سارد علم الحكي الداخلي الذي هو أحد شخصيات القصة الفاعلة، بالإضافة إلى سرد عالم الحكي الخارجي، حيث تحكي القصة بواسطة سارد العالم الخارجي والذي لا يحضر بوصفه شخصية في القصة.

ثانياً:أشكال السرد: يصنف السرد بأنه نشاط زماني يوضح كيفية إدراك السارد للوقائع بالاستفادة من محور الزمن، فإذا كان الزمن متصلاً بحلقات متتالية متسلسلة فإننا نجد أن الزمن يسير بنظام يسمح بتداخل الأحداث والتوائها، ولهذا يصنف الزمن عنصراً أساسياً في دراسة السرد. وللتمييز بين أشكاله المختلفة تم تقسيمه إلى **ما يلي**:[16]

1- **السرد المتسلسل**:وهو السرد الذي يقوم على نظام خطي واضح ضمن تصور الزمن، إذ يعتمد السارد على التدرج في وقوع الأحداث، فيسرد الحدث الأول ثم ينتقل إلى الحدث الثاني والثالث وما بعده، وهكذا دواليك بالترتيب حتى نهاية الأحداث.

2- **السرد المتقطع**:ويبنى على مخالفة التسلسل المنطقي لوقوع الأحداث إذ يبدأ السارد، بتقديم الحكاية من آخر الأحداث ثم ينتقل بعدها إلى أول حدث معتمداً على تقنيات كتابية متعددة مثل الحذف، والاسترجاع، والتلخيص، والوصف، وغيرها.

3- **السرد التناوبي:** تحكى بواسطة هذا النوع من السرد عدد من القصص المتناوبة، فتبدأ قصة وتتلوها أخرى ثم تعود إلى القصة الأولى والثانية مرة أخرى، ويشترط في هذا الأسلوب السردي وجود قواسم مشتركة بين الشخصيات والأحداث، ويستخدم هذا السرد غالباً في المسلسلات التليفزيونية.

ثالثاً: خصائص السرد: يعتمد السرد بأنواعه على عدة مقومات تشكله وتميزه من باقي الأنموذجات الأخرى **منها**:[17]

1- يعتمد على مؤشرات زمانية ومكانية ، فإن ارتباطه بالزمان يبني حافز التشويق، ويحدد الأحداث ويرتبها، فالزمان والحدث تؤمان لا ينفصلان.

2- اشتماله على روابط معينة تساعد على ربط الأحداث معاً، وترابطها بالطريقة التي يردها السادة، وهذه الروابط قد تكون لغوية مثل (بعد ذلك، قبل ذلك) وغيرها، وفي السينما يعتمد على وسائل الربط، كالظهور، والإختفاء، والمسح، والمزج، وغيرها.

3- تدرج الأحداث وتشكلها عبر مراحل أساسية قد تكون أحداثاً أولية أو طارئة أو نهائية.

الأسلوب السردي:إن الأسلوب هو الطريقة التي تروى بها القصة أو الرواية عن طريق قناة ما، أو وسيلة ما، أو ما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له، والبعض الآخر متعلق بمضمون القصة، ويقسم الأسلوب السردي إلى ثلاثة أقسام أو زوايا مختلفة وهي:[17]

1- **الأسلوب السردي من زاوية المتكلم أي ناقل الخطاب السردي اللغوي**:وهو الأسلوب الكاشف عن فكر صاحبه ونفسيته، كما يشير(أفلاطون) بقوله "كما تكون طبائع الشخص يكون أسلوبه، وكما يعلق (جوته) بقوله هو مبدأ التركيب النشط والرفيع الذي يتمكن به الكاتب النفاذ إلى الشكل الداخلي للغته والكشف عنه ".[18]

2- **الأسلوب السردي من زاوية المخاطب أي المتلقي للخطاب اللغوي**: وهو أسلوب الضغط على المتخاطبين، وإن التأثير الناجم عنه يعبر عن الإقناع أو الامتناع، ويشير (استاندال) إلى أن الأسلوب هو أن نضيف إلى فكر معين جميع الملابسات الكفيلة بأحداث التأثير الذي ينبغي لهذا الفكر أن يحذفه، ويقول (ريفاتر) الأسلوب هو البروز الذي تفرضه بعض لحظات تعاقب الجمل على انتباه القارئْ، فاللغة تعبر والأسلوب يبرز.[19]

3- **الأسلوب السردي من زاوية الخطاب**: وهو الطاقة التعبيرية الناجمة عن الاختبارات اللغوية، وقد حصر (شارلي مالي) مدلول الأسلوب في تفجير طاقات التعبير الكامنة في اللغة، ويعبر (مارزو) عن الأسلوب بأنه اختيار الكاتب ما من شأنه أن يخرج بالعبارة من خلال حالة الحياد اللغوي إلى خطاب متميز بنفسه [20]،وإن مظهر القول الناجم عن اختيار وسائل التعبير التي تحددها طبيعة الشخص المتكلم أو الكاتب ومقاصده.

والسرد كما يعرف بزاوية الرؤية عند الراوي، ما هو إلا تقنية مستخدمة لمحكي قصة متخيلة، أو هو الماهية والكيفية التي ارتضاها الراوي لتقديم قصته وسرده عن طريقها، وتتخذ شروط هذه التقنية استخدام الغاية التي يهدف إليها الكاتب عبر الراوي، كما أن السرد يعتبر مكوناً مماثلاً للنص الروائي، إذ هو ينظم أحداثه وشخصياته، وبالتالي فضائته وأزمنته، ومن ثم انتسابه إلى الخطاب بما هو صياغة فنية وفق قواعد القص وأشكاله المتباينة للحكاية أو المثن الذي يجوز المادة السرية في صيغتها الوقائعية ومنه ينطلق السرد الروائي من الحكاية ليعيد تشكيلها عبر منطق داخلي ينفرد بوظائفه و مكوناته وأزمنته، وبالتالي فإنه يخضع لقواعد الكتابة.[21] وعليه فإن السرد الذي تطور على خطى النصوص الألسنية والبنيوية، ويحاول أن يحدد تراكيب ودلالات العقدة والعناصر المكبرة له وتبيانها وعناصر القصة والخطاب و تفسيراتها، يستهدف الوضوح والفهم والتشويق ويتماشى مع العوامل الاجتماعية و المعرفية.

رابعا: العلاقة السردية بين الزمان والمكان: قبل التطرق إلى العلاقة الترابطية السردية للزمان والمكان، لابد وأن يعرج الباحث على السرد و الزمنية، و السرد في البعد الفضائي.

1- **السرد والزمنية**:إن ما نشدد عليه في العمق، هو التعارض بين الإخبار والإظهار، وهو خصوصاً مشكلة ارتباط زمنيات كيف يطلعنا الوقت المرتبط بدال السرد (القصة أو الصورة) بوقت القصة، ففي السينما يكون الإظهار طريقة نبذل فيها كل الأوقات الممكنة من القصة بحاضر أبدي، وبذلك تكون للسرد حرية استغلال العلاقات الزمنية بكل حرية، لأن الحاضر لا يتوقف عن أن يكون حاضراً باستمرار، وهنا لابد وأن نبني علاقة ولاية بين القصة والصورة و المتفرج الذي يدركها. [22]

2- **السرد في البعد الفضائي**: يعتبر الفضاء عنصراً مهماً في السود على الرغم من اعتماده على الزمن، إلا أن الحدث الناجم عنهما هو ذو طبيعة فضائية، لأنهما يقومان على تنقل جسدي للجسم بشكل عام، حيث يمكن أن يكون لحدث ما البعد الزمني لأنه يشكل الوعاء الأساس الذي تجري فيه الأحداث، إلا أن السيميولوجيا تؤكد على انضواء السرد ذي إطار البعد الفضائي، كما في إطار البعد الزمني.[23]

إن الحديث عن الزمان والمكان في السرد، أو بنية السرد، يقتضي التأكيد دوماً على العلاقة التي تربط بينهما باعتبارهما ركنان فاعلان ومؤثران بالعناصر السردية الأخرى، ويستمدان قيمتهما وأهميتهما من شبكة العلاقات التي تنسجها بينهما وبين كل منهما وباقي تلك الأركان والمكونات السردية، و إن نظرتنا إلى الزمن وشعورنا به، كنظرنا إلى شيْ متسام قادر على الفعل بالأشياء والبشر متحرك في مسار سردي لا يعطله أو يغيره شيْ، أما بخصوص المكان فهو ثابت لا يتحرك يرى ويلمس، ويفعل به من قبل الزمن، ومع ذلك فالزمن مفتقر إليه ليرسل من خلاله إلينا دلائل وعلامات وجوده. و يرى (باختين) "أن ما يحدث في الزمان والمكان الفني هو اتحاد علاقات الزمان والمكان وانصهارهما في كل واحد ندركها فنياً ويجعل للزمان والمكان أهمية جنسية، إذ يوضح أن الجنس الأدبي وأنواعه يتم تحديدها من خلال الزمان و المكان بالذات [24] وإذ تظافرت الأمكنة لخلق الفضاء الجغرافي للنص السردي يكتسب المكان صفات خاصته، ويصبح ذا أهمية متعددة المستويات لا تجعل من الحركة السردية نتاجاً لمجرى الزمن الحكائي و السردي فحسب، بل تجعله نتاجاً لهذين العنصرين نتاجاً لتظافرهما، لتصارعهما، لتقاربها، لتباعدهما، ولكل حركتهما الشاملة التي تجوس المساحة والمسافة الروائية.[25] ويبلور (رولان بارث) رؤيتة الخاصة للزمن السردي مستفيداً من الشعرية اليونانية التي أعطت الأولوية لما هو منطقي على ما هو زمني، وأن الزمنية ما هي إلا طبقة بنيوية من طبقات الخطاب، وأن ما نسميه الزمن في القصة لا يوجد إلا وظيفياً في نظام دلالي، فالزمن لا ينتمي إلى الخطاب بكل ما للكلمة من معنى، ولكن إلى المرجع [26] وإن الرواية تحصر حاجتها إلى المكان بكونه مؤطراً للأحداث الروائية ومسرحاً لها، وأصبح مشاركاً أساسياً في خلق المعنى وباعثاً له، بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله [27]، وبذلك يحظى المكان وظيفته التي تنحصر في الإهام بالواقع من خلال تأطير الأحداث إلى وظائف أكثر عمقاً من شأنها أن تحدد جنس الكتابة النصية وطبيعتها واتجاهها في كثير من الأحيان، والمكان لا يمكن أن يؤدي وظيفته إلا

من خلال العلاقات التي يبنيها مع سائر المكونات السردية، مؤثراً فيها أو متأثراً بها على حد سواء، ويطلق على المكان ضمن المفهوم الحديث بالفضاء، طالما أن الفضاء أهم من المكان، ليس لأنه يشمل أمكنة الرواية جميعاً، ولكنه يشير إلى "ماهو أبعد وأعمق من التحديد الجغرافي، وإن كان أساسياً، إنه يسمح لنا بالبحث في فضاءات تتعد المحدد والمجسد لمعانقة التخيلي والذهني و مختلف الصور التي تتسع لها مقولة الفضاء".[28]

المبحث الثاني:البنية السردية والآلية الفلسفية للفيلم السينمائي:

أولاً: مفهوم السرد السينمائي: لقد أثبتت السينما قدرتها الفائقة على امتصاص جميع الخطابات من مختلف الحقول الثقافية وجعلها عنصراً فاعلاً في البناء الفيلمي، حيث امتزجت فيها كل أشكال التعبير الإنساني من خلال انفتاحها على تلك الفنون والآداب والعلوم المجاورة لذلك سميت بالفن السابع، وحاول مبدعوها جر السياقات الروائية لتصب في مصلحة التعبير عن الحالة الوجدانية التي تضمنتها الرواية، مما تشكلت علاقة وثيقة بين السينما والرواية"إن الرواية هي أداة السينما الأولى بسبب قربها من ذلك الفن وليس لفرط سهولتها "[29] ورغم التقارب و التماثل بين لغة الفيلم ولغة الرواية إلا أن ثمة تمايزاً بين السينمائي والحكائي على الرغم من خصوصية اللغة التعبيرية لكل منهما، حيث "أن للسينما لغة تعبيرية بالغة الكثافة لها نظمها المجازية الخاصة المباينة لنظيراتها في الرواية فتعتمد على عناصر مرئية وأخرى غير ملفوظة لا يمكن التعبير عنها في سهولة في صيغة مكتوبة "[30] فإن للفيلم لغة بالمفهوم الأعم و الأشمل فهي وسيلة للاتصال ليس بالمفهوم الذي نصف به اللغة حين نشير إلى أنها أنظمة من الشفرات التي هي على درجة عالية من التنظيم[31]، وإن لغة التعبير البصرية تعتمد اللون، والتقطيع، والوسيط، وزاوية الرؤية، والتقديم مع ما تطلبه هذه الأفعال من موقع معين للكاميرا في مكان خاص هو في حد ذاته جزء من الدلالة، أضف إلى ذلك أن الصوت المصاحب للصورة هو الآخر جزء من المضمون سيتم إكسابه مؤثرات صوتية خارجية متعددة الخواص الدلالية.[32] فالسرد عند (كريستيان ميتز) هو مجموع الوقائع والأحداث التي ترتب في نظام أو توالي (سلسلة من المشاهد)[33]، ويوضح أفكاره بكثير من التوضيح، ويحدد الفرق بين السرد القديم والتقليدي الذي كان يبنى على مجموعة من الأحداث المغلقة، أو المنتهية، أو التامة بذاتها[34]، حيث كان السرد سلسلة مغلقة من الأحداث والوقائع، أما (وليم كاديري وليلاند برج) فيقدمان تعريفاً أكثر شمولاً للسرد لا ينحصر فيما هو حاضر ومثبت فقط فوق الشاشة من إشارات تحيل إلى معنى ولكنها أيضاً تتسع إلى ما هو غير حاضر

وغير مثبت داخل النص، حيث يتحدد المعنى من خلال عمليات الحضور و الغياب بإشارات وعلامات تعبيرية يحتل في معجمها وقانونها إلى صيغة عالم النص السينمائي، وما يكون صيغة ما هو يميزها عن الصيغ الأخرى بمعنى، ماذا أثبت، وما تم اختياره، وما تم حذفه.[35] والسينما الحكائية عند (دانيال ديان) تعبر عن نفسها بوصفها ذاتية أو موضوعية، وحيث يكون المشاهد مرتبطاً ومتوافقاً مع منظور رؤية شخصية أو بطلاً ما، بالإضافة إلى تلك الفترات التي تعبر في الصورة السينمائية عن وجهة نظر لشخصية ما، والسرد عنده مرتبط دائماً براو أو رواة يرقبون الحدث دون تدخل، أو يشاركون فيه مع بقية الشخصيات.[36]

ثانياً:الأنساق البنائية وآليات السرد في السينما:إن الأنساق البنائية تتصف بخصائص يمكن تحديد تمظهرها في السينما **بما يلي**:

1- **نسق التتابع**:وفيه تقدم مكونات الحدث الفيلمي وفق نظام منطقي يراعى فيه الترتيب الزمني.

2- **نسق التداخل**:وفيه تتداخل مكونات المتن فيما بينها بسبب الوقفات والارتدادات والقفزات، وتقع على عاتق المتلقي إعادة ترتيب مكونات المادة الحكائية وتنظيمها وفق سياقات معينة.

3- **نسق التوازي**:وفيه تتجز مكونات المتن السردي إلى أكثر من محور بحيث تتعاصر زمنياً وإن اختلفت في المكان، وتقدم متوازية بما يفضي أخيراً إلى ضرب من ضروب الاندماج العضوي.

4- **النسق الدائري**:وفيه تنطلق مكونات المتن الحكائي من نقطة نهاية أحداث الحكاية ثم تعرض ما سبقها لتنتهي من جديد عند نقطة البداية نفسها.

5- **نسق التكرار**:وفيه تكرر مكونات المتن الحكائي في الفيلم أكثر من مرة تبعاً لتعدد الرؤى وزوايا النظر، ولهذا فإن المتن يعاد إنتاجه في كل مرة بما يتفق مع المنظور الذي يقدمه .

بالإضافة إلى أن الفيلم يعتمد على الأنماط السردية، السرد الموضوعي، و السرد الذاتي، والرؤية السردية، وموقع السارد، وتقنيات السرد.

وهنا يكون السرد نوعين:

1- **السرد الموضوعي**:وهو السرد الذي يكون فيه السارد عارفاً وعالماً، ولكن حسب مستوى الرؤية التي تتحقق من خلال موقعه الذي يمكنه على قدر كاف من المعرفة بأفكار الشخصيات، ويملك معرفة عن الشخصيات ويصفها بشكل محايد.

وفي السرد الموضوعي يكون الكاتب مقابلاً للروائي المحايد الذي لا يتدخل ليفسر الأحداث وإنما ليصفها كما يراها أو كما يستنبطها في أذهان الأبطال ويترك الحرية للمتلقي ليفسر ما يحكي له ويؤوله.[37]

2- **السرد الذاتي**:وهنا يكون أمام سارد أو راوي مشارك في الأحداث يتتبع الأحداث عبر ما يشاهده وما يسمعه فهو الذي يعرض الأحداث أو يخفي جزءاً منها ويقدمها كما يراها هو وليس كما كانت أو وقعت إذ إن السرد الذاتي" تتبع الحكي من خلال عيني الراوي أو طرف مستمع "[38] وتقدم الكاميرا وجهة نظر الذاتية عندما تتخذ موقعاً من وجهة نظر لإحدى الشخصيات لتسرد لنا الأحداث.

وبما أن الكاميرا هي عين الفيلم ويتجاوب المشاهدون نفسياً مع عمل الكاميرا القدر نفسه الذي يتجاوب فيه مع إخراج ذكي، أو تمثيل قوي، فالكاميرا وجهة نظر ولا يمكن للجمهور أن يرى القصة إلا كما تراها هي، لهذا السبب فإن تناول الكاميرا لمشهد معين يجب أن يكون منسجماً مع فكرة هذا المشهد، كما وردت في السيناريوهات ومع نوعية الحدث الذي يحدده المخرج، وتحافظ الكاميرا على موقف المراقب المستقل بالنسبة للقصة، فهي بحد ذاتها جزء من الفعل، ولهذا تقف جانباً وتسجل الأحداث آخذة بعين الاعتبار الزاوية الأفضل للتصوير، وعندما يكون الأمر كذلك وتبقى الكاميرا منفصلة عن الحدث، فإننا ندعوها الكاميرا الموضوعية.

ثالثاً:الرؤية السردية ووجهات النظر السينمائية: لقد كان السرد معنياً في الأساس بمشكلات وجهة النظر، أي تطابق الرواة والتمايز بينهم، الرواة من الداخل والرواة من الخارج، ووصف ما ينتمي في الرواية والقصة إلى منظور الراوي، غير أن المرء لكي يقوم بذلك يجب أن يفترض التفرقة بين الأفعال و الأحداث نفسها، وبين العرض السردي لهذه الأفعال، ولكي يكون لدراسة وجهة النظر معنى، لابد وأن تكون هناك طرق متعددة متعارضة لرؤية قصة معينة وحكيها، وهذا يجعل القصة جوهراً صلباً لا يتغير، شيئاً ثابتاً يمكن أن تقاس

عليه تنويعات العرض السردي المختلفة، ولكن وصف الموقف على هذا النوع يعني إدراك التفرقة وكأنها خيال موجه، ذلك أنه من يقوم بالتحليل لا تقدم له إلا نادراً عمليات سرد متعارضة لنفس المتوالية من الأفعال.من يقوم بالتحليل يجد أمامه عملية سرد واحدة، وعليه أن يفترض ما حدث في الواقع بالفعل لكي يكون بمقدوره أن يصف ويفسر الطريقة التي رتب بها الراوي متوالية الأحداث وقيمها وعرضها، كون السرد يعرف بأنه تمثيل وسلسلة من الأحداث، والأحداث لها علاقات زمنية أحدها بالآخر، فكل حدث إما أن يكون سابقاً على الأحداث الأخرى، أو متزامناً معها، أو لاحقاً لها، وعليه فإن السرد يمثل سلسلة من الأحداث وهو أمر مهم لتفسير الأثر الذي تتركه القصة أو الرواية، ووظيفة الأثر لدى القارئ / المشاهد.(39) ويقوم السرد على دعامتين، أولها أن يحتوى على قصة، وثانيها أن يتم بطريقة تحكي تلك القصة، وتسمى هذه الطريقة سرداً (40)، وهذا يؤدي بالضرورة لوجود طرفين، هما شخص يحكي، وآخر يحكى له، فالأول يدعى راوياً، والثاني مروياً له، ويرتبط الراوي بالروية من خلال رؤية تؤطر عملية الحكي وهذه الرؤية تتسم بالتبئير في علم السرد، ويعرف التبئير بالموقع الذي يحتله الراوي بعلاقته بالشخصيات.(41)، والتبئير هو المفهوم الجديد الذي جاء ليحل محل وجهة النظر والمنظور.(42) **وهناك نوعان من التبئير هما**:

1- **التبئير الداخلي**:وهو متعلق بالترهين السردي وتكون الرؤية فيه مقتصرة على الشخصية، أي تعبير عن وجهة نظر شخصية، فردية أو متحركة، وتكون معرفة الرواي هنا على قدر معرفة الشخصية الحكائية، فلا يقدم لنا معلومات أو تفسيرات إلا بعد أن تكون الشخصية نفسها توصلت إليها.(43)

2- **التبئير الخارجي**:هو ذلك الذي تكون بؤرته خارجة عن الشخصية المروى عنها، وبالتالي فالراوي أو القارئْ يعرف أقل من الشخصية التي يروى عنها، كما يعتمد فيه كثيراً على الوصف الخارجي، والراوي لا يعرف ما يدور في خلد الأبطال، فهو يقدم لنا الشخصية متلبسة بالحاضر دون تفسير لأفعالها، أو تحليل لمشاعرها، وأفكارها، فهو أشبه بملاحظ خارجي، أو آلة تسجيل.ولقد ارتبط استخدام هذه التقنية برغبة الكاتب في إشاعة جو من التشويق وإحاطة الشخصية بالغموض من خلال كتم المعلومات المتعلقة بها أو في بعض الأحيان لتقديم عرض موضوعي للأحداث ورسم الشخصيات دون آراء مسبقة تؤثر في نظر القارئْ.(44) ووجهة النظر في الروايات الخيالية تقرر

العلاقة بين المادة والراوي الذي نرى من خلال عينية أحداث القصة، أي أن الأفكار والأحداث تتغربل من خلال وعي ولغة راوي القصة الذي قد يكون أو لا يكون مشاركاً في الفعل، والذي قد يكون أو لا يكون دليلاً معتمداً يتبعه القاريْ.[45] وبالإضافة إلى تقنية وجهات النظر تنهض تقنية السرد السينمائي من خلال الحذف الذي يشغل المؤلف في النص السينمائي، فالحذف دال يسهم في تحقيق التكثيف الجمالي، و يخلص النص من التفاصيل والجزئيات التي لم تعد مقبولة في عصر ينبذ الحشو والبطء، ومن جانب آخر يفتح الحذف استحضار الرمز النصي على التأويل اللامتناهي، كما دعى إلى ذلك التفكيكيون الذين قوضوا المعنى الواحد" فالنص تخلله بياضات بالجمل وما على القاريْ أو المشاهد، سوى ملأها مادام النص آلة كسولة سرعان ما تتوسل بالقاريْ ليقوم بجزء من مهامها "[46]، إلا أن تأويل النص الذي يحتشد الهامشي بأسلوب مكثف ليس سهلاً بل هو أمر يحتاج إلى قاريْ رصين محصن بمعرفة فلسفية، أو إلى ذخيرة من المعلومات تمكنه من مزاولة فعل القراءة بالطريقة الأمثل، والتكثيف في الفيلم يتجلى من خلال قصر الجمل وسلامتها والنهايات المفتوحة التي تدفعنا إلى خلق أسئلة كثيرة، ومشاركة فكرية تخلق قراءات متعددة يتيحها الفيلم الذي قد يطرح إشكالية لدى المتفرج.

رابعاً:السيميائيات السردية: يعد النص السردي من بين النصوص التي إهتم بها الباحثون في مجال السيميائيات، ويحاول علم السرد من حيث هو فرع من علم النص إلى ضبط منهجه، وجعل الظاهرة الأدبية تتسم بالعلمية، وذلك بإبعادها عن التأويل غير المعلل[47]، حيث اعتبر (ميك بال) علم السرد ضمن مفهوم علم السردية، أو العلم الذي يقبل صياغة النصوص السردية في بنيتها السردية، ويمكن أن يلاحظ من خلاله أنواع ثلاث (النص السردي، الحكاية، و القصة والسردية) هي الأسلوب أو الطريقة التي تفك شفرات النص، وينتهي إلى أن السردية محددة بالعلاقات الرابطة بين النص السردي، والقصة، و الحكاية".[48] وقد أدى الاهتمام بهذه الموضوعات والسيميائيات بخاصة، إلى الإستعاضة عن فكرة الوظيفة بالملفوظ السردي، والإعتراف بوجود وحدات سردية تتصل أحياناً بالجدول الإدراجي، وتتصل أحياناً بالجدول التعاقبي فتنشئ العلاقات التي تربط بين الملفوظات السردية في علاقتها المختلفة.[49] وعليه فإن الذهن البشري ينطلق من عناصر بسيطة لكي يصل إلى خلق موضوعات ثقافية، ويسلك في هذا سبيلاً معقداً يواجه فيه ارغامات عليه

تجاوزها، وتفرض عليه اختبارات عليه أن يحدد موقعه ضمنها ، وهذا المسار المعقد يقود من المحايثة إلى التجلي عبر البنيات العميقة والسطحية، وبنيات خاصة بالتجلي، وبالحديث عن خصوصية النص وعن تميزه من النصوص الأخرى التي تكمن فيها مضامين فكرية موجود خارج أي سياق نصي، أو داخله، وترتبط فيما بينها بسلسلة من العلاقات بما يثبتها أو يدعمها من (المقولات) المنتمية للكون الدلالي، أو الفضاء الدلالي، فإن موقع النص السردي في بنياته وتجلياته المتنوعة يرتبط بين مستويين، للتمثيل، والتحليل، و للتمييز بينهما لابد وأن نوضح **هذين المستويين**:

1- **المستوى السطحي**:وفيه يخضع السرد بكل تمظهوراته لمقتضات المواد اللغوية الحاملة له، أي مجموع العناصر التي تدرك من خلال التشخيص.

2- **المستوى العميق**:ويشكل جذراً مشتركاً تكون السردية منظمة بشكل سابق عن تجلياتها من خلال هذه المادة التعبيرية أو تلك.(50)

وبعبارة أخرى فإن الأمر يتعلق بإمكانية الإمساك بالفكرة التي يحاول أن يعبر عنها النص، فهذه الفكرة يمكن أن نعبر عنها من خلال، صورة، أو فيلم، أو قصة، ويشكل هذا التمييز بين مستويين للتنظيم السردي (الأشكال المتنوعة للتجلي السردي) القاعدة التي يستند إليها الخطاب في تشكله ومن أجل إنتاج مكوناته(51)، وبدل أن نتعامل مع الخطاب كملفوظات، تقول أن الخطاب باعتباره كلاً دالاً، وكون السردية نشاطاً إنسانياً للتمثيل ولإنتاج الدلالات لا تعبأ بمادة تمظهورها فيها قابلة للظهور من خلال مواد تعبيرية أخرى غير لسانية، كالسينما، والصور، المتحركة.إن السرد السينمائي يتعلق بالإدراك القبلي و البعدي من خلال رؤية سيميائية للصورة في الفيلم ونظيرتها العلامة في النص. وكلاهما يشكل أساساً رسالة تكون أجزائها تفاعلاً يكثف دلالات الوحدة الأيقونية في مستوى آخر يدرج خارج إطار السينما، وليكن مثلاً سياقا ثقافيا معينا، أو اتجاهات سينمائية في فترة ما، وخاصية السرد السينمائي وعلاقته بالعالم وهي خاصية الإنزياح، حيث يكون المشاهد حلقة الوصل ما بين الإدراك الخارجي الذي يمثل الواقع، و بين الإدراك الجديد للعالم من خلال السينما، وإن خاصية الإنزياح السينمائي تمثل مجال التحليل السيميائي، فمثلاً الخطاب الملفوظ من قبل الشخصية ندرك وجوده مثلاً، ولكن عند التركيب الصوتي والصوري(صورة الشخصية، صوت، وإضاءة) تتشكل وحدة سيميائية للعلامة اللغوية وينتج تأثير الفيلم بواسطة الصور الظاهرة في الشاشة

التي"ترتبط بالصور المخزونة في ذاكرة المشاهد، ومع ذلك الترابط أو الرصف تنشأ عواطف الدهشة أو البهجة أو الحزن".[52] فمن خلال الوحدات السينمائية المتشكلة تنزاح الدلالة عن العالم الواقعي بغض النظر عن صورة الإنزياح (توافق أو تشويه) التي تمثل صورة رسالة سيميائية في مستوى من التحليل أعلى درجة(سيميوثقافي) وتخضع عملية التدلال في السرد السينمائي لسيرورة التطور التكنولوجي للسينما الذي يقدم دوالاً جديدة تعمل في عملية الإنزياح .إن أنساق اللغة السينمائية (تصوير، حركات، لون، إضاءة، كتابة) يمكن أن تكون عناصر لغوية بالمعنى الحقيقي شريطة أن "تأخذ مكانتها في سياق النص لا بصورة آلية بل مقرونة بدلالة معينة يمكن أن نستكشف من استخدامها أو رفض استخدامها ترتيباً إقاعياً قابلاً للتمييز بسهولة، وطالما لا توجد منفصلة لا توجد علامات" [53]، وهذا يجيز لنا أن نقطع أو نجزأ الوحدات الكبرى إلى وحدات صغرى منفصلة، ومن خلال التقطيع أو التجزئة نستطيع أن نحدد أسلوب السرد السينمائي المبني على أساس التحليل وتقطيع المقاطع الدلالية المتكونة أساسا من فعالية وجماليات المونتاج والإخراج، وبذلك يتعلق أسلوب السرد السينمائي بالإدراك القبلي والبعدي من خلال رؤية سيميائية للفيلم ونظيرتها العلامة في النص لأن السينما تعتبر الكلمة المكونة الإلزامي للقص السينمائي وبذلك تكون السينما تركيباً لاتجاهين سرديين الأول صوري والثاني كلمي.[54]

خامساً:- السرد والآلية الفلسفية:يعتبر السرد شقيق الطبيعة الأول بل هو عمق الإنسان، تلك المناجاة الداخلية التي جعلته متشتتاً فيها هو وصوته، حوارية لا متناهية في رحلة الذات التي تجعله أنا والآخر في آن واحد، تلك المخلوقات التي تعبر عن وجه الإنسان في عوالمه الحكائية العميقة، مما يجعل الإنسان كائناً حيوارياً تتعاظم داخله البنيات الحكائية ليخرج الأخر كائناً مغايراً، وتنشأ العلاقات بين الكائن و الأغيار، وبين الكائن والطبيعة، تلك التجاورية حددت التراسل الحكائي في الكون، ليكون السرد محدداً دقيقاً لمختلف الأشكال والبنيات التعاقدية، بين الإنسان وغيره [55]، وعليه يعد السرد حاجة انطولوجية لتفريغ الكينونة الإنسانية التي تتوافق مع طبيعته الحكائية حيث تطفو في شكل علامات سيميائية تدل على عالمه الداخلي أو الخارجي " ولعل أهم ما حققته اللغة في انتظامها العلامي للفكر المشروط عقلاً داخل العقل السيميائي الجمعي الذي يسمى بالثقافة، ومن ضمن ذلك الكم الهائل من الاستخدام التواصلي لمنظومة اللغة ظاهرة الخطاب السردي "[56]، كذلك فإن السرد لا ينفصل من حيث أصوله التاريخية عن الحياة والثقافة والوجود، وهو حاضر في كل

الأزمنة، و في كل الأمكنة، وفي كل المجتمعات، وبذلك يكون لكل الطبقات، و لكل الجماعات البشرية سردها، وهذه السرود تكون في غالب الأحيان مستساغة بشكل جماعي من قبل أناس ذوي ثقافات مختلفة [57]، وبناء على ذلك فإن"السرد يوجد حيثما يوجد بحث في التتابع الذي ندعوه الزمن ".[58] إن الأصل في الإمساك بالدلالات لا يمكن أن يكون من طبيعة تجريدية ويتميز بالكلية الدلالية التي تخرج من حسابها كل التقطيعات والتمفصولات الدلالية التي تولد الثقافي والرمزي ، لذا فإن التفكير في المجرد لا يمكن أن تتم إلا من خلال أشكال مجسدة مرئية تمنحه تلويناً خاصاً، لأن التجسيد هو المدخل الرئيس نحو سلسلة من الأنساق التي تقوم بتنظيم مجموعة من القيم في قوالب محددة، والمعنى بكل تمنوعاته الذي يسند لهذه القيم لا يمكن أن يدرك بصورة فعلية إلا من خلال تحقق هذه القيم وتجسيدها في أدوار، أو وظائف تخرج هذه القيم من تجريديتها وتمنحها وجهاً مشخصاً، فإذا كنا سنعرف عن الحب، و الكراهية، عن المشاعر الأخلاقية، وبصفة عامة عن كل ما نسميه ذاتاً لو لم يتم التعبير عن كل هذا في اللغة، ولم تتم مفصلته والإفصاح عنه بواسطة الأدب.[59]، وهنا يكون التأويل عصب الحياة الإنسانية وقطبها الأساس، لأن التأويل يلعب دوراً مهماً في السرد والخيال، أو دور الوسيط أثناء محاكاة فعل الإنسان ومعاناته في الحياة، لذى اعتبر (أرسطو) السرد محاكاة فعل ما [60]، و بالإضافة إلى ذلك لاأصعب من أن ننظر إلى السينما السردية بعيداً عن التفكير الفلسفي، لأن لكل فيلم سينمائي فلسفته الخاصة التي يتحدد من خلالها خط سير الفيلم ورؤيته للوجود والأشياء. إن مسائل، كالخلاص، والرغبة، و الخوف من المستقبل، وإحساس الشخصية بالإنهزام وتشظي الزمن، ومناجاة الذات، و تفتيت اللغة، وتذويب المكان،وإعلان شأن الموت، هي مفردات حياتية لقضايا فلسفية يخطو بها التأمل والجنون إلى تعبيرات المقدس والتماهي مع الأخر، و إن التفكير في فلسفة السردي هي بمثابة فلسفة أخرى، ولهذا نرى أن بعض الأفلام والروايات بمثابة علوم متنوعة يحظر فيها الفلسفي أحياناً كونه تاريخياًن أو من جهة كونه حضارة، أو من جهة أسطورة وخرافة، فالنقاد الفلاسفة جعلوا من المتن الروائي مثناً لأسئلتهم، فانطلقوا يطرحون نظرياتهم و أفكارهم حول الأنا، و الزمن، والهوية، كما هو الحال مع (بول ريكور) الذي جعل من ثلاثية الوجود، الزمان، السرد، فلسفة متكاملة و(ميشيل فوكو) الذي تأمل كثيراً الوجود و الأشياء واعتبرها نوعاً من الفلسفة السردية، و(إنبرتو إيكو)الذي فلسف السرد بطريقته الجديدة حينما جعلها غابة كثيفة معبأة بالدهشة، والخوف، وكشف الأسرار،و(جيل دولوز)الذي جعل الصورة الزمن،

والصورة الحركة، هو تأمل الحياة الواقعية، وتأمل الأعمال الروائية السينمائية تروي الكشف عن أنساقها الفلسفية.

الخلاصة:يمكن أن نخلص من دراستنا إلى أن الفيلم السينمائي بصفةٍ عامة تصوير لغوي، وعقلي، وذهني، وخيالي، وحسي، قد ينتقل إلى العالم الواقعي أو يتجاوزه إلى عوالم خالية وافتراضية أخرى، وأهم ما فيه طبيعته السردية، سواء كانت اللغوية، والفنية، والجمالية، وارتباطه بآليات تعبيرية قد تتجاوز القصة والرواية إلى صور سردية ودرامية موسعة، ويقوم السرد على التلميحات كي يبني استنتاجاً حول الفيلم الذي يستخدم خطة تفسيرية و يبني قصة الدراما، فهو تأثير في المتلقي بشكل إيجابي لكي يبني المعنى أكثر من كونه يستقبل هذا المعنى، لكي يجعله متسقاً ومتماسكاً.والسرد هو الشكل الفعلي الذي تتم به رواية الأحداث، أي اختيار أحداث القصة وتنظيمها ، وإن ارتباط السرد بالأسلوب يجعل المتلقي يستخدم حبكة وأسلوب الفيلم لكي يبني ذهنياً قصة الفيلم، وقصة الفيلم لا يمكن الحديث عنها بمعزل عن الوسيط البصري، و السمعي، وأدواته التقطيعية والإنتقالية، كما يمكن استنباط خصائص الحكاية الفيلمية من الدراسة الداخلية للفيلم، لأن الدراسة الداخلية للحكاية الفيلمية لا يمكن الاستغناء عن المكون التداولي المتمثل في العلاقات بين المبدع والمتلقي، وبين المعطيات النفسية والثقافية التي تفتح آفاقاً جديدة لتحليل الفيلم.

هوامش البحث:

1- سعيد يقطين: السرديات والنقد السردي، مجلة نزوة– العدد 63(عمان، مؤسسة عمان للصحافة والنشر، 2009م) ص 163.

2- بول ريكور: الزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي وآخرون(بيروت، دار الكتاب الجديد، 2006م) ص102.

3- يان مانفريد: علم السرد، ترجمة: أماني أبورحمة(دمشق، دار نينوى، 2011م) ص12.

4- مصطفى عمر التير: مقدمة ومباديْ وأسس البحث الإجتماعي- ط3(طرابلس، منشورات الجامعة المفتوحة، 1995م) ص91-92.

5- أبن منظور: لسان العرب- مادة: س. ر. د. ص273.

6- أحمد رحيم كريم: المصطلح السردي في النقد الأدبي الحديث(عمان، دار صفاء، 2012م) ص38.

7- عبدالملك مرقاص: نظرية الرواية(الكويت، المجلس الوطني الثقافي، 1998م) ص219.

8- علي المانعي: القصة القصيرة المعاصرة(بيروت، مؤسسة الانتشار العربي،2010م) ص36.

9- جيرار جينيت: خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم(القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة،1997م) ص254.

10- علي المانعي:(مرجع سابق) ص36.

11- سعيد بنكراد: السرد الروائي وتجربة المعنى(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي ،2008م) ص57.

12- حميد لحمداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000م) ص46.

13- بول ريكور: الوجود والزمان والسرد، ترجمة: سعيد الغانمي(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 1999م) ص46.

14- رومان جاكسون: نظرية المنهج الشكلي، ترجمة: إبراهيم الخطيب(الرباط، مؤسسة الأبحاث العربية، 1982م) ص108.

15- ولاس مارتن: نظريات السرد الحديثة، ترجمة: حياة جاسم محمد (القاهرة، المجلس الأعلى الثقافي، 1998م) ص96.

16- ناهضة ستار: بنية السرد في القصة(دمشق،اتحاد الكتاب العربي، 2003م) ص61.

17- عبدالله أبو هيف: المصطلح السردي، مجلة جامعة تشرين للدراسات، مجلد 2، العدد 1 (دمشق، جامعة تشرين للدراسات، 2006م) ص75.

18- أحمد قرشوخ: جمالية النص الروائي (الرباط، دار الأمان للنشر، 1996م) ص41.

19- عدنان بن زريل: النص والأسلوبية بين النظرية والتطبيق(سوريا، اتحاد الكتاب العربي، 2000م) ص44.

20- صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص(القاهرة، الشركة العالمية للنشر، 1996م) ص375.

21- ناهضة ستار: (مرجع سابق) ص62.

22- جاك آمون: الصورة، ترجمة: ريتا الخوري(بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2013م) ص353.

23- (المرجع السابق نفسه) ص 356.

24- ميخائيل باختين: أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق(دمشق، منشورات وزارة الثقافة، 1990م) ص6.

25- حسن نجمي: شعرية الفضاء السردي(بيروت، المركز الثقافي العربي، 1977م) ص65.

26- حسن بحراوي: بنية الشكل الروائيّ، الفضاء،الزمن(بيروت، مكتبة الدار البيضاء، 1990م) ص33.

27- سعيد يقطين: البنيات الفضائية في السيرة الشعبية(بيروت، المركز الثقافي العربي، 1997م) ص240.

28- سحر روحي الفيصل: الرواية العربية، البناء والرؤية(دمشق، منشورات اتحاد الكتاب العربي، 2003م) ص71.

29- نجيب محفوظ وآخرون: عناصر العلاقة بين الفن السينمائي والأدبي، مجلة الأقلام ،العدد الأول(بغداد، دار الشئون الثقافية، 1988م) ص12.

30- جوزيف بوجز: فن الفرجة على الأفلام، ترجمة: وداد عبدالله (مصر، الهيئة العامة للكتاب، 1995م) ص22.

31- كريستيان ميتز: لغة السينما، ترجمة: محمد علي الكردي(بغداد، دار الشئون الثقافية ،1986م) ص86.

32- محمد سالم ولد محمد الأمين: لغة السينما في السرد المعاصر، موقع إسلام أون لاين الالكتروني، 2016/10/25م .

33- James .Monaco, How To Readl a Film " New York .Oxford univ . Prees , 1981. P.133.

34- Christian Metz , Film Language " Oxford -1980 .P.24.

35- Christian Metz , Film Language " Oxford -1980 .P.24.

36- Bill Nichdas : Movie & Methodr .Berkely , Universe Stay of Calfornia Press , 1976. P.447.

37- بوريس أوزنبسكي: شعرية التأليف، ترجمة: سعيد الغانمي(القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة، 1999 م) ص13.

38- تيموتي كوريفان: دليل موجز للكتابة عن الفيلم، ترجمة: محمد منير(دمشق، المؤسسة العامة للسينما، 2013م) ص82.

39- Miek Bal , Narratolgie . essaisur La signification nanative dansguatre romaus moderns paris klinckgeck .1977 .P.4.

40- حميد لحمداني: النص الأدبي من منظور النقد الأدبي(المغرب، المركز الثقافي العربي، 1999م) ص45.

41- سعيد يقطين: الكلام والخبر- مقدمة للسرد العربي(المغرب، المركز الثقافي العربي للطباعة، 1997م) ص25.

42- (المرجع نفسه) ص26.

43- زيتوني لطيف: معجم مصطلحات لنقد الرواية(بيروت، مكتبة لبنان، 2002م) ص 42.

44- (المرجع نفسه) ص42.

45- لوي دي جانيتي: فهم السينما، ترجمة: جعفر علي(العراق، دار الرشيد للنش، 1982م) ص481.

46- إمبرتو إيكو: نزهات في غابة السرد: ترجمة: سعيد بنكراد(الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2005م) ص200.

47- بيير جيرو: علم الإشارة- السيميولوجيا، ترجمة: منذر عياشي(دمشق، دار طلاس، 1988م) ص23.

48- Miek , Bal , narratologie .Paris . 1977 , P.13.

49- عبدالحميد بورايو: التحليل السيميائي للخطاب(وهران، دار المغرب للنشر والتوزيع، 1986م) ص7.

50- Nefcrederic : structvre elementair dule signification auv, coll .P.20.

51- Friemas , arvec Lacollabration def , Rastier , le jue des Contraintes Semiotigue in sens , 1985, P.158.

52- يوري لوتمان: مدخل إلى سيميائية الفيلم (مرجع سابق) ص57.

53- (المرجع نفسه) ص60.

54- (المرجع نفسه) ص63.

55- اليامين بن تومي: السرد والسرديات- فلسفة السرد المنطلقات والمشاريع(الرباط، دار الأمان، 2014م) ص32.

56- محمد بوعزة : نحو نموذج معرفي للسرد (الرباط، دار الأمان،2014م) ص31.

57- رولان بارث: التحليل البنيوي للسرد (مرجع سابق) ص9.

58- بول ريكور: (مرجع سابق) ص3.

59- عبدالله مرعي: فلسفة التأليف بين الأدب والتاريخ (الرباط ، منشورات ضفاف والاختلاف، 2014م) ص84.

60- بول ريكور: (مرجع سابق) ص72.

التنمية البشرية في الإقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007)

د. صلاح الدين إنبيه جمعة(*)

مقدمة:- أولت إقتصاديات الدول المتقدمة والنامية على حد سواء إهتماماً متزايداً منذ القدم بالعامل الرئيس لإحداث النمو الإقتصادي والتنمية الإقتصادية ، وكان التركيز على الجانب المادي في تكوين رأس المال المادي ، إذ نال ذلك الجانب أولوية من حيث أهميته كأحد مدخلات أي عملية إنتاجية . لذا سعت كافة الدول جاهدة إلى تغطية ذلك الجانب هادفة إلى إحراز تقدم ملموس و ملحوظ في العملية التنموية والرفع من معدلات النمو الاقتصادي .إلا أنه بمرور الزمن والواقع العملي تبين أن توفير رأس المال المادي وتراكمه شرطً ضروري ولكنه غير كافٍ، إذ برز للباحثين والمتخصصين وجود عامل أخر لابد أن يحظى بأولوية، البعض يعتبره لدرجة تزيد عن أهمية الجانب المادي في العملية الانتاجية، وهو الجانب البشري المتمثل في القدرات البشرية اللازمة للعملية الانتاجية، وهو ما دفع بالدول إلى إعادة النظر في الموقف السابق حيال التراكم الرأسمالي (المادي) ، حيث توجه الجميع إلى وضع السياسات و البرامج والخطط المستقبلية لتكوين قدرات الأفراد وتنميتها، ونتيجة لأهمية هذا الجانب بإعتباره مدخلا للعملية الإنتاجية اهتمت هذه الورقة بدراسة واقع التنمية البشرية في الإقتصاد الليبي خلال الفترة(1990-2007).

مشكلة الدراسة:- برز إهتمام الدولة بتنمية عناصرها البشرية من خلال إستراتيجيات التنمية التي تم التخطيط لها والإعلان عنها في الخطط التنموية للفترات المختلفة (1973- 1975) ، (1976– 1980)، (1981-1985) ، ومشروع البرنامج التنفيذي التنموي (2008– 2012) وجميع الخطط تهدف إلى إعداد العنصر البشري كماً ونوعاً بما يُسهم بشكل فعّال في تحقيق التنمية الإقتصادية و الرفع من معدلات النمو في الناتج المحلي الإجمالي ، مما دفع بالدولة إلى تحمل الإنفاق على قطاع التعليم والتدريب والصحة ، وإتباع سياسة من شأنها توفير الغذاء المناسب وبأقل تكلفة لجميع أفراد المجتمع ،(سياسة الدعم للسلع الضرورية)، إلا أنه رغم تجربة الدولة وخوضها لتحقيق ذلك الهدف لفترة زمنية طويلة أكثر من (أربعين عاماً) إلا أن الاقتصاد الليبي مازال يعاني من سوء واقع التنمية البشرية. مما يمكن طرح المشكلة البحثية في **السؤال التالي:**ما العوامل المؤثرة سلباً في التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي؟

فرضيات الدراسة:-

1- إنخفاض الإنفاق على قطاعي التعليم والصحة .

(*) عضو هيئة تدريس / قسم الإقتصاد / كلية المحاسبة - غريان

2 - انخفاض معدل المواليد خلال فترة الدراسة .
3 - انخفاض نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي .

أهداف الدراسة:-

1- التعرف على واقع التنمية البشرية ، ومدى الاهتمام بها من قِبل الدولة، وذلك من خلال دراسة مؤشراتها المختلفة مثل التعليم ،الصحة ،متوسط دخل الفرد.
2- الوقوف على المعوقات التي تؤثر سلباً في تحقيق تنمية بشرية تخدم الإقتصاد الليبي ، وهو ما يُسهل للجهات المسؤولة العمل على الحد منها من خلال وضع إستراتيجية مناسبة تتفق مع السياسة الاقتصادية العامة للدولة .
3- الوصول إلى عدد من التوصيات الهادفة التي عند الأخذ بها سوف تُسهم في إنجاح وتحقيق تنمية بشرية تساعد مستقبلاً على بناء الإقتصاد الليبي وتطويره بما يخدم العملية التنموية الشاملة .

أهمية الدراسة:- إن الوقوف على واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي يُتيح **التعرّف على ما يلي**:-

1- مدى إهتمام الدولة بإعداد العنصر البشري من خلال بيان حجم نفقاتها على قطاعي التعليم والصحة .
2- واقع متوسط دخل الفرد في الاقتصاد الليبي ، ومقارنة ذلك باقتصاديات دول أخرى يعكس حقيقة الواقع الاقتصادي للمواطن الليبي وتأثير ذلك في التنمية البشرية .
3- مؤشرات التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي ، مما يُسهم في إقناع الجهات ذات العلاقة بالعمل على معالجة معوقاتها في الاقتصاد الوطني.

حدود الدراسة:- الجانب النظري حُصر في التعريف بالموارد البشرية والتنمية البشرية ومؤشراتها وأهميتها ، في حين الجانب العملي تم التركيز فيه على دراسة واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990- 2007) إعتماداً على مؤشرات وبيانات في الإقتصاد الوطني.

منهجية الدراسة:- تتطلب دراسة الموضوع جمع البيانات في شكل سلاسل زمنية من الجهات الرسمية ، ثم الاعتماد على التحليل الوصفي واستخدام بعض الأساليب الإحصائية، مثل معدل النمو السنوي ومعدلات النمو المتوسطة لفترات مختلفة، وقد تم تقسيم الدراسة إلى المباحث التالية

المبحث الأول:- مفهوم الموارد البشرية والتنمية البشرية
المبحث الثاني:- مؤشرات التنمية البشرية وأهميتها

المبحث الثالث :- واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990- 2007) .

المبحث الأول :- مفهوم الموارد البشرية والتنمية البشرية

تتمتع كل دولة بعدة موارد منها الموارد البشرية ، وهي تختلف في الحجم من دولة لأخرى ، وتسعى كل الاقتصاديات إلى تحقيق الإستفادة القصوى من مواردها البشرية بما يسهم في الرفع من معدلات النمو الاقتصادي، وهو ما دفع بالدول إلى العمل على تنمية مواردها البشرية.

ومن هنا تبرز الحاجة إلى الفصل بين مفهومي الموارد البشرية والتنمية البشرية، ويمكن بيان المفهومين على النحو التالي :-

أولاً:- مفهوم الموارد البشرية. تُعرّف الموارد البشرية بأنها "كل السكان في سن العمل ما عدا العجزة غير القادرين على العمل"[1] وهنا نلاحظ إن هذا المفهوم حصر التعريف بسن العمل والمقدرة على العمل ، وهو ما جعل البعض الأخر يُعرّف الموارد البشرية بأنها " الجزء من السكان الذين يمكن الاعتماد عليهم في النشاطات الاقتصادية"[2].وهذا التعريف يُبين بوضوح أن الموارد البشرية للدولة هي التي تسهم في جميع الأنشطة الإقتصادية المختلفة ، إذ أنها تستخدم كمدخلات في العملية الإنتاجية. ولابد من الإشارة إلى وجود جزء من السكان خارج سن العمل، ولكنهم قد يشاركون في الأنشطة الاقتصادية المختلفة ، وبالتالي يدخلون ضمن الموارد البشرية للدولة. وهو ما دفع بالبعض إلى تعريف الموارد البشرية بأنها "الجزء من السكان الذي يحتوي على القادرين على العمل وهم في سن العمل، والعاملين منهم و العاطلين (القوى العاملة) ، إضافة إلى الأشخاص الخارجين عن حدود سن العمل إلا أنهم يشاركون في العمل[3]. ومما سبق يمكن أن نصل إلى أن الموارد البشرية للدولة لابد أن تكون قادرة على العمل وراغبة فيه ومستعدة له ضمن الفئة العمرية لسن العمل التي يحددها القانون بالدولة ، ويضاف إلى ذلك أيضاً الفئة من السكان خارج سن العمل ومازالوا يشاركون في العمل وكل ذلك يمثل مورداً بشرياً ، وبمعرفته يتطلب من الدولة وضع الخطط و الإستراتيجيات الهادفة إلى الإستفادة منه بإعتباره مورداً يخدم الإقتصاد ويعمل على تنميته دون أن يكون عبء عليه.

ثانياً:- مفهوم التنمية البشرية تُعرّف التنمية البشرية بأنها " عملية توسيع نطاق خيارات البشر والدخل هو أحد تلك الخيارات لكنه ليس الخيار الوحيد. إذ

---

(1) فليح حسن خلف ، إقتصاديات التعليم وتخطيطه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007 ، ص 123.

(2) المصدر السابق ، ص 125 ،126.

(3) محمد جميل عمر ، إقتصاد وتخطيط القوى العاملة ، منشورات جامعة دمشق ، 1994، ص 125.

أن التنمية تعني أن يتمتع الناس بحياة طويلة وصحية وخلاقة "[1]. كما تُعرّف التنمية البشرية بأنها " العملية التنموية الهادفة إلى جعل البشر هدفاً من أهداف التنمية الإقتصادية"[2]، وهو ما يعني أن التنمية البشرية تهدف أساساً إلى تنمية الموارد البشرية من خلال الإستثمار بها، وذلك بتحسين البرامج التعليمية و تقديم الخدمات الصحية المناسبة ، كما يُنظر إلى التنمية البشرية بأنها عبارة عن "عملية تنموية مستدامة تهدف إلى الاستثمار في قدرات البشر من خلال تحسين قدراتهم ومهاراتهم بهدف زيادة الانتاجية وتحقيق النمو الإقتصادي ، و توزيع عوائده على أفراد المجتمع بشكل عادل يضمن رفع مستوى رفاهيتهم و تمكينهم من المشاركة في هذه العملية التنموية المستدامة في إطار الموارد الاقتصادية المُتاحة"[3]. ومما سبق يبرز بوضوح أن التنمية البشرية عملية تستهدف جميع الفئات العمرية للسكان من خلال توفير الخدمات التعليمية و الصحية وكل ما من شأنه أن يزيد من قدراتهم ومهاراتهم وانتاجيتهم.الأمر الذي يسهم بشكل مباشر في تنامي حجم الانتاج كماً نوعاً على مستوى الاقتصاد الكلي واستدامة العملية التنموية بما يضمن الاستخدام الأمثل للموارد المتاحة في المجتمع وبما يحقق في الوقت نفسه مستوى عالياً من الرفاهية الاقتصادية للأفراد.

ثالثاً:- الأهمية الاقتصادية للتنمية البشرية :-

بعد التعريف بكل من الموارد البشرية والتنمية البشرية يكون من السهل التعرّف على مدى الترابط بينهما ومدى أهمية التنمية البشرية في ضمان وجود موارد بشرية جيدة تكون في خدمة الاقتصاد وتطويره، وهو ما يعني أن التنمية البشرية مطلب ضروري وفي غاية الأهمية لإعداد الموارد البشرية اللازمة للعملية التنموية وهو ما جعل كافة إقتصاديات الدول تعمل على إعادة صياغة أولويات أهدافها، إذ أصبحت التنمية البشرية تنال مرتبة عالية من الأهمية إدراكاً من الجميع بدور التنمية البشرية في إعداد الموارد البشرية مستقبلاً، و التي تُعد الركيزة الأساسية في تكوين رأس المال البشري اللازم للعملية الانتاجية،ويمكن حصر الأهداف الاقتصادية للتنمية البشرية في النقاط التالية:-

❶ - تعمل التنمية البشرية على تحقيق الاستفادة من الموارد البشرية من خلال زيادة إنتاجيتها.

---

[1] علي العطار ، التنمية الاقتصادية والبشرية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2005 ، ص 108.

[2] إبراهيم مراد الدعّمة ، التنمية البشرية (الإنسانية) بين النظرية والتطبيق ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008، ص 17.

[3] المرجع السابق ،ص 17

❷ - الإسهام المباشرة في التعجيل بتحقيق التنمية الاقتصادية على مستوى الإقتصاد القومي .
❸- تُتيح التنمية البشرية (عند تحققها) للدولة الاعتماد على مواردها البشرية في الأنشطة الاقتصادية المختلفة ، والتقليل مستقبلاً من الاعتماد على الموارد البشرية المستوردة(العمالة الأجنبية).
❹- تسهم التنمية البشرية بشكل فعَّال في تكوين رأس المال البشري للدولة، الذي يُعد الركيزة الأساسية للعملية التنموية في الاقتصاد .
❺- عند تحقيق التنمية البشرية على مستوى الفرد يمكنه من الحصول على وظيفة أفضل وبمستوى دخل أعلى، مما ينعكس إيجاباً على معيشة أسرته.
❻- تعمل التنمية البشرية لعنصر العمل من خلال برامج التعليم والتدريب على زيادة انتاجيته، الأمر الذي يزيد من الطلب عليه في سوق العمل، مما يقلل من معدلات البطالة في الاقتصاد .
❼- إن زيادة حجم الإنتاج للشركات نتيجة لتطوير القدرات والمهارات لأفرادها ذلك يؤدي إلى زيادة أرباحها ، يدفع ويشجع على التوسع في الاستثمار.
❽ - تُحقّق التنمية البشرية للاقتصاد إمكانية الاعتماد على أساليب الانتاج المتطورة والتي تستخدم تقنيات حديثة دون الاعتماد على العمالة المستوردة من الدولة المنتجة لتلك الآلات والتقنيات المتطورة، الأمر الذي يتبعه بالضرورة زيادة حجم الإنتاج على مستوى الاقتصاد ككل، وزيادة إنتاجية عنصر العمل المحلي والذي يعطي مؤشراً على زيادة إسهام عنصر العمل المحلي في العملية التنموية الشاملة.
❾- يبرز أثر التنمية البشرية في جانب السكان من خلال رفع معدلات نموه الناتج عن الخدمات الصحية وتوفير الغداء المناسب ، الأمر الذي يصاحبه تزايد فئة السكان النشيطين اقتصادياً مستقبلاً ، حيث تزداد الحاجة لذلك خاصة في إقتصاديات الدول التي تعاني من الندرة النسبية لعنصر العمل ، كما هو الحال في الاقتصاد الليبي.
❿ - تُتيح التنمية البشرية للاقتصاد إمكانية تطوير نوعية الانتاج وتحسين جودته ، مما يساعد الاقتصاد المحلي على الدخول في منافسة الأسواق الدولية والتوسع في الصادرات التي تسهم في توفير العملات الصعبة اللازمة لاستيراد ما يلزم لخدمة العملية التنموية.

ومما سبق يمكن القول بأن للتنمية البشرية تأثيراً في العديد من المتغيرات الاقتصادية مثل حجم الانتاج ، الطلب على عنصر العمل ، عرض العمل ، حجم السكان، الاستثمار... إلخ ، وهو ما يؤكد على الأهمية الاقتصادية للإنفاق

على العنصر البشري بما يعمل على إعداده ليكون في خدمة الاقتصاد وتطويره، وهو يستوجب على الجهات الرسمية في الدولة أخذ ذلك في الاعتبار عند صياغة الأهداف ووضع الخطط التنموية على مستوى الاقتصاد ككل .

المبحث الثاني:- مؤشرات التنمية البشرية

بعد أن تم التعريف بمفهوم التنمية البشرية وأهميتها الاقتصادية يتطلب دراسة المؤشرات التي يمكن أن تستخدم لمعرفة مدى تحقيق التنمية البشرية في إقتصاد ما. والذي يختلف واقعها من دولة لأخرى نتيجة للاختلاف في حجم الموارد ومدى إهتمام الدولة بالتنمية البشرية .

حيث التعرّف على المؤشرات يُتيح دراسة واقع التنمية البشرية ، إلا أن ذلك يتطلب قاعدة بيانات إحصائية دقيقة من خلالها يمكن حساب المؤشرات الدالة على واقع التنمية البشرية، وهو ما تفتقر إليه اقتصاديات الدول النامية، مما يجعل أحياناً تعذر معرفة حقيقة التنمية البشرية في بعض الدول. ومن المؤشرات التي تستخدم لمعرفة واقع التنمية البشرية ومدى الإهتمام بها ما يلي:-

أولاً:- التعليم:- يستخدم التعليم الذي يتحصل عليه أفراد المجتمع مؤشراً على التنمية البشرية، وهو يختلف واقعه من دولة لأخرى ، ويأخذ التعليم عدة أشكال ومستويات منها محو الأمية والتعليم الرسمي العام بمراحله المختلفة (ابتدائي، إعدادي ، ثانوي ، جامعي) والتعليم الخاص بمراحله المختلفة، والدراسات العليا الجامعية ، إضافة إلى التعليم المفتوح والتعليم عن بعد ، وكل ما من شأنه أن يسهم في تعلم الفرد مثل الدورات التدريبية وورش العمل، وكل ذلك يتطلب انفاقا سواء من القطاع العام أو الخاص.ونتيجة للدور الذي يلعبه قطاع التعليم في إعداد العنصر البشري نجده يحظى باهتمام من قِبل الدولة ، حيث تُخصص نسبة من الإنفاق العام لقطاع التعليم ، وهو ما يتفاوت نسبياً بين الدول نتيجة للاختلاف في حجم الموارد المادية للدولة ومدى الاهتمام به.فكلما أولت الدولة اهتمامها بتوفير التعليم للمواطنين، أعطت أولوية لذلك القطاع مقارنة بالقطاعات الأخرى، إدراكاً منها بأهمية ما يتحصل عليه الفرد من تعليم في تحقيق العديد من العوائد على مستوى الفرد والمجتمع ككل.وعند تحمل الدولة نفقات باهضة لأجل تعلم أفراد شعبها لابد أن تضع الخطط والاستراتيجيات التي من شأنها تحقيق الفعّالية الاقتصادية للتعليم والتي لتحقيقها يتطلب توفر شرطين هما[1] :-

[1] إبراهيم مراد الدعّمة ، مرجع سابق ، ص 126.

❶-أن يؤدي التعليم إلى إعداد القوى البشرية اللازمة للمجتمع كماً ونوعاً ، حيث تزايد الحاجة في سوق العمل للعمالة المدربة والمؤهلة خاصة في ظل أساليب الإنتاج الحديثة والمتطورة .إلا أنه في حالة إخفاق الدولة في تحقيق الأهداف المخططة للتعليم ، سيؤدي ذلك إلى تزايد الكم الهائل من مخرجات التعليم مع تدني النوعية أو في مجالات يقل الطلب عليها بسوق العمل. الأمر الذي يتبعه تزايد العبء على الدولة دون تحقيق الجدوى الاقتصادية للتعليم ، و هدر الموارد البشرية دون الاستفادة منها ، مما يزيد حجم الخسارة على مستوى الفرد والاقتصاد ككل ، وهو ما تعانيه العديد من الدول النامية ومنها الدول العربية .

❷ - أن يكون الاقتصاد قادراً على توظيف مخرجات التعليم ، وذلك يتطلب التوافق بين مخرجات التعليم واحتياجات سوق العمل ، فعندما تكون الكوادر المؤهلة أقل أي لا تغطي متطلبات سوق العمل فإن ذلك يسبب العجز الذي يدفع بالاقتصاد إلى الاعتماد على العمالة الأجنبية، وكذلك عندما تكون مخرجات التعليم تزيد عن حاجة سوق العمل يترتب عليه بطالة الكوادر المؤهلة ، وبالتالي لابد من التخطيط بما يضمن قدرة الاقتصاد على استيعاب وامتصاص مخرجات التعليم بما يخدم العملية التنموية وتحقيق أهداف التعليم المخطط لها.

والجدير بالذكر هنا أن عدم قدرة الاقتصاد على استيعاب الأفراد المؤهلين أو توفير فرص عمل لهم بأجر منخفض، ذلك يكون عامل دفع لهم للهجرة للخارج والتي يقابلها توفر عوامل جذب في الدول المستقبلة لهم ، ذلك من شأنه أن يزيد من تفاقم مشكلة البطالة بإرتفاع معدل البطالة بين الكوادر المؤهلة من جانب، وتفشي ظاهرة هجرة العقول (الكفاءات) في الاقتصاد من جانب أخر، وهو ما يعني تحمّل الدولة نفقات كبيرة على التعليم دون تحقق الفعّالية الإقتصادية، بل تتحمل خسارة أكبر بهجرة الكفاءات للخارج دون الإستفادة منها في العملية التنموية(*) .

ثانياً:-الصحة:-عندما تولي الدولة اهتماماً بشعبها يتبلور هذا الاهتمام في عدة جوانب منها زيادة نفقاتها على الصحة، والعمل على توفير الخدمات الصحية من خلال بناء المستشفيات وتوفير الأدوية والمراكز الصحية، الأمر الذي يسهم في تمتع الأفراد بصحة جيدة وقادرة ومناسبة للقيام بالعمل، إضافة إلى تقليل عدد الوفيات، كما أنه في حالة ظهور بعض الأمراض تعمل الدولة على توفير العلاج المناسب بشكل يسهل وصوله إلى جميع أفراد المجتمع مع العدالة في

(*)تقسم عوامل الهجرة إلى عوامل الدفع من الدول المرسلة وعوامل الجذب من الدول المستقبلة ، وتُحقق العديد من الآثار على الدول المرسلة... لمعرفة المزيد ،أنظر في ذلك (رياض عواد ، هجرة العقول، ط1، ليبيا ، 1992، ص 64-70.

توزيع الخدمات الصحية بين الريف والمدينة.ويلاحظ في الإقتصاديات التي تتمتع بخدمات صحية عالية الجودة (الدول المتقدمة) ينعكس ذلك إيجاباً على الانتاجية للفرد، ثم زيادة دخله مما يحسن مستوى معيشة أسرته. الأمر الذي يؤثر بشكل عام في واقع التنمية البشرية للدولة ، والعكس ففي الدول النامية خاصة الفقيرة توجد العديد من العوامل المؤثرة سلباً في الصحة منها ما يلي:-

❶- عدم الاستقرار السياسي الذي كثيراً ما تصاحبه الحروب الأهلية (خاصة في القارة الأفريقية)، وهو وضع يؤدي إلى عجز الموازنة العامة للدولة و ضعف قدرة الدولة على الإنفاق لتوفير الخدمات التعليمية والصحية .

❷-انتشار الأوبئة مع ضعف قطاع الصحة على مواجهتها نتيجة للعجز في الميزانية وعدم توفير الخدمات الصحية، وهو ما يؤدي إلى إلحاق الضرر بأفراد المجتمع والتأثير سلباً في التنمية البشرية .

❸- ضعف أداء النظام السياسي في العديد من الدول النامية وعدم إتخاذ الخطط والاستراتجيات التي من شأنها أن تخدم أفراد المجتمع منها التنمية البشرية .

❹ -ارتفاع معدلات البطالة في اقتصاديات الدول النامية خاصة الفقيرة ، مما يزيد من الآثار السلبية على التنمية البشرية في المجتمع.

❺-التخلف الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه إقتصاديات الدول النامية و الذي يؤثر على عجلة الاقتصاد، مما ينعكس على تقديم الخدمات الصحية لأفراد المجتمع.

❻-انخفاض حجم الناتج المحلي الإجمالي لاقتصاديات الدول النامية الذي يؤثر سلباً في دخول الأفراد ومستوى معيشة أسرهم.

❼- تدني الأجور في حالة توفر فرص عمل بالمستوى الذي لا يلبي احتياجات الحياة ومتطلباتها ، مما يعكس تدني أدنى متطلبات الحياة منها حق الحصول على التعليم والخدمات الصحية ، مما يزيد من ظاهرة الهجرة (خاصة غير الشرعية) نتيجة لتردي الأوضاع الاقتصادية ومستوى المعيشة .

❽-مخرجات التعليم من العناصر الطبية غالباً لا تتحصل على الدخل المشجع ، مما يدفع بها للهجرة للخارج والدولة في حاجة ماسة لها ، وهو ما يلحق الضرر بالخدمات الصحية لأفرادها وقد يؤدي هذا إلى زيادة الاستخدام للعمالة المستوردة في المجالات الطبية، مما يؤثر سلباً في الناتج المحلي إضافة إلى زيادة العبء على الموازنة العامة.

❾ -إن انخفاض المستوى التعليمي للأمهات وأحياناً عدم وجوده يؤثر سلباً في تربية الأطفال وصحتهم ، حيث تعلّم الأمهات يسهم بشكل مباشر في تقديم الخدمات الصحية المناسبة للأطفال[1] .

❿ - ضعف اهتمام الدولة في توفير المراكز الصحية والمستشفيات بالأرياف مقارنة بالمدن مما يؤثر سلباً في التنمية البشرية في الريف.

ثالثاً:- مؤشر الدخل (نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي):-

إن تأثير نشاط الأسرة وإنفاقها على التنمية البشرية يلعب دوراً مهماً في تحقيق التنمية البشرية على مستوى الاقتصاد ككل ، وذلك يعتمد بالدرجة الأولى على دخل الفرد، فعند وجود دخل جيد يتيح لرب الأسرة الإنفاق على تعليم أفراد أُسرته وتوفير الخدمات الصحية لهم، إضافة إلى توفير الغذاء المناسب مما يعمل على إعداد أفراد الأسرة بشكل صحي وعلمي يخدم المجتمع ، وهو ما يبرز الدور الذي تلعبه الأسرة في نجاح التنمية البشرية على مستوى المجتمع اعتماداً على الدخل الحقيقي لأفرادها. والعكس من ذلك تماماً عند وجود دخل منخفض لا يكفي لمتطلبات الحياة اليومية (الغذاء، السكن اللائق.. غيرها)، الأمر الذي يترتب عليه تسرب الأطفال مبكراً من مراحل التعليم المختلفة، وفي كثير من الأحيان لا يدخلون للمدرسة نهائياً مما يصاحبه إرتفاع نسبة التشرد لدى أفراد المجتمع مما يسهم بشكل مباشر في تدني التنمية البشرية على مستوى الاقتصاد ككل .

ومما سبق تبين أن دخل الفرد يلعب دوراً مهماً في التحسين من مؤشرات التنمية البشرية، حيث زيادة نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي يؤدي إلى الأثر الإيجابي في التنمية البشرية في المجتمع[1]، إلا أن متوسط دخل الفرد من الناتج المحلي يؤخذ عليه كمؤشر ما يلي :-

❶- يعتمد في حسابه بقسمة الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي على عدد السكان وهو قيمة متوسطة لا تعني أن جميع أفراد المجتمع متحصلون عليها.

❷- حجم الناتج المحلي الإجمالي في بعض الدول لا يعطي مؤشراً على نمو كافة القطاعات الاقتصادية كما هو الحال في الدول النفطية (ليبيا ، الكويت، السعودية، العراق...)، وبالتالي متوسط دخل الفرد لا يقدم صورة صحيحة على مستوى معيشة الفرد في تلك الدول ، مما يقلل من أهميته بوصفه مؤشر على التنمية البشرية.

❸- عدم الدقة في حسابات الناتج المحلي الإجمالي نتيجة لضعف قاعدة البيانات الإحصائية ، وارتفاع معدلات التضخم الذي يعطي قيما مضللة في

---

[1] الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية للعام 1996 ، ص 69.

[1] المرجع السابق ، ص 66.

الناتج المحلي الإجمالي. إضافة إلى وجود ناتج محلي إجمالي في شكل انتاج غير منظور يتعذر حسابه ، كل ذلك من شأنه أن يقلل من أهمية متوسط دخل الفرد كمؤشر على التنمية البشرية خاصة في الدول النامية .

المبحث الثالث:- واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007)

بعد أن تم التطرق إلى مؤشرات التنمية البشرية يمكن دراسة واقعها في الاقتصاد الليبي، الذي يتطلب وجود سلاسل زمنية للبيانات ذات العلاقة. وعلى الرغم من صعوبة الحصول عليها نتيجة للظروف الأمنية وعدم الإستقرار، إضافة إلى عدم وجودها في بعض السنوات الأخيرة ، الأمر الذي دفع بنا إلى حصر الدراسة في الفترة من (1990-2007) حيث أعتقّد أن ما يتم التوصل إليه خلالها من نتائج فيما يتعلق بواقع التنمية البشرية لا يتغير في السنوات اللاحقة والقصيرة مما يجعل تلك الفترة صالحة بأن تعطي مؤشراً يمكن تعميمه على واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي ، وهو ما يُتيح لنا التوصل إلى أهم النتائج من خلال دراسة السلاسل الزمنية وتحليلها لبعض المؤشرات في الاقتصاد الليبي ، والتي يمكن تناولها على النحو التالي :-

أولاً :- حجم الإنفاق على قطاع التعليم في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007) .

يختلف واقع التعليم من دولة لأخرى من حيث الاهتمام به وتنميته كماً ونوعاً، وينعكس ذلك على تنمية الاقتصاد ككل والتنمية البشرية لأفراد المجتمع. ولمعرفة مدى الإهتمام بهذا القطاع في الاقتصاد الليبي يتطلب معرفة حجم المصروفات الفعلية عليه ونسبتها من الإنفاق الكلي وحجم الناتج المحلي الإجمالي، لأن ذلك يُعد مؤشراً على ما يحظى به القطاع من أولوية واهتمام مقارنة بباقي القطاعات الأخرى ، ولمعرفة ذلك نعرض الجدول التالي :

جدول رقم (1)النسبة المئوية للإنفاق على قطاع التعليم من إجمالي الإنفاق العام الكلي والناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007) بالأسعار الثابتة

السنوات	الإنفاق العام الفعلي ألف دينار	الناتج المحلي الإجمالي م.د	الإنفاق الفعلي على التعليم م.د	نسبة الإنفاق العام على التعليم من الإنفاق العام	نسبة الإنفاق على التعليم من الناتج المحلي الإجمالي
1990	1,264,865	44257.1	63.9	5.1	0.14
1991	1,195,537	51853.0	60.1	5.0	0.15
1992	599,697	49618.5	53.3	8.9	0.11
1993	629,658	47643.2	17.8	2.8	0.04
1994	760,570	49239.8	34.2	4.5	0.07
1995	451,061	49165.0	52.2	11.6	0.11
1996	859,428	49692.7	69.0	8.0	0.14
1997	1,012,067	49934.6	47.0	4.6	0.10

0.12	11.8	64.8	51528.5	551,364	1998
0.22	11.5	102.9	47336.9	894,257	1999
0.52	15.3	260.0	49454.9	1,700,883	2000
0.36	13.1	216.1	59330.6	1,653,061	2001
1.3	18.5	741.6	57565.7	4,010,823	2002
0.5	11.3	307.1	66534.1	2,729,234	2003
0.7	13.2	498.4	70370.0	3,789,418	2004
0.9	6.8	665.4	76660.7	9,832,992	2005
0.7	4.9	599.2	80729.9	12,216,000	2006
1.15	6.4	973.1	84041.6	15,130,748	2007

المصدر :- السنوات (1990-2007) للإنفاق العام الفعلي والناتج المحلي الإجمالي اعتماداً على قسم الحسابات القومية ، أمانة اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) ، طرابلس ، ليبيا ، 2009 .

ومن الجدول السابق نستنتج ما يلي :-

❶ - إن نسبة الإنفاق العام على قطاع التعليم من الإنفاق الكلي لم تتجاوز 19% ، وفي كثير من السنوات أقل من 10% حيث بلغت 5.1% للعام 1990 ، وهي نسبة تعتبر منخفضة عند مقارنتها ببعض الدول الأخرى ففي (الإمارات 14.6%، السعودية 17.8% ، الجزائر 27%) للعام 1990[1] ، وهو ما يؤثر سلباً على التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي ، ويبرز تدني إهتمام الدولة بقطاع التعليم وخدماته المختلفة.

❷ -إن الاتجاه العام لنسبة الإنفاق على التعليم من الإنفاق الكلي خلال فترة الدراسة يأخذ الاتجاه نفسه ، وهو ما يوضح أن السياسات المتبعة من قبل الدولة لم تتغير والمتمثلة في نيل القطاع مرتبة أقل من الأهمية، والتي ينعكس أثارها السلبية في الاقتصاد ككل وعلى حجم ونوع الخدمات التعليمية لأفراد المجتمع، مما يعطي مبرراً لوجود عناصر غير مؤهلة لا تخدم العملية التنموية وضعف مشاركة السكان في القوى العاملة ، مما يرفع درجة الإعالة في الاقتصاد الليبي .

❸- إن متوسط نسبة الإنفاق على التعليم خلال فترة الدراسة بلغت 9% وهي نسبة منخفضة، وهذا يعني أن واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي خلال تلك الفترة متدني اعتماداً على نسبة الإنفاق على التعليم من الإنفاق الكلي والمحددة في تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة والتي بـ، 16.3 % للتنمية البشرية العالية[2].

❹- إن نسبة الإنفاق على التعليم من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي خلال الفترة (1990- 2007) لم تصل إلى 1% ما عدا عامي(2002 ، 2007) ، وهو ما يؤكد تدني الأهمية النسبية التي يحظى بها قطاع التعليم من قبل الدولة،

[1] الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية ، 1995 ، ص 174.
[2] الأمم المتحدة، تقرير التنمية البشرية ، 1996 ، مصدر سابق ، ص 164.

ويتبين ذلك بوضوح عند مقارنة تلك النسبة بدول أخرى ، حيث كانت في (النرويج 7.7 %، فرنسا 6.0 %، أمريكا 5.9 % ، المغرب 6.3 %، تونس 8.1 %)للعام 2002[3].

ولابد من الإشارة هنا إلى أن تطور حجم الإنفاق على التعليم لا يعني دائماً تطور الخدمات التعليمية (خاصة في الدول النامية) ، لأن ضمان ذلك يتطلب سياسة مخططا لها يصاحبها إنفاق رشيد يسهم في تحقيق أهداف التعليم كماً ونوعاً وبما يضمن مخرجات تلبي احتياجات سوق العمل الليبي . إضافة إلى أن تزايد حجم الإنفاق على التعليم عندما يرافقه تسرب العديد من الطلاب من المراحل التعليمية المختلفة ، الأمر الذي يؤثر سلباً في البرامج التعليمية المخطط لها، حيث تشير البيانات إلى أن عدد الطلاب الذين تركوا الدراسة للعام 2003 بلغ (29000)[1] طالب، وهو ما يبرز تزايد تدني التنمية البشرية مستقبلاً في الاقتصاد الليبي، ولذا يؤكد على ضرورة أن تعمل الدولة وبجدية على ضمان الجودة في البرامج التعليمية ووضع الخطط التي تحد من تسرب الطلاب في المراحل التعليمية المختلفة ، مع ترشيد الإنفاق الفعلي على التعليم بما يحقق الجدوى الاقتصادية منه .

ثانياً:- حجم الإنفاق على قطاع الصحة في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007)

إن الخدمات التي يقدمها هذا القطاع لها علاقة مباشرة بصحة المواطنين وسلامتهم ، الأمر الذي يجعل قطاع الصحة بالنسبة لهم ينال المرتبة الأولى من حيث الأهمية (لأنه يحافظ على حياتهم ووجودهم). ولكن في الواقع الليبي نلاحظ إعتماد كثير من المواطنين في العلاج على الخارج ، وهذا يعكس تدني جودة الخدمات الصحية، وهو أمر ليس بالغريب على المواطنين كافة .ولمعرفة مدى إهتمام الدولة الليبية بهذا القطاع خلال الفترة الزمنية (1990-2007) يتطلب معرفة حجم المصروفات الفعلية على القطاع ونسبتها من الإنفاق الكلي وحجم الناتج المحلي الإجمالي كما هو موضح في الجدول التالي:-

جدول رقم (2) النسبة المئوية للإنفاق على قطاع الصحة من إجمالي الإنفاق العام الكلي والناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990- 2007) بالأسعار الثابتة

السنوات	الإنفاق العام الفعلي ألف دينار	الناتج المحلي الإجمالي م.د	الإنفاق الفعلي على الصحة م.د	نسبة الإنفاق على الصحة من الإنفاق العام	نسبة الإنفاق على الصحة من الناتج الإجمالي
1990	1,264,865	44257.1	22.3	1.8	0.05
1991	1,195,537	51853.0	37.1	3.1	0.07
1992	599,697	49618.5	58.5	9.8	0.12

[3] الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية 2006 ، ص 319 ، 320.

[1] البنك الدولي ، دراسة حول مراجعة الإنفاق العام في ليبيا ،2009 ، ص 15.

0.009	0.7	4.6	47643.2	629,658	1993
0.04	2.7	20.6	49239.8	760,570	1994
0.04	4.9	22.3	49165.0	451,061	1995
0.13	7.7	66.0	49692.7	859,428	1996
0.10	5.2	52.8	49934.6	1,012,067	1997
0.05	5.0	27.3	51528.5	551,364	1998
0.15	7.7	69.2	47336.9	894,257	1999
0.22	6.3	107.4	49454.9	1,700,883	2000
0.23	8.2	135.7	59330.6	1,653,061	2001
0.69	9.9	397.3	57565.7	4,010,823	2002
0.49	11.9	326.0	66534.1	2,729,234	2003
0.35	6.6	249.1	70370.0	3,789,418	2004
0.23	1.8	179.0	76660.7	9,832,992	2005
0.34	2.2	273.7	80729.9	12,216,000	2006
0.54	3.0	454.5	84041.6	15,130,748	2007

المصدر:- السنوات (1990-2007) للإنفاق العام الفعلي والناتج المحلي الإجمالي إعتماداً على قسم الحسابات القومية ، أمانة اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) ، طرابلس ، ليبيا ، 2009.

وبعد حساب نسبة الإنفاق على قطاع الصحة في الجدول السابق يمكن التوصل إلى ما يلي :-

❶ -إن متوسط نسبة الإنفاق على قطاع الصحة من الإنفاق الكلي خلال فترة الدراسة (1990-2007) بلغت 5%، وهو ما يبين نيل القطاع مرتبة أقل من حيث الأهمية النسبية عند إقرار سياسة الإنفاق العام، الأمر الذي يؤثر في الخدمات الصحية التي تقدم لأفراد المجتمع، وهذا بدوره ينعكس على واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الوطني.

❷ -إن نسبة الإنفاق على القطاع من إجمالي الناتج المحلي لم تصل إلى 1% خلال فترة الدراسة، وهو ما يؤكد على أن الاتجاه العام لسياسة الدولة حيال القطاع لم يتغير طول فترة الدراسة، وهو ما يعطي مؤشراً لتدني الخدمات الصحية وقلة عدد المراكز الصحية، وانعدام الخدمات الصحية بالمؤسسات العامة للدولة، وهو ما يؤثر في الواقع الصحي للأفراد العاملين وأسرهم.

❸ -إن نسبة الإنفاق على قطاع الصحة من الناتج (التي لم تصل إلى1%)تعتبر منخفضة عند مقارنتها بنسبة الإنفاق من إجمالي الناتج في دول أخرى، حيث كانت في (النرويج 8.6 %، أستراليا 8.4 %، الأردن 4.2 %، تونس 2.5 %) للعام 2003[1]،مما يبرز وبوضوح تدني الخدمات الصحية في الاقتصاد الليبي، الذي يعزى بالأساس إلى السياسة الخاطئة للدولة والجهات ذات العلاقة بقلة الاهتمام بقطاع الصحة، مما يؤثر سلباً في واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الوطني.

[1] الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية 2006 ، مصدر سابق ، ص 301 ، 303.

والجدير بالذكر هنا أن قطاع الصحة يعمل على تمتع العنصر البشري بالصحة والسلامة من الأمراض والعاهات ، مما يجعله صالحاً وجاهزاً للعملية الإنتاجية وأن يكون قادراً على ذلك، إضافة إلى التأثير المباشر في معدل المواليد و الوفيات، مما يؤثر في النمو السكاني في المجتمع ، لذا يتطلب من الدولة الليبية إعادة صياغة لإستراتيجية التنمية بحيث تعطي أهمية نسبية أكبر للقطاع.

ثالثاً:- واقع معدل المواليد في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007).

بناءً على ما تم التوصل إليه في فقرتي واقع الإنفاق على التعليم والإنفاق على الصحة والذي تبين من خلالهما تدني الخدمات التعليمية والصحية نتيجة لضعف الاهتمام بالقطاعين من قِبل الدولة، وهو ما يؤثر سلباً في عدة مؤشرات منها معدل المواليد ، ولمعرفة أثر ذلك نعرض الجدول التالي :-

جدول رقم (3)معدل المواليد في الاقتصاد الليبي خلال الفترة (1990-2007)

السنوات	عدد السكان" ألف نسمة"	عدد المواليد	معدل المواليد لكل ألف
1990	4273.388	187300	43.8
1991	4378.524	177810	40.6
1992	4483.659	182538	40.7
1993	4588.794	102916	22.4
1994	4693.930	98423	20.9
1995	4799.065	88779	18.5
1996	4878.516	90428	18.5
1997	4957.968	85358	17.2
1998	5037.419	91722	18.2
1999	5116.871	93775	18.3
2000	5196.322	96773	18.6
2001	5275.774	99187	18.8
2002	5355.225	109084	20.3
2003	5434.677	110488	20.3
2004	5514.128	119633	21.7
2005	5593.580	120999	21.6
2006	5673.031	124541	21.9
2007	5752.482	128337	22.3

المصدر :- الهيئة القومية للمعلومات ،الكتب الإحصائي ، لسنوات متعددة

ومن الجدول السابق يمكن إستنتاج ما يلي :-

❶ - انخفاض معدل المواليد في الاقتصاد الليبي من 43.8 للعام 1990 إلى 22.3 للعام 2007 ، وهو ما يعطي مؤشراً سلبياً على التنمية البشرية ويمكن أن يُعزى هذا الانخفاض إلى العديد من العوامل منها :-

أ- تدني الخدمات الصحية والتعليمية لا يشجع أفراد المجتمع على إنجاب الأطفال، بل لجوء البعض إلى تحديد النسل لعدد (2)فقط لأفراد الأسرة .ب- ارتفاع أسعار السلع وخاصة (غذاء الأطفال، الحليب، والدواء...إلخ)، الأمر

الذي يزيد العبء على رب الأسرة وبخاصة ذوي الدخل المحدود مما يدفع إلى الحد من الإنجاب.

ج- ارتفاع تكاليف الزواج نتيجة لعادات المجتمع وتقاليده ، مما كان سبباً رئيساً في تأخر سن الزواج ، وأحياناً العزوف عن الزواج والهجرة للخارج والزواج من الأجنبيات .

د- النقص في السكن وإرتفاع أسعاره مما أسهم في إرتفاع تكاليف السكن وهو لا يشجع على الزواج والإنجاب(*).

❷- يتبين من الجدول أن اتجاه معدل المواليد في الاقتصاد الليبي خلال فترة الدراسة إلى الانخفاض، وهو ما يؤدي بالضرورة إلى انخفاض النمو السكاني، حيث تشير الدراسات إلى أن معدل النمو السكاني كان من المعدلات المرتفعة حيث بلغ 4.21 للعام 1984م ،ثم انخفض إلى 2.1 للعام .2006م[1]، وهو ما يعني إستمرار ذلك الوضع سوف يؤدي إلى تعرض المجتمع الليبي إلى الشيخوخة ، مما ينعكس سلباً على التنمية البشرية والتنمية على مستوى الاقتصاد ككل .

رابعاً:- نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد الليبي:- يعتمد برنامج الأمم المتحدة في مؤشراته للتنمية البشرية على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، إلا أن هذا المؤشر تقل أهميته في الاقتصاد الليبي لكونه أُحادي القطاع يعتمد بدرجة كبيرة على النفط، إضافة إلى بعض المآخذ التي سبق الإشارة لها. ولمعرفة واقع ذلك المؤشر يمكن الاعتماد على حجم السكان من واقع التعداد الفعلي للسكان، (في إطار الفترة الزمنية للدراسة) وحجم الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الثابتة لبيان نصيب الفرد في المجتمع ، ويمكن حساب ذلك كما هو مبين في الجدول التالي :-

جدول رقم (4) نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد الليبي لسنوات الحصر الفعلية (1995 ، 2006)

السنوات	عدد السكان "ألف نسمة"	الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي م.د	نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي "بالدينار"
1995	4389	12212.5	2782
2006	5298	46583.6	8792

المصدر: مصرف ليبيا المركزي ، تقارير لسنتي 1995 ، 2006 .

ومن الجدول السابق يمكن التوصل إلى ما يلي :-

(*) لمعرفة المزيد عن تطور الأوضاع السكانية في الإقتصاد الليبي ،أنظر في ذلك (مصرف ليبيا المركزي ، النشرة الاقتصادية ، المجلد 48 ، لسنة 2008م ، ص 4.

(1) مجلة العلوم الاقتصادية والسياسية ، كلية الإقتصاد والعلوم السياسية، بني وليد ، (هدى محمد أبوخريص ، تطور حجم السكان الليبيين ومدى مساهمتهم في النشاط الإقتصادي لسنوات الحصر الفعلية (1995- 2006) ، العدد الثاني ، 2013 ،ص 225

1- بلغ نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الحقيقي في المجتمع الليبي 2782 دينار للعام 1995م ، وأرتفع إلى 8792 في العام 2006م محققاً نسبة زيادة قدرها 216% مقارنة بالعام 1995م ، وهو ما يشير إلى تنامي نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي الذي يرجع أساساً إلى إرتفاع أسعار النفط العالمية.وتجدر الإشارة إلى تنامي نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي ، ذلك لا يعني أن جميع أفراد المجتمع يتحصلون على ذلك النصيب ، حيث تشير الدراسات إلى تدني نصيب الفرد من الناتج في بعض المناطق نتيجة لتدهور الإنتاج فيها ومكانها الجغرافي، حيث وصل على سبيل المثال إلى 1480 دينار في العام 1999 في منطقة مزدة ، ونلاحظ في الوقت نفسه إرتفاع نصيب الفرد في بعض المدن مثل العاصمة نتيجة للأنشطة الخدمية والتجارية والفنادق ، حيث بلغ 2428 دينار العام نفسه 1999 ([1])وهو ما يعطي مؤشراً سلبياً على التنمية البشرية في المناطق النائية البعيدة عن المدن التي تفتقر إلى الخدمات التعليمية والصحية .

2- إن نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد الليبي رغم تطوره النسبي، إلا أنه عند مقارنته بحجم نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في دول أخرى والذي بلغ في (النرويج 45465 $ ، أستراليا 31690$ ، أمريكا 39883$ ، الكويت 22654$، الإمارات 24121$)([2])يوضح تدني مستوى التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي مقارنة بتلك الدول التي يصاحبها آثار سلبية في التنمية الإقتصادية وفي معدلات النمو في الاقتصاد ككل .و بالنظر إلى ذلك عند الأخذ في الإعتبار معدلات التضخم التي تتزايد في الاقتصاد الليبي حيث بلغت (4.6 %، 9.3 %، 12.0%) في السنوات (1997،1996،1995) على التوالي ([3])فإن ذلك يقلل من القيمة الحقيقية لنصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي رغم تنامي حجمه النقدي ،الذي بدوره يؤدي إلى انخفاض مستوى المعيشة للأفراد وتدني التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي.

الخاتمة:

**** النتائج :-**

1-قلة مخصصات الإنفاق العام على كل من قطاع التعليم والصحة، و تبين ذلك من انخفاض نسبة الانفاق على كل قطاع كنسبة من الإنفاق الكلي، الذي يعطي

([1])الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، التقرير الوطني للتنمية البشرية ، 2002، طرابلس ، ليبيا ، ص 165، 166.

([2])الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية ، 2006 ، ص 330 ،331.

([3])جامعة الجبل الغربي ، مجلة الجامعة ، هدى محمد أبوخريص ،أثر عرض النقود على المستوى العام للأسعار في الاقتصاد الليبي ، خلال الفترة 1995 -2012م ، العدد الثامن ، 2015 ، ص 130.

سبباً رئيسا لتدني التنمية البشرية (كماً ونوعاً) في الاقتصاد الليبي خلال فترة الدراسة، حيث يتحقق آثارها السلبية بشكل عام على تكوين رأس المال البشري اللازم للعملية التنموية.

2- ضعف اهتمام الدولة بقطاع التعليم والصحة الذي اتضح أيضاً من انخفاض نسبة الانفاق لكل قطاع من الناتج المحلي الإجمالي التي لم تصل إلى1% ، مما أعطى مؤشراً على تدني الخدمات التعليمية والصحية لأفراد المجتمع ، الأمر الذي يؤثر سلباً في واقع التنمية البشرية في الاقتصاد الليبي .

3- انخفاض معدل المواليد في الاقتصاد الليبي خلال فترة الدراسة، الذي يؤدي إلى انخفاض النمو السكاني، مما يؤثر مستقبلاً في حجم عنصر العمل ومدى مشاركة السكان في العملية التنموية، مما يحقق أثار سلبية على مستوى الاقتصاد ككل وعلى مستوى التنمية البشرية من حيث الكم والنوع.

4- يعتبر نصيب الفرد من الناتج المحلي الاجمالي في الاقتصاد الليبي منخفضا وتبين ذلك بوضوح عند مقارنته بنصيب الفرد من الناتج في دول أخرى ، وهو ما يعني عدم قدرة الفرد في المجتمع الليبي على توفير كافة متطلبات الحياة لأفراد أسرته من خدمات تعليمية وصحية وغذاء مناسب وسكن لائق ...إلخ ، وهذا الواقع أعطى مؤشراً على التنمية البشرية المنخفضة على مستوى الاقتصاد ككل .

**** التوصيات :-**

1- نظراً للدور الذي يؤديه قطاعا التعليم والصحة في التنمية البشرية وإعداد العنصر البشري بما يجعله جاهزة لخدمة المجتمع والعملية التنموية، فإن ذلك يتطلب من الدولة أن تزيد من اهتمامها بالقطاعين من حيث الانفاق وترشيده بما يعمل على تنمية القطاعين.

2- لابد أن تضع الدولة السياسات والبرامج التي تسهم بشكل فعّال في زيادة معدل المواليد والرفع من معدل النمو السكاني بما يخدم الاقتصاد الوطني مستقبلاً.

3-وضع إستراتيجية هادفة إلى زيادة متوسط دخل الفرد مع الحرص على العدالة في توزيع الدخل ، حتى يتمكن جميع أفراد المجتمع من تحسين مستوى معيشتهم ، وهو ما يزيد من التنمية البشرية في المجتمع.

**** المراجع** :-

1- إبراهيم مراد الدعّمة ، التنمية البشرية (الإنسانية) بين النظرية والتطبيق ، دار المناهج للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2008.

2- الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية للعام 1995.

3- الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية ، 1996.

4- الأمم المتحدة ، تقرير التنمية البشرية ، 2006.

5- البنك الدولي ، دراسة حول مراجعة الإنفاق العام في ليبيا ، 2009.

6- الهيئة القومية للمعلومات ،الكتب الإحصائي ، لسنوات متعددة
7- الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق ، التقرير الوطني للتنمية البشرية ، 2002، طرابلس ، ليبيا.
8- جامعة الجبل الغربي ، مجلة الجامعة ، د. هدى محمد أبوخريص ،أثر عرض النقود على المستوى العام للأسعار في الاقتصاد الليبي ، خلال الفترة(1995 -2012م) ، العدد الثامن ، 2015.
9- رياض عواد ، هجرة العقول ، ط1، ليبيا ، 1992.
10- علي العطار ، التنمية الاقتصاد ية والبشرية ، دار العلوم العربية ، بيروت ، ط 1 ، 2005.
11- فليح حسن خلف ، إقتصاديات التعليم وتخطيطه ، عالم الكتب الحديث ، الأردن ، 2007.
12- قسم الحسابات القومية ، أمانة اللجنة الشعبية العامة (سابقاً) ، طرابلس ، ليبيا ، 2009 .
13- مجلة العلوم الإقتصادية والسياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، بني وليد ،
14-هدى محمد أبوخريص ، تطور حجم السكان الليبيين ومدى مساهمتهم في النشاط الإقتصادي لسنوات الحصر الفعلية (1995- 2006) ، العدد الثاني ، 2013 .
15- محمد جميل عمر ، إقتصاد وتخطيط القوى العاملة ، منشورات جامعة دمشق ، 1994.
16- مصرف ليبيا المركزي ، النشرة الإقتصادية ، المجلد 48 ، لسنة 2008م .
17- مصرف ليبيا المركزي ، تقارير لسنتي 1995 ، 2006 .

الفلسفة السياسة عند اسبينوزا

د. عبدالقادر العجيلي حميد النجار- قسم الفلسفة - كلية الآداب -جامعة طرابلس

المقدمة:ربما يكون اسبينوزا(1632-1672م) من اكثر فلاسفة عصر النهضة أهمية ،على الرغم من تأثيره في معاصريه كان ضئيلاً، ولم تبدأ أهميته الحقيقية تقدر حق القدر إلا في السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر،عندما عرف "ليستج"و"ياكوبى"و"جوته"وغيرهم من الباحثين الألمان إسهاماته.حيث كان اسبينوزا المفكر الوحيد ثاقّب النظر والجرئ في عصر .حتي إنه استطاع أن يستخرج مضامين الفلسفة الديكارتية في جانبها الواحدي إلى نتائجها المنطقية.ولقد كانت لديه ايضاً معرفة واسعة ،ومباشرة أو غير مباشرة، بالفلاسفة القدماء وفلاسفة العصر الوسيط من اليهود والعرب والوثنيين، و المسحيين، كما كانت لديه معرفة أيضاً ببرونو، وهوبز، والعلماء المحدثين، و قد قام بعقليته البارعة بتحويل أفكار أحدها من جميع تلك المصادر إلى مذهب أصيل ومستقل حتي اصبح يدين له فلاسفة القرنين التاسع عشر والعشرين.و نجد كذلك في ذلك العصر التشابه الذي بدا لي واضحاً بين وضع المفكر في أوروبا خلال القرن السابع عشر ووضعه في بلادنا العربية في القرن الواحد و العشرين ،فقد كان فلاسفة أوروبا في مستهل العصر الحديث يواجهون قوي متخلفة كانت هي المسيطرة في أغلب الأحيان على السلطة السياسية والدينية ، وكانوا يمثلون أقلية مستضعفة ،ولكنها تملك حقيقة لا يملكها الاقوياء فاستبقوا بها عصرهم بوضوح كامل وهي حقيقة العقل والعلم والتجربة في مقابل جبروت السلطة المنغلقة الغاشمة التي ترفض الفكر وتبغض المنطق و تخشي العقل المتسق وكان هذا التشابه وحده كفيلا بايجاد قدر"كبير"من التعاطف بين كاتب يعيش ظروف الوطن العربي المعاصر وفيلسوف خاض معركة قريبة الشبه بمعركتنا .لهذا حدد هذا البحث مجموعة من الأهداف منها :

1_التعريف بفلسفة اسبينوزا السياسية.

2_توضيح المضمون الفكري لفلسفة اسبينوزا تلك الفلسفة ذات النزعة الإنسانية العالمية التي كانت تحارب أفكار الاستغلال والاستعلاء والتفوق العنصري .

3_ توضيح حقيقة العلاقة بين الدين والسياسية عند اسبينوزا .

4_ توضح حقيقة مفهوم السلطة عند اسبينوزا وموقفه من النظريات السابقة .

ولدراسة هذه الأهداف اعتمد الباحث على المنهج التاريخي لمعرفة أهم الاحداث والمواقف التي كان لها الأثر في فكر سبينوزا كما اعتمد على المنهج التحليلي لدراسة بعض النصوص والمنهج المقارن كلما دعت إليه الحاجة.

أولاً: حياة اسبينوزا ومؤلفاته:قبل الخوض في الحديث عن حياة اسبينوزا والمراحل التي مر بها سوف نعرض لبعض الآراء التي عالجت هذه الفترة من حياته، وهى الفترة التي لم تكون واضحة كما رأى بعضهم "وأن هذه الكتابات عن حياة اسبينوزا لم تكتب عن معرفة شخصية مباشرة باسبينواز ذاته. وإنما كتبت بعد وفاته واستمدت من مصادر بعضها ثانوي الأهمية"[1].كما رأى البعض الآخر أن أصدقاء اسبينوزا إحاطة ببعض وقائع حياة اسبينوزا قي شئ من الغموض، مثلما فرض هو ذاته نطاقاً من السرية على تعاليمه في هذه المؤلفات المختلفة وليس من المستبعد أن يكون ذلك الامتناع من جانبهم تلبية لرغبة منه"[2].أما عن مولده. فولد اسبينوزا في امستردام في 24 نوفمبر 1632م. وقد سمى عند ولادته باروخ وكانت أسرة اسبينوزا من الأسر الاسبانية اليهودية المهاجرة من فئة تسمى المارانو وهم يهود اسبانيا[3]، الذين اضطروا تحت ضغط الحكام إلى اخفاء دينهم الحقيقي واعتناق الكاثوليكية مؤقتا ثم عادوا إلى كشف حقيقتهم عندما سنحت لهم الفرصة. وتلقى اسبينوزا تعليمه الأول في "المدرسة التلمودية المحلية بأمستردام، إذ ألحقه بها أهله لكى تتوثق ارتباطاته بطائفته اليهودية بتعليم لغتها العبرية وتراثها. ومما لا شك فيه أن هذا العمل لم يحقق إلا نتيجة عكسية[4] ويرجع ذلك إلى المتغيرات والمناهج الجديدة وروح ثقافة العصر في ذلك الوقت الذى كان فيه المنهج الجديد للدارسة هو المنهج الرياضي الهندسي في عصر ديكارت، وهوبز أما التعليم السائد فى المدرسة التلمودية فقد كان ذا طابع تقليدي محافظ مما دفع اسبينوزا إلى الثورة عليه."فضلاً عن أن أهله قد اضطروا إلى البحث عن معلمين آخرين له، لكى يدرس لغات العلم الحديث ولاسيما اللاتينية[5]. وكان أشهر هؤلاء المعلمين "فان

(1) د- فؤاد زكريا: اسبينوزا، دار الوفاء لدنيا الطابعة والنشر ,الطبعة الأولى. لسنة 2008، ص 20
(2) المرجع السابق, ص 20- 21
(3) المرجع السابق نفسه وبراتراندرسل تاريخ الفلسفة العربية جـ3. ت محمد فتحي الشنيطى- الهيئة المصرية للكتاب لسنة 2010 ص 109، وعلى عبد المعطى ,الفكر السياسي الغربي، دار المعرفة الجامعية، لسنة 1981 ص 278.
(4) د. فؤاد زكريا، اسبينوزا مرجع سابق ص22.
(5) المرجع السابق ص20.

دن إندة " الذى كان معلماً وطبيباً في أمستردام، وبلغ حظاً كبيراً من الشهرة، حتى أن أكبر أسر أمستردام كانت تعهد إليه بتعليم أبنائها[1].ويذكر كوليووس" في ترجمته لحياة اسبينوزا أن هذا الاستاذ كان يلقن تلاميذه إلى جانب اللاتينية شيئاً أخر هو تعليمات الإلحاد. وربما كان ذلك حكما مبالغا فيه، غير أن الأمر الذى لا شك فيه أنه كان من أصحاب النفوس الثائرة على التقاليد، وأن اسبينوزا تأثر بثورته هذه منذ صباه[2].

موقف الطائفة اليهودية من اسبينوزا: إن الطائفة اليهودية في أمستردام كانت لا تقبل الخروج على افكارها ودينها و يتفننون في اختلاق المبررات لهذا الاضطهاد الشنيع للفكر الحر . ويقول فيراون "إن هؤلاء اليهود المهاجرين، من بعد كل ما عانوه في مواطنهم الأصلية من اضطهاد على يد الإسبان و البرتغال على الأخص كانوا حريصين على ألا يقبلوا في صفوفهم أي انشقاق وكانوا يرون أن كل من" ليس معهم فهو عليهم ومن هنا لم يتسامحوا عند ظهور أي الخروج على مبادئهم[3]. وحيث إن اسبينوزا رفض الفكر التقليدي فقد قررت الطائفة اليهودية طرده، وإذا صح ما يقوله كوليروس فإن شيوخ هذه الطائفة، قد عرضوا عليه مراراً أن يرجع عن مروقه، ولكنه لم يلق بالاً اليهم و ذهب بهم الأمر إلى حد عرض رشوة عليه، في صورة معاش يتقاضاه بانتظام على أن يترك دينهم وشأنه ويبتعد بأفكاره الخطيرة عنه، ولكن اسبينوزا رفض هذا العرض لأنه لم يكن منافقاً، ولم يكن يبحث إلا عن الحقيقة [4] . ويقال إن الطائفة، قد استخدمت سلاحا آخر هو التهديد: فقد طعن اسبينوزا مرة بسكين لم يصل إلا إلي ملابسه وكان من الطبيعي بعد هذا كله أن يطرد اسبينوزا من الطائفة اليهودية"[5] وكان من الطبيعي أيضاً وفي ضوء هذه المتغيرات و الأحداث التي تعرض لها اسبينوزا والفكر الحر وبعد قرار الطائفة اليهودية بطرد اسبينوزا أن يبحث عن مكان مأمون له. وهكذا انتقل إلى عدة أماكن ريفية هادئة أو بلدان صغيرة ليتفرغ للكتابة ويبتعد في الوقت ذاته عن الجو المحفوف بالخطر في أمستردام.

ثانياً: مؤلفاته: لقد كان اسبينوزا لا يبوح بتعاليمه وأفكاره إلا لمن يثق في قوة أخلاقه, ويتوسم فيه أنه كان على قدر كاف من الإدراك والفهم ولعل هذا يفسر

(1) د فواد زكريا . اسبينوزا .المرجع السابق نفس الصفحة
(2) المرجع نفسه.
(3) المرجع السابق ص: 23.
(4) المرجع السابق ص:23,24
(5)المرجع السابق

لنا السبب الذي جعل اسبينوزا يحجم عن نشر مؤلفاته طول حياته, فيما عدا كتابين اثنين فقط ظهر أولهما وعلى غلافه اسم المؤلف، وفيما يلي بيان بمؤلفات اسبينوزا.

(1) مبادئ الفلسفة الديكارتية Renati Descries Principio وملحقه الصادر بعنوان أفكار ميتافيزيقية وقد نشر هذا الكتاب في أمستردام عام 1663 وقدم له صديق اسبينوزا الطبيب لودفيك ماير. وهذا الكتاب يمثل عرضا لفلسفة ديكارت بالمنهج الهندسي المفضل لدى اسبينوزا[1].**أما الكتاب الثاني**: رسالة في اللاهوت والسياسة وتحت هذا العنوان العام يوضح اسبينوزا المقصود بهذه الرسالة بقوله تتم البرهنة على أن حرية التفلسف لا تمثل خطراً على التقوى أو على سلامة الدولة بل إن في القضاء عليها قضاء على سلامة الدولة، وعلى التقوى ذاتها في آن واحد[2]، كما أن الكتاب يدعوا إلى تأكيد فصل الدين عن الدولة ويحمل بشدة على كل حكم سياسي يدعى انه يستمد سلطته من مصدر إلهى. وبعده وفاة اسبيتوزا نشر تلاميذه وأصدقاؤه سنة 1677م مجموعة من مؤلفاته بعنوان المؤلفات المختلفة Opera Posthoma وذكر اسم المؤلف بحروفه الأولى فقط B.D.S وكان ذلك المجلد يحوي المؤلفات الآتية.

1_ الأخلاق مبرهنا عليها بالطريقة الهندسية فمنذ وقت مبكر أخذ اسبينوزا يرسل نظريات أو قضايا منه إلى أصدقائه طالبا منهم التعليق عليها. وكان اسبينوزا يعدّ الكتاب للنشر عام 1675 غير أن السخط الذى احدثه البحث اللاهوتي السياسي في الأوساط الدينية داخل بلاده و خارجها جعله يحجم عن نشر الكتاب.

والكتاب مؤلف من خمسة أجزاء في ذات الله وفى طبيعة العقل وطبيعة الانفعالات وأصلهما , وفى عبودية الإنسان أو قوة الانفعالات وفى حرية الإنسان وقوة العقل.

2- البحث السياسي:وهو كتاب لم يتم اسبينوزا إلا جزءا ضئيلاً منه. و موضوع الكتاب تصوره كما ينبغي أن يكون عليه المجتمع من نظام حتى لا يسقط في حكم القوة، وحتى ينعم المواطنون فيه بالسلام والحرية.

([1]) د. فؤاد زكريا، اسبينوزا مرجع سابق ص31.

([2]) د. محمود زقزوق، دراسات في الفلسفة الحديثة ، دار الطباعة المحمدية بالازهر، الطباعة التانية ، 1980 ص 111.

3- "إصلاح العقل" وقد ألف اسبينوزا هذا الكتاب عام 1661 ولكنه بقى ناقصا ولم يكتمل، وفيه يبين اسبينوزا المنهج الذى يؤدى بطريقة مثلى إلى معرفة الأشياء معرفة حقيقية.

4- الرسائل: وهى مراسلات العلماء والمفكرين إلى سبينوزا وردوده عليها وعددها 74 رسالة ثم اضيفت رسائل أخرى كشفت فيما بعد فأصبح مجموعها 88 رسالة .

5- رسالة في النحو العبري. وهى ليست لها أهمية في الفلسفة بالإضافة إلى هذه المؤلفات تنسب إلى اسبينوزا كتابات أخرى منها رسالة قصيرة عن قوس قزح ،تدل علي اهتمامه بالشؤون العلمية ومحاولته أن يشارك فيها.

ثالثاً: البعد السياسي:لقد انتهى مذهب اسبينوزا الأخلاقي إلى أن الإنسان بالرغم من دافعه الأساس نحو المحافظة على الذات إلا أنه في الحقيقية ما هو إلا حيوان اجتماعي وهذه النتيجة بنيت علي أساسه ادركنا علي سبيل المثال يقول اسبينوزا لا شيء أنفع للإنسان من الإنسان فليس في وسع الناس أن يتمنوا شيئاً كفيلاً يحفظ وجودهم، اعظم من أن يتفق الجميع على أن تكون أذهان الجميع وأجسادهم ذهنا واحد، وجسماً واحد وأن يحاول الجميع بصوت واحد بقدر استطاعتهم أن يحافظوا علي وجودهم، ويسعوا على مايقوهم جميعآ ، و هكذا فان الناس الذين يحكمهم العقل أي الذين يسعون إلى ما هو مفيد لأنفسهم وفقاً للعقل لا يتمنون لا نفسهم شيئاً لا يتمونه لبقية البشر. و هكذا يتضح لنا كيف أن غريزة المحافظة على الذات، عند اسبينوزا- يمكن أن تؤدي بطريقة جدلية منطقية إلى تكوين الغريزة الاجتماعية وهذا ما اختلف فيه اسبينوزا عن هوبز. بالرغم من اتفاقهما علي أن حياة الإنسان كلها قائمة على غريزة حب البقاء أو المحافظة على الذات. فقد رأى هذا الأخير أنه من الخطأ الاعتقاد بغريزة اجتماعية تحمل الإنسان على الاجتماع والتعاون وإنما الأصل أو حال الطبيعة أن الإنسان ذئب لأخيه الإنسان" وأن الكل في حالة حرب ضد الكل".وهكذا بدأ الإنسان في مذهب هوبز همجيا شريراً بفطرته غير مدنى بطبعه أنانيا يؤثر مصلحته على كل اعتبار نفوراً من الاجتماع بغيره من الناس أي أن الحياة في حالة الطبيعة تقوم على مبدأ البقاء للأقوى وهذه الحياة تفتقر إلى التنظيم والاستقرار، وإن الحياة الإنسانية فقيرة وهمجية لانعدام الأمن والتعاون بين الجميع. ومن أجل التأكيد على أهمية الحياة الاجتماعية وضرورتها بالنسبة للإنسان دافع اسبينوزا عن مبدأ تقسيم العمل وهاجم حياة البداوة. وقد أورد اسبيتوزا آراء صريحة في هذا الموضوع تقف- كما يصفها أحد الباحثين- في

مصاف النظريات الحديثة في علم الاجتماع من حيث تأكيد أهمية تقسيم العمل الاجتماعي بالنسبة إلى حياة الانسان الحديث "أن المجتمع لا يكون نافعاً أو ضرورياً للغاية لأنه يحمى الأفراد من الأعداء فحسب، بل أيضاً لأنه يسمح بجمع أكبر قدر ممكن من وسائل الراحة، ذلك لأنه لو لم يكن الناس يريدون أن يتعاونوا مع بعضهم بعض فلن تتوافر لديهم المهارة الفنية أو الوقت اللازم لتدبير شؤون حياتهم للمحافظة عليها بقدر الإمكان. فلن يتوافر لأحد الوقت أو القوة اللازمة لو كان عليه أن يفلح ويبذر ويقصد ويطحن ويطهو وينسج ويحيك وأن يقوم بأعمال أخرى كثيرة نافعة لتدبير شئون حياته ناهيك عن الفنون و العلوم التي هي ضرورية إلى اقصى حد لكمال الطبيعة الإنسانية الحصول علي السعادة [1]. ولهذا صور اسبينوزا حياة الإنسان خارج المجتمع المدني بقوله: "والواقع إننا نرى هؤلاء الذين يعيشون حياة همجية، بلا مدنية يحيون حياة بائسة تقرب من مستوى حياة الحيوانات"[2].إذاً شعور الأفراد بالحاجة إلى كبح الشهوات ودرء الخطر والتعاون هو الذى دفعهم إلى تكوين المجتمع هذا الفرد الواحد لا يستطيع أن يدفع عن نفسه من كل ما يتهد ده ، في الوقت الذى يكون فيه مشغولا بتحصيل ضروريات الحياة ، فلكي يهون على نفسه أمر الدفاع ويوفر لنفسه الهدوء والطمأنينة لينصرف إلى شؤونه الخاصة مال إلى النظام الاجتماعي. وباضطرار الإنسان إلى الاتحاد مع غيره تقوم الحياة الاجتماعية، المنظمة على هيئة دولة مدنية، ويتم ذلك عن طريق الاتفاق و التعاقد، وغاية التعاقد هو إقامة الدولة التي يكتسب فيها الجميع أكثر مما يخسرونه. ومعنى هذا أن فقدان الإنسان لحقوقه الطبيعية في حالة الطبيعة الأولى وخضوعه لعنصر السيادة في الدولة وقبوله للتعاقد الاجتماعي يكون أقل خسارة مما لو ظل يحيا في دائرة حياته الأولى[3].واسبينوزا يرى أن حالة المجتمع المدني حالة ضرورية للإنسان: "ومن ثم لا يستطيع أي مجتمع أن يبقى دون سلطة آمرة ودون قوة، وبالتالي دون قوانين تلطف من شهوة اللذة و تسيطر على الانفعالات التي لا ضابط لها إلا أن الطبيعة الانسانية لا تتحمل أن تظل في حالة قهر مطلق[4].أما العوامل المؤدية إلى تكوين الدولة فيمكن القول

1) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت السياسي ترجمة د. حسن حنفي، مصر مكتبة الا نجلوا المصرية، ط2 ، لسنة 1981 ص210.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) د.علي عبد المعطى: السياسة أصولها في الفكر العربي، الاسكندرية. دار المعرفة الجامعية .1983. ص 247.

د. مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية، مطبعة لجنة البيان العربي، الطبعة الأولى لسنة 1953 ص 390.

(4) اسبينوزا :رسالة في اللاهوت السياسي ، مرجع سابق ص 210- 211.

إن اسبينوزا قد تأثر قطعاً بكثير من الأفكار التي كانت سائدة في الفلسفة السياسية في عصره أهمهما فكرة العقد الاجتماعي ،التي نادي بها معاصره هوبز والتي ظهرت بعد ذلك في الفلسفات السياسية عند لوك ، فهذه النظرية "مستمدة أساساً من "هوبز" رغم الاختلاف الضخم في المزاج بين الرجلين فهو يرى بأنه في حالة الطبيعة ليس ثمة صواب أو خطأ لأن الخطأ يتمثل في عدم إطاعة القانون وهو يسلم بأن الملك لا يمكن أن يخطئ ويتفق مع هوبز في أن الكنيسة ينبغي أن تخضع للدولة خضوعاً تاماً وهو ضد كل ثورة حتى على حكومة سيئة ويستشهد بالاضطرابات في انجلترا كدليل على الضرر الذى ينجم عن المقاومة العنيفة للسلطة[1]. ولكنه يخالف "هوبز في أن الديمقراطية هي الشكل الطبيعي لغاية الحكومة وهو ايضاً حين يذهب إلى القول بأن المواطنين ينبغي الا يتخلوا عن جميع حقوقهم إنما يؤمن بحرية الرأى .

رابعاً: الحقوق الطبيعة:إن نظرية الحق الطبيعي عند اسبينوزا كانت منتشرة في عصره وقد كانت مرتبطة بفكرة القانون الطبيعي فقد رأى أحد مفكري الحق الطبيعي، بأن الحق الطبيعي هو مجموعة القوانين التي شرعها الإله للنوع البشرى بواسطة العقل السليم، وإذا أريد اعتباره علما, فان الفقه الطبيعي يكون هو الطريقة العملية لمعرفة إرادة المشرع الأعلى كما تتضح عن طريق العقل القويم[2]. فالحق الطبيعي إذاً هو جملة قوانين، وهذه القوانين ليست إلا قوانين الطبيعة نفسها ويتضح معنى هذا الحق الطبيعي كما ناقش هنا من خلال تعريف اسبينوزا نفسه حيث يقول عنه:"الحق الطبيعي لكل انسان بغض النظر عن الدين والدولة". أعنى بالحق الطبيعي، وبالتنظيم الطبيعي مجرد القواعد التي تتميز بها طبيعة كل فرد وهى القواعد التي ندرك بها أن كل موجود يتحدد وجوده وسلوكه حتميا على نحو معين[3].فمثلاً يتحتم على الأسماك، بحكم طبيعتها، أن تعوم وأن يأكل الكبير منها الصغير، وبالتالي تستمتع الاسماك بالماء ويأكل الكبير منها الصغير، طبقاً لقانون طبيعي مطلق.والواقع أننا إذا نظرنا إلى الطبيعة في ذاتها نجد أنها تتمتع بحق مطلق على كل من يدخل تحت سيطرتها، أي أن حق الطبيعة يمتد بقدر امتداد قدرتها[4]، وقد سار على هذا النهج أصحاب بعض الدعوات التي تؤمن بالهيمنة والسيطرة على الشعوب من

(1) براترندرسل : تاريخ الفلسفة الغربية :ص 115 ود. على عبد المعطي الفكر السياسي الغربي" دار المعرفة الجامعية الاسكندرية 1981 ص278.

(2) بول هازار،: أزمة الضمير الأوربي ،ترجمة محمد عثمان جودت ،دار الكتاب العربي ،القاهرة ،1984،ص278.وأيضاالفكر الأوروبي ،ترجمة محمد غلاب ،دار الحداثة ،ب،م،ن،1980،ط2،ص1

(3)اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة، ص 377.

(4) المصدر السابق ، ص 377- 378.

خلال "دعه يعمل دعه يمر"أو أصحاب نظرية المجال الحيوي التي استخدامها هتلر لسيطرة على الشعوب و نحن باعتبارنا أجزاء من هذه الطبيعة وطالما أن قدرة الطبيعة هي التعبير الكلى عن قدرة أجزائها، فإن حق كل فرد كما يقول اسبينوزا "يشمل كل ما يدخل في حدود قدرته الخاصة"[1]. وهذه القدرة على السلوك. أي على إتباع ما يحقق الحق الطبيعي ليست نوع من القوة، أو السلطة إنها ببساطة والقول هنا لسبينوزا ايضاً: "ليست إلا اجزاء من ماهية الشيء"[2].الذى يسلك و يتصرف وبالتالي فإن هذه الماهية هي ماهية منتمية إلى الطبيعة أي أنها ماهية الطبيعة، وهكذا نجد أن نظرية اسبينوزا في الحقوق الطبيعة هي كمجمل فلسفته، ناتجة عن نظريته في واحدية الجوهر، فكل شيء في هذا الوجود يفعل ويسلك باعتباره جزءاً من الطبيعة أو الله وضمن هذا الإطار يقول: "كل ما نتج عن القوة التي يفضلها وجد كل شيء في الطبيعة، و التي يفضلها يمارس فعله، أيضاً لا تختلف عن القوة الأبدية لله ذاته"[3].ولكن المفكر توماس هوبز قد اعتبر الحقوق الطبيعية بمثابة المسلمات غير القابلة للنقاش[4].أما اسبينوزا فقد رأى مجال الحق الطبيعي يشمل العقل والرغبات أو الشهوات، فليس من الضروري أن نحدد الحق الطبيعي للبشر بواسطة العقل وحده[5]، كما حدد اسبينوزا الحقوق الطبيعية في:-

الحق الأول:فهو حق البقاء، أو المحافظة على الذات، هذا الحق الطبيعي الذى هو حق لكل موجودات الطبيعة، وليس حكراً على الإنسان وحده، ومن طبيعة هذا الحق أنه أول حق تقره الطبيعة لموجوداتها أو كما يقول اسبينوزا: "أنه لما كان القانون الأعظم للطبيعة هو أن كل شيء يحاول بقدر استطاعته أن يبقى على وضعه، وبالنظر إلى نفسه فقط ودون اعتبار لأى شيء آخر فينبني على ذلك أن يكون لكل موجود الحق المطلق في البقاء على وضعه، أي أن يوجد و يسلك كما يتحتم عليه طبيعياً أن يفعل"[6]. وحق البقاء هو حق مشروع للجميع فعلى المستوى الإنساني ليس هذا الحق حكراً على الانسان العاقل فقط، و سبينوزا لا يفرق بين الإنسان الجاهل أو الأحمق وبين الإنسان العاقل في مجال الحقوق الطبيعية ولا فرق بين أصحاء النفوس والأغبياء وضعاف العقول و حتي لدى العقلاء فإن حفظ البقاء لا يكون نابعاً باستمرار لحكم العقل... فطالما

(1) المصدر السابق ، ص 318.
(2)اسبينوزا :علم الاخلاق ترجمة. جلال الدين سعيد. دار الجنوب للنشر، تونس لسنة: 1997ص 171.
(3) اسبينوزا: رسالة في السياسة , ترجمة عمر مهبل، موقع النشر الجران 1995ص 37.
(4)امام عبد الفتاح امام، هوبز فليسوف العقلانية دار التنوير بيروت للطباعة والنشر ط1 85 ص338.
(5) اسبينوزا د. رسالة في السياسة ص. 37.
(6) سبينوزا . رسالة في اللاهوت والسياسة ص 378.

أن الإنسان يسلك مرة باعتباره نفساً، ومرة باعتباره جسداً أي بحسب وقوعه تحت المحمول الذى ننظر منه إليه، كما بينا ذلك فإن كل من النفس والجسد يسعى لحفظ، البقاء فكما يميل الجسد عن طريق أفراده لمؤلفة له لحفظ بقائنا كذلك النفس فإنها تسعى إلى تحقيق الكمال وبناء على ذلك يصبح لأفعالنا طابع الخير والشر فالنفس الناطقة تسعى من حيث إن لديها افكار واضحة ومتميزة و أيضاً من حيث ذاك[1].

الحق الثاني: من الحقوق الطبيعية وأهمها حق الذات أو الشيء في استخدام الوسائل التي تكفل له تحقيق حقوقه الطبيعية وأهمها حق البقاء، فبعد أن يؤكد اسبينوزا بأن من حق كل فرد، أن يفعل ما يراه نافعاً له، وبعد أن يقرر أن الدافع إلى تحقيق هذه المنفعة غير مشروط بالعقل، وإنه من الممكن ان تكون الشهوة والرغبة دافعاً إلى تحقيق ذلك، يقرر بأن الوسيلة مشروعة مهما تكن هذه الوسيلة، فالفرد المدفوع إلى تحقيق ما هو نافع له سواء أكان مدفوعاً بالعقل السليم، أم بقوة الانفعالات، يحق له أن يشتهيه طبقاً لحق طبيعي مطلق وأن يستولى عليه بأي وسيلة بالقوة أو المخادعة أم بالصلوات أم بأي وسيلة أخرى أيسر من غيرها وبالتالي يحق له إذاً أن يحد من يمنعه من تحقيق غرضه عدواً له[2]. فالوسيلة إذاً ليست محصورة ضمن أي تحديد أو شرط وأنها طالما تلبى حقا طبيعياً تكتسب مشروعيتها وتغدو هي نفسها حقاً طبيعياً، فمن يتمتع بحق الاستمرار والحفاظ على كيانه، يتمتع أيضاً بحق استخدام الوسيلة التي تكفل وجوده والحق الطبيعي لا يمنع الشرور بل إن الإنسان في حالته الطبيعية وعند استخدامه لحقه الطبيعي لا ينظر إلى الأشياء على أنها خير أو شر، خلال فعله الرامي إلى تحقيق الحق الطبيعي ليس هناك من تقويم أخلاقي، لأنه كما رأينا لا يفعل الإنسان والحاله هذه وفقاً للعقل وحده فالإنسان وهو يعمل ليحقق شرط وجوده ضمن حالته الطبيعية وفى إطار الحقوق الطبيعية، ليس لديه معايير معينة ولا تخضع وسائله لأى فحص أو مراجعة كتلك التي تحدث ضمن منظومة القيم والمعايير التي تحكم الإنسان الاجتماعي الذى يعيش ضمن نسق من المعايير الأخلاقية ولذلك "فإن التنظيم الطبيعي لا يستبعد أي نوع من أنواع الصراعات أو الأحقاد أو الغضب أو الخديعة"[3]، وبمقتضى الحق الطبيعي لسنا ملزمين بأي شيء، وبهذا المعنى تكون الوسيلة المتبعة لتحقيق هدف ما نوعاً من الحق الطبيعي أنه حق تقرير الوسائل التي تساعد في تحقيق المصالح

(1) اسبينوزا: علم الاخلاق ص 172.
(2) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ص 379
(3) اسبينوزا: رسالة في السياسة ص 40.

ومع أن السلوك هو في نهاية المطاف ليس إلا اتباع الضرورة الطبيعية التي لا يسلك الإنسان فقط وفقاً لها بل كذلك الله أو الطبيعة أو الجوهر. ويأتي حق الملكية باعتباره حقاً آخر للجميع، طالما أن الجميع يتمتعون بالقدرات نفسها ، و يمكنهم اتباع الوسائل التي تتيح لهم تحقيق ما يريدون ويرى اسبينوزا "أنه لا يوجد شيء في الطبيعة نستطيع من خلاله التأكيد على أنه ملك لهذا الكائن و ليس ملكاً لكائن آخر وعليه فالأشياء والممتلكات هي ملك لكل من يتمتع بالقوة للمطالبة بحقيقة ملكيتها"[1].إن جميع هذه الحقوق التي ذكرناها هي التي تحدث عنها معظم مفكرو الحق الطبيعي إنها حقوق يجب الاعتراف بها لكل البشر و يجب أن تصان وتغدو اكثر تنظيماً وواقعية، وسبينوزا يميل أكثر إلى تنظيم هذه الحقوق داخل المجتمع لأنها عنده تصبح حقوقاً طبيعية وإنسانية وربما أثارت هذه النقطة حفيظة بعض المفكرين، الأمر الذى دفعهم إلى اعتباره سبينوزا واحداً من المرتابين بالحق الطبيعي كما فعل بول هازار"[2] والحقيقة أن اسبينوزا لم يقف ضد الحق الطبيعي كما بينا إلا أن عقلانية اسبينوزا كانت تشده بالاتجاه الذى يستطيع فيه التنظيم أن يسود حياة الناس بدلاً من الفوضى و أن يستطيع القانون فرض احترام بر إنسانية الإنسان بدلاً من تبرير المصالح و أهم مسألة شغلت تفكير سبينوزا هي أن يستطيع الإنسان تحقيق إنسانيته من خلال إتقان عملية العيش مع الآخر ففي حالة الطبيعة وفى مجال الحقوق الطبيعية ليس هناك من موقع للخطأ أي ليس هناك من تصرف أو سلوك يمكن وصفه بأنه خطأ لأن الخطأ تبرره الوسيلة ولذلك فإنه "بموجب الحق الطبيعي للإنسان لا أحد مجبر أن يتصرف وفق ما يروق الآخر"[3]ففي غياب القانون ليس هناك من طريقة لتحديد ما هو خطأ وقس على ذلك جميع المسائل الاخرى، فليس هناك من معنى للطاعة قبل القانون الوضعي أو قبل الدولة، و كذلك العدالة مفقودة ،وينجم عن مرحلة الطبيعة، "الخلط بين المفاهيم فيصبح الخضوع للعقل عبودية واتباع الشهوات حرية[4]، وسبينوزا يؤكد في كل مناسبة أن الخضوع للعقل يعنى الخضوع للمنفعة البشرية لأن العقل لا يفعل إلا ما يفيد البشر وعليه فإن الخضوع للعقل هو الحرية. والعقل في نهاية المطاف لا يطالب إلا بتحقيق إنسانية الإنسان فنحن نحتاج من أجل استمرارنا في البقاء إلى اشياء خارجة عنا وإذا التفتنا إلى الخارج فان الفكر لن يجد أفضل من تلك الاشياء التي تنسجم مع طبيعتنا ويتابع اسبينوزا: "بأنه إذا اقترن فردان من

(1) المرجع نفسه، ص 42.
(2) بول هارزار، الفكر الأوروبي، مرجع سابق ص 190.
(3) اسبينوزا: رسالة في السياسة، ص45.
(4) المصدر السابق، ص46.

طبيعة واحدة تماماً فإنهما سيكونان فرداً أقوى من كل واحد منهما على حده فلا شيء إذن انفع للإنسان من أخيه الإنسان، أجل لا يمكن للبشر أن يتمنوا شيئاً أفضل لحفظ كيانهم من أن يتفق الجميع في كل الأمور بحيث تؤلف أنفسهم جميعاً وأجسامهم جميعاً نفسا واحدة وجسداً واحداً، بوجه من الوجوه، وأن يسهروا كلهم على تحقيق ما ينفعهم[1]، فالإنسان ليس غنيا بما يكسب حتى لو كان هذا الكسب مشروعاً بحسب قواعد الطبيعة ونواميسها ان الإنسان غنى بأخيه الإنسان والفضيلة هي وعينا بإنسانيتنا على حساب مصالحنا، والحقوق الطبيعة حقوق موجودة بالنسبة لسبنيوزا، ويجب أن يتمتع بها الانسان في ظل المجتمع أو الدولة، ولكن بشرط أن نعمل من أجل أنفسنا ومن أجل الآخرين فإذا كان الإنسان في الحالة الطبيعية يعيش القلق والخوف بسبب غياب القانون فإن العيش مع الآخر يعنى العيش بحسب العقل وتبعا لوصاياه . إن الحق الطبيعي يعنى الغاء الآخر وغياب العدل والمساواة والتآخي بين الناس وهو ما جعل بعض نقاد الفلسفة يصنفونه باعتباره فيلسوفا يرتاب في الحق الطبيعي في الواقع إن سبينوزا مع اعترافه بالحقوق الطبيعية إلا أنه رأى بأن هذه الحقوق يجب أن تعقلن عندما تدخل ضمن نسق اجتماعي أو بحسب نظرية العقد الاجتماعي فعلى الإنسان أن يجد الوسيلة التي تحقق له حقوقه كفرد ولكن داخل الجماعة وبهذا الشكل يصبح السعي من أجل تحقيق مصلحة فرد وكأنه سعى من أجل تحقيق مصلحة المجموع وإذا كان اسبينوزا قد صالح الإنسان مع ذاته، فإن النتيجة المنطقية هي أن يتصالح الإنسان مع الآخرين.

خامساً: حالة الطبيعة الأولى Thestate of Natureتميزت الحالة الطبيعية الأولى للإنسان باتجاهه نحو اطلاق غرائزه وأهوائه ورغباته في أي اتجاه دون أي اعتبار للآخرين، فاستخدم حقه الطبيعي في حفظ بقاء ذاته، والقضاء على كل ما يهددها ولكن لما كان ايضاً كل فرد يمتلك بالتساوي هذا الحق نفسه الذى يتحدد فقط من خلال قدرته. ولما كان كل فرد مدفوعاً بالرغبة في تطويع كل شيء لخدمة دافعه نحو المحافظة على ذاته وتقييدها أو الحد من دافع الآخرين فإن هذا يقودنا إلى القول بأن هذه الحالة هي حالة صراع دائم لا يملك فيها الفرد في الحقيقة أي حقوق بمعنى حقوقه في الحماية المضمونة ومن ثم سادت الفوضى وأضحى الشعور بالتوتر هي سمة الإنسان في حالة الخوف هذه ،وقد نظر هوبز إلى حالة الطبيعة على أنها حالة الإنسان في كل زمان ومكان، عندما لا تتوفر له ضوابط وحماية الدولة.

(1) اسبينوزا: علم الأخلاق، ص279.

أما اسبينوزا فقد نظر لها حدثا تاريخياً سبق تطور المجتمع المدني الحديث، ومن حيث الزمان فهي سابقة على الدين والقانون وقد عبر عن هذا بوضوح قائلاً "أن حالة الطبيعة لأنها سابقة على الدين بطبيعتها من حيث الزمان أن الطبيعة لم تعلم أحد، مطلقاً طاعة الله، ولا يمكن معرفة ذلك بالاستدلال بل الوحي المدعوم بالآيات. [1] إن حالة الطبيعة التي يجب أن تعدها حالة لا شأن لها بالدين والقانون،... بل أن هذا يرجع أيضاً إلى الحرية الأصيلة التي يولد بها جميع البشر[2]، فلو كان البشر ملتزمين بطبيعتهم بالقانون الإلهي أو لو كان القانون الالهي قانونا بالطبيعة، لما كان هناك داع لأن يعقد الله معهم عهداً أو أن يلزمهم بميثاق[3]، وقد وصف البعض حالة الطبيعة عند اسبينوزا " بأنها الحالة الطبيعية الأولى للإنسان باتجاهه نحو إطلاق غرائزه وأهوائه و رغباته في أي اتجاه دون ما أدنى اعتبار الآخرين فاستخدام حقه الطبيعي في حفظ بقاء ذاته والقضاء، على كل ما يهددها.. نعم قد تميز الإنسان الأول بتمتعه بالحرية، ولكن حريته تلك كانت حرية أنانية حول ذاته وتنطلق من صميم ميوله ورغباته، ولم تكن حرية عاقلة بأي من معانى التعقل"[4].

خلاصة القول إن حالة الطبيعة الأولى هي حالة من الصراع الدائم، والمنافسة المستمرة بين الأفراد بغية تحقيق الرغبات وتنفيذ الشهوات والنزوات، إلا أنه من الصحيح أو من الانفع كثيراً للناس أن يعيشوا طبقاً لقوانين عقولهم ومعاييرها اليقينية، فضلاً عن ذلك لا يوجد فرد واحد يعيش دون قلق وسط العداء والكراهية والغضب والمخادعة ومن ثم فلا يوجد فرد واحد لا يحاول الخلاص من ذلك بقدر استطاعته، لكي يكون ذلك ممكنا أو لكى يعيش الناس في أمان وعلى أفضل نحو ممكن كان لزاماً عليهم أن يسعوا إلى التوحيد في نظام واحد، وعندئذ يصبح الحق الذى كان كل منهم بحكم الطبيعة على الاشياء جميعاً أصبح ينتمى إلى الجماعة ولم تعد تتحكم فيه قوته أو شهوته بل قوة الجميع وارادتهم.

سادساً:العقد الاجتماعي: ويتم الانتقال من الحالة التي يسودها الحق الطبيعي إلى حالة العقد الاجتماعي عن طريق تنازل الأفراد عن بعض حقوقهم لهيئة حاكمه في المجتمع الذى ينظمه القانون المدني، ذلك لأن الفرد لديه رغبة في حماية نفسه وتحقيق ما فيه صالحه بطريقة أفضل يقبل التنازل عن شريعة

(1) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة مصدر سابق ص 388- 389
(2) المصدر السابق ص 389- 390
(3) المصدر السابق نفسه .
(4) د. على عبد المعطى :الفكر السياسي الغربي، مرجع سابق ص 279.

الطبيعة والخضوع لقانون العقل والاتفاق مع غيره لعيش في وئام[1]، ويجب على كل فرد أن يفوض إلى المجتمع كل ما له من قدرة بحيث يكون لهذا المجتمع الحق الطبيعي المطلق على كل شيء أي السلطة المطلقة في إعطاء الأوامر التي يتعين على كل فرد أن يطيعها[2]، وأن تنازل الأفراد للعقد الاجتماعي ينطوي على ناحية اساسية وهى تقديم المنفعة للبشر الذين تعاقدوا فيما بينهم لإقامة المجتمع أو الدولة لأن حقوق البشر ومصالحهم وحدتهم هي الغاية القصوى لأى عقد، فإن المنفعة الأساسية التي يقدمها هذا العقد تكمن في صيانته لهذه الحقوق والمصالح وفى حمايته لحياة الأفراد المنطويين تحت لوائه وبدون هذا المضمون فإن أي عقد لا يمكن أن يستمر."فصحة أي عقد رهن بمنفعته وإذا بطلت المنفعة انحل العقد في الحال"[3]. كما لا يكمن لأى شخص أن يلتزم بأي عقد إلا إذا شعر بأن خسارته ستكون فادحة من جراء عدم التزامه بهذا العقد، في حين أنه كان سيربح الشيء الكثير فيما لو التزم به، فمن الغباء كما يقول اسبينوزا " أن يطلب إنسان من آخر أن يلتزم بعقد إلى الأبد دون أن يحاول في الوقت نفسه أن يبين له أن فسخ العقد يضر من يفسخه أكثر مما ينفعه وهذه نقطة مهمة في تأسيس الدولة"[4]. وترتب على ذلك "أن الحاكم لا يلتزم بأي قانون ويجب على الجميع في كل شيء لأنهم فوضوا له. بموجب عقد صريح أو ضمني كل قدرة كانت لديهم على المحافظة على أنفسهم"[5].إن غاية التعاقد إقامة الدولة التي يكسب فيها الجميع أكثر مما يخسرون ومعنى هذا ان فقدان الإنسان لحقوقه الطبيعية في حالة الطبيعة الأولى في الدولة وقبوله للتعاقد الاجتماعي يكون أقل ضرراً وأقل خسارة مما لو ظل يحيا في دائرة حياته الأولى أن اختيار الإنسان للتعاقد هو من ثم أهون الشرين ([6])، أن غرض الدولة الاسمي هو تحرير كل فرد من الخوف وتحقيق أمنه وطمأنينته وتأكيد حقه الطبيعي في الوجود والعمل بما لا يضيره ولا يضير الآخرين.ويرى اسبينوزا أن أي مواطن يجب أن يعتمد بفضل التعاقد الاجتماعي على الدولة و ليس على نفسه، وعليه أن ينفذ أوامرها وليس له الحق في أن يقرر ما هو ملائم أو غير ملائم وما هو عادل وما هو غير عادل بل على العكس من ذلك باعتباره عضواً في جسد الدولة أن يقبل توجيه عقل الدولة وإرادتها له ([7])،

([1]) فؤاد زكريا: اسبينوزا مرجع سابق ص 227.
([2]) اسبينوزا :رسالة في اللاهوت والسياسة مصدر سابق ص 282
([3]) المصدر السايق نفسه .
([4]) المصدر السابق نفسه ص 282
([5]) المصدر ال.سابق .
([6]) على عبد المعطى: الفكر السياسي الغربي، مرجع سابق ص 280.
([7])مرجع سابق ص 281.

بهذه الفكرة تتكامل سياسة سبينوزا مع جملة مذهبه الفلسفي: لا يمارس الناس حقوقهم تماماً إلا إذا انضموا إلى جماعة تكفلها، أن كل إنسان بقدر ما ينشط حسب قوانين الطبيعية ، فإنه ينشط حسب الحق الأسمى للطبيعة وله من الحق بقدر ما عنده من القوة "وأن أفضل الدول هي تلك التي يعيش فيها الناس باتفاق متبادل، وتلك التي تكفل الأمن والسلم إذن يحكم سبينوزا بجماعات منسجمة قومية ودولية تتطابق فيه القوة مع الحق ولا تكون فيها القوة إلا تجليًا للحق ([1]) ومع ذلك فهناك حقيقتان أساسيتان ينبغي ألا تغيبا عن الأذهان في هذا الصدد: الأولى هي أن فكرة الحق الطبيعي والعقد الاجتماعي كانت تبدو من بديهيات الفلسفة السياسية في عصر اسبينوزا ولم يكن في الإمكان عندئذ تصور طريقة أخري لتطور التنظيم الاجتماعي البشرى، فقد رأى المفكرون أن الحالة الاجتماعية الراهنة للبشر لابد قد سبقتها حالة أخرى طبيعية لابد ان تكون الشريعة السائدة في مثل هذه الحالة الطبيعية هي القوة ،ولما كانت ممارسة القوة تقضي على ذاتها إذا ما ترك لها العنان ،لأن القوة سوف تتقارب حتماً فإن من الطبيعي أن يتصور المفكرون عندئذ عقداً اجتماعاً يتفق فيه الناس بمحض ارادتهم علي التنازل عن بعض سلطاتهم لهيئة حاكمة.والحقيقة الأساسية الثانية هي أن اسبينوزا قد خفف كثيراً من غلواء النظرية في صورتها الأصلية كما تبدو لدى فليسوف مثل هوبز وحاول بقدر الإمكان أن يقرب بينها وبين مذهبه الفلسفي العام وإن لم يكن قد أحرز في ذلك إلا نجاحاً محدوداً[2].

سابعاً:الوظيفة البنائية للمجتمع:اسبينوزا يشدد على أهمية الدولة، الدولة الديمقراطية، إلا أن اهتمامه بها منطلق من مدى قدرتها على تحقيق إنسانية الإنسان، فكلما كان الإنسان في الدولة منسجماً مع نفسه وقادراً على تحقيق كماله الإنساني من خلال عيشه في ظل قوانين عادلة لا جائرة- وفى حالة من الأمن والسلام بعيداً عن الخوف والإرهاب كانت دولة صالحة ووجب على الأفراد المحافظة عليها.فالدولة التي انبثقت عن العقد الاجتماعي والتي جاءت تمثيلاً لإرادات أفرادها من واجبها أن تنمي لديهم الشعور بأهمية العيش في كنف الدولة،في ظل قانون يضمن لهم حقوقهم، لأن الإنسان الذى يشعر بأن القانون يستند إلى العقل ويضمن له حقوقه وحريته سيحترم هذا القانون ويسعى للعيش في ظله بل إنه يغدو أكثر حرية وكما يقول اسبينوزا "فإن الإنسان الذى يهتدى بالعقل أكثر حرية في دولة يعيش فيها في ظل القانون العام منه في

([1]) جان توشار: تاريخ الافكار السياسية من عصر النهضة إلى عصر الانوار ترجمة د. ناجى الدراوشة دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، 2010 ص 494.

العزلة حيث لا ينصاع إلا لأمر نفسه ([1]).وبالتالي فإن الغاية من وجود الدولة ليس التسلط أو القمع واضطهاد الرعايا أو ارهاب الناس، أو جعلهم يقعون تحت نير الآخرين، بل تحرير الفرد من الخوف بحيث يعيش كل فرد في أمان بقدر الإمكان أي يحتفظ بالقدر المستطاع بحقه الطبيعي في الحياة وفى العمل دون الحاق الضرر بغيره ([2]).أن غاية اسبينوزا من تأسيس الدولة وتحرير الإنسان وقدراته بالقدر الذى يستطيع فيه الإنسان أن ينمى ملكاته الذهنية و إمكاناته الجسدية وبالتالي فإن تحرير الطاقات والقدرات يجعل الإنسان فاعلا لا منفعلا ومشاركا في شتى مناحي الحياة، وهذا ما يريده اسبينوزا عندما يقول: "ليس المقصود من تأسيس الدولة تحويل الموجودات العاقلة إلى حيوانات أو الآلات صماء بل إن المقصود منها هو إتاحة الفرصة لأبدانهم وأدهانهم لكي تقوم بوظائفها كاملة في أمان تام، بحيث أن يستخدموا عقولهم استخداماً حراً دون إشهار لأسلحة الحق أو الغضب أو الخداع بحيث يتعاملون معاً دون ظلم أو اجحاف فالحرية هي الغاية الحقيقة من قيام الدولة ([3]).ويبدو إن تشجيع الدولة على نشر الحرية بين مواطنيها أمر تقضيه ضرورات الحفاظ على الدولة نفسها فمن مصلحة الدولة أن تدعم حرية الفرد "ذلك أن الدولة مهما ساد الاعتراف بها على أنها مفسرة للقانون والتقوى فإنها لا تستطيع منع الأفراد من اصدار أحكامهم في كل شيء طبقاً لآرائهم الخاصة أو لانفعالاتهم بنحو فردى بهذا الشيء أو ذاك ([4])، فحرية الرأي وحرية الاعتقاد هي حق خالص للفرد و من الخطأ الجسيم أن تجعل الأفراد يتبنون آراء معينه دون غيرها "فالسيادة الحاكمة تبدو ظالمة لرعاياها ومغتصبة لحقوقهم عندما تحاول أن تفرض على كل منهم ما يتعين عليه قبوله على أنه حق وما يتعين عليه رفضه على أنه باطل وإن تعرض عليه. المعتقدات التي تحثه على تقوى الله"([5]).كما أن المواطنة عند اسبينوزا لا تقوم على اساس من العرق أو الدين أو المذهب وإنما على أساس العقل الذى من خلاله يمكن أن يتحقق مبدأ المشاركة بين الفرد و المجتمع ويقدم لنا اسبينوزا مثلاً يوضح ذلك عندما يقول لنفترض أن شخصاً قد بين تعارض أحد القوانين مع العقل وأعرب عن رأيه في ضرورة إلغائه وفى الوقت نفسه عرض رأيه على السلطة العليا لتحكم عليه لأنها وحدها هي المخولة في الغاء القوانين في اثناء ذلك عن أي مظهر من مظاهر المعارضة

([1])د. فؤاد زكريا: اسبينوزا مصدر سابق ص. 228.
([2])اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة مصدر سابق ص 446
([3])اسبينوزا: رسالة في بلاهوت والسياسة 445.
([4])المصدر السابق .
([5])المصدر تفسه . 444.

للقانون المذكور فإنه يكون جديراً بلقب المواطن الصالح وبثناء الدولة عليه" [1] . بهذه الطريقة فإن الفرد يكون قد مارس حقه في إبداء الرأي دون المساس بسيادة الدولة. والدولة عندما تشجع هذه الطريقة فإنها تضمن بذلك بناء المواطن الحر الذى يعمل من أجل مصلحتها لأنه يدرك في أن مصلحته الشخصية من مصلحة الدولة نفسها.

فمن واجب الدولة أن تشجع على حرية الرأي والتفلسف، لأنه ما من ضرر يمكن أن يحلق بها من جراء ذلك ويذهب اسبينوزا أبعد من ذلك فيرى أنه يتوجب على المجتمع أن ينمى بين أفراده منطق الاختلاف لأن الاختلاف يشير إلى خصوبة الحياة العامة وفاعليتها بل إنه من طبيعة البشر أنفسهم إذ من غير الممكن أن يتفق البشر على رأى واحد، والاختلاف في الرأي يعنى أن البشر يعيشون حياة طبيعية في حين أن التشابه والتماثل يشير إلى أنهم يعيشون قسرا ما يخالف طبيعتهم كما يقدم اسبينوزا على أهمية الحرية عندما يقول"بل أن السيطرة على حرية تفكير البشر ومحاولة إلغاء تعددية الآراء والضغط عليهم للتفكير بالطريقة نفسها إنما هي محاولة لتحقيق المستحيل، فالدولة إذا حاولت ذلك تتحول إلى دولة استبداد وطغيان ثم ان الحرية الفردية هي الشرط الذى يعتبره سبينوزا "شرطاً اساسياً لتقدم العلوم والفنون التى لا تتقدم إلا على أيدى أناس تخلصوا من المخاوف وأصبحت لهم حرية الحكم[2]، إن توجيه سبينوزا العقلاني يجد تجليه الأمثل في الحض على الحرية الفردية التي من خلالها ينشط الفكر وتزداد حيوية الثقافة ويتم ذلك على ضرورة النقد البناء الذى يشارك بدوره في زيادة نسبة الوعى بين المواطنين كما يتمكن الفرد الحر من تنمية عقله ضمن شروط علميه سليمه كذلك يتمكن المجتمع من خلال ترسيخ الحرية بين أفراده من ما يمكنهم في جعل مشاعرهم وعواطفهم أكثر تفتحا، ويؤكد اسبنيوزا على أن الدولة ينبغي أن تقوم بإشراك الفرد في إدارة شؤون الجماعة وإحلال مبدأ المساواة القانونية والسياسية والاجتماعية.

ثامناً:انواع الحكومات أما عن أشكال الحكومات فقد اعتقد اسبينوزا بأن كل شكل من اشكال الحكومات يمكن ان يقام لضمان أمن الدولة، وكذلك حرية رعاياها وعلى هذا فقد كانت المهمة الأساسية له في كتابة الرسالة السياسية هي تحليل المبادئ المناسبة لدستور كل حكومة من الحكومات وتوضيحها وهذا التحليل يرتكز على التقسيم التقليدي للحكومات إلى دولة ملكية ودولة

(1)المصدر السابق نفسه

ارستقراطية (دولة ديمقراطية) ولقد أكمل اسبينوزا تحليله للدولة الملكية و الارستقراطية غير أن تحليله للدولة الديمقراطية ظل عملاً غير مكتمل ذلك لأن وفاته حالة دون اتمام ذلك فلنتناول اشكال هذه الحكومات .

الملكية:الملكية هي شكل من أشكال الحكومات فيه تنتقل كل سلطة من الأفراد إلى فرد واحد هو "الملك". إن هذا الشكل من أشكال الحكومات مثلما رأى اسبينوزا غير عملي بل وغير منطقي وذلك لعدة أسباب:

1- إن العبودية لا السلام تنتشر دعائمها عن طريق تسليم السلطة كلها في أيدى رجل واحد، أما السلام فلا يتكون من مجرد منع الحرب فحسب وإنما أيضاً من اتحاد العقول وتأليفها ولهذا فإن الدين يعتقدون أن الرجل الواحد يستطيع بمفرده ان يحتفظ بالحق الأعلى للحكومة التي يحكمها الصالح العام هم في الحقيقة على خطأ لأن القيد الوحيد على هذا الحق هو القوة وقوة رجل واحد لا تكفى لتحمل هذا العبء الكبير.

ثانياً: يمكن أن يكون الملك صبياً أو مريضاً أو شيخاً عاجزاً والمقربون منه هم الذين يملكون السلطة العليا لإدارة للشؤون المهمة للمملكة بالإضافة إلى أنه غالباً ما يدير الملك الشهواني على هوى هذه العشيقة أو تلك.

وينتهى اسبينوزا من تحليله لهذا الشكل من أشكال الحكومات إلى أنه أسوء اشكال الحكم على الاطلاق وذلك ليس بسبب أن الملك ينساق وراء مستشاريه الذين يناقشون بدورهم وراء غايتهم في إرضاء الملك فحسب وإنما أيضاً في محاولة الملك للإبقاء على سلطته.

النوع الثاني: الاستوقراطية: هي شكل من أشكال الحكومات فيه يسيطر مجموعة من الافراد وليس فرداً واحداً يختارهم الشعب على السلطة السياسية و يطلق على هؤلاء الافراد الذين تم اختيارهم بالفعل اسم النبلاء وإن سلطة الدولة في الاستوقراطية لهي أكبر بكثير منها في الملكية ومع ذلك فمن الناحية العملية فإن سلطات الارستقراطيين تقيدها حقيقة، أن جمهور الشعب يحتفظ باستقلالية معينة وبالتالي يصبحون مصدراً للخوف والقلق.

النوع الثالث:الديمقراطية: بدأ اسبينوزا بحثه عن الديمقراطية بإبداء الاختلاف بينهما وبين الارستقراطية فالأرستوقراطية تعتمد فقط على الاختيار الحر وإرادة المجلس الأعلى الذى يتكون من هذا الرجل النبيل أو ذاك، وهكذا فإنه لا

أحد يطلب حق التصويت أو شغل الوظائف الحكومية في الدولة الاستقراطية إلا بالوراثة أما فيما يتعلق بالديمقراطية فإن كل من يولد من أبوين من أصل البلد أو يولد على تراب البلد أو الذى تتوافر فيه الشروط التي بمقتضاها يمنحه القانون حق الجنسية فإن لكل هؤلاء الحق في لهم التصويت والترشيح للمجلس الأعلى ولشغل الوظائف الحكومية. ولهذا فإن اسبينوزا قد ربط الإدراك العقلي بالنظام الديمقراطي حين يقول:"إن أكثر الدول حرية تلك التي تعتمد قوانينها على العقل السليم ففي مثل هذه الدولة يستطيع كل فرد- إذا أراد أن يكون حر أن يعيش بمحض اختياره وفقاً للعقل[1]، ويؤكد اسبينوزا على أهمية النظام الديمقراطي عندما يقول "أظن أنى بينت حتى الآن بما فيه الكفاية مبادئ الحكم الديمقراطي الذى فضلته على أنظمة الحكم الاخرى لأنه يبدو اقربها إلى الطبيعة واقلها بعدا عن الحرية التي تقرها الطبيعة للأفراد ففي النظام الديمقراطي لا يفوض أي فرد حقه الطبيعي إلي فرد آخر بحيث لا يستشار بعد ذلك في شيء بل يفوض إلى الغالبية العظمى[2].

ومن تحليل اسبينوزا السابق للأشكال النوعية للحكومة الملكية والارستوقراطية الديمقراطية يتضح لنا أن مثله مثل أرسطو ومعظم الفلاسفة السياسيين الذين ظهروا قبل "فيكو" و"مونتسكيو" حيث إنهم ادركوا عدم الارتباط والاختلاف بين المجتمعات والمتغير الدائم للبناء السياسي و الاجتماعي لمجتمعاتهم على أنه شيء عفوي أو بالصدفة وأن هذا التغير إنما هو مظهر لعدم كمال تصوراتهم وقد بدا لهم على الأقل من الناحية النظرية إمكانية تخطيط ورسم مجتمع يكون ثابتاً لا يتغير أو في حالة توازن مثل النظام الآلي الميكانيكي المغلق. وعلى هذا فقد كانت المهمة الأساسية للمفكر السياسي هي وصف المثال الأنموذجي الأبدي الذى يمكن أن تحتدي به، و الذي تقترب منه كل الأنظمة والدساتير السياسية الواقعية بقدر ما تسمح به الطبيعة الإنسانية غير الكاملة وقد بدأ له أيضاً من الممكن مناقشة الأنظمة السياسية الأنموذجية دون إرجاعها إلى الظروف التاريخية التي يعتمد عليها في وجود وملائمة تلك الأنظمة.إن هذا الافتقار الجزري لفكرة التاريخ في هذه الحقبة من الزمان و بالتحديد في فكر اسبينوزا السياسي لم يكن من قبيل المصادفة وإنما هو سمة أساسية في فلسفة اسبينوزا ككل بل وفى الفلسفة العقلانية التي سادت القرن السابع عشر فلا يمكننا فهم هذه الفلسفة إلا إذا أغفلنا المنهج التاريخي وهذه نتيجة حتمية لاعتبار الفيزياء الرياضية الأنموذج المثالي للمعرفة الحقيقية.

(1) اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة ,ص 384.
(2) اسبينوزاز: رسالة في اللاهوت والسياسة: ص 385.

الخاتمة:إذا كانت كتابات اسبينوزا بشكلها ومضمونها التي عرضتها في هذا البحث تقبل شتى أنواع الاختلافات في التفسير فإن التطور اللاحق الذى مرت به فلسفة اسبينوزا بعد وفاته يقدم أمثلة ملموسة للنمط الذى تسير عليه الاختلافات، ففلسفة اسبينوزا كانت في واقتها أشبه باختراع سابق لأوانه ،إلا أن الظروف التاريخية والاجتماعية لم تكن قد بلغت من النضج في ذلك الوقت ما يسمح لها باستيعاب هذا الاكتشاف لم تحدث أثرها الأكبر في العصر الذي ظهرت فيه لأن ذلك العصر ولم يكن علي استعداد بعد لتقبل مثل هذه الافكار ،وكان لابد من مرو قرن كامل قبل أن تتهيأ الظروف التي تجعل فلسفة اسبينوزا امراً ممكنا. إن فلسفة اسبينوزا السياسية كان لها الأثر الكبير في الفكر الإنساني في كافة جوانب الحياة المختلفة ومن خلال هذه الدراسة يمكن تقديم أهم نتائج التي توصل إليها الباحث وهي :-

أولاً:إن فلسفة اسبينوزا فلسفة عالمية ذات النزعة الإنسانية التي كانت تحارب أفكار الاستعلاء والتفوق العنصري وترى في اعتقاد أي شعب بأنه "مختار "نقيضة أخلاقية.

ثانياً: ظهرت قوة اسبينوزا في حقيقة العقل والعلم والتجربة في مقابل جبروت السلطة المنغلقة الغاشمة.

ثالثاً: ايمان اسبينوزا أن قضية الحرية واحدة في كل زمان ومكان.

رابعاً: أكد البحث حقيقة فصل الدين عن السياسة لأسباب تتعلق بطبيعة العصر والزمن والمكان وخاصة في القرون الوسطي في أوروبا .

خامساً: ضرورة قيام الدولة في كل زمان ومكان للمحافظة علي الذات والملكية فلا يمكن قيام الأمن والاستقرار إلا بقيام الدولة .بكل مؤسساتها المدنية والعسكرية والقضائية.

المصادر والمراجع

اولآ : المصادر:-

1- اسبينوزا : رسالة في اللاهوت السياسي ،تجمة حسن حنفي، مصر مكتبة الانجلو المصرية الطبعة التانية ، لسنة .1981

2- اسبينوزا : رسالة في السياسة ، ترجمة عمر مهبيل ، موفم للنشر الجزائر 1995 .

3- اسبينوزا : علم الاخلاق ، ترجمة جلال الدين سعيد ، تونس دار الجنوب للنشر لسنة 1997

ثانياً : المراجع :-

1- أمام عبد الفتاح أمام: توماس هوبز فيلسوف العقلانية ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر الطبعة الاولى لسنة 1985

2-برتراند رسل: تاريخ الفلسفة الغربية ج 3- ترجمة محمد فتحي الشنطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب لسنة 2010 .

3- بول هازار : ازمة الضمير الاوربي ، ترجمة محمد عثمان جودت، دار الكتاب العربي ، القاهرة 1984 .

4- بول هازار: الفكر الأروبي ، ترجمة محمد غلاب ، دار الحداثة،ب.م.ت،1980 .

5- توماس هوبز، اللفاثان . الاصول الطبيعية والسياسية لسلطة الدولة ، ترجمة ديانا حرب وبشرى صعب ، ابوظبي هيئة ابوظبي للثقافة والثراث لسنة 2010 .

6- جان ثوشار: تاريخ الافكار السياسية من عصر النهضة الى عصر الانوار ، ترجمة ناجي الدراوشة ، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الاولى لسنة 2010 .

7- علي عبد المعطي : الفكر السياسي الغربي مصر دار المعرفة الجامعية لسنة 1981 .

8- علي عبد المعطي : السياسة أصولها في الفكر الغربي الاسكندرية دار المعرفة الجامعية لسنة 1983 .

9- علي عبدالمعطي : بين النظرية والتطبيق ، بيروت ، دار النهضة العربية لسنة 1405 – 1980 .

10- فؤاد زكريا ، اسبينوزا ، مصر ، دار الوفاء للنشر ، الطبقة الأولى لسنة 2008 .

11- محمود الزقزوق : درارسات في الفلسفة الحديثة دار الطباعة المحمدية بالازهر ،الطبعة التانية لسنة 1988 م .

12- مصطفى الخشاب : تاريخ الفلسفة والنظريات السياسية مصر مطبعة لجنة البيان العربي. الطبعة الاولى لسنة 1953 .

السياسة الروسية في مواجهة المطالب الاستقلالية في الشيشان وتتارستان

د.عامر سليمان زريبة -كلية الاقتصاد/ قسم العلوم السياسية/ سوق الأحد/ جامعة الزيتونة

المقدمة: شهد مطلع التسعينيات من القرن العشرين العديد من الأحداث المهمة بالنسبة للاتحاد السوفييتي، منها تصفية احتكار الحزب الشيوعي للسلطة و إضعاف النظام السياسي الشمولي وسقوط النظام الشيوعي في شرق أوروبا و تقويض الكتلة السوفييتية الشيوعية الأوروبية كثمن لإنهاء الحرب الباردة و تدهور هيبة الاتحاد السوفييتي كقوة عظمى باستجداء العون من الدول الصناعية والتسليم بالإدارة الأمريكية المنفردة لحرب الخليج الثانية. كل هذه الأمور كانت كافية للانقلاب على جورباتشوف من قبل الذين دعموا البيريسترويكا بهدف تحديث قاعدة النظام الشيوعي السوفييتي لأهدافها و الارتقاء بمكانة القوة العظمى السوفييتية وليس إضعافها. من هنا جاءت محاولة الانقلاب في19أغسطس 1991م لقطع الطريق على المعاهدة الاتحادية الجديدة التي كان مقرراً توقيعها في اليوم التالي وتنهي عملياً الاتحاد السوفييتي من منظور العلاقات بين المركز الاتحادي السوفييتي والجمهوريات الاتحادية الأطراف لكن هذه المحاولة فشلت، على الرغم من فشل محاولة الانقلاب إلا أن النظام السياسي السوفييتي أخذ يعاني من تصدعات وضعف شديد اضطره للاعتراف كرهاً باستقلال جمهوريات البلطيق الثلاث (ليتوانيا، إستونيا ولاتفيا) بعد أن كان يشترط قبل الانقلاب ضرورة اتباع مجموعة من الإجراءات تبدأ بالاستفتاء الشعبي وتنتهي بالمفاوضات مع المركز على مدى خمس سنوات لتحديد ما يبقى للجمهورية المنفصلة وما يذهب للمركز. وبعد شهرين من فشل الانقلاب جاء انقلاب الليبراليين بزعامة يلتسين في محاولة لاستيعاب غالبية صلاحيات المركز. وفي 8 ديسمبر1991م أعلنت الدول السلافية الثلاث الكبرى روسيا الاتحادية وأوكرانيا وروسيا البيضاء إلغاء الاتحاد السوفييتي و إقامة رابطة جديدة هي كومنولث الدول المستقلة. وقد أعلنت الدول الإسلامية الخمس الواقعة في آسيا الوسطى بعد اجتماع عقد بينها في عشق أباد عاصمة تركمانستان انضمامها إلى الرابطة الجديدة ثم انضمت أذربيجان فيما بعد.

المشكل البحثي: يدور المشكل البحثي حول: كيف تتعامل الدولة مع مطالب الجماعات العرقية خاصة إذا كان على رأس هذه المطالب الانفصال عن الدولة؟ ولماذا لجأت روسيا لاستخدام القوة العسكرية لكبح مطالب الاستقلال

في الشيشان في الوقت الذي ارتضت فيه الدخول في مفاوضات مع تتارستان و منحها حكماً ذاتياً موسعاً؟

أهمية البحث: يمثل انهيار الاتحاد السوفييتي مرحلة تحول فاصلة في العلاقات الدولية ككل، فقد أدى إلى إحداث تحولات جذرية في كافة التفاعلات الدولية و السياسية والاقتصادية والعسكرية هذا من ناحية عامة ومن ناحية خاصة على الاتحاد الروسي أي الجمهوريات المكونة للاتحاد الروسي والعلاقة بين الدولة وجماعاتها الإثنية حيث إن البحث قد اختار الصراع الروسي الشيشاني التتاري مثالاً لأحد أشكال الصراع في منطقة القوقاز، فإن هذه المنطقة تمتلئ بالصراعات الإثنية سواء الكامنة أو المعلنة والتي تلعب فيها روسيا بشكل مباشر أو غير مباشر دوراً في تصعيد بعضها وتهدئة البعض الآخر.

أهداف البحث:

- يركز البحث على تفسير الصراع الإثني في العالم من خلال البحث في الهويات العرقية والدينية للشعوب على أسس اجتماعية وتاريخية وكدراسة حالة للمجتمع الروسي.
- دراسة ظاهرة التضامن الإثني التي تؤدي إلى تحفيز الأقليات الأثنية إلى المزيد من التكتل والدفاع عن نفسها.
- استخدام الهوية الثقافية وسيلة للحصول على مكاسب سياسية واقتصادية.
- التغيرات الدولية في النظام الدولي حفزت العديد من الأقليات إلى المطالبة بالاستقلال وإنشاء كيانات مستقلة.

فرضية البحث: ينطلق هذا البحث من فرضية واحدة مفادها:

- كلما زاد ارتباط الفرد بالجماعة العرقية الخاضعة للتمييز ظهرت حركات مواجهة انفصالية ضد التمييز العرقي في حين يزداد العنف من كل السلطات الحكومية تجاه الأقليات وتقابل بالعنف المضاد مستخدمة شعار حقوق الإنسان والانفصال.

منهجية البحث:يعتمد هذا البحث على منهجية علمية تتمثل في المنهج المقارن وهو المقارنة بين الحالة الشيشانية والتتارية وتستند على معطيات متنوعة و دراسات متخصصة ترتكز على مبدأ تحليل المعلومات والاستعانة بالمراجع و المصادر.

تقسيمات البحث:(محاور البحث):في هذا البحث سنحاول إلقاء الضوء على السياسة الروسية في مواجهة المطالب الاستقلالية في الشيشان وتتارستان من خلال الآتي:

أولاً: الشيشان وتتارستان في دائرة الاهتمامات الروسية.

ثانياً: الإدارة الروسية للعلاقة مع الشيشان وتتارستان.

أولاً: الشيشان وتتارستان في دائرة الاهتمامات الروسية:

رغم أن روسيا لعبت دوراً في دعم المطالب الانفصالية في الجمهوريات المجاورة لها إلا أنها لم تكن لتسمح بأن تستشري هذه المطالب داخلها، وسعت للحفاظ على إقليمها حتى لا تتعرض لمصير الاتحاد السوفييتي (كسبه، 1995م،177). ويصعب الحديث عن أهمية الشيشان وتتارستان بالنسبة لروسيا دون تناول الأوضاع الداخلية الروسية التي نبعت منها هذه الأهمية و من ثم يمكن تناول ذلك في الأوضاع الداخلية الروسية في التسعينيات من القرن العشرين والآخر عن أهمية الاحتفاظ بالشيشان وتتارستان داخل الاتحاد الروسي (شادي، 1994م، 36).

1- الأوضاع الداخلية الروسية في التسعينيات: يمكن تناول ملامح البيئة الداخلية الروسية من خلال الحديث عن الأوضاع السياسية والدستورية و الأوضاع الاقتصادية والأوضاع العرقية والمشكلات المجتمعية والدين في روسيا (جار، 1995م، 92).

أ- الأوضاع السياسية والدستورية: تحت تأثير فشل انقلاب أغسطس وضعف جورباتشوف أصدر يلتسين أوامره إلى ميلشياته المكونة من جهاز الشرطة الروسي وأتباعه إلى مهاجمة مقار الحزب الشيوعي واعتباره حزباً غير مشروع طبقاً لشرائعه الروسية التي سنها ومطاردة أعضائه والقبض عليهم وتفتيش منازلهم ووجه نداء لمواطني موسكو بتدمير كل ما له علاقة بالاشتراكية (الغبراء، 1988م، 52).

وفي 12 ديسمبر 1993م صدر الدستور الروسي الذي نص على أن روسيا دولة فيدرالية ديمقراطية ذات طابع جمهوري لها عملة واحدة هي الروبل وعاصمة واحدة هي موسكو ولغة رسمية واحدة هي الروسية وإن كان من حق الجمهوريات المكونة لها أن تستخدم لغتها المحلية إلى جانب اللغة الروسية. وتتكون روسيا من 89 وحدة موزعة كالآتي:21 جمهورية و6 مقاطعات و49 إقليماً واثنان من المدن الفيدرالية وهما موسكو وسان بطرسبرج وإقليم واحد ذو حكم ذاتي (الإقليم اليهودي) وعشر مناطق ذات حكم ذاتي (كسبه، 1995م، 180).

وتنفرد الحكومة الاتحادية في روسيا بتولي المهام التالية:

- رسم السياسات الاقتصادية والاجتماعية للدولة.
- رسم السياسة الخارجية للدولة وتوقيع المعاهدات وكذلك أمور الحرب السلام.
- الأمور الخاصة بالدفاع والأمن القومي والإنتاج الحربي وبيع الأسلحة والمعدات العسكرية (سليم، 1995م، 3).

- إصدار الدستور الاتحادي وتعديله وكذلك القوانين الاتحادية.

منذ صدور الدستور الروسي والمواجهات تحدث بين السلطة المركزية والسلطات الإقليمية حول تحديد مفهوم السيادة التي ستكون من نصيب هذه الكيانات (سليم، 1995م، 4). أما عن النظام السياسي الروسي في ظل دستور عام 1993م فهو نظام رئاسي. فرئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ويتم انتخابه لمدة أربع سنوات وذلك بالاقتراع العام السري المباشر ويشترط ألا يقل عمره عن 35 عاماً ولا يجوز إعادة انتخابه لأكثر من مرتين متتاليتين كما أنه لا يوجد سن للتقاعد (عبد الخالق، 1995م، 109). ففي الفترة من 1991 و1993م تم تعيين معظم رؤساء الإدارة الإقليمية على يد الرئيس يلتسين ولكن في عام 1997م كان على هؤلاء الرؤساء أن يحصلوا على شرعية تعيينهم من خلال إجراء استفتاء عام. كما شهدت الفترة ما بين عامي 1990 و1994م ظهور مجموعة من المؤشرات الاستقلالية لمجموعة من جمهوريات الحكم الذاتي، هذا وقد لوحظ أن تتارستان والشيشان تحتلان المرتبة الأولى في الأخذ بهذه المؤشرات الاستقلالية كل المؤشرات بالنسبة لتتارستان وعدم عقد استفتاء على الاستقلال بالنسبة للشيشان رغم أن التصويت لصالح جوهر دودايف كان استفتاءً غير مباشر على الاستقلال (الشيشاني، 2001م، 18). ومنذ انتخابه في ديسمبر عام 1991م والأزمات الصحية تتوالى على الرئيس الروسي بوريس يلتسين والتي كان من بين نتائجها احتجابه عن الحياة العامة لفترات بالإضافة إلى توالي إصدار قرارات بدأت عشوائية وتفتقد التوضيح المقنع وانصبت هذه القرارات على إقالة ما لا يقل عن أربعة وزراء حكومة خلال فترة تقل عن عامين (يونس، 1993م، 73). وقد أدت هذه التصرفات من قبل رئيس مريض لكنه متمسك بفرض سلطته إلى تصاعد عدم الثقة من قبل الجماهير في مصداقية نظام الحكم الذي شرع في تطبيقه الرئيس منذ عام 1991م (الخطيب، 2000م، 4).

ب- الأوضاع الاقتصادية: مع بدء الإصلاحات الروسية في عهد الرئيس يلتسين بالشؤون المالية والاقتصادية إلى الاقتصادي الشاب إيجور جيدار الذي تحول من محرر اقتصادي في مجلة الشيوعي التابعة للجنة المركزية أولاً: مدير معهد السياسة الاقتصادية في الاتحاد السوفييتي ثانياً إلى منظر ينتمي للتيار المحافظ بكل معنى الكلمة (شادي،1994م، 40). وقد جاء بوجهة محددة في تنفيذ برنامج متكامل مقترح من صندوق النقد الدولي عرف حيث طبق بالعلاج بالصدمة ويتلخص مضمون هذا الأسلوب في إبعاد الدولة كلياً عن الساحة الاقتصادية بأسرع وقت ممكن وخلق الظروف لعمل القطاع الخاص. لكن مجموعة الإصلاحيين الشباب الذين لجأ إليهم يلتسين لكي يقودوا روسيا إلى

عبور هذه المرحلة الانتقالية كانوا هم المسؤولين عن إغراق الاقتصاديات الروسية إلى حد الإفلاس الذي أعلن عنه في 18 أغسطس 1998م (عبد الخالق، 1995م، 113). هكذا وبنهاية عام 1998م أضحت روسيا تعاني من اقتصاد هش تسيطر عليه فئات جشعة من التجار ورجال المال المحدثين انبثقت من صفوف كبار الكوادر الحزبية الشيوعية القديمة. وكانت لهذه الأزمة المالية انعكاساتها الاقتصادية والسياسية في روسيا (النقيب، 1986م، 66). فعلى الصعيد الاقتصادي كان على الحكومة أن تقوم بطبع كمية جديدة من الأوراق المالية لكي تتمكن من تسديد الأجور والمعاشات المتأخرة بما كان يعني زيادة التضخم وفي الوقت نفسه كان عليها أن تنفذ سياسة صارمة للغاية تستوجب التدخل من أجل السيطرة على حركة الأسعار ورؤوس الأموال (الغبراء، 1988م، 59).وعلى الصعيد السياسي هبطت شعبية الرئيس يلتسين بشكل كبير بدأ ذلك واضحاً خلال الانتخابات الرئاسية في عام 1996م عندما فاز بنسبة 55% فقط من مجموع الأصوات أمام منافسه الشيوعي زيوجانوف (عبد العليم، 1992م، 22).

ج- الأوضاع العرقية والمشكلات المجتمعية:

ينتمي سكان روسيا البالغ عددهم حوالي 148 مليون نسمة إلى 130 جماعة إثنية يشكل الروس منهم حوالي 130 مليوناً بما يوازي 88% تقريباً من إجمالي عدد السكان أما النسبة الباقية 12% فينتمي أفرادها إلى إثنيات أخرى أهمها التتار 5 ملايين والأوكرانيون 4 ملايين الشوفاش 1.7 مليون واليهود 1.7 مليون والبشكير 1.3مليون والروس البيض أكثر من مليون والموردفيون أكثر من مليون (سليم، 1995م، 5).ويلاحظ في التكوين الاجتماعي في روسيا ازدياد نسبة العنف وعدم الاستقرار داخل المجتمع وارتفاع مستوى الجرائم ففي عام 1994م بلغ عدد الجرائم أكثر من مليونين و400 ألف جريمة هذا بالإضافة إلى سلسلة الانفجارات والاغتيالات التي قامت بها عصابات المافيا في العديد من المناطق داخل روسيا (سليم، 1995م، 8). كما يعتبر الفساد أحد أبرز المشكلات التي تظهر في المجتمع الروسي ومن الصعب على أي فرد أن يعرف نطاق الفساد السياسي في أي حكومة حيث إن ممارسيه لهم مصلحة في إخفاء أنشطتهم غير القانونية عن الرأي العام وفي الحالة الروسية هناك أسباب أخرى يمكن إضافتها مثل أن معظم المعلومات حول الفساد تأتي من سياسيين لهم مصلحة في تفجير القضية أكثر من مناقشتها بحياد (الخطيب، 2000م، 9). حيث تفتقر روسيا لمفهوم قانوني محدد وواضح وشامل لما تنطوي عليه الأدوار الرسمية للمسؤولين العموم وما هي الوسائل القانونية المتاحة لتحقيقها، يسلم المسؤولون الروس بأن البيانات الرسمية حول الفساد السياسي تقدم صورة

غير كاملة عن الواقع الفعلي وتؤكد وزارة الداخلية التي يشتمل تفويضها على مكافحة الفساد أن البيانات الرسمية لا تكشف سوى عن1% من الفساد الفعلي (الأصفهاني، 1999م، 210).

إن مستوى الفساد في مطلع ومنتصف تسعينيات القرن العشرين عندما تزامن مع فوضى الدولة والانقسام غير الواضح للسلطات بين المركز والأقاليم كان يعني أن العديد من قرارات يلتسين ورؤساء حكوماته لم تطبق على سبيل المثال في منتصف التسعينيات تكرر القرارات الخاصة بمنح فترات سماح ضريبية لتشجيع الاستثمار الأجنبي لكن غالبيتها إما تجاهلتها السلطات الضريبية أو تعارضت معها قوانين وقرارات أخرى وفي العديد من الحالات بدأ أن الهدف الوحيد من هذه القرارات هو التأثير في صندوق النقد الدولي (الشيخ، 1998م، 14).في أبريل 1997م أكد الرئيس يلتسين في حديث لمحطة إذاعية روسية أن الفساد يهدد أمن روسيا ويحول دون إحلال النظام في الدولة. العديد من أنصار الرئيس من المواطنين كانوا يشاركونه هذا التحليل وفي أحد استطلاعات الرأي العام رفض المبحوثون القول إن النظام موجود في روسيا اليوم وأرجع 40% منهم السبب إلى تغلغل الفساد الحكومي في قطاعات الدولة المختلفة ولم ينج الرئيس يلتسين نفسه من الاتهام بعدم الأمانة الوظيفية 9% فقط من المبحوثين في استطلاع آخر اعتبروا الأمانة إحدى صفات الرئيس (كسبه، 1995م، 189). ازدادت حدة الاتهام الموجهة ضد الرئاسة والخاصة بتورط عدد من كبار المسؤولين في الكرملين بمن فيهم أعضاء من أسرة يلتسين في ارتكاب جرائم تتعلق بالفساد المتفشي في البلاد من تقاضي الرشاوي والتورط في التعامل مع كبار زعماء المافيا الروسية والجريمة المنظمة من أجل غسيل الأموال بواسطة بعض المصارف الغربية في الخارج (الشيشاني، 2001م، 25).

د- الدين في روسيا:تعتبر روسيا دولة متعددة الأديان وتقدر نسبة معتنقي الأديان فيها بحوالي 40% من السكان غالبيتهم من المسيحيين وخصوصاً الأرثوذكس وتوجد في روسيا حوالي خمسة آلاف كنيسة أرثوذكسية وحوالي 150 كنيسة كاثوليكية. ويشكل الإسلام الديانة الثانية من حيث عدد المعتنقين حوالي 19 مليون وهناك أكثر من 800 مسجد كما يوجد معتنقون للبوذية و اليهودية (عبد الحافظ، 2000م، 383). أسس قياصرة روسيا حكمهم منذ القرن السادس عشر على أساس ديني و ضرورة أن تكون لرئيس الدولة سلطة كنيسة. ورغم أن دستور عام 1993م لم يحدد ديناً رسمياً للدولة ونص على أن روسيا دولة علمانية إلا أن روسيا تعتبر نفسها دولة مسيحية أرثوذكسية. وكانت الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من المؤسسات القليلة التي استطاعت استثمار

الفراغ الناجم عن انهيار الحزب الشيوعي ذلك الانهيار الذي أفسح المجال أمام عودة أنشطة بعض المؤسسات (عبد الحافظ، 2000م، 390). بعد انتهاء الحقبة السوفييتية بدأت الكنيسة تستعيد دورها الروحي وفي استطلاع للرأي عبر 64% من المبحوثين عن ثقتهم في الكنيسة أكثر من غيرها من المؤسسات العامة (الأصفهاني، 1997م، 158). اتسمت الكنيسة الأرثوذكسية بثلاث خصوصيات ناتجة كلها عن الظروف الاجتماعية والسياسية في روسيا. وهذه الخصوصيات هي:-

- وجود فراغ روحي ومعنوي في المجتمع وعملياً استطاعت الكنيسة سد هذا الفراغ إلى حد ما وأصبح كبير أساقفة موسكو البطريرك اليكس الثاني رمزاً وطنياً يشارك في مختلف المراسم الوطنية والسياسية كما يقوم تلفزيون موسكو ببث أخبار الكنيسة الأرثوذكسية وأنشطة البطريرك بشكل منتظم (سجاديور، 1994م، 66).
- ظهور الكنيسة الأرثوذكسية الروسية كقوة اجتماعية معنوية وهذا ما أيدته العلاقة الوثيقة التي ربطت بين هذه الكنيسة وحكومة يلتسين وعلى الساحة الداخلية الروسية تخوض قوى متعدد منافسة حامية للسلطة السياسية وقد نأت الكنيسة بنفسها عن هذا الصراع السياسي.
- البعد القومي للكنيسة الأرثوذكسية حيث تعتبر نفسها الحارس المعنوي لقلعة قومية ومن ثم فإن أوضاعها مرتبطة بمصير العنصر السلافي إلى حد كبير، ولعل ذلك ما يفسر موقفها المؤيد للصرب في البوسنة (تشيتريان، 2006م، 44).

2- أهمية الاحتفاظ بالشيشان وتتارستان:

فضلاً عن كون روسيا دولة كبرى تسعى للحفاظ على تماسكها ووحدتها يمكن القول بأن هناك مجموعة من العوامل التي كانت وراء تدخل روسيا عسكرياً في الشيشان وأخرى حول رفض روسيا التفريط في تتارستان (تشيتريان، 2006م، 50).

أ- عوامل التدخل في الشيشان: يمكن الحديث هنا عن مجموعة من العوامل الاقتصادية وأخرى جيوبوليتيكية وثالثة تتعلق بالتدخل الروسي (عبد الخالق، 1995م، 23)..

- عوامل اقتصادية: كانت المنطقة النفطية في جروزني بعد باكو عاصمة أذربيجان أكثر مناطق النفط الروسي أهمية قبل الثورة البلشفية وكان النفط يستخرج من آبار في شمال غرب جروزني مع بدايات عام 1833م وبلغ الإنتاج ذروته عام 1915م عندما وصل إلى 33.400 برميل يومياً وشكل 18% من إنتاج النفط الروسي وشكلت حقول باكو غالبية النسبة الباقية. وفي

عام 1932م كان نفط جروزني مسؤولاً عن ثلث إجمالي الإنتاج السوفييتي إلا أن هذه النسبة شهدت انخفاضاً سريعاً في السنوات اللاحقة (يونس، 1993م، 80). بمرور الوقت أضحت جروزني حلقة اتصال أساسية في خطوط أنابيب النفط بسبب كونها مركزاً لتكرير النفط بمد المستهلكين في شمال القوقاز ويمد الدولة ككل بمشتقات النفط وزيوت التشحيم. كما أن جروزني وصلة لحقول الغاز الطبيعي في كل من روسيا وآسيا الوسطى. ورأى بعض المراقبين أن قرار موسكو بإرسال قوات عسكرية للشيشان كانت وراءه الرغبة في تأمين السيطرة على صناعتها النفطية (النقيب، 1986م، 93). على الرغم من أن احتياطات النفط في الشيشان ليست ذات أهمية كبيرة إلا أن أهمية الجمهورية اقتصادياً تعود لموقعها إلى مفترق طرق اثنين من أهم خطوط أنابيب النفط وهما خط أنابيب باكو-نوفوروسيسك الميناء الروسي على البحر الأسود وخط أتيارو في قازاقستان-نوفوروسيسك (عبد المجيد، 1999م، 190). وزادت أهمية خط أنابيب باكو-نوفوروسيسك مع اكتشاف والتخطيط لتنمية حقول جديدة في سواحل أذربيجان على بحر قزوين وإمكانية أن يتبع النفط القازاقي المسار نفسه ويقدر لهذه الحقول أن تحوي 3.5 بليون برميل من النفط (عبد المجيد، 1999م، 197).

- **عوامل جيوبوليتيكية:** كان يلتسين يسعى من وراء اجتياح الشيشان ضمان تطبيق فكرة إنشاء منطقة عازلة تقع بين الحدود الجنوبية لروسيا وكل من تركيا وإيران. وتخشى روسيا من أن الاعتراف باستقلال الشيشان وفتح الأتراك سفارة لهم في جروزني سيمنحهم الفرصة لجعل الشيشان قاعدة لهم خلف الخطوط الروسية (قمحة، 2000م،171). هذا الخوف من تركيا يتجذر في التاريخ الروسي القومي القديم وكذلك في الإدراك الحديث بأن القوات الروسية حول البحر الأسود أقل شأناً من نظيرتها التركية (الشيشاني، 2001م، 46). كما تتضح المخاوف الروسية من تنامي التأثير التركي في القوقاز في المطالبة الروسية بعدم مرور خط النفط الأذري المتجه لأوروبا من الأراضي التركية و أن يتم النقل من الموانئ الروسية وبالمرور من المضائق التركية البسفور و الدردنيل. وتسعى روسيا بذلك إلى حرمان تركيا من لعب دور بارز في نفط المنطقة وإزعاجها بشكل دائم من خلال مرور ناقلات النفط العملاقة في المضائق التركية مما يثير الانزعاج لدى المواطنين الأتراك الذين يقطنون على جانبي مضيق البسفور الذي شهد خلال التسعينيات من القرن العشرين العديد من الحوادث الخطيرة الناجمة عن احتراق ناقلات النفط المارة به (جار، 1995م، 103).

- **عوامل روسية داخلية:** عقب تفكك الاتحاد السوفييتي تنازع دور المؤسسة العسكرية الروسية اتجاهه يدعو أحدهما للعمل على تقليص أعداد الجيش و تحويل الصناعات العسكرية إلى صناعات مدنية في حين يرى الاتجاه الآخر ضرورة الاحتفاظ بجيش قوي محترف ومن ثم فقد شكلت الحرب الشيشانية الأولى فرصة أمام القادة العسكريين الروس لتحقيق نصر سريع على إنموذج التدخل الأمريكي في هايتي عام 1994م مما يعيد للعسكرية الروسية سابق عهدها في الحفاظ على الدور القيادي لروسيا بإعتبارها قوة عظمى قادرة على الحفاظ على الاستقرار في كافة أرجائها (عبد العليم، 1992م، 27). لكن طول أمد الحرب وسيناريو الأحداث أجبر القيادة الروسية على وقف القتال والإعلان عن الاتفاق مع المقاتلين الشيشانيين. وجاءت الحرب الشيشانية الثانية لتشبع رغبة العسكرية الروسية في الانتقام من الشيشانيين الذين سبق وأن وجهوا لها ضربات موجعة في الاجتياح الأول (عبد العليم، 1992م، 31). لعبت الشروط الغربية المجحفة لتقديم المساعدات لروسيا وضآلة هذه المساعدات دوراً كبيراً في إضعاف شعبية الرئيس يلتسين التي هي ضعيفة بالأساس من جراء الأوضاع الاقتصادية المتدهورة وتزايد السخط الاجتماعي. وفي ظل هذه الأوضاع فإن عملية عسكرية ناجحة ضد الشيشان كان من شأنها أن ترفع من شعبية يلتسين أو تعيد إليه قدراً من شعبيته المفقودة. ومما ساعد على ذلك فشل المعارضة الشيشانية الموالية لروسيا في حسم الموقف لصالحها (سجاديور، 1994م، 81). ولم تختلف هذه الأهداف كثيراً مع الحرب الشيشانية الثانية حيث واجه القادة الروس في الكرملين اتهامات بالفساد واستغلال المناصب و اقترب موعد الانتخابات البرلمانية ديسمبر 1999م وكذلك انتخابات الرئاسة مايو 2000م وسعى يلتسين للوقوف بقوة وراء رئيس وزرائه بوتين الذي عينه في أغسطس 1999م (قمحة، 2000م، 50). وقد كان هذا التعيين أول ردود الأفعال السياسية للرئيس يلتسين تجاه القتال في داغستان ليحل بوتين محل سيرجي ستيباشين الذي أعلن أنه يخشى أن تكون روسيا في طريقها لخسارة داغستان (الأصفهاني، 1997م، 161). كما كانت القيادة الروسية تدرك أن عام 2001م قد اقترب وهو ما كان يعني أنها ستدخل في مفاوضات مع حكومة الشيشان لتحديد وضع الشيشان المستقبلي، وبالتالي وجدت موسكو في الحرب الشيشانية الثانية فرصة لحسم الأمور لصالحها قبل حلول عام 2001م. وهو ما أكده اتهام بوتين القيادة الشيشانية بأنها لا تسيطر على الوضع في جروزني و ألمح إلى إعادة النظر في اتفاقية السلام المعقودة بين روسيا والشيشان (يونس، 1993م، 86).

ب- أهمية تتارستان بالنسبة لروسيا:

لم يكن من السهل على روسيا وهي تعاني ما تعانيه من أزمات اقتصادية أن تفرط في تتارستان هذه الجمهورية ذات الوضع الاقتصادي المتميز الذي يتضح من العرض التالي:

- **الموارد الطبيعية:** الثروة الأساسية لتتارستان هي النفط الخام وتقع أشهر و أغنى آبارها في جنوب وجنوب شرق الجمهورية. وتنتج الجمهورية 25 مليون طن من النفط سنوياً وتشير التوقعات إلى أنه بحلول عام 2005م سيزيد إنتاج تتارستان إلى 30 مليون طن وتمتلك الجمهورية احتياطيات من النفط تقدر ما بين 0.8، 0.9 بليون طن ويصاحب كل طن منها 40 متراً مكعباً من غاز خام بالإضافة إلى احتياطيات غاز طبيعي فيما وراء نهر كاما تقدر بحوالي 12.5 بليون طن وتمتلك الجمهورية احتياطيات من الفحم أيضاً (سليم، 1991م، 172).

- **الصناعة:** تشكل الصناعة ما بين 68% و70% من الناتج الإجمالي لجمهورية تتارستان مما يؤكد تأثيرها الحاسم في التنمية الاقتصادية و الاجتماعية وتتمثل كبرى الفروع الصناعية في صناعة الكيماويات و البتروكيماويات وإنتاج النفط والطاقة الكهربائية. والقطاعات القائدة في مجال صناعة الماكينات هي صناعة الطائرات ووسائل النقل وتتمثل صناعة السيارات في مصنع كاماز وهي شركة مساهمة تقع في مدينة نابيرجني تشيلني ثاني كبريات المدن التتارية (تشيتريان، 2006م، 61). هذه الشركة هي كبرى الشركات في تتارستان ومن كبرى الشركات في كومنولث الدول المستقلة.وتوظف خمس القوى العاملة في الصناعة في تتارستان (تشيتريان، 2006م، 66). وتتضح أهمية الشركة من خلال المفاوضات التي جرت بين الرئيس يلتسين والرئيس شامابيف أثناء زيارة الأول لقازان في الفترة 30 مايو- 1 يونيو 1994م حيث تناولت المفاوضات إصلاحات مصنع كاماز بعد تعرضه للحرائق وتقديم ضمانات للمستثمرين الأجانب بعد أن أبدى بنك التصدير و الاستيراد الياباني استعداده منح الشركة قرضاً قيمته 400 مليون دولار (الغبراء، 1988م، 63). أما عن صناعة الطائرات فقد دخلت تتارستان في منتصف الثلاثينيات من القرن العشرين وتضم حالياً صناعة طائرات النقل و الطائرات المروحية ومحركات الطائرات وتقع كلها في قازان (قمحة، 2000م، 58). الجمهورية مكتفية ذاتياً من حيث الاحتياجات للطاقة وفي عام 1995م أنتجت من الطاقة الكهربية 22.7 بليون كيلووات/ساعة كما أن هناك 513 شركة تختلف في أنماط ملكيتها وتنتج السلع الاستهلاكية (عبد الخالق، 1995م، 120).

- **الزراعة:** يلعب القطاع الزراعي دوراً مهماً في اقتصاد تتارستان وتعطي الزراعة الاحتياجات المحلية من السلع الغذائية الأساسية تمثل المساحة المنزرعة 65.4% من إجمالي مساحة الجمهورية. في الوقت الذي تصل فيه المساحة القابلة للزراعة 81.9% فإن القطاع الزراعي الرائد هو تربية الماشية وتشتمل منتجات اللحوم على لحوم الأبقار ولحم الخنزير والدواجن و الأغنام في عام 1995م بلغ إنتاج الجمهورية من اللحوم 344.2 ألف طن وبلغ إنتاج الألبان 1614.1 ألف طن هناك أيضاً تربية حيوانات الفراء والأرانب و الخيول الأصيلة وتنوع المحاصيل الزراعية من قمح وشعير وبنجر السكر و البطاطس (مخلوف، 2006م، 18).

ج- الشيشان وتتارستان ومسألة السوابق "نظرية الدومنيو":

يفسر بعض المحللين تمسك روسيا بالشيشان وتتارستان في سياق اعتبارات السوابق أو ما يسمى تأثير الدومينو. فالقيادة الروسية ترى أن هناك أقاليم تسعى إلى الاستقلال الكامل في ضوء تجربتها المريرة في ظل الاتحاد السوفييتي وتجربة ليست أفضل حالاً في ظل الاتحاد الروسي وإذا ما سمح لها بالانفصال فسوف تنهار روسيا في ظل عدم الرضا عن تطورات العلاقات ما بين المركز والأطراف (مخلوف، 2006م، 22). يدلل أصحاب نظرية الدومينو على صحة تفسيرهم من خلال بيان الاستجابة الروسية للتحركات التتارية والشيشانية نحو الاستقلال. فعقب إجراء الاستفتاء على استقلال تتارستان في مارس 1992م أصدر البرلمان الروسي بياناً يوضح أن اهتمامه مبعثه ليس فقط تعقد العلاقات مع تتارستان ووضعها السياسي الداخلي ولكن أيضاً السابقة الأخيرة. فواحدة يمكنها أن تصبح مثالاً لجمهوريات حكم ذاتي أخرى سابقة يمكنها أن تثير عملية تفكيك في روسيا وتجعل تأسيس ودعم روسيا كدولة موحدة ومتكاملة مسألة في غاية الصعوبة (فراج، 1995م، 33). أما عن حالة الشيشان ففي كلمة ألقاها في 12 ديسمبر عام 1994م أمام البرلمان الروسي تساءل يلتسين: هل ينبغي لروسيا أن تتفاوض حول وضع الشيشان في الانفصال أخذاً في الاعتبار تأثير الدومينو المحتمل لمثل هذا التصرف على الجمهوريات التي تفكر في الانفصال (الخطيب، 2000م، 13).

ثانياً: الإدارة الروسية للعلاقة مع الشيشان وتتارستان:

لجأت روسيا في التعامل مع مطالب الاستقلال الشيشانية إلى مجموعة من الآليات التي يمكن ترتيبها زمنياً على النحو الآتي: الإيعاز بانفصال الإنجوش عن الشيشان ودعم المعارضة الشيشانية والطعن في شرعية رئيس الشيشان و توظيف البعد الديني وتعبئة الرأي العام الداخلي والخارجي وأخيراً التوظيف المكثف للأداة العسكرية (الخطيب، 2000م، 17).أما في حالة التتارية فلجأ

يلتسين إلى الاستعانة بالمحكمة الدستورية وممارسة الضغوط الاقتصادية و التوجه للمعارضة في تتارستان. ومع تولي بوتين الرئاسة في روسيا سعى لاستعادة سيطرة السلطة التنفيذية من خلال مجموعة تشريعات اتحادية تعيد صياغة العلاقات بين المركز والأطراف وسلسلة من قرارات المحكمة الدستورية الموجهة للأقاليم وسلسلة من المبادرات الوزارية والمصممة لزيادة السلطة الاتحادية على نطاق واسع في مجال صنع السياسة والمجالات الإدارية والمساومة على قضية إعادة انتخاب شاماييف لفترة رئاسة ثالثة (جار، 1995م، 410).

1- السياسة الروسية في الشيشان: لم يكن توظيف الأداة العسكرية هو الآلية الوحيدة التي استخدمتها روسيا في التعامل مع المطالب الانفصالية الشيشانية بل استعانت بمجموعة من الآليات الآخرى التي وظفتها خلال حقبة تسعينيات القرن العشرين منها:-

أ- الإيعاز بانفصال الإنجوش: عندما تم تهجير الشيشانيين والإنجوش عام 1994م قامت السلطات السوفييتية بنقل إقليم بريجوردونيه ذي الأغلبية الإنجوشية إلى جمهورية أوسيتيا الشمالية ولم يتم إرجاعه لجمهورية الشيشان و الإنجوش بعد إعادة تكوينها في عام 1957م (كسبه، 1995م، 193). وفي عام 1973م شهدت جمهورية الشيشان والإنجوش مظاهرات جماهيرية تطالب بإعادة الإقليم ولكن لم تستجب السلطات السوفييتية لهذه المطالب (سليم، 1995م، 61). في 26 إبريل 1991م مرر السوفييت الأعلى لجمهورية روسيا الاتحادية قانوناً برد الاعتبار للشعوب المضطهدة حيث وعد في مادته السادسة بإعادة حدود أقاليمهم القومية التي كانت قائمة قبل أن تغيرها قوى غير دستورية. ومن هنا اعتقد قادة الإنجوش أن مطالبهم في إقليم بريجوردونيه يمكن تحقيقها بشكل أفضل إذا ما بقوا داخل الاتحاد الروسي. وبالفعل مرر مجلس لنواب الإنجوش قراراً يدعو لتكوين جمهورية إنجوشية ذاتية الحكم داخل الاتحاد الروسي (قمحة، 2000م، 61). وفي الفترة 30 نوفمبر-1 ديسمبر 1991م أجرى استفتاء ثلاث مناطق ذات أغلبية إنجوشية وأيدت الانفصال عن الشيشان. وفي 4 يونيو 1992م تبنى السوفييت الأعلى للاتحاد الروسي قانوناً بإنشاء جمهورية إنجوشيا في الاتحاد الروسي لكن هذا القانون فشل في تحويل حدود الجمهورية ولجأ بدلاً من ذلك للمادة الخامسة التي تقول بأن مفوضية الحكومة الاتحادية الروسية يجب أن تتشاور مع كل الأطراف المعنية وتقترح حلاً لقضية الحدود بحلول 31 ديسمبر 1993م (برومبرغ، 1997م، 103). قاد الفشل في حل قضية إقليم بريجوردونيه إلى القتال بين الأوسيتيين والإنجوش في أكتوبر 1992م وتم طرد 30 ألف إنجوشي من

أوسيتيا وقام الاتحاد الروسي بفرض حالة الطوارئ في الجمهوريتين خلال الفترة بين 1992-1995م. وفي عام 1994م وقعت مصادمات عنيفة نتيجة تصدي عدد من الإنجوش لمرور قافلة مدرعات روسية كانت متوجهة إلى الشيشان (برومبرغ، 1997م، 110).

ب- دعم المعارضة الشيشانية: اعتمد منطق يلتسين الداعم للمعارضة الشيشانية على خصائص المجتمع الشيشاني القائم على تشابك الأسس القبلية والعشائرية والأسرية مع عشائر وأسر تتنافس من أجل السيادة فالحكم السوفييتي على سبيل المثال كانت تدعمه عشيرة تيريخسكوي وحلفاؤها والتي شكلت بعد مجيء دوداييف ولها السيطرة على صناعة النفط. وكان يلتسين يأمل في تغير فرص العشائر المسيطرة لصالحه عندما تتصارع على السلطة و المكانة (سليم، 1991م، 180).

عملت روسيا على دعم المعارضة بالمال للعمل على نهضة الشمال الشيشاني اقتصادياً في مقابل الجنوب وذلك على ضوء انقسام الشيشان إلى قسم شمالي سهلي غني أكثر توجهاً نحو روسيا بحكم طبيعته المدنية وقسم جنوبي فقير جبلي أقرب إلى تأكيد النزعة القومية المعادية للحكم الروسي (الخولي، 1992م، 44). ولذلك فقد جعل يلتسين من سلامبيك حاجييف وزير سابق في حكومة 1991م الروسية رئيساً للحكومة الشيشانية للنهضة القومية ومقرها في موسكو التي انضمت للمجلس الشيشاني المؤقت (الشيشاني، 2001م، 77).

ج- توظيف الأداة العسكرية: أول تدخل عسكري روسي في الشيشان في تسعينيات القرن العشرين جاء عقب إعلان دوداييف الاستقلال عندما أصدر يلتسين في 10 نوفمبر 1991م قراراً بإرسال 600 فرد من قوات وزارة الداخلية الروسية إلى الشيشان بدعوى استعادة النظام في الجمهورية إلا أن الشيشانيين المسلحين تصدوا لهم في المطار وحبسوهم في مباني المطار وفي اليوم التالي استنكر السوفييت الأعلى الروسي قرار يلتسين وفي أعقاب ذلك تم الوصول لاتفاق نص فيه على خروج الروس في حافلات في حراسة الحرس الوطني الشيشاني (النقيب، 1986م، 99). في مطلع ديسمبر 1994م حلقت الطائرات الروسية فوق جروزني وأسقطت نشرات تطالب الأفراد بتسليم أسلحتهم وأكدت العسكرية الروسية أنها أرسلت قوات للحدود الشيشانية (النقيب، 1986م، 104). وتطورت الأمور حتى أصبحت مواجهات عسكرية شاملة ما بين الجيش الروسي والقوات الشيشانية الموالية لدوداييف وحاولت القوات الروسية التي قدرت بثمانين ألف جندي وألف دبابة أن تتقدم صوب الشيشان من خلال ثلاثة محاور إلا أنها فوجئت بمقاومة من شعب إنجوشيا و من الشيشانيين الموجودين في داغستان مما نتج عنه فشل القوات البرية

الروسية في الهجوم وهو ما جعل القيادة الروسية تبدأ بقصف جروزني قصفاً وحشياً أسفر عن تدمير العديد من المباني والمنشآت الاقتصادية (الخولي، 1992م، 50). وفي أول فبراير 1995م اقتربت القوات الروسية من منطقة مينوتكا حيث أسس دوداييف مقره الرئيس وفي 3 فبراير حدث هجوم لقى مقاومة عنيفة وبعد عدة ساعات ومع تداعي دفاعاته انسحب دوداييف وبحلول 6 فبراير كان الروس قد دخلوا مينوتكا والتي ربطت مواقع شيشانية عديدة في الضواحي الجنوبية أعقب ذلك إعلان وزارة الدفاع في موسكو أن قواتها قد احتلت جروزني (فراج، 1995م، 40). وفي 8 فبراير 1995م عقد دوداييف مؤتمراً صحفياً في مدينة شالي أعلن فيه استمرار المقاومة الشيشانية مدعياً أنه قد ترك وراءه في جروزني جماعات هجوم خاصة وأشارت التقديرات الروسية وقتها لامتلاكه ستة آلاف مقاتل يدافعون عن أرجون وخمسة آلاف مقاتل يدافعون عن جوديرميس وستة آلاف آخرين في الجزء الغربي وخمسة آلاف في الجزء الشرقي (عبد الحافظ، 2000م، 401). ورغم سقوط العاصمة جروزني إلا أن اقتحام بقية المدن الشيشانية لم يكن بالأمر السهل وتكبد الطرفان الروسي والشيشاني خسائر كبيرة إلى أن وقعا اتفاق السلام في نوفمبر 1996م (عبد الخالق، 1995م، 125).

د- الطعن في شرعية رئيس الشيشان: دأبت روسيا على اتهام جوهر دوداييف بالتطرف والأصولية الإسلامية و أن جروزني أصبحت مركزاً للجريمة المنظمة وأن دوداييف قد استولى على السلطة بالقوة في عام 1991م ثم أجبر شعبه على الاستفتاء على رئاسته للمرة الثانية في يونيو 1994م (عبد الخالق، 1995م، 130). وفي خلال الحرب الشيشانية الأولى أكد يلتسين في العديد من المناسبات رفضه الحديث مع دوداييف مؤكداً دعمه لحكومة النهضة الشيشانية في موسكو بعلاقتها مع المجلس الشيشاني المؤقت (الأصفهاني، 1997م، 177). شهدت الفترة ما بين فبراير 1995م و15 فبراير 2000م وقفاً مؤقتاً لإطلاق النار رغم حدوث بعض الانتهاكات الفرعية من الطرفين بغرض تبادل الأسرى وفي خلالها كان الجنرال كوليكوف منسق القوات الروسية في الشيشان يحاول الوصول لشيوخ الشيشان ممن اعتاد الناس الاستماع إليهم على أمل أن يقنعوا دوداييف بالاستقالة والإقلاع عن القتال في مقابل الامتناع عن القصف الجوي في هذه الأثناء أيضاً وجه يلتسين خطاباً للشعب الروسي أصر فيه على حقه في استخدام القوة ضد الشيشان ووصف دوداييف بورم جروزني الذي ينبغي استئصاله (مخلوف، 2006م، 29). أما عن أصلان مسخادوف فبعد أن فشل في المناورة لمنع اجتياح روسيا للشيشان وبعد أن كفت روسيا عن التمييز بينه وبين باساييف ومع اجتياح القوات الروسية لشمال الشيشان أعادت

موسكو الاعتبار للبرلمان الشيشاني الذي انتخب في ظل الجيش الروسي عام 1996م إلا أن أعضاءه كانوا قد هربوا إلى روسيا بعد توقيع اتفاقية السلام بين موسكو وجروزني (قمحة، 2000م، 68).ورداً على ذلك أصدر مسخادوف مرسوماً بفرض الأحكام العرفية وأكد ممثله في موسكو أنه قرر قبول التحدي و لكن بوتين عاد بعد ذلك ليعرب عن استعداده للتعامل مع كل الهيئات الشيشانية شريطة اعترافها بأن الشيشان هي جزء لا يتجزأ من أراضي روسيا الاتحادية (الخولي، 1992م، 155).

هـ- تعبئة الرأي العام الداخلي والخارجي: سعت موسكو إلى خلق رأي عام معاد للشيشانيين ففي خلال الحرب الشيشانية وزعت الحكومة الروسية على الجيش ما عرف بالكتاب الأبيض حول جرائم نظام دوداييف ضد العرقية الروسية بهدف تأليب جنودها وإثارة النزعة القومية لديهم ورغبة في إظهار حمايتها لمواطنيها حيثما حلوا وعلى الرغم من تضمين الكثير من المبالغات حول الجرائم ضد الروس المقيمين في جروزني إلا أن هجرة الروس من الشيشان كانت ترجع بالأساس لتدهور الأحوال الاقتصاد ية في الجمهورية وبروز الحكومة القومية الشيشانية التي جعلتهم يشعرون بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية بعد أن كانوا الحاكمين خلال الحقبة السوفييتية (مصطفى، 1997م، 218). كانت روسيا أيضاً تفرج عن المجرمين المسجونين ذوي الأصول الشيشانية شريطة انتقالهم إلى الشيشان مما أسهم في زيادة الإجرام و العمليات غير القانونية ومن ناحية أخرى شجعت روسيا الاختطاف في الشيشان من خلال قيام البليونير اليهودي الأصل بوريس بيريزوفسكي نائب رئيس مجلس الأمن القومي والمسؤول عن الملف الشيشاني في عهد يلتسين بدفع الفدية للشيشانيين الخاطفين لتحرير الرهائن مما كان يزيد من تمادي هؤلاء الخاطفين (مصطفى، 1997م، 223).

و- توظيف البعد الديني: في الحرب الشيشانية الأولى كان الطموح الروسي مرتبطاً بنشاط متزايد للكنيسة الأرثوذكسية الروسية الأمر الذي وجد صداه عند المسلمين الخاضعين للسيطرة الروسية فلقد أصر يلتسين على أن ينصبه قسيس روسي وصاحب ذلك نمو وتعاطف الرأي العام الروسي تجاه الكنيسة (يونس، 1993م، 90). أما في الحرب الشيشانية الثانية فقد حاولت روسيا توظيف البعد الديني إسلامياً ومسيحياً فعلى الجانب الإسلامي صرح أحمد حاجي عبد اللايف مفتي جمهورية داغستان أن شامل باساييف ورجاله لا يمكن تسميتهم بالمجاهدين كما يزعمون لأنهم لا يقاتلون من أجل إعلان كلمة الله بل يدعون إلى الغلو والتطرف ويستبيحون قتل المسلمين ودعا المفتي الداغستاني أبناء الجمهورية المسلمين للدعاء أثناء الصلاة للجنود الذين يؤدون واجبهم من أجل

روسيا الموحدة ومن أجل الرخاء والطمأنينة في داغستان (كسبه، 1995م، 211). ومن ناحية أخرى التقى بوتين في موسكو بوفد يمثل مجلس الإفتاء في شمال القوقاز وشددوا على أن المجتمع لا ينبغي أن يسكن كل مسلم في خانة الإرهابيين ومن جانبه أشار رئيس المجلس مفتي جمهورية إنجوشيا محمد البوجاتشبف إلى أن الإرهابيين الذين يرفعون شعارات إسلامية في داغستان لا يجمعهم جامع بالدين الإسلامي الذي يدعو إلى السلم والتسامح (مصطفى، 1994م، 317) على الجانب المسيحي أخذت وسائل الإعلام الروسية تعرض بصورة شبه يومية مشاهد لرجال الدين المسيحي الأرثوذكسي وهم يباركون الجنود الروس ويودعونهم إلى القوقاز بل ويرافقونهم إلى داخل الأراضي الشيشانية ليباركوا المناطق التي تم تحريرها من أيدي المقاتلين الشيشانيين كما أدلى ممثل الكنيسة الأرثوذكسية بتصريحات تدين الإرهاب الإسلامي (مصطفى، 1994م، 322).

2- السياسة الروسية في تتارستان: لم يكن التفاوض هو الآلية الوحيدة التي استخدمتها روسيا في التعامل مع تتارستان بل استعانت بمجموعة من الآليات الأخرى التي وظفها كل من يلتسين وبوتين والتي سنعرضها في التالي:-

أ- سياسة يلتسين: وجد يلتسين نفسه في موقف جورباتشوف نفسه حينما تحدته الجمهوريات الاتحادية وكانت أولها وأشهرها روسيا بقيادة يلتسين. كانت التحذيرات تتوالى على يلتسين بأنه إذا ما دمر المركز القديم فسوف يواجه مخاطر تفكك الاتحاد الروسي أيضاً وبالفعل تحدت تتارستان وغيرها من جمهوريات الحكم الذاتي-الدستور الروسي بالطريقة نفسها التي تحدت بها روسيا دستور الاتحاد السوفيتي وتصرفت القيادة الروسية بالبطء ذاته الذي تصرف به جورباتشوف. اتبع يلتسين مجموعة من السياسات التي تأثرت باضطراب الأوضاع داخل روسيا (بومبرغ، 1997م، 141).

- قرارات المحكمة الدستورية الروسية: أصدرت المحكمة الدستورية الروسية قرارين أساسيين يهدفان مباشرة إلى كبح جماح مطالب السيادة الإقليمية. الأول في 7 يونيو 2000م وفيه قضت المحكمة بأن العديد من النصوص في دستور جمهورية ألطاي غير قانونية اعترضت المحكمة على النصوص التي تعلن سيادة الدولة، ونصت على أن رعايا الاتحاد الروسي لا يمتلكون أي سيادة للدولة التي يختص بها الاتحاد الروسي فقط ولئلا تضيع رسالة المحكمة القوية للجمهوريات الأخرى، قام ميخائيل ميتيوكوف ممثل بوتين في المحكمة الدستورية بالإطراء على القرار وقال بأنه أرغم كل أقاليم روسيا التي حاولت المطالبة بالسيادة إلى التخلي عنها (الخطيب، 2000م، 22). أما القرار الثاني فكان في 27 يونيو 2000م حينما أعدت المحكمة قائمة ببنود الدستور التتاري

التي تتعارض مع التشريع الاتحادي، وفي 14 يوليو 2000م نشرت الصحافة التتارية هذه القائمة التي تضمنت ما يلي (عبد الحافظ، 2000م، 409). المادة الأولى والتي تنص على أن جمهورية تتارستان هي دولة ديمقراطية ذات سيادة تعبر عن إرادة كل شعب الجمهورية ومصالحه والشعب هو مصدر سيادة الدولة وسلطتها. المادة 59 التي تنص على أن جمهورية تتارستان تحدد وضعها القانوني تحل مشكلات التنمية السياسية والاقتصاد ية والاجتماعية و الثقافية، وأن لقوانين الجمهورية الأولوية على كل إقليمها إذا لم تتعارض مع الالتزامات الدولية لتتارستان، والمادتان61 و62 اللتان تنصان على أن جمهورية تتارستان دولة ذات سيادة وشخص من أشخاص القانون الدولي و ترتبط مع جمهورية روسيا الاتحادية على أساس معاهدة للتفويض المتبادل للسلطات وقضايا السيطرة وتدخل تتارستان في علاقات مع الدول الأخرى و توقع اتفاقيات دولية وتتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي والتجاري وغيرها من أشكال التمثيل وتشارك في أنشطة المنظمات الدولية وتتعامل على أساس مبادئ القانون الدولي، كما اشتمل القرار على ذكر بعض نصوص دساتير أخرى هي أديغيا وانجوشيا وبشكورتوستان وكومي و أوسيتيا الشمالية (شادي، 1994م، 51). وفي محاولة للتوفيق بين التشريعات الاتحادية والتشريعات الإقليمية وقع سيرجي كيرينكو الممثل الرئاسي لإقليم الاتحادي اتفاقاً مع رئيس لجنة التشريع بالدوما الروسي بافيل كراشينيكوف حول الإجراءات المشتركة لجعل التشريع الإقليمي متوافقاً مع القوانين الاتحادية من خلال صندوق التشريع العام الذي سيقوم بتحليل وثائق التشريع الإقليمي وسيطبق آلية تسمح باختيار القوانين الأكثر كفاءة مقارنة بنظائرها الاتحادية. وبدأت إجراءات الإصلاح بمشاركة ممثلين من تتارستان وبشكورتوستان بحيث يتم تمثيل كل جانب بلجنة من سبعة أشخاص (شادي، 1994م، 56). لكن هذه اللجنة و اجهتها بعض الصعوبات وفي 14 نوفمبر 2000م فشل يوري شايكا وزير العدل الروسي خلال زيارته لتتارستان في توقيع اتفاق حول التوفيق بين قوانين الجمهورية والقوانين الاتحادية وبرز شاماييف رفضه بأنه يلزم المزيد من الوقت لإيجاد حل لما ينبغي عمله في مجال تفويض السلطات (مخلوف، 2006م، 67)..بالطبع لم يكن من السهل على روسيا أن تطالب تتارستان بالنظام والقانون في عامي 1990 و1991م في الوقت الذي تنتهك فيه دستور الاتحاد السوفييتي ومن ثم فقد انتظرت المحكمة الدستورية الروسية تتارستان حتى قررت إجراء الاستفتاء لتعلن في 13 مارس 1992م عدم دستورية سؤال الاستفتاء وفقرات إعلان سيادة الدولة التي قيدت من تطبيق القوانين الروسية داخل الجمهورية وفي 18 مارس 1992م ألقى فاليري زوركين رئيس المحكمة

الدستورية كلمة أمام البرلمان الروسي طالب فيها البرلمان التتاري بتنفيذ قرار المحكمة و بتوصية من المحكمة الدستورية ألقى كلمة أخرى انتقد فيها قيادة تتارستان لوصفها قرار المحكمة بأنه نتاج مهزلة قضائية (فراج، 1995م، 48).

ـ ممارسة الضغوط الاقتصادية: استغلت روسيا احتياج حكومة شاماييف للقروض من البنوك الروسية لتمويل المشروعات الصناعية مثل مصانع السيارات ولتحديث مطار قازان و لإنشاء جسر فوق نهر كاما وكذلك احتياج الكرملين في قازان لتجديدات تكلف عدة مئات البلايين من الروبلات (اللباد، 1999م، 97). وفي محاولة لجعل التتار يدركون مدى تبعية اقتصادهم لروسيا أوقفت موسكو تمويل المركب الصناعي العسكري في تتارستان فانخفضت طلبات الدولة لعديد النوعيات من السيارات بنسبة 40% وفي بعض الحالات بلغت النسبة 90% وهو ما جعل تتارستان تغير موقفها حيال المركب الصناعي العسكري حيث وافقت على أن يكون هذا المجال خاضعاً للإشراف المشترك مع تحفظين يتلخصان في أنه عندما تمول روسيا صناعة الأسلحة سيكون لها سيطرة كاملة ويكون لتتارستان السيطرة الكاملة على الإنتاج المدني (اللباد، 1999م، 202). كما شملت الضغوط الروسية تهديدات بقطع خط أنبوب البترول التتاري (تشيتريان، 2006م، 70).

ـ التوجه للمعارضة في تتارستان: في 19 مارس 1992م وعبر حديث تلفزيوني طالب يلسين برلمان تتارستان بالنظر إلى الاستفتاء على أنه سيقطع أوصال الاتحاد الروسي بصرف النظر عن نتيجته ويمكن أن تستخدمه القوى القومية لإشعال الصراع الإثني ولكن مازال بإمكان برلمان تتارستان أن يتخذ قراراً يتوافق مع قرار المحكمة الدستورية الروسية. وفي مساء اليوم التالي عندما بدأ من الواضح أن الاستفتاء سيأخذ المسار الذي خطط له حاول يلتسين استمالة السكان الروس في الجمهورية فوجه نداء لشعب تتارستان يطالبهم فيه بالتصويت بلا في الاستفتاء (قمحة، 2000م، 169). وخلال عملية التفاوض زار تتارستان أعضاء البرلمان والمفوضية الدستورية الروسيين في محاولة للتأثير في تبني الدستور التتاري حيث أرادوا أن يكون لهم دور في زعامة الجناح المعارض لشاماييف ولكن مارات موليوكوف رئيس مركز جمهور التتار آنذاك خاطبهم قائلاً: "إن الضيوف لا ينبغي أن يتدخلوا في الشؤون الداخلية للجمهورية ذات السيادة"(قمحة، 2000م، 173). كما سعت موسكو إلى تشكيل بعض الأحزاب السياسية التي تتماشى مع رغبات السلطات الروسية وأحضرت قادتها للمؤتمر الدستوري في يوليو 1993م للوقوف في وجه القادة القوميين لجمهوريات الحكم الذاتي واتضح ذلك في المؤتمر عندما حدث خلاف

بين رافائيل حكيموف العضو البارز في الوفد التتاري وأحد رجال الدين التتار غير المعروفين الذي ادعى أنه يمثل أحد الأحزاب السياسية التتارية في موسكو (الخولي، 1992م، 57).

ب- سياسة بوتين: لم يظهر بلتسين الرغبة أو القدرة على الحد من المساعي الإقليمية للسيادة و في النهاية وقع معاهدات مع ما يزيد على 40 وحدة من 89 وحدة مكونة للاتحاد الروسي على العكس من ذلك تحد بوتين سلطات السيادة المتراكمة لدى الأقاليم منذ توليه منصب رئيس الوزراء في أغسطس 1999م كما سعى لاستعادة سيطرة السلطة التنفيذية المركزية على إقليم الاتحاد الروسي في وضع يتعارض فيه أكثر من 20% من القوانين الإقليمية مع القوانين الاتحادية الروسية (مخلوف، 2006م، 33). مع تولي بوتين مقاليد السلطة رسمياً في روسيا في مايو 2000م تباينت الآراء في قازان حول الرئيس الجديد فمن ناحية صرح رافائيل حكيموف أنه لن تكون هناك تغييرات غير متوقعة في الوضع وعلاقات بوتين بجمهوريات روسيا عادية ولن تتدهور أما عن قدرته على محاربة الفساد فرأى حكيموف أن الوضع سيدفع بوتين لمحاربة الفساد و لكن مازال من غير الواضح هل هو على استعداد لذلك أم لا؟! من ناحية أخرى صرح رشيت ياجافاوف رئيس مركز جمهور التتار أنه يتخوف من قدوم سلطة قمعية لروسيا ومن السابق لأوانه الحكم على نجاح بوتين في الإصلاحات الاقتصاد ية ومن الصعب عليه محاربة الفساد لأن رجال بلتسين مازالوا في أماكنهم(الأصفهاني،1999م،215). حيث أن مجيء بوتين للسلطة يعني إعادة تأسيس سلطة تنفيذية قوية وسيلغي بوتين أية مظاهر للانفصال السياسي أو الاقتصادي أو القانوني ومن البدائل المحتملة لسياسة بوتين الإقليمية هي أن يخضع القادة الإقليميين بشكل كامل في مقابل إعطائهم سلطة غير محدودة في أقاليمهم، أما عن الفساد فليست هناك دلائل على انتهائه في روسيا لأن مكافحته كان لابد أن تبدأ مبكراً(سجاديور،1994م،88).حيث اشتملت سياسة بوتين على عدة ركائز هي:

- حزمة تشريعات اتحادية تعيد صياغة العلاقات بين المركز والأقاليم.
- سلسلة من قرارات المحكمة الدستورية الموجهة للأقاليم.
- سلسلة من المبادرات الوزارية المصممة لزيادة السلطة الاتحادية على نطاق واسع في مجالات صنع السياسة والمجالات الإدارية.
- المساومة على إعادة انتخاب بعض القادة الإقليميين ومن بينهم منتمير شاماييف (جار،1995م، 109).

ج- انتخاب شاماييف لفترة رئاسة ثالثة: طبقاً للقانون الاتحادي الخاص بالمبادئ العامة لتنظيم الكيانات التشريعية و رموز الدولة في أقاليم الاتحاد

الروسي بإمكان رؤساء الأقاليم ترشيح أنفسهم مرتين فقط وذلك في الوقت الذي تنتهي فيه رئاسة شاماييف الثانية في مارس 2001م وأراد ترشيح نفسه لفترة ثالثة حيث يسمع له الدستور التتاري بذلك و لكنه يتعارض مع التشريع الاتحادي دخل شاماييف مع بوتين في مفاوضات حول هذه المسألة التي وضعت الكرملين أمام معضلة وهي إما اتباع مبدأ سمو التشريع الاتحادي على القوانين المحلية وهو ما قد يخلق موقفاً صراعياً مع شاماييف وداخل تتارستان أو يسمح بإعادة انتخاب شاماييف وهو ما قد يثير الاستياء لدى قادة كيانات إقليمية أخرى (فراج، 1995م، 51).علقت وسائل الإعلام الروسية بأن السلطات الروسية ترغب في بقاء شاماييف رئيساً لتتارستان لكونه قائداً معتدلاً وأن الكرملين على استعداد لإعادة صياغة التشريع الاتحادي من أجله وبالفعل ناقش الدوما في 12 أكتوبر 2000م تعديل القانون الاتحادي بحيث يتم حساب فترات رئاسة حكام الأقاليم بداية من أكتوبر 1999م عندما أدخل قانون تنظيم الكيانات التشريعية والتنفيذية حيز التنفيذ و ليس طبقاً لتاريخ البداية الفعلية للرئاسة. وبالفعل تم إقرار التعديل في 26 نوفمبر 2000م مما مكن 21 من رؤساء وحكام جمهوريات وأقاليم روسية من خوض الانتخابات لفترة ثالثة (قمحة، 2000م، 172).

الخلاصة: يمكن إنجاز أهم نقاط هذا البحث في الآتي:

1- وجود اسم للجماعة ليعكس هوية جماعية مكتملة.
2- الاعتقاد في أصل مشترك وذلك أكثر أهمية من الروابط الجينية التي قد تتواجد.
3- الاشتراك في تراث واحد، وهو غالباً ما يكون مجموعة من الأساطير التي تم تناقلها شفاهة عبر الأجيال.
4- الاشتراك في ثقافة واحدة تقوم عادة على توليفه من: اللغة والدين والقوانين والعادات والمؤسسات والزي والموسيقى والحرف والمعمار والطعام.
5- الشعور بارتباط لإقليم محدد.
6- الإحساس بالإثنية المشتركة وإدراك الجماعة لذاتها.

المراجع:

أولاً: الكتب:

1- برومبرغ، دانيال، (1997م)، ترجمة: عمر سعيد الأيوبي، التعدد وتحديات الاختلاف: المجتمعات المقسمة وكيف تستقر، ط1، بيروت، دار الساقي.
2- جار، تيد روبرت، (1995م)، ترجمة: مجدي الحكيم وسامية الشامي، أقليات في خطر، ط1، القاهرة، مكتبة مدبولي.
3- الخولي، لطفي، (1992م)، الصراع على السلطة في روسيا الاتحادية، ط1، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.

4- شادي، خالدة، (1994م)، الصراعات القومية عابرة الحدود: الوطن العربي وكومنولث الدول المستقلة، ط1، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية.
5- الشيخ، نورهان، (1998م)، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية-الروسية، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية.
6- عبد العليم، طه، (1992م)، سقوط الاتحاد السوفييتي وتأثيراته على الوطن العربي، ط1، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.
7- كسبه، مصطفى دسوقي، (1995م)، الشيشان: بين المحنة وواجب المسلمين، ط1، القاهرة، مطابع الأزهر.
8- مصطفى، نادية، (1994م)، آسيا الوسطى والقوقاز بين القوى الإسلامية الكبرى وروسيا: أنماط ومحددات التطور التاريخي للتفاعلات الدولية، ط1، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية.
9- مصطفى، نادية، (1997م)، الأقليات المسلمة في إطار عام مقارن للدراسة، ط2، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية.

ثانياً: الدوريات:

1- الأصفهاني، نبيه، (1997م)، الحكومة الروسية الجديدة وتحديات المستقبل، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 129.
2- الأصفهاني، نبيه، (1999م)، الانتخابات الروسية وتوقعات المستقبل في القرن القادم، مجلة السياسة الدولية، العدد 138.
3- تشيتريان، فيكن، (2006م)، جدلية الصراعات العرقية ومشاريع النفط في القوقاز، سلسلة دراسات عالمية، أبوظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، العدد 18.
4- الخطيب، محي الدين، (2000م)، المسألة الشيشانية: دراسة في حق تقرير المصير واحتمالات التسوية، سلسلة أوراق آسيوية، العدد 31.
5- سجاديور، محمد كاظم، (1994م)، الدين والسلطة في روسيا في مرحلة ما بعد الشيوعية، شؤون الأوسط، العدد 32.
6- سليم، محمد السيد، (1991م)، مستقبل الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى والقوقاز، مجلة مستقبل العالم الإسلامي، العدد 5.
7- سليم، محمد السيد، (1995م)، التعريف بالشعب الشيشاني: المشكلة الشيشانية أصولها وآفاقها، سلسلة أوراق آسيوية، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، العدد1.
8- عبد الحافظ، أحمد، (2000م)، مسلمو شمال القوقاز بين دوافع الاستقلال وعوائقه: من الحرب الشيشانية الأولى إلى الحرب الشيشانية الثانية، حولية أمتى في العالم 1999، القاهرة، مركز الحضارات للدراسات السياسية، العدد 2.
9- عبد الخالق، نيفين، (1995م)، الأبعاد الراهنة للمشكلة الشيشانية، سلسلة أوراق آسيوية، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، العدد 1.
10- عبد المجيد، سعد، أهداف ومرتكزات الإستراتيجية التركية في القوقاز، مجلة السياسة الدولية، العدد 138.
11- الغبراء، شفيق، ((1988م)، العرقية المسيسة: الأدبيات والمفاهيم، مجلة العلوم الاجتماعية، الكويت، جامعة الكويت، مجلد 16، العدد 3.
12- فراج، محمد، (1995م)، الغزو الروسي للشيشان: الدوافع والانعكاسات الإقليمية والدولية، سلسلة أوراق آسيوية، القاهرة، مركز الدراسات الآسيوية، العدد 1.
13- قمحة، أحمد ناجي، (2000م)، الحلم الشيشاني وحدود الحق الروسي، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، العدد 139.

14- قمحة، أحمد ناجي، (2000م)، الصراع على شمال القوقاز: الحكم الشيشاني وحدود الحق الروسي، مجلة السياسة الدولية، العدد 139.
15- اللباد، مصطفى، (1999م)، انفجار القوميات والصراع على النفط في القوقاز، ملف الأهرام الإستراتيجي، العدد 58.
16- مخلوف، محمد، (2006م)، حرب الشيشان والصعود الثابت لفلاديمير بوتين، البيان الإماراتية، العدد 6.
17- يونس، السيد محمد، (1993م)، المسلمون في جمهورية الشيشان وجهادهم في مقاومة الغزو الروسي، مجلة رابطة العالم الإسلامي، العدد 154.

ثالثاً: التقارير:

- عبد الخالق، نيفين، (1995م)، المسلمون في الشيشان، تقرير الأمة في عام، القاهرة، مركز الدراسات الحضارية.

رابعاً: الندوات:

- النقيب، عبد الرحمن عبد الرحمن، (1986م)، تأثير الثقافة السوفييتية على الأقلية المسلمة بالاتحاد السوفييتي في الأقليات المسلمة في العالم: ظروفها المعاصرة، آلامها، آمالها، الرياض، الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

خامساً: الرسائل العلمية:

- الشيشاني، مراد محمود، (2001م)، الحركة الإسلامية في الشيشان والصراع الشيشاني الروسي في الفترة ما بين (1991-2000م)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية (غير منشورة)، معهد بيت الحكمة، عمان.

دور العقوبات الحدية في المحافظة على المقاصد الضرورية

أ/ خطاب خالد خطاب خالد-عضو هيئة تدريس بكلية القانون جامعة الزيتونة

المقدمة:الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، محمد بن عبدالله ، و على آله وصحبه ومن والاه ، واتبع هداه ، إلى يوم الدين وبعد.

فالناظر في نصوص الشريعة وما سطره علماء هذه الأمة يجد أن الحدود الموضوعة المعاقبة لمن يستحق العقاب – وضعت لأجل مقاصد و مصالح عدة . ومن مقاصد العقوبات في الشريعة حفظ الضرورات الخمس التي اتفق عليها علماء الأصول والمقاصد وهي: الدين ، النفس ،العقل ، النسل و العرض ، المال وصيانتها من أن تنتهك سواء من جانب الوجود أي بتثبيت أركانها و قواعدها أو من جانب العدم بدرء الاختلال الواقع أو المتوقع فيها .

السؤال الذي سوف أحاول الإجابة عنه من خلال هذا البحث هو ، هل العقوبات الحدية في تطبيقاتها تؤدي إلى المحافظة على المقاصد الضرورية ؟ وسيتم الإجابة عن هذا التساؤل

الفصل الأول :مفهوم العقوبات الحدية

سنتناولنا في هذا الفصل تعريف العقوبة الحدية لغة ،واصطلاحا ، و الحكمة من تشريع العقوبة، والعقوبة باعتبارها ضرورية اجتماعية ، كما نتناول تعريف الحدود الشرعية لغة ،واصطلاحا، والحكمة من تشريع الحدود الشرعية ، وأنواع الحدود .

المبحث الأول:- تعريف العقوبة الحدية

نعرف بداية العقوبة لغة، ثم نعرفها اصطلاحا ،في هذا المطلب وذلك علي النحو الأتي:

المطلب الأول:- تعريف العقوبة لغة:-

العقوبة لغة: تعني المجاوزة على الفعل ، جاء في لسان العرب:عقب كل شي وعقبه وعاقبة..آخره، وأعتقب الرجل خيرا وشرا بما صنع كافاه به: و المعاقبة أن تجزي الرجل بما فعل سوءا، والاسم العقوبة وعاقبه بذنبه معاقبة وعقابا، أخذه به، وتعقبت الرجل إن أخذته بذنب كان منه ([1]). ومنها أيضا الجزاء الذي يوقعه ولي الأمر، أو من ينوب عنه من ارتكاب مخالفة شرعية

([1])بن منظور،محمد مكرم بن منظور الإفريقي، المصري جمال الدين أبو الفضل ، دار صادر، بيروت لبنان،لسان العرب، ، مادة (عقب)،(ج5/ص3022-3027)

باعتداء علي حق خاص أو عام مأخوذة من الفعل عاقب يعاقب معاقبة وعقوبة وعقاباً [1].

المطلب الثاني:- تعريف العقوبة اصطلاحا:-عرفت العقوبة بتعاريف كثيرة منها

1- عرفها الحنفية فقالوا: العقوبة تكون علي فعل محرم، أو ترك واجب، أو سنة ، أو فعل مكروه [2].
2- عرفها المالكية فقالوا:العقوبة هي زواجر، إما على حدود مقدرة إما تعزيرات غير مقدرة [3]
3- عرفها الشافعية فقالوا:- جزاء علي الإصرار علي ذنب حاضر، أو مفسدة منصرفه[4].
4- عرفها الحنابلة فقالوا:- العقوبة تكون علي فعل محرم ، أو ترك واجب [5].

وينبغي أن يعلم أن الإسلام لا يعتمد علي العقوبة في إنشاء الحياة النظيفة بين الناس ولا يتخذها الوسيلة الوحيدة لذلك ،وإنما يعتمد علي الوقاية من الجريمة ومحاربتها بالضمير الوازع، والنفس المهذبة ، والسلوك المستقيم ، و توفير أسباب الحياة النظيفة لكل الناس، فمن ارتضى هذه الأسباب واتخذها منهاج حياته ارتقي وعز بالإسلام، وسعد بالمجتمع وسعد به مجتمعه ، ومن هجر هذه الأسباب ونفر منها وسعى في الأرض فسادا دون رادع من خلق أو وازع من ضمير، فهو كمن يتمرغ في الوحل مختارا ،وحق للإسلام أن ينزل عقابه ليحمي الناس من شروره ويوفر للمجتمع أمنه واستقراره[6]

المطلب الثالث:-الحكمة من تشريع العقوبة :إن الحكمة من العقوبة بصفة عامة هي معالجة الأمراض الاجتماعية ، فإذا نظرنا إلي المجتمع بإعتباره وحدة واحدة وجسماً واحداً ،ونظرنا إلي الأفراد وهم يمثلون خلايا الجسم و أعضاءه وأطرافه ، أمكننا أن نتصور كيف أن إيقاع العقوبات علي بعض الأفراد يعتبر علاجا للمجتمع تماما كما يعالج جسم الإنسان، إما بأدوية مرة ، أو بالمضاد، أو بالشق أو بالجراحة ، وقد يصل الأمر إلي بتر العضو وإزالته حتى لا يكون سببا في تلف الجسم كله ،وهذا ما يصلح خلايا هذا الجسم الكبير المجتمع وأعضاءه فقد يعالج بعض أفراده بالجلد أو الهجر أو الحبس أو القطع

---

(1) المرجع السابق ، ج1 ، ص 209

(2) الطرابلسي ،أبو الحسن علاء الدين علي بن خليل الطرابلسي ،معين الحكام ،دار الفكر،بيروت ،لبنان، ص 195

(3) الصنهاجي،شهاب الدين أبي العباس احمد بن إدريس بن الصنهاجي تهذيب الفروق بهامش الفروق ،(4/ص205/204

(4) للعز بن عبد السلام ، قواعد الأحكام، دار القلم ،2000 (1ج/ص 157)

(5) لابن القيم ، محمد بن أبي بكر بن أيوب لبن القيم الجو زيه،الطلاق الحكمية ،مجمع الفقه الإسلامي،2007 ص 265

(6) الخولي ، جمعة علي الخولي ،الحدود في الإسلام ،مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ،ربيع الاخر1401 ، ص 1

أو القتل إذا لزم الأمر.وللعقوبة من ناحية أخري أهداف ترجع إلي الجاني ، و أهداف ترجع إلى عموم الناس ،بالنسبة إلي الجاني تهدف العقوبة إلى استصلاحه وزجره إذا لم تكن العقوبة متلفه ،وبالنسبة إلى سائر الناس فان العقوبة تهدف من ناحية إلي حماية مصالحهم الضرورية ، في الأعراض و الأموال والأبدان والعقول وغير ذلك من المصالح ،ومن ناحية أخري تهدف إلى ردع المجرمين وتخويفهم وتحذيرهم من الوقوع فيما وقع فيه المتهم فيحل مثل ما حل به من العقوبة ([1])

المطلب الرابع:- العقوبة ضرورة اجتماعية :تعتبر العقوبة من الأمور الضرورية للمجتمعات،ولا يمكن أن يعيش مجتمع بدون أن تفرض فيه عقوبة، وكما أن الجريمة جزء من المجتمع وملازمة له ولا يتصور وجود مجتمع بدون جريمة، فكذلك لا يتصور وجود مجتمع بدون عقوبة فالعقوبة تعتبر رد فعل للجريمة،وكذلك نجد العقوبة حتى في المجتمعات الحيوانية ومجتمع الطيور والحشرات فيما بينها يوقعها بعضها علي بعض . والمجتمعات الإنسانية وإن كانت العقوبة موجودة فيها إلا أنها متفاوتة من مجتمع إلي أخر من حيث الإفراط والتفريط فبعضها متشدد في العقوبة ويقسو حتى تكون العقوبة اكبر من الجريمة ،مما يدفع بالمجرم أو عائلته أو عصابته أن يسعوا في استعادة الفرق ،وقد تكون العقوبة اقل من الجريمة لتغري المجرم بالعودة إلي الجريمة أو تدع المعتدي علية بالا خد ببقية حقه بنفسه. أما الشريعة الإسلامية فإن عقوبتها متوسطة لا إفراط ولا تفريط خاصة عندما تطبق بأمانة وعدالة ،فإنها تؤثر تأثيرا بالغا في التقليل من الإجرام والحد منه ([2])

المبحث الثاني:- تعريف جرائم الحدود الشرعية : سوف نتناول في هذا المطلب تعريف الجريمة لغة ،واصطلاحا ،كما نتناول تعريف الحدود لغة، و اصطلاحا، والحكمة من مشروعية الحدود .

المطلب الأول:- تعريف الجريمة لغة واصطلاحا:- الكلام هنا يكون على تعريف الجريمة لغة واصطلاحا .

الفرع الأول:- الجريمة في لغة الفقه الجنائي الإسلامي: أصل كلمة جريمة من جرم بمعنى كسب وقطع([3])والجرم بمعنى الحر، وقيل أنها كلمة فارسية معربة

([1])المرجع السابق ،ص40

([2])الخولي ، مرجع سابق ، ص 40

([3])الجوهري- إسماعيل بن حماد - الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية - دار العلم للملايين بيروت - الطبعة الرابعة 1407 هـ - 1987 م - حققه أحمد عبد الغفور عطار ج 5 ص 1885

([1]) الجرم : مصدر الجارم الذي يجرم نفسه وقومه شرا كما تعني التعدي و الذنب، فالجريمة والجارم بمعنى الكاسب وأجرم فلان أي اكتسب الإثم، كما تعني ما يأخذه الوالي من المذنب ، ورجل جريم وامرأة جريمة أي ذات جرم أي جسم. وجرم الصوت:جهارته ، تقول: ما عرفته إلا بجرم صوت ، و الجريمة تعني الجناية والذنب([2])

الفرع الثاني:- الجريمة اصطلاحا:- عرفت الجريمة بأنها محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير، ولها عند التهمة حال استبراء تقتضيه السياسة الدينية، ولها عند ثبوتها وصحتها حال استيفاء توجبه الأحكام الشرعية[3] وهذا التعريف يشمل الجريمة الايجابية التي تتم بإتيان فعل محظور كما يشمل على الفعل السلبي الذي يتم بالامتناع عن فعل مأمور بإتيانه ذلك أن لفظ المحظورات الشرعية تعني المعنيين:عرفها الماوردي بقوله:-((هي محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو تعزير))وعرفها الفقيه عبد القادر عودة بأنها فعل أو ترك نصت الشريعة على تحريمه والعقاب عليه[4]والجريمة في الإسلام تعني فعل ما نهي الله عنه ، وعصيان ما أمر الله به[5] ، أو بعبارة أعم هي عصيان ما أمر الله به بحكم الشرع الشريف[6]،وهذا التعريف عام بحيث يشمل الجريمة المعاقب عليها دنيويا من قبل الحاكم، كما يشتمل على الأفعال المعاقب عليه بالعقوبات التكلفية الدينية التي تكون كفارة للإثم، بجانب العقوبات الربانية المؤجلة ليوم الحساب عند رب العالمين .

المطلب الثاني:- تعريف الحدود لغة،واصطلاحا:- نتناول في هذه الجزئية تعريف الحدود أولاً، ثم تعريف الحدود اصطلاحاً

الفرع الأول:- تعريف الحدود لغة:-الحدود جمع حد في اللغة: ويعني المنع و الفصل بين شيئين ، ويسمي الحاجب حدا، لأنه يمنع الناس من الدخول ، وكذلك للسجان:لأنه يمنع من الخروج ومنها الحدود المقدرة شرعا، لأنها تمنع من الإقدام علي أسبابها ،وتمنع الناس من ارتكاب المحرمات ،والجرائم الموجبة لها[7]

([1]) بن منظور،ج 21 ص 91

([2])الفيروز آبادي،لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،القاموس المحيط،مؤسسة الحلبي،القاهر ، مصر،1963،1383 ج 4 ص 88 ،الزبيدي، محب الدين أبى الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الو اسطي الزبيدى الحنفي ،تاج العروس من جواهر القاموس ،مكتبة الحياة بيروت ،لبنان ج9 ص341 ، مرجع سابق ،ص 104

([3])أبي الحسن على بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي - الأحكام السلطانية - دار الكتب بيروت ص 273

([4])عبد القادر عودة - التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي - دار الكاتب العربي بيروت - ج1 ص 66

([5])عبد الفتاح خضر - الجريمة أحكامها العامة في الاتجاهات المعاصرة والفقه الإسلامي - مطبعة معهد الإدارة العامة الرياض 1985- ص 12

([6])الإمام محمد أبو زهرة - الجريمة والعقوبة في الفقه الإسلامي - الجريمة - دار الفكر العربي ص 22

([7])الفيروزبادي ،مرجع سابق،ج1،ص ،405،الرازي ،زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر عبد القادر الحنفي الرازي ،محمد بن أبي الرازي ، مختار الصحاح ، دار الحديث ،بيروت ،لبنان ،ص125 ، 126،

الفرع الثاني:- تعريف الحد اصطلاحا:-أما تعريف جرائم الحدود جاء فيه ، أنها محظورات شرعية زجر الله عنها بعقوبة مقدرة تجب حقا لله تعالي ،وكلمة الحد في الفقه الإسلامي تطلق علي الجرائم ، وتطلق علي عقوباتها[1]. والحد عقوبة مقدرة توجب حقا لله تعالي ، فالحد عقوبة ووسيلة تأديبية لمنع الناس من ارتكاب الجرائم التي تكون سببا لوقوع الحد ، وتتوافر فيه صفات العقوبة من تأديب الفاعل ومنع غيره من ارتكاب الفعل. والحد عقوبة مقدرة من قبل الله- سبحانه وتعالي– وتقديرها محدد بدقة ،ومعين عونا قطعيا لا يقبل الزيادة ولا النقصان وبالتالي، فلا يحق لولي الأمر ولا القاضي أن يزيد في العقوبة أوأن ينقص منها وأن يستبدلها بها غيرها ، متى ثبت سبب الحد مهما كانت الظروف والأحوال[2].وسميت الحدود كذلك إما لأن الله –سبحانه وتعالي– حدها وقدرها فلا يجوز لأحد أن يتجاوزها فيزيد عليها أو ينقص منها ،وقيل لأنها تمنع من الإقدام على ما يوجبها ، وقيل لأنها تمنع من الوقوع في مثل ى ذلك الذنب ، أو تكون سميت بالحدود التي هي محارم لكونها زواجر عنها، أوبالحدود التي هي المقدرات[3].والحد جمعه حدود، وحد كل شي منتهاه ،لأنه يرده ويمنعه من التمادي، وحدود الدار نهايتها، لمنعها ملك الغير عن الدخول فيها ، أو الخروج بعضها إليه، ويسمي اللفظ الجامع والمانع حدا، لأنه يجمع معنى الشيء ويمنع دخول غيره فيه ، وسميت العقوبات حدودا لأنها موانع من ارتكاب أسبابها و معاودتها، وحدود الله محارمه، لأنه ممنوع عنها[4]

أما كون الحدود عقوبات توجب للحد لله تعالي ، فيعني أنها يرجع منفعة توقيعها على مجموع الأمه، أو بما يسمى اليوم بالمصلحة العامة ، فكل جريمة تعود المصلحة في عقابها إلي مصلحة الأمة العامة تعتبر من جرائم الحدود ، و تعتبر كذلك واجبة العقاب حقا لله تعالى، وكل عقوبة واجبة حقا لله تعالي لا يجوز تخفيفها ولا العفو عنها .

المطلب الثالث:- الحكمة من تشريع الحدود:أن الحكمة من تشريع الحدود أو العقوبات: هو زجر الناس وردعهم عن اقتراف تلك الجرائم ، وصيانة المجتمع من الفساد والتطهر من الذنوب، قال ابن تيمية - رحمه الله –أن شرع العقوبات في الجنايات الواقعة بين الناس بعضهم علي بعض في النفوس والأبدان و الأعراض والأموال والقتل والجراح والقذف والسرقة ، فأحكم – سبحانه و تعالى وجود الزجر الرادعة عن هذه الجنايات غاية الإحكام ،وشرعها علي

(1)الكاساني ، بدائع الصنائع ،دار الكتب العلمية، القاهرة ،مصر7 ص، 33-36 ،والحصفكي ، الدر المختار ، ج،1ص،425

(2)العسوي – السعيد صبحي العسوي ، تطبيق الحدود الشرعية بين مقاصد الشريعة وأهواء النفوس ، مجلة الفرقان ، العدد 880 ، الكويت ، ص، 2

(3)الماوردي – لأبي الحسن علي بن محمد الماوردي ، الحاوي الكبير ، ط، 1، المكتبة العلمية ، ط(1) 1994 ج13،ص184

(4)ابن عابدين،لمحمد أمين الشهير بابن عابدين، حاشية رد المختار علي الدر المختار ، ط(1) ، دار الكتب العلمية ،القاهر،مصر ج،6، ص3،

أكمل الوجه المتضمنة لمصلحة الردع والزجر ،مع عدم المجاوزة لما يستحقه الجاني من الردع ، فلم يشرع في الكذب قطع اللسان ولا القتل ، ولا في الزنا الخصاء، ولا في السرقة إعدام النفس، وإنما شرع لهم في ذلك ما هو موجب بأسمائه وصفاته من حكمته ورحمته،ولطفه وإحسانه وعدله لتزول الشوائب و تنقطع الأطماع عن التظالم والعدوان ،ويقتنع كل إنسان بما اثاه مالكه وخالقه، فلا يطمع استلاب غيره حقه[1]

المطلب الرابع:- أنواع جرائم الحدود:نتناول في المطلب آراء الفقهاء في تحديد جرائم الحدود، ونتحدث في الجانب الآخر علي تعريف كل حد لغة، واصطلاحا

الفرع الأول:- أراء الفقهاء في تحديد جرائم الحدود: للفقهاء رأيان في تحديد أو تخصيص جرائم الحدود الشرعية

الرأي الأول:- مذهب الحنفية المشهور:- هو تخصيص الحد بالعقوبة المقدرة والمقررة حقا لله تعالي، أي لصالح الجماعة، وهي خمسة أنواع هي ، السرقة ، وحد الزنا، وحد الشرب، وحد القذف، أما قطع الطريق فهو داخل تحت مفهوم السرقة بالمعني الأعم [2]

الرأي الثاني:- مذهب الجمهور:- هو إطلاق لفظ الحد علي كل عقوبة مقدرة ، سواء أ كانت مقررة حقا لله تعالي أم لحق الأفراد ، وهي سبعة أنواع ، الزنا ، والقذف ، وشرب المسكر، والسرقة، والحرابة، والبغي، والردة ... [3]

الفرع الثاني:- تعريف جرائم الحدود:- سوف نتناول في هذا الجانب تعريف جرائم الحدود علي وجهة العموم لغة ، واصطلاحا .

أولا:- السرقة :-

1- **تعريف السرقة لغة**:-أخذ الشيء من الغير خفية يقال:سرق منه مالا وسرقه مالا يسرقه سرقا، وسرقه:اخذ ماله خفية، فهو سارق، ويقال سرق أو استرق السمع والنظر سمع أو نظر متخفيا[4].

(1)ابن تيمية ،احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية، السياسة الشرعية ،دار ابن حزم،بيروت ،لبنان،ص 98، العز بن عبد السلام ، مرجع سابق،ج،1ص ، 163،165

(2)أبو زهرة ،مرجع سابق ، ص، 64

(3)الغرناطي ،محمد بن احمد بن خزي الغرناطي ،القوانين الفقهية ،وزارة الأوقاف الكويتية ، طبعة ، فأس ، ص 44

(4)الرازي، مرجع سابق ،ص ،308

2- **تعريف السرقة اصطلاحا:-** هي أخد البالغ العاقل نصابا محرزا ، أو ما قيمته نصابا ملكا للغير لا شبهة له علي وجه الخفية ،وهي أخد المال على وجه الاستخفاء [1]

ثانيا:- القذف :-

1- **تعريف القذف لغة**:-الرمي والطرح يقال قذف الشيء بقذيفة قذفا إذا رمي بها، والقذف بالحجارة الرمي بها، وقذف المحصنة رماها ،واشتهر استعماله في رمي المرأة المحصنة أو الرجل المحصن بالزنا، أو ما في معناه من الألفاظ المكروهه[2]

2- **تعريف القذف اصطلاحا**:-اختلف الفقهاء في تعريف القذف على النحو الآتي:-

- الحنفية:- القذف في الشرع رمي بالزنا[3]
- المالكية:- نسبة ادمي غيرة حرا عفيفا مسلما بالغا أو صغيرة لزنى، أو قطع نسب مسلم[6].
- الشافعية:- الرمي بالزنا في معرض التعبير لا الشهادة [4]
- الحنابلة:- الرمي بالزنى أو اللواط أو شهادة به عليه ولم تكتمل البينة [5]

ثالثا:- تعريف الزنا

1- **تعريف الزنا لغة**:- زني يزني وزنا أتي المرأة من غير عقد شرعي،ويقال: زني بالمرأة فهو زان وجمعها زناة، وهي زانية ، جمعها زوان.أزناه حمله علي الزنا، وازناه نسبه إليه الزناء[6]

2- **تعريف الزنا اصطلاحا**:- للفقهاء تعريفات مختلفة للزنا وهي:

- **الحنفية**:-الوط الحرام في قبل المرأة الحية المشتهاة ،في حالة الاختيار في دار العدل ممن التزم أحكام الإسلام الخالي عن حقيقة الملك، وحقيقة النكاح ، وعن شبهة الملك، وشبهة النكاح [7].
- **المالكية:-** كل وطء وقع على غير نكاح صحيح ولا شبهة نكاح ولا ملك بيمين[8].

---

(1) السمرقندي،تحفة الفقهاء ، ج3، 233، المغني ، ج6، 240، النظم المستعذب في شرح غريب المهذب ،ج2 ، 276

(2) الرازي، مرجع سابق ،ص 308

(3) الشوكاني ،محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ،فتح القدير ،دار ابن كثير،بيروت ،لبنان ج5، ص59

(6) الأزهري،صالح عبد السميع الأبي الأزهري ،جواهر الإكليل ، ج 2، ص 286

(4) الرملي ،احمد بن حمزة بن شهاب الذين الرملي ،نهاية المحتاج،دار الكتب العلمية ،2003 ، ج 7، ص 415

(5) كشاف القناع ، ج 6، ص104

(6) الفيروز أبادي ، مرجع سابق

(7) ابن عابدين ،مرجع سابق ج3 ، ص 154، الكاساني،مرجع سابق ج 7 ، ص 33

(8) بن رشد،محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد ، بداية المجتهد،مكتبة ابن تيمية،القاهرة،مصر ،ج2، ص 324 ، حاشية الدسوقي لي الشرح الكبير ، ج4 ، ص 313

- الشافعية:-إيلاج الذكر بفرج محرم لعينه خال عن الشبهة مشتهى يوجب الحد[1].
- الحنابلة:-الزاني من أتي الفاحشة في قبل أو دبر امرأة لا يملكها أو غلام أو من فعل ذلك[2].

رابعا :- شرب الخمر

1- **تعريف الخمر لغة**:- ما اسكر من عصير العنب ، وسميت بذلك لأنها تخامر العقل ،وحقيقة الخمر ما كان من العنب ودون ما كان من سائر الأشياء، والخاء والميم،والراء، أصل يدل علي التغطية في الستر، فالخمر مأخوذ من خمر إذا استر، ومنه خمار المرأة وكل شي غطى شيئا خمره[3].

2- **الخمر اصطلاحا** :-

نذكر فيما يلي تعريفها في المذاهب الأربعة مرتبة

- **الحنفية**:- هي التي من ماء العنب إذا غلا واشتد وقذف بالزبد وفي لفظ حديث الرسول صلي الله علية وسلم (كل مسكر خمر، وكل خمر حرام) [4] .
- **المالكية**:- ما أسكر من الاشربة كلها فهو خمر[5].
- **الشافعية**:- كل شراب اسكر كثيره فقليله حرام[6].
- **الحنابلة**:- كل مسكر حرام حرام قليلة وكثيرة ، هو خمر حكمه حرام[7].

خامسا:- الحرابة :-

1- **تعريف الحرابة لغة**:- من الحرب التي هي نقيض السلم ،يقال : حاربه محاربة وحرابا أو من الحرب بفتح الراء: وهو السلب ،يقال : حرب فلانا ماله أي سلبه فهو محروب وحريب[8].

2- **الحرابة اصطلاحا**:-تسمي قطع الطريق عند أكثر الفقهاء، وهي البروز لأخذ المال، أو القتل،أو لإرعاب علي سبيل المحاصرة مكابرة اعتمادا علي القوة عن القوة مع البعد عن الغوث[9]. وزاد المالكية محاولة الإعتداء على العرض مغالبة،وجاء في المدونة (من كابر رجلا على ماله بسلاح أو غيره في زقاق أو دخل على حريمه في المصر حكم له بحكم الحرابة) [10].وهي قطع الطريق أو

1 الشر بيني ،محمد بن محمد الخطيب، دار الكتب العلمية ،القاهرة ،مصر ،معني المحتاج إلي معرفة ألفاظ المنهاج ،ج4 ، ص144

2 المقدسي ،لبهاء الدين عبد الرحمن إبراهيم المقدسي،العدة في شرح العمدة ، 540، الشرح الكبير ، ج 10 ، ص 151

3 بن منظور ،مرجع سابق، ج 5، ص 338، مادة خمر

4 صحيح مسلم الاشربه ، (2003)سنن الترمذي الاشربه ، (1861) سنن أبو داود الا شربة (3679)سنن ابن ماجه الاشربة (3390)مسند احمد بن حنبل (2/98)

5 المدني،مالك بن انس بن مالك بن عامر الاصبحي المدني ،المدونة ،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان ،ج4، ص410

6 المزني ،اسماعيل بن يحي بن اسماعيل المصري المزني،مختصر المزني مع الأم ، ج 5 ، ص 174، المهذب ،للشيرازي ، ج2 ص، 282

7 ابن قدامه ،المغني ، ج9 ص، 139

8 بن منظور، مرجع سابق ،

9 الكاساني،مرجع سابق ج 7،ص90،روض الطالب ، ج4 ، ص 154، المغني ، ج8،ص287

10 الأزهري،مرجع سابق ، ج2 ،ص 294

السرقة الكبرى ،وإطلاق السرقة على قطع الطريق مجازا لا حقيقة ، لان السرقة هي أخد المال خفية، وفي قطع الطريق يؤخد المال مجاهرة [1].

سادسا:- تعريف حد الردة: سوف نتطرق هنا لتعريف حد الردة لغة واصطلاحا

1- **تعريف حد الردة لغة**:-صرف الشيء ورجعه و الرد: مصدر رددت الشيء . ورده عن وجهه وقد ارتد وارتد عنه: تحول وفى التنزيل " ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر..."والاسم الردة، ومنه الردة عن الإسلام، اى الرجوع عنه وارتد فلان عن دينه إذا كفر بعد إسلامه[2].

2- **تعريف حد الردة اصطلاحا** :- أما بالنسبة للتعريف الاصطلاحي للردة فأنه يوجد الكثير من التعريفات ولكننا سوف نقتصر على تعريفين :-

الأول:- وفى هذا التعريف تعرف الردة بأفعال الشخص المرتد. والمرتد هو من ترك دين الإسلام إلى دين أخر كالنصرانية أو اليهودية مثلا أو إلى غير دين ، كالملحدين والشيوعيين وهو عاقل مختار غير مكره[3] .

الثاني:- وفى هذا التعريف فأنه بالإضافة إلى أفعال الشخص المرتد إلا أنه يحاول إن يوضح هذه الأفعال بصورة لا تدعو للبس.الردة هي كفر مسلم تقرر إسلامه بالشهادتين مختارا بعد الوقوف على الدعائم والتزامه أحكام الإسلام ، و يكون ذلك بصريح القول كقوله أشرك بالله أو قول يقتضى الكفر كقوله إن الله جسم من الأجسام أو بفعل يستلزم الكفر لزوما بينا كإلقاء مصحف أو بعضه ولو كلمه أو حرقه استخفافا أو تركه أو البصق عليه أو تركه في مكان قذر و مثل المصحف ، الحديث وأسماء الله الحسنى، وكتب الحديث. أي يكفى بأي فعل يصدر من جانبه يدل على انه ينكر حكما من أحكام الدين الإسلامي أو الانشقاق عنه أو فعل يكون به إنكار أي حكم من الأحكام المستقر عليها كإنكاره وجوب فريضة الصلاة أو الصوم....الخ[4]. وتعرف أيضا الردة : بأنها كفر المسلم بقول صريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه [5].

سابعا:- تعريف حد البغي:- سوف نقوم بتعريف حد البغي لغة ، واصطلاحاً .

1- **تعريف حد البغي لغة**:- يقصد بالبغي في اللغة الطلب تارةً حيث يقال: بغيت الشيء أي طلبته، ومن ذلك البغية أي الحاجة، وتارةً أخرى الظلم والفجور و

1 الشوكاني،مرجع سابق، ج4 ، ص268

2 بن منظور، مرجع سابق ،من د إلى س ،ج3،ص1261

3 الجزائري،أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، باب الدال ، دار الكتب العلمية ،2003،ص458

4 الجز بري،عبد الرحمن الجز بري، الفقه علي المذاهب الأربعة ، دار الكتب العلمية ، 2003،ج5، ص365

5 المغنى لابن قدامه الحنبلي 540/8

التعدّي والفساد، حيث يقال:بغى شخص على آخر إذا تعدى عليه أو تصرّف معه بشيء من الفساد في الفعل[1]ومنه إطلاق وصف البغيّ على المرأة الزانية من حيث فسادها وتجاوزها الحد.

2- **تعريف حد البغي اصطلاحاً**:-وعرف الحنفية البغاة: بأنهم قوم لهم شوكة ومنعة، خالفوا المسلمين في بعض الأحكام بالتأويل، وظهروا على بلدة من البلاد، وكانوا في عسكر، وأجروا أحكامهم، كالخوارج وغيرهم. أما الخوارج أو الحرورية: فهم قوم خرجوا على علي واستحلوا دمه ودماء المسلمين وأموالهم وسبي نسائهم، وكفروا أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلم ورأوا أن كل ذنب كفر[2].وعرف المالكية البغي:-الامتناع عن طاعة من ثبتت إمامته في غير معصية بمغالبة ولو تأولا، وعرفوا البغاة الفرقة من المسلمين خالفت الإمام الذي ثبتت امامته باتفاق الناس عليه لمنع حق لله أو لأدمي،أو لخليفة [3].وعرف الشافعية البغاة:هم مخالفو الإمام بالخروج عليه وتلاك الانقياد، أو منع حق توجه عليهم بشرط شوكة لهم وتأويل، ومطاع منهم[4]. وعرف الحنابلة البغاة:قوم من أهل الحق ،يخرجون عن قبضة الإمام،ويرومون خلعه ، بتأويل سائغ، وفيهم منعه ،يحتاج في كفهم إلي جمع الجيش [5].

الفصل الثاني:- دور الحدود الشرعية في تحقيق المقاصد الأصلية

نتناولنا في هذا الفصل تعريف القاصد لغة واصطلاحا ، وأقسام المقاصد الأصلية في المطلب الأول، ونتناول في المطلب الثاني دور الحدود الشرعية في حفظ المقاصد الأصلية .

المبحث الأول:- تعريف المقاصد الأصلية نتناول هنا تعريف المقاصد الأصلية لغة واصطلاحا .

المطلب الأول:-تعريف المقاصد لغة:-

المقاصد جمع مقصد وهي مشتقة من الفعل قصد ، وكلمة المقاصد عند أهل اللغة العربية لها معان عديدة من هذه المعاني

1- استقامة الطريق ومنه قولة تعالي(وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ) [6] .

2- العدل والوسط بين الطرفين ،وهو مابين الإفراط والتفريط ، والعدل والجور ،ومنه قوله تعالي(وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) [7].

---

1 أبو الحسن ،احمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن ،معجم مقاييس اللغة 1: 271 - 272؛ وكتاب العين 4: 453 - 454؛ الرازي ج 6: ص2281 - 2282.ص

2 ابن عابدين ، ج3،ص338.

3 الدسوقي، محمد بن احمد الدسوقي ،حاشية الدسوقي علي الشرح الكبير ،ج6، ص ، 676،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ط2، 1420،2003،

4 الشر بيني ، محمد بن محمد ، مغني المحتاج إلي معرفة معاني ألفاظ المنهاج ،ج5،ص472،دار التراث العربي ،بيروت، ط2001،1423،1

5 ابن قدامه ، عبد الله بن احمد ،المغني ،ج12 ص، 242،دار الكتب ، الرياض ،السعودية ،ج2005،1426،5

6 سورة النحل الآية (9).

7 سورة فاطر ، الآية ،(32)

3- الاعتماد والاعتزام وطلب الشيء وإثباته تقول(قصدت الشيء وله، وإليه القصد) [1].

المطلب الثاني:- تعريف المقاصد اصطلاحا :لم يكن لها مصطلح خاص بها عند قدماء الأصوليين ، ولكن عبروا عنها بألفاظ مثل: الأمور بمقاصدها ، مراد الشارع، أسرار الشريعة، الاستصلاح ، رفع الحرج والضيق ، العلل الجزئية للأحكام الفقهية الخ...أما تعريفها عند الفقهاء المعاصرين فجاءت بتعريفات متقاربة ، بداية من الشاطبي (790ه– 1388م) وحتى الآن، ومن أهم هذه التعريفات :-

1- ابن عاشور (1284ه- 1868م) مقاصد التشريع العامة :- هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها[2] .

2- علاء الفاسي (1326ه – 1394- 1908 – 1974).

المراد بمقاصد الشريعة:- الغاية منها الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها [3].

3- إسماعيل الحسني:- عرف المقاصد ، بالغايات المصلحية المقصودة من الأحكام، والمعاني المقصودة من الخطاب[4] .

4- أحمد الريسوني:- عرف المقاصد ،هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجلها تحقيقا لمصلحة العباد [5].

5- الخادمي، عرف المقاصد:- المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية ، والمترتبة عليها أكانت تلك المعاني حكما جزئيا أم مصلحة كلية أم سمات جمالية ، وهي تتجمع ضمن هدف واحد ، وهو تقدير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين[6] .

وهكذا نرى أن معني المقاصد الشرعية عند علماء المقاصد يدور حول الغايات والأهداف والحالات التي يقصدها واضع الشرع الحكيم لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة .

المطلب الثالث:- أقسام المقاصد:- يرجع الفضل إلي إمام الحرمين (أبو المعالي عبد المالك بن عبدا لله الجو يني (ت478ه) في تقسيم المقاصد إلي التقسيم

1 بن منظور ، مرجع سابق ،ج3، ص96، الرازي ، مرجع سابق، ج2،ص24،الفيومي ، المصباح المنير ، ص260

2 بن عاشور، محمد الطاهر بن عاشور،مقاصد الشريعة ،وزارة الأوقاف ،قطر،1995، ص 251

3 الفاسي ، علاء الفاسي ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، ص 3

4 الحسني ، إسماعيل الحسني، نظرية المقاصد عند ابن عاشور ،المهد الاسلامي،واشنطن، ص 15

5 الريسوني ، احمد الريسوني ، نظرية المقاصد عند ألشاطبي،المعهد الإسلامي،واشنطن،أمريكا ، 1992

6 ألخادمي ، نور الدين مختار ألخادمي ، الاجتهاد ألمقاصدي،رئاسة المحاكم الشرعية ،قطر ، ص38

الثلاثي المعروف والشهير(الضروريات ، الحاجيات، التحسينات) وهذا التقسيم أصبح من أسس الكلام في المقاصد .كما انه صاحب السبق في الإشارة إلي الضروريات ألكبري في الشريعة الإسلامية (الضروريات الخمس: الدين، النفس، والعقل، والنسل، والمال) [1].وسار على نهج أستاذه الجو يني الإمام أبو حامد الغزالي ت (505 ه) فقد قسم المصالح على حسب درجة قوتها و وضوحها إلى (الضروريات ، الحاجيات، التحسينات) [2]. ونستطيع أن نعرف هذه المقاصد الثلاث بتعريف ألشاطبي منقول:

أولا:- الضروريات:- معناها أنها لابد منها في قيام مصالح الدين ، والدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدنيا على استقامة ،بل على فساد وتهارج و فوت حياة ، وفي الآخرة فوت النجاة والنعيم والرجوع بالخسران المبين [3]. و على الرغم من أن موضوع بحثنا يتعلق بالمقاصد الضرورية إلا إن هذا لايمنعنا من التعريج على المقاصد الحاجبة أو التحسينية من حيث التعريف .

ثانيا:- المقاصد الحاجية:-إنها مفتقر إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلي الحرج والمشقة اللاحقة بفوت المطلوب ، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج والمشقة[4] .

ثالثا:- تعريف المقاصد التحسينية:- فهي الأخد بما يليق من محاسن العادات ، وتجنب الأحوال والمدنسات التى تافها العقول الراجحات ، ويحمي ذلك قسم مكارم الأخلاق [5].

المطلب الرابع:- تعريف المقاصد الضرورية:- تناولنا في هذا المطلب المقاصد الضرورية بشكل مفصل، وذلك من حيث تعريف حالة الضرورة لغة و اصطلاحا من جانب ، وتعريف الضروريات الخمس من جانب آخر، الدين ، و النفس، والعقل، والنسل، والمال .

الفرع الأول:- تعريف الضرورة

أولا:- تعريف الضرورة في اللغة:- الضرورة في اللغة تعني الحاجة والشدة لا مدافع لها، والمشقة، والجمع: ضرورات، وهي اسم لمصدر الإضرار، و

1 ألشاطبي ، نظرية المقاصد ، ص ، 51

2 ألشاطبي،مرجع سابق ، ص56

3 ألشاطبي ،إبراهيم بن موسي بن محمد ألشاطبي، الموافقات،دار ابن عفان ،ج 2،ص8

4 المرجع السابق ، ج2، ص8

5 المرجع السابق ، ج2 ، ص9

الاضطرار: الاحتياج إلي الشيء، واضطره إليه: أحوجه وألجأه فاضطر واصل مادة اضر خلاف النفع[1] .

ثانيا: تعريف الضرورة اصطلاحا:- هي تلك الحالة التي يتعرض فيها الإنسان إلي الخطر في دينه أو نفسه أو عقله أو عرضه أو ماله فيلجأ لكي يخلص نفسه من هذا ا لخطر إلي مخالفة الدليل الشرعي الثابت [2]. وقد تواترت الأدلة على أن هذه الشريعة جاءت لحفظ الضروريات الخمس الدين ، والنفس ، والعقل ، و النسل، والمال. والمراد بالضروريات: الأمور التي لابد من المحافظة عليها حتى تستقيم مصالح الدنيا والآخرة على نهج صحيح دون اختلال، وإنما يكون ذلك بالمحافظة على هذه الأمور الخمسة ، لذا تسمي الضرورات أو الضروريات الخمس، وتسمي بالكليات الخمس أيضا ، لكونها جامعة لجميع الأحكام والتكاليف الشريعة، وتسمي أيضا بمقاصد الشرعية لما ثبت بالاستقراء التام لهذه الشريعة دقيقها وجليله كون المحافظة على هذه الأمور الخمسة أمرا مقصودا للشارع [3].

الفرع الثاني:-تعريف الضروريات الخمس:- سوف نتناول في هذا الجانب تعريف الضرورات الخمس، الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال .

أولا:- تعريف مقصد الدين:-لابد لنا هنا أن نتحدث عن تعريف المقاصد الخمس لغة واصطلاحا.

1- **تعريف مقصد الدين لغة:**هو الجزاء والمكافأة، والطاعة والعادة، والشأن، واستعير للشريعة، ويقال:دان بكذا ديانة، وتدين به ، فهو دين، ومتدين، و الدين الإسلامي يقال:اعتبارا بالطاعة، والانقياد للشريعة[4]وكذلك دل لفظ القرآن، على أن الدين هو الإسلام ، فقال تعالي:(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّـهِ الْإِسْلَامُ) [5]فذكر القرطبي في تفسير هذه الآية: بالدين في هذه الآية:الطاعة، والملة والإسلام بمعني الإيمان والطاعات، ولي جمهور المتكلمين والأصل في مسمي الإيمان والإسلام التغابر[6].

2- **تعريف الدين في الاصطلاح**:- فقد عرفه التهاوي بقولة(انه وضع إلهي، سائق لذوي العقول السليمة ، وباختيارهم ن إلي الصلاح في الحال، والفلاح في المال [7].وعرفه أبو البقاء بقوله (الدين وضع إلهي، سائق لذوي العقول السليمة ،

1 الفيروز آبادي، مرجع سابق ،ج2، ص77، بن منظور، مرجع سابق ،ج4،ص483 ، المعجم الوسيط ج1، ص 538

2 ألشاطبي ،مرجع سابق ، ج2 ، ص8

3 نظرية الضرورة الشرعية ، 246 ، مشار إليه في مجلة البيان التي تصدر علي المنتدى الإسلامي

4 بن منظور ، مرجع سابق ،ج13،ص169مادة دين ، الرازي ،ص 238،237

5 آل عمران 19

6 القرطبي ،لأبي عبد الله بن احمد الأنصاري القرطبي، الجامع لإحكام القران ،دار الكتاب العربي،القاهرة ، مصر، المجلد الثاني ، الجزء الرابع ن ص ، 44،43

(7)التهاوي ، محمد علي التهانوي ، مكتبة لبنان ،بيروت ، لبنان ،موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ص403

باختيارهم المحمود إلي الخير بالذات ،قلبيا أو قالبيا (أي معنويا أو ماديا) كالاعتقاد والعلم والصلاة، وقد يتجوز فيه أيضا ، فيكون بمعني الملة، وقال تعالي(دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفًا) [1].وقد يتجوز فيه ويطلق على الفرع خاصة ، فيطلق على الفروع خاصة، وقال تعالي:وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ[2] .وقد اعتبر علماء مقاصد الشريعة، أن الدين هو المقصد الأساسي، أقام الله عز وجل، لأجله الحياة الدنيا، لأنه ينظم العلاقة مابين الإنسان وربه، وينظم العبادات والمعاملات بين الناس، ويجعل المجتمع يعيش حياة سعيدة بعيدة عن كل أشكال الانحراف والجريمة.

ثانيا :تعريف مقصد النفس

1- **تعريف مقصد النفس لغة**:-يقال:نَفَّسَ: تَنْفيساً، ونَفَسَاً عنه أي: فَرَّجَ عَنْه[3]، وفي الحديث عن النبي محمد ρ أنه قال:(**منْ نَفَّسَ عن مؤمنٍ كُربة من كُربِ الدّنيا، نَفَّسَ اللهُ عنْه كُربة من كُربِ يومِ القيامة**) () [4]،وأنْفَسه الشَّيء:أعْجَبه وصّارَ عِنْده نَفِيساً ،والنَّفْس:الرُّوح، والنَّفْس: العَيْن، يقال: خَرَجَت نَفْسُه، أي: روحه، ويقال:أصابته نَفْس، أي: عَيْن، والنَّفْس مؤنث إن أريد بها الروح[5]، ويراد بالنَّفْس:الشَّخص، والإنسان بجملته والنَّفس أيضا: العِنْد[6]وجاء في لسان العرب أن النَّفْس تعني:(العَظَمَة، والكِبر، والنَّفْس: الهِمَّة، والنَّفْس:العِزَّة، والنَّفْس:عَيْنُ الشَّيْءِ،وكُنْهُه...) [7].وهَكذا اتسعت معاني النفس وتعددت مدلولاتها في الاستعمال اللغوي.

2- **تعريف مقصد النفس اصطلاحا**:- لقد أسهم العديد من العلماء المسلمين ، في بيان النفس،وإظهار معانيها، ولهم فيها أقوال،ومن هذه الأقوال ما يأتي.إن النفس والروح اسمان مرادفان لشيء واحد [8]إن النفس هي:(الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد) [9] .إن النفس هي:(جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير، والتصريف) [10]،فلو

---

(1)الأنعام ، 161

(2)الايه، 5،سورة البينة

(3)مجد الذين، المبارك محمد الجزري بن الأثير مجد الدين، النهاية في غريب الحديث ،،مؤسسة الحلبي، القاهرة ، مصر، 1963،1383النهاية في غريب الحديث ج: 5/ ص203.

(4)صحيح مسلم: 2074/4، رقم الحديث 2699 كتاب الذكر والدعاء والتوبة(باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر).

(5)الجوهري،مرجع سابق، ص228، بن منظور، مرجع سابق ،مادة (نفس): ج6/ ص233 ، ، للفيروز آبادي،مرجع سابق، 1ج/ ص 745 .

(6)ينظر: الزاهر: 359، المطلع، للبعلي: 338.

(7)الجوهري ، مرجع سابق ،مادة (نفس): 233/6.

(8)سعد ،سعد رياض موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي، د. : 109

9 للآ لوسي:،شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، 17/ 46.

10 ابن قيم الجوزية، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، 1المكتب الإسلامي، بيروت ، لبنان/75،

وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلا، إذ إن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم[1]وذكر ابن تيمية:أن النفس ما اقترن بالمادة التي هي (الهَيُولَى) [2]، وهي الجسم كنفس الإنسان المدبرة لبدنه، وما دامت نفس الإنسان مدبرة لبدنه سموها نفساً [3].أما الغزالي' فله قول آخر، وهو من المهتمين بدراسة النفس اهتماماً كبيراً، إذا إنه عدّ معرفة النفس توصل إلى معرفة الله [4]، قائلاً: (إن النفس الإنسانية هي الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية) [5] .

ثالثا:- تعريف مقصد العقل:-

1- **تعريف العقل لغة**:- جاء في لسان العرب:(العقل مصدر عقل يعقل عقلا ومعقولا والعقل، الحجر والنهي، وهو ضد الحمق ، والجمع عقول) ،ورجل عاقل:هو الجامع لأمره ورأيه ، مأخوذ من عقلت البعير إذا جمعت قوائمها [6]. والعقل يعني العلم بصفات الأشياء من حسنها وقبحها وكمالها ونقصانها[7]. و العقل يحبس صاحبه عن التصرف غير اللائق، ويحبسه عن إتباع نفسه هواها، والعاقل من يزن الأمور ويقدرها، ويحدد خطواته وأفعاله بناء على ذلك

2- **تعريف العقل اصطلاحا**:-اختلف الفقهاء في تحديد مفهوم العقل اختلافا كبيرا ، وتعددت آراؤهم فيه: فمنهم من قال (إنه غريزة يهيأ بها لدرك العلوم والنظرية ،ويقال انه تقذف القلب) [8]ونقل الجرجاني عدة تعريفات منها،:(العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالي متعلقا ببدن الإنسان، وقيل العقل نور في القلب يعرف به الحق من الباطل) [9].والعقل هو عبارة عن نشاطات ذهنية وفكرية وقوة إدراكية يمكنها التميز بين الطاعة والمعصية والخير والشر، وإتباع سبل الهدى والابتعاد عن طريق الضلال، والثبات على طريق الحق [10].

---

1 المرجع السابق ، ج1، ص75

2 وهي: لفظ يوناني بمعنى: الأصل والمادة، وفي الاصطلاح: هي الجوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال، والانفصال محل للصورتين الجسمية، والنوعية، فهي مادة ليس لها شكل، ولا صورة معينة، قابلة للتشكيل، والتصوير في شتى الصور، وهي التي صنع الله تعالى منها أجزاء العالم المادية، أي: هي مادة الشيء التي يصنع منها، كالخشب للكرسي، والحديد للمسمار، والقطن للملابس. ينظر: التوقيف على مهمات التعريف، للمناوي: 1/ 745، والمعجم الوسيط: 2/ 1004.

3) ابن تيميه ،مجموع الفتاوى، دار المعرفة بيروت ،لبنان ، 273/9.

4 سعد ،سعد رياض، موسوعة علم النفس والعلاج النفسي من منظور إسلامي: 115)

5 الغزالي، ابوحامد محمد بمحمد الغزالي ،معا رج القدس في مد ارج معرفة النفس، للغزالي،دار الأوقاف الجديدة ،بيروت ، لبنان 21/1.)

6 بن منظور،مرجع سابق ، ج11، ص458

7 الفيروزبادي، مرجع سابق، ج1، ص1336

8 الأنصاري ، زكريا بن محمد زكريا أبو يحي ، ت سنة 926ه، الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة ، ط1، تحقيق ، د، مازن المبارك ،بيروت ،لبنان ، دار الفكر المعاصر ، 1411ه، 67/1

9 الجرجاني ، علي بن محمد بن علي ، ت سنة 816 ه التعريفات ، ط1، تحقيق ،إبراهيم الابياري، دار الكتاب العربي ،1405ه، 97/1

(10)أبو عبيدة ، نافذ ريب أبو عبيدة ، التدابير الشرعية الوقائية لحفظ العقل ، رسالة ماجستير بجامعة النجاح ، فلسطين ، ص 32

رابعا:- تعريف مقصد النسب:-

1- **تعريف النسب لغة**:-النسب والنسبة بالكسر والضم القرابة [1]، جاء في معجم مقاييس اللغة :النون والسين والباء كلمة واحدة قيامها اتصال شيء بشيء منه النسب سمي لاتصاله وللاتصال به [2]. وهو على نوعين

الأول:- نسب بالطول كالاشتراك والصلة بين الآباء والأبناء

الثاني:- نسب بالعرض كالصلة بين الأخوة والأعمام [3].

2- **تعريف النسب اصطلاحا**:- لم يذكر الفقهاء تعريفا خاصا بالنسب، اكتفاء بشهرة معناه ووضوح المقصود به، وقد عرفه ابن عربي بأنه: عبارة عن مرج الماء بين الذكر والأنثى على وجه الشرع .فان كان بمعصية كان خلقا مطلقا ، ولم يكن نسبا محققا[4].وعرفه بعض المعاصرين بأنه:حكمية إضافية بين شخص وآخر من إن الشخص انفصل عن رحم امرأة هي في عصمة زواج شرعي أو ملك صحيح ثابتين، أو مشتبهين الثابت للذي يكون الحمل من مائه[5].

خامسا:- تعريف مقصد المال:-

1- **تعريف المال لغة**:-ملت بضم الميم وفتح التاء وتمولت : معناه كثر ماله ،قال ابن الأثير:المال في الأصل ما يملك من الأعيان، وأكثر ما يطلق المال عند العرب على الإبل لأنها أكثر أموالهم [6].

2- **تعريف المال اصطلاحا**:-جاء تعريف الفقهاء للمال متقاربا نوعا ما لأنه مستخلص من المعني اللغوي غالبا، وإن تعددت في بعض الأحايين ألفاظهم واختلفت عباراتهم. وقيل: المال هو ما يميل إليه طبع الإنسان، ويمكن ادخاره إلى وقت الحاجة[7]، وقيل:هو ما يميل إليه الطبع ، ويمكن ادخاره لوقت الحاجة[8]ونظرا لوجود انتقادات للتعريفات السابقة من حيث إن المال قد يشمل أنواعا لا يمكن ادخارها كالخضروات والثمار الطازجة [9].

المبحث الثاني:الحدود الشرعية ودورها في حفظ المقاصد الضرورية

نتناول في هذا المطلب دور الحدود الشرعية في تحقيق المقاصد الضرورية وذلك على النحو التالي:-

---

(1)الفيروز آبادي ،مرجع سابق، ج1،ص423

(2)أبو الحسن ،مرجع سابق ، ج5،ص423

(3)معجم مفردات ألفاظ القران ،مجمع اللغة العربية ،القاهرة ، مصر ص 511

(4)بن العربي ،لأبي بكر محمد بن عبد الله بن عربي ،أحكام القران ، دار المعرفة،بيروت ،لبنان، ج3، ص447

(5)داما أو علو ، يشار شريف داما أو علو ، حفظ النسل والنسب والأسرة ، ص3،2

(6)بن منظور ، ، ج11،ص636

(7)حيدر ، علي حيدر ، مجلة الأحكام العدلية ، ط1 ، بيروت ،لبنان ، ج1 ، ص115

(8)ابن عابدين ، مرجع سابق ط2، ج3،ص144

(9)الزرقاء ، مصطفي الزرقاء ، المدخل الفقهي العام ، ط1، دار الفكر 1946، ج3، ص114

المطلب الأول:- دور حد الردة والبغي في حماية مقصد الدين .

الفرع الأول:- دور حد الردة في حماية مقصد الدين:- الدين هو المقصد الأول من مقاصد الشريعة، بدون هذا المقصد ينفرط عقد الأمة ويختل أمرها و تصبح شيعاً وأحزابا، ولا تلتقي على رأى واحد ولا يجمع بينهما جامع ، و الدين المطلوب المحافظة عليه ضرورة هو الدين الصحيح ، وهو دين الإسلام ،قال تعالى (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسلام**) [1] وقال أيضاً (**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [2]. والردة اعتداء على النظام الاجتماعي للجماعة، لأن النظام الاجتماعي لكل جماعة إسلامية هو الإسلام، و الردة معناها الكفرة بالإسلام ،والخروج على مبادئه والتشكيك في صحته، ولا يمكن أن ستقيم أمر الجماعة إذا وضع نظامها الاجتماعي موضع التشكيك و الطعن لأن ذلك يؤدي في النهاية إلى هدم هذا النظام [3]وشرع الإسلام عقوبة المرتد لأن ردته خبث في الدين والمقدسات قال تعالى (**وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**) [4] واتفق الفقهاء على وجوب قتل المرتد لقوله صل الله عليه وسلم (من بدل دينه فاقتلوه) [5] فهذه العقوبة يتحقق بها الردع و الزجر والخوف من جريمة الردة وذلك فيه حفظ لمقصد الدين.

الفرع الثاني:- دور حد البغي في حماية مقصد الدين:إن قتال البغاة يختلف عن بقية الحدود من حيث إن لا يعد عقوبة بالمعنى المألوف للعقوبة، التي توقع على الأفراد ،وإنما هو من باب دفع الصائل ، فيعمل الإمام على دفع شرهم بالأسهل فالأسهل، فمتى اندفع شرهم بالموعظة لم يجز قتالهم. وإذا أصروا على قتال الإمام فيجب على الإمام أولا مراسلتهم، وإزالة شبههم ،وما يدعون من المظالم ، فإذا ذكروا مظلمة أزالها وإن ذكروا شبهة كشفها لأن ذلك وسيلة إلي الصلح المأمور به في الآية، فإن رجعوا وإلا لزمة قتالهم، ويجب على رعيته معونته لقوله سبحانه (فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي) [6]وهذا فيه حماية لمقصد الدين ،لأن منازعة الإمام في سلطانه تؤدي إلي الفرقة والإختلاف وإراقة الدماء وتسلط الأعداء، و هذا يتعارض مع حماية النفس .

---

(1)الآية 19من سورة آل عمران .

(2)الآية 85 من سورة آل عمران .

(3)عودة ،مرجع سابق، ج 1 ص 618،.

(4)الآية 217 سورة البقرة .

(5)أخرجه البخاري (2854،3/1098)وأصحاب السنن و أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما سند أحمد (1/2/7. 282 . 5/ 231)

(6)الآية 9 ، سورة الحجرات

المطلب الثاني: دورة حد البغي في حماية مقصد النفس:نفس الإنسان هي أعز ما يملكه، والحياة هبه من الله ينبغي المحافظة عليها، ولذلك حرصت الشريعة على صيانتها ، فحرمت كل اعتداء بغير حق يقع عليها ، فحرمت و جرمت الإعتداء على الإنسان بالقتل وإتلاف عضو من أعضائه، فجعلت القصاص هو الجزاء الرادع لمن يعتدي على الإنسان بالقتل قال تعالى(**كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيْهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَ السِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوْحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُوْنَ**) [1]واختلفت الفقهاء في تصنيف عدد الحدود و أنواعه ، فبعض الفقهاء يري بأن القصاص حد من الحدود الشرعية ، فعند أنصار هذا الرأي يعتبر القصاص له دور فعال في حماية مقصد النفس البشرية باعتباره حدا،والبعض الآخر يعتبر القصاص عقوبة مستقلة عن الحدود وفي هذا البحث لم نتطرق للقصاص باعتباره حداً من الحدود الشرعية ،ولذلك لم نتحدث عليه. ولحد البغي دور في حماية مقصد النفس وذلك من خلال سعي إمام المسلمين إلى الصالح المأمور به في قوله تعالى(**وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا**) [2] فإذا وصل الأمام مع الفئة الباغية إلى الصلح فهذا فيه حفظ لأنفس كثيرة من الطرفين، وإذا ترك البغاة القتال حرم قتلهم وقتل أسيرهم وجريهم لأن المقصود قتالهم لا قتلهم فعدم قتلهم عند تركهم للقتال أيضا يترتب عليه حفظ لأنفس المسلمين

المطلب الثالث:دور حد شرب الخمر في حماية مقصد العقل:عقل أسمى شيئاً، في الإنسان وأبر ميزة وصفه تميزه عن بقية الحيوانات، وهو أعظم منحه من رب العالمين للإنسان ليرشده إلي الخير، ويبعده عن الشر ويكون معه مرشداً ومعينا. وأجازت شرب الخمر معناه إباحة للفساد في الأرض عموماً إذ هو يؤدي إلى فقدان الشعور وإذا فقد الشارب شعوره فقد أصبح على استعداد لارتكاب جميع الجرائم، فضلاً عن أن شربها يضيع المال ويفسد الصحة و يضعف النسل، ويذهب العقل الذي هو ملاك التكليف.ولقد شرع الإسلام حد الخمر للمحافظة على مقصد العقل قال عليه الصلاة والسلام (ما أسكر كثيره فقليله حرام) [3]،وقال عليه الصلاة والسلام (كل مسكر خمر وكل خمر حرام) [4]، وكان التطبيق العملي لحد شارب الخمر هو بجلد شارب الخمر بأربعين

---

(1)الآية 45، سورة المائدة

(2)الآية ، 9،10، سورة الحجرات

(3)أخراج الترمذي (292/4) كتاب الأشربه حديث (1865) و أبو داود (87/4) كتاب الاشربه ،حديث (3681) ابن ماجه (1125/2) كتاب الاشربه، حديث (93393)

(4)أخرجه مسلم (1588/3) كتاب الاشربه حديث (1861)وابن حبان (5342) الدار قطني (248/3) كتاب الاشربه ،والبيهقي (296.296/8)

جلده حسب الرأي الأول،عند بعض الفقهاء والبعض الآخر بجلد شارب الخمر ثمانين جلده، وهذه العقوبة (الجلد) حققت الردع والامتناع النسبي لشرب الخمر.

المطلب الرابع:دور حد السرقة والحرابة في الحفظ مقصد المال:المال شقيق الروح كما يقولون، وهو ما يقع عليه المالك، ويستبد به المالك عن غيره، وهو الوسيلة الأساسية التي تساعد الناس على تأمين العيش وتبادل المنافع و الاستفادة من جوانب الحياة الكثيرة، وهو ما سخره الله تعالى للإنسان في هذا الكون ، ولذلك كان المال مصلحة المال ضرورية، وشرعت الشريعة الإسلامية بعض الحدود لحماية هذا المال وهي:-

الفرع الأول:-دور حد السرقة في حفظ مقصد المال:إن تعطيل عقوبة السرقة معناه إباحة لها وكذلك يؤدي ذلك التعطيل إلى الإعتداء على ممتلكات الناس فيكون الإنسان غير آمن على طعامه وشرابه وكسائه وسكنه وأداء عمله.فمال الإنسان عزيز عليه، إذ به فخره وزينته في الحياة الدنيا قال تعالى(**الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا**) [1] تدفعه نفسه إلى الاعتداء على مال الغير وممتلكاته ليسلبها دون وجه حق ، فكانت العقوبة القطع وذلك في قوله تعالى:(**وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** [2]وتطبيق حد القطع على السارق يتحقق به الردع والزجر والامتناع وعلى السرقة وفي ذلك حفظاً لأموال المسلمين .

الفرع الثاني:- دور حد الحرابة في حفظ مقصد المال. بينت الشريعة الإسلامية إن السرقة إذا اعتمدت على القهر والمطالبة والسطو المسلح على المجني عليه ، فأن لها عقوبة أشد من قطع اليد، لأن الجاني لا يبالي بمن يقابله في طريقة و يكون عازماً على تنفيذ ما سولته له نفسه مهما كلفه ذلك من أراق الدماء و ترويع الآمنين وإشاعة الخوف والرعب في الطريق وقطع الطريق فيه ترويع للآمنين واللإعتداء على أموال الناس ودمائهم بشكل جماعي أشبه ما يكون بالعصابات المسلحة التي تستهين بالإنسان وما يملكه الإنسان[3]، وشرع الإسلام لحفظ المال من هذه الجريمة أو الإعتداء، بإقامة حد الحرابة وحرم قطع الطريق ، وسمى فاعليه بالمحاربين لله ، وأقام لهم حداً متميزاً، وهو حد الحرابة أو قطع الطريق وذلك قوله تعالى(**إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ**

(1)الآية 46 سورة الكهف

(2)الآية 38 سورة المائدة

(3)عودة ، مرجع سابق ، ج1، ص245

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[1]وتحقيق هذه العقوبة يتحقق منها المنع من الإقدام عليها وفي ذلك حفظاً المقصد المال .

المطلب الخامس: دور حد الزنا والقذف في حماية مقصد النسل(النسب أو العرض)عرض الإنسان وشرفه هو تاج الكرامة الذي لا يستطيع العيش إلا به ، فلا يبقى الإنسان إذا ضاعت كرامته وشرفه إلى الضياع والضلال، وجريمة الزنا تشيع الفوضى الجنسية في بيئات الإنسان، وتظهر الشخص منتكساً قذراً كالحيوان، وما يترتب على ذلك من اختلاف الإنسان، وإثارة الأحقاد ، وتهديد بنيان الأسرة والذرية... [2]

الفرع الأول:- دور حد الزنا في حماية مقصد النسل: وقد تمثل حرص الإسلام على صيانة نسل الإنسان وعرضه وذلك عن طريق تحريم الزنا و وضع عقوبة عادلة تتناسب مع ظروف المجرم وحالته بالجلد إن كان غير محصن و الرجم إن كان محصن، قال تعالى **(الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [3].وهذه العقوبة وهي جلد غير المحصن ورجم المحصن فيها تأديب للزاني غير المحصن، و يرجم الجاني المحصن يكون عبرةً لغيره من العصاه والذين ينتهكون إعراض النساء بالحرام ، ومع شدة هذه العقوبة يتحقق الردع الذي يؤدي بدوره إلى حفظ مقصد النسل (النسب أو العرض) .

الفرع الثاني:- دور حد القذف في حماية مقصد النسل (النسب أو العرض) القذف فيه تجريح للإعراض ، وتلويث للسمعة ، وإشاعة للسوء والشكوك في جو الأسر ، وتلك حالات تهدد البيوت بالانهيار،وحرص الإسلام على صيانة نسل الإنسان وعرضه من النسب وأنقاض الكرامة بين الناس، فليس هناك أقدح من أن يرمي الإنسان بهذه النقيصة الكريهة التي تجعله يتوارى خجلاً أمام الأعين الشامتة ،أو اللائمة فجعل الإسلام عقوبة القذف هي الجلد ثمانين جلدة و رد شهادة القاذف، لأن عدالته قد سقطت بعدما ثبت كذبه وبهتانه وذلك في قوله تعالى**(وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**[4])

---

(1)الآية 33 سورة المائدة .

(2)عودة ، مرجع سابق، ج1، ص245

(3)الاية 2، سورة النور

(4)الآية 4 سورة النور

وبعقوبة الجلد ثمانين جلده إضافة لرد شهادة القاذف يمتنع الكثير من العصاه عن الخوض في أعراض الحرائر من المسلمات زورا وبهتاناً وفي هذا الامتناع حماية وحفظ لمقصد النسل (النسب أو العرض)

الخاتمة :وفي ختام هذا البحث يمكن أن نستخلص مجموعة من النتائج هي :

1. إن الحدود الشرعية وضعت لأجل مقاصد ومصالح عدة.
2. إن مقاصد العقوبات الحدية في الشريعة هي حفظ الضرورات الخمس التي أتفق عليها علماء الأصول والمقاصد وهي مقصد الدين – النفس – العقل – النسل أو العرض – المال .
3. إن الحكمة من تشريع الحدود الشرعية هو زجر الناس وردعهم عن اقتراف تلك الجرائم ، وبهذا تتحقق حماية المقاصد الضرورية .
4. إن العقوبات الحدية يترتب عليها نفع أكبر من الضرر اللاحق بالمعاقبة .
5. إن عقوبة القصاص تعتبر عند بعض الفقهاء حد من الحدود الشرعية وعند البعض الأخر هي عقوبة مستقلة عن العقوبات الحدية .
6. اختلف الفقهاء في حصر العقوبات الحدية فبعضهم لا يرى البغي والخمر حدا .
7. لا يمكن للحياة أن تستقيم وتسير سيرها الطبيعي إلا بالحفاظ على هذه المقاصد وصيانتها .
8. شرع حد الردة المحافظة على مقصد الدين، وحداً الزنا والقذف للمحافظه على مقصد النسل أو العرض، والسرقة والحرابة للمحافظة على مقصد المال و حماية دماء الناس وشرع حد الخمر للمحافظة على مقصد العقل ، وشرع حد البغي للمحافظة على الدين والأنفس .

المراجع والمصادر:

أولا : - القران الكريم .(قالون عن نافع)

ثانيا : - بحث التفسير .

1. القرطبي : لأبي عبدالله بن أحمد الأنصاري ، الجامع لإحكام القرآن العظيم ، الناشر ، دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة مصر ، 1387 هـ .
2. البغدادي :محمد شكري الأ لوسي البغدادي ، روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، الناشر إدارة الطباعة المنيرية ، بيروت ، لبنان .
3. الشوكاني : محمد بن على بن محمد ، فتح القدير ، الناشر دار الفكر ، بيروت،لبنان .
4. ابن العربي: لأبي بكر محمد بن عبدالله بن عربي ، أحكام القرآن الناشر ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت،لبنان .

ثالثا: - كتب الحديث والآثار : -

1. أحمد بن حنبل ، أحمد بن حنبل الشيباني ، المسند ، النشر ، دار الاعتصام .
2. البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، الناشر ، المطبعة السلفية ، ومكتبتها ، القاهرة ، سنة 1380 هـ .

3. الترمذي ، لمحمد بن عيسى بن سورة الترميذي ، الجامع الصحيح ، الطبعة الثالثة، سنة 1398 هـ - بيروت ، لبنان .
4. الدار قطني : للإمام على بن عمر الدار قطني ، مسند الدار قطني ،الناشر مكتبة المتنبي ، القاهرة ، مصر
5. مسلم : مسلم بن الحجاج النيسابوري ، صحيح مسلم بشرح النووي ، الناشر ، دار النكر ، بيروت ، لبنان .

رابعا: - الفقه الحنفي .

1. أبن عابدين : لمحمد أمين الشهير ، بابن عابدين ،رد المختار على الدر المختار ، الناشر ، مطبعة الحلبي ، القاهرة ، مصر سنة 1386 – 1966 .
2. الشوكاني : محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ، فتح القدير الناشر ، دار أبن كثير ، بيروت ، لبنان 1414 – 1994 .
3. الطرابلسي : أبو الحسن علاء الدين علي بن خليل الطرابلسي الحنفي ، معين الحكام فيما يتردد بين الخصمين من الأحكام ، الناشر ، وار الفكر ، بيروت ، لبنان .
4. الكاساني : علاء الدين أبوبكر بن سعود بن أحمد الكاساني بدائع الصنائع ، الناشر دار الكتب العلمية ، 1424 – 2003 .

خامسا: - الفقه المالكي

1. أحمد بن رشد : محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد ، المحقق ،محمد ، محمد صبحي حسن خلاف ، الناشر ، مكتبة ابن تيمة القاهرة – مصر (1415 – 1994)
2. الأزهري : صالح عبدا لسميع الأبي الأزهري ، القوانين الفقهية .
3. الدسوقي : محمد بن أحمد الدسوقي ، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ، محمد بن أحمد الدسوقي ، الناشر دار صادر ، بيروت – لبنان .
4. الصنهاجي : أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي ، الفروق وبهامش الكتابين تهذيب الفروق والقواعد السنة .
5. الغرناطي : محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي ، القوانين الفقهية الناشر ، وزارة ألألأوقاف – الكويت.
6. المدني مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي ،داو الكتب العلمية، بيروت – لبنان

سادسا : - الفقه الشافعي

1. الرملي محمد بن أبي العباس أحمد بن حمزة بن شهاب الرملي ، نهاية المحتاج إلي شرح المنهاج ، دار الكتب العلمية 1424 – 2003 .
2. عز بن عبد السلام : عز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السلمي الدمشقي ، قواعد الأحكام ، دار المعرفة بيروت – لبنان 1414 – 1991 .
3. المزني: إسماعيل بن يحي بن إسماعيل المصري المزني ، مختصر المزني ، دار المعرفة 1393 بيروت – لبنان .
4. الشرجي : إسماعيل بن أبي بكر بن عبد الله الشوحي ، روضة الطالب ونهاية مطلب الراغب ، دار الضياء الكويت 2014 .
5. الشربني : محمد بن محمد الخطيب الشربني ، مفتي المحتاج إلي معرفة ألفاظ المناهج دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان 1421 – 2000 .
6. الشيرازي : أبو إسحاق الشيرازي،المهذب،دار المعرفة ،بيروت .

سابعا : الحنبلي

1. بن قدامه : عبد الله بن أحمد محمد قدامه المقدسي أبو محمد عبدا لرحمن بن أحمد بن قدامه ، الشرح الكبير ، مطبعة ، 1347 .
2. البهوتي : منصور بن يوسف إدريس البهوتي ، كشاف القناع عن متن الإقناع ، دار عالم الكتب الرياض – السعودية 1403 – 1998 .
3. المقدسي : عبد الصمد بن إبراهيم بن أحمد أبو محمد بهاء الدين المقدسي ، العدة في شرح العمدة ، دار والحديث ، القاهرة 1424 – 2003 .

ثامنا : كتب الفقه وأصول الفقه

1. ابن تيميه : مجموع الفتاوى،دار المعرفة بيروت ،لبنان ,
2. أبن عاشور: محمد الطاهر ابن عاشور ، مقاصد الشريعة الإسلامية ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية قطر 1425 -2004 .
3. ابن قدامه:أبو محمد موفق الدين عبد الله أحمد بن محمد بن قدامه ، المغني ، مكتبة القاهرة 1388 هـ - 1968 م .
4. أبو عبيدة ، فاقد ريب أبو عبيدة،التدابير الشرعية والوقائية لحفظ العقل ، رسالة ماجستير ، جامعة النجاح ، فلسطين - القدس .
5. الجزائري : أبو بكر جابر الجزائري ، منهاج المسلم ، دار السلام 2004 .
6. الجز يري : عبد الرحمن الجز يري / الفقه على المذاهب الأربعة ، دار الكتب العلمية 1424 – 2003 .
7. الحسني : إسماعيل الحسني ، نظرية المقاصد عن ابن عاشور ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، واشنطن – أمريكا 1416 هـ - 1995 الطبعة الأولى .
8. ألخادمي : نور الدين بن مختار ألخادمي ، الاجتهاد ألمقاصدي حجته ضوابطه مجالاته رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في الدولة قطر 1419 هـ - 1998
9. الرسيوني : أحمد الرسيوني ، نظرية المقاصد عن الأمام الشافعي ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي 1416 هـ - 1995 .
10. الزرقاء: مصطفى الزرقاء ، المدخل الفقهي العالم ، دار الفكر بيروت – 1946 .
11. ألشاطبي: إبراهيم بن موسى بن محمد ألشاطبي ، الموافقات ، دار أبن حزم .بيروت،لبنان.
12. العز بن عبد السلام : قواعد الأحكام في إصلاح الأنام ، دار القلم ، 1421 – 2000 .
13. حيدر: علي حيدر ، الأحكام العدلية ، دار القلم العربية بيروت – لبنان .
14. عيسى : أحمد بن إبراهيم عيسى توضيح المقاصد وتصحيح القواعد ، المكتبة الإسلامية بيروت – لبنان 1394 – 1975 – ط 2 .
15. أبو زهرة :محمد بن أحمد مصطفى بن أحمد المعروف أبو زهرة ، الجريمة و العقوبة ، الفقه الإسلامية ، دار القلم العربي 1998 .

تاسعا : كتب التشريع . السياسة الشرعية

1. ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبن تيمية ، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية ، دار أبن حزم 1425 هـ - 2004 بيروت .
2. ابن القيم : محمد بن ابن بكر أيوب ابن القيم ، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، مجمع الفقه الإسلامي 1428 هـ - 2007 .
3. عودة: عبد القادر أعودة ، التشريع الجنائي الإسلامي ،دار والكاتب العربي ، بيروت .
4. الخولي : جمعة علي الخولي ، الحدود في الإسلام ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة 1401 هـ - 1998 .
5. الماوردي : الأحكام السلطانية ، المحقق أحمد مبارك البغدادي ، مكتبة دار أبن تيمية الكويت 1409 – 1998 .

عاشرا : كتب اللغة المعاجم

1. أبو الحسن: أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسن ، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر 1399 – 1979 .
2. ابن منظور: محمد مكرم ابن منظور ، لسان العرب ،دار صادر بيروت – لبنان .
3. التهانوي: محمد علي التهانوي ، موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، مكتبه لبنان 1996 .
4. الجوهري : إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المحقق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين 1990 الطبعة الرابعة .
5. الرازي : زين الدين أبو عبدالله محمد أبي بكر عبد القادر الرازي ، مختار الصحاح ، المكتبة العصرية بيروت – صيدا 1420 هـ - 1999 الطبعة الخامسة .
6. الزبيدي : محمد بن عبد الرزاق المرتضي الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس ، طبعة الكويت – الطبعة الثانية .

7. الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أيادي، القاموس المحيط – الحلبي وشركاه القاهرة – مصر .
8. بطال : بطال بن أحمد بن سليمان بن بطال ، النظم المستعذب في تفسير غريب ألفاظ المهذب ، المحقق مصطفى عبد الحفيظ سالم ، المكتبة مكة المكرمة 1408 -1988
9. مجد الدين : المبارك بن محمد الجزري الأثير مجد الدين ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، الحلبي 1383 – 1963 القاهرة - مصر .
10. مجمع اللغة العربية : المعجم الوسيط ، دار المعارف ، القاهرة مصر .

إدارة الجودة الشاملة بمستشفي شارع الزاوية ـ بمدينة طرابلس

د.حميدة على البوسيفي ـ قسم الخدمة الاجتماعية ـ كلية الآداب ـ جامعة طرابلس

المقدمة: تعتبر الخدمات الصحية من القطاعات الرئيسية والمهمة والمؤثرة في إحداث التنمية الاجتماعية والاقتصادية ،حيث إن هذا القطاع يعنى ويهتم بأثمن وأغلى ما يملك المجتمع وهو صحة الفرد، وتحتل الجودة إدارة وأهدافا موقعا مهما في توجهات وسمات العصر الحديث، فهي ثورة إدارية حديثة في كافة المؤسسات المختلفة،ويرجع تزايد الاهتمام بالجودة إلى التغيرات السريعة و المتنوعة في المؤسسات الطبية والصحية التي تهدف إلي تحسين تطوير أدائها.وتعتبر المؤسسات الصحية والطبية من أكثر المؤسسات حساسية للجودة ، وذلك لأنها تهتم بتقديم خدمات مباشرة للمستفيدين(المرضى) من خلال الخدمات المقدمة بالمستشفيات، ويعد المستشفى الحديث المحور التنظيمي لنظام الرعاية الصحية والمكان المؤدى لتوصيل الرعاية الطبية والصحية للمريض من خلال العناصر الطبية والطبية المساعدة، ضمن جودة وكفاءة عالية. و بالرغم من الاهتمام المتزايد بجودة الخدمات الصحية وشيوع استخدام مصطلح الجودة في الأدبيات المتخصصة وفى حياتنا العامة ،فإنه من الصعب إيجاد تعريف لهذا المفهوم يتفق عليه الجميع،ويرجع ذلك في الأساس إلى إن مفهوم الجودة يخضع لتقدير الأفراد،ويختلف باختلاف اهتماماتهم وأولوياتهم و أهدافهم .

مشكلة البحث:تعتبر إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية والطبية بالدول المتقدمة من الأسس والركائز المهمة لتحسين مستوى خدماتها وتحسين مستوى رضا المستفدين منها، وسهولة العمليات في اتخاذ القرارات وإشراك العاملين فيها، بينما الدول النامية مازالت تتعثر في فهم إدارة الجودة الشاملة و تطبيقها،وبخصوصية المجتمع الليبي فإن تطبيق هذا المفهوم يتطلب مناخاً ملائم ودعم الإدارات العليا وتبسيط الإجراءات القانونية وتطبيقها، من أجل الوصول لتحسين مستمر للخدمات المقدمة بالمستشفيات العامة التي تحقق رضا المواطنين (المستفيدين) من هذه الخدمات.واتخذت العديد من المستشفيات منهاجاً جديداً لتغيير أساليبها الإدارية التقليدية والبحث عن مفاهيم فلسفية إدارية حديثة، تمكّنها من تحقيق الكفاءة والفعالية والجودة في مستوى تقديم خدماتها للمواطنين وتقليل الشكاوي من المترددين على هذه المستشفيات .وبالرغم من الاهتمام المتزايد بجودة الخدمات الصحية على المستوى العالمي والعربي، إلا

أنه على المستوى المحلى في ليبيا يظل ضعيفا جداً في القطاع العام ،خاصة بالمستشفيات العامة ومن هذا المنطلق تحاول الباحثة دراسة إمكانية تطبيق إحدى الأساليب الحديثة والرائدة فى مجال الإدارة والتسيير وهي إدارة الجودة في قطاع يتسم بالأهمية من جهة، وبالكثير من الخصوصية من جهة أخرى. وقد تناولت العديد من الدراسات والبحوث موضوع الجودة في الخدمات الصحية ومنها "دراسة إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي:حالة وزارة الصحة بالأردن "والتي هدفت إلى التعرف على مستوى الوعي بمفهوم إدارة الجودة الشاملة لدى المبحوثين والوقوف على المعوقات التي تحول دون تطبيق هذا المفهوم بصورة شمولية،(الطعامنة،2001:86) كذلك دراسة "اختبار مدى تطبيق الإستراتيجيات والسياسات الخاصة بالجودة التي تم استحداثها في أوروبا"،وقد تم دراسة استراتيجيات محددة وهى برامج إدارة الجودة على مستوى المنظمة ومشاركة المرضى في تقديم الخدمات الجيدة لهم وبرامج سلامة المرضى والتدقيق الداخلي للمعايير السريرية والخطوات الإرشادية السريرية ومؤشرات قياس الأداء والتقويم الخارجي(Lombarts, :28-37) 2009. وقد أكد العديد من الباحثين بأن هناك فروقا جوهرية بين تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمستشفيات العامة والخاصة، ومدى التأثير المعنوي لنظام الجودة الشاملة في رضا المرضى لجودة الخدمة المقدمة لهم.ومما تقدم يمكن بلورة إشكالية البحث في السؤال التالي:ما هو واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس.؟

أهمية البحث:تتضح أهمية البحث الحالي في النقاط التالية:

1. تبرز أهمية البحث في إثراء الإطار النظري والممارسة المهنية بشكل عام ولتحقيق الجودة الشاملة لتطوير المستشفيات الليبية وتحسين جودة الخدمات الصحية المقدمة للمواطنين.
2. التأكيد على تطبيق معايير إدارة الجودة الشاملة بالمستشفيات الليبية العامة بشكل خاص .
3. التقويم المستمر للمؤسسات الصحية الليبية في ضوء معايير الجودة العالمية.
4. تكمن الأهمية التطبيقية فى تحديد جوانب القوة وجوانب القصور و الضعف في المؤسسات الصحية الليبية وتقديم تصور مستقبلي لمعالجة جوانب القصور وتطوير النظام الصحى.

5. جاء هذا البحث استجابة لتوصيات العديد من الدراسات والبحوث و المؤتمرات العلمية والصحية التي أكدت على ضرورة وضع مؤشرات ومعايير للجودة في المؤسسات الصحية لتحقيق الكفاءة المطلوبة
6. ندرة الدراسات والبحوث في ليبيا التي تناولت مؤشرات ومعايير الجودة في المؤسسات الطبية بشكل عام والمستشفيات خاصة.

أهداف البحث:من خلال تحديد مشكلة البحث وتوضيح أهميته، فإن هذا البحث يسعى لتحقيق هدف عام يتمثل في " التعرف على واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس؟ وينبثق من هذا الهدف مجموعة من الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعرف على مدى تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس.
2. تحديد الصعوبات التي تواجه المستشفيات العامة عند تطبيق إدارة الجودة الشاملة.
3. التعرف على الشروط اللازم توافرها لحدوث تطبيق ناجح وفعال لنظم الجودة وبرامجها بمستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس

تسأولات البحث :ينطلق هذا البحث من تساؤل عام مفاده:ما واقع تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس.؟

ومن هذا التساؤل تنبثق مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية :

1- هل يتم تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مستشفي شارع الزاوية بمدينة طرابلس ؟
2- ما الصعوبات التي تواجه العاملين بمستشفى شارع الزاوية عند تطبيق إدارة الجودة الشاملة ؟
3- ما الشروط اللازم توافرها لحدوث تطبيق ناجح وفعال لنظم الجودة وبرامجها بمستشفى شارع الزاوية بمدينة طرابلس ؟

المصطلحات الأساسية للبحث:

- **الجودة في اللغة العربية:**يعرف لسان العرب كلمة–الجودة فى أصلها اللغوي"جوّد" والجيد نقيض الرديء ،وجاد الشيء جودة، وجودة أي صار

جيداً، وأحدث الشيء فجاد والتجويد مثله وقد جادة جودة وأجاد أتي بالجيد من القول والفعل (ياسين:60،1985) .

- **الجودة اصطلاحاً**:الجودة تعنى اصطلاحاً معيار الكمال الذي يجب ممارسته في كل الأوقات، وهي جهد مستمر ومتطور، بحيث لا يوجد حد معين للجودة تستطيع أن تصل إليه.(عبد الباقى:1999، 18)
- **الجودة:**"يقصد بها تحقيق رغبات وتوقعات المستهلكين والمستفدين مما تقدمه المنظمة من سلع وخدمات بأعلى مستوى من التوقعات"(عبد الله و الأختر:2012, 40)
- **الجودة إجرائياً:**هى تلك المواصفات والشروط التى ينبغي توافرها في النظام الإداري بالمؤسسات الصحية التى تتمثل فى جودة الإدارة و البرامج والخدمات المقدمة للمواطنين المستفيدين منها .
- **الشاملة:**"وتعنى أن تشمل الجودة كل جانب من جوانب العمل أو النشاط.(الراشد:2011, 3)
- **المستشفى:**هو جزء متكامل من تنظيم اجتماعي وصحي يعمل على توفير الرعاية الصحية الكاملة بشقيها العلاجي والوقائي للمواطنين،ويصل بخدماته إلى الأسرة فى بيئتها المنزلية بجانب أنه مركز لتدريب العاملين في الخدمة الصحية وإجراء الاختبارات الطبية.(النجار وآخرون:1998، 148)

المحاور النظرية للبحث :

المحور الأول:ماهية إدارة الجودة الشاملة :لقد أثار مصطلح إدارة الجودة الشاملة جدلاً واسعاً في الأوساط الإدارية على المستوى العلمي نظرا للمبادئ الإدارية التي يرتكز عليها ، ووجدت مؤسسات القطاع الصحي نفسها أمام تحد كبير يتطلب منها تطبيق أساليب أكثر حداثة في الإدارة من أبرزها إدارة الجودة الشاملة التي تسهم في زيادة المؤسسات الصحية وكفاءتها وفعاليتها و الطبية .

أولاً:تعريف إدارة الجودة الشاملة:يُعد مفهوم إدارة الجودة الشاملة من المفاهيم الحديثة التي استحوذت على الإدارات في المنظمات والمؤسسات التي تسعى لتطوير الأداء ومواكبة التطورات العصرية الحديثة، وقد تعددت التعريفات التي تبحث في هذا المفهوم ، فقد عرف جابلونسكي(Jablanski) **إدارة الجودة الشاملة** بأنها "شكل تعاوني لأداء الأعمال بتحريك المواهب و القدرات لكل من العاملين والإدارة لتحسين الإنتاجية و الجودة بشكل مستمر مستخدمة فرق

عمل من خلال المقومات الأساسية الثلاثة لنجاحها في المؤسسة وهي:الاشتراك في الإدارة،التحسين المستمر للعمليات،استخدام فرق العمل" (Jablonski,J :1991) فنجد أن هذا التعريف يركز على تفعيل القدرات بين العاملين والإدارة في تحسين الجودة دون إشراك الزبون(الشخص المستفيد) الذي تنتهي إليه الخدمة. كما يعرفها معهد الجودة الفدرالي الأمريكي بأنها " أداة العمل الصحيح بشكل صحيح من المرة الأولى مع الاعتماد على تقويم المستفيد في معرفة مدى تحسن الأداء"(زين الدين:1996, 24) يؤكد التعريف على أن إدارة الجودة الشاملة هي فلسفة إدارية ومن مبادئها التطوير المستمر وأن جميع العمليات تسعى لتحقيق حاجات المستهلكين الحالية والمستقبلية و إشباعها. و تعرفها الجمعية البريطانية للجودة :الفلسفة الإدارية للمؤسسة التي تدرك من خلالها تحقيق كل احتياجات المستهلكين،وكذا تحقيق أهداف المشروع معا"(ماهوني،ثور:1999, 251) حسب هذا التعريف فإن إدارة الجودة الشاملة تعتمد على كفاءة المنظمة وفعاليتها إذ يحميها ويقودها إلى التميز من خلال تلبية احتياجات المستهلك الذي يتحقق من خلاله أهداف المنظمة .وعرف جون أوكلاند (Johan Oakland) إدارة الجودة الشاملة " أنها الوسيلة التي تدار بها المنظمة لتطوير فعاليتها ومرونتها ووضعها التنافسي على نطاق العمل" هذا التعريف يعتبر تعريفاً ناقصاً حيث إن إدارة الجودة الشاملة لا تعد وسيلة فقط بل هي تعتبر نظاما وثقافة تسود المنظمة وتمتد حتى خارجها .وعرفت كذلك بأنها" هي فن إدارة كافة أجزاء ومكونات المنظمة من أجل تحقيق التميز، وهى تطبيق الطرق الكمية والاستخدام الفعال للموارد البشرية في إطار المنظمة من أجل الوفاء باحتياجات لعملاء ويزيد عنها حاليا وفي المستقبل"(برهان :2011: 27)وفى ضوء العرض السابق فأن الباحثة تحدد التعريف الإجرائى لمفهوم إدارة الجودة الشاملة:

- نظام إداري يقوم على أسس الجودة الشاملة ومتطلباتها وفلسفتها و خصائصها.
- القناعة التامة من قبل القادة الإداريين والتزامهم بتطبيق الجودة الشاملة بالمنظمات .
- المشاركة والتخطيط الأستراتيجى .
- الاعتماد على العملاء بداخل المنظمة وخارجها .
- التقويم المبدئي والمستمر والدائم لتصحيح الأخطاء قبل وقوعها بالمؤسسة .

- تقديم الحوافز المادية والمعنوية للعاملين ومنحهم فرصا للتدريب للرفع من كفاءتهم ومهاراتهم وقدراتهم .

ثانياً : المبادئ التي يرتكز عليها مفهوم الجودة الشاملة:

1. مشاركة جميع العاملين في التنظيم .
2. إدارة العمل بطريقة صحيحة .
3. تكلفة الجودة وفقاً للجهود الشاملة .
4. قدرة الإدارة على تقوية مركزها التنافسي، مما يتطلب ضرورة توفير أفكار جديدة ومعلومات.
5. وضع جميع العاملين فى شكل مجموعات عمل من أجل مشاركة تعاونية لإنجاز كافة العمليات الإنتاجية والإدارية .
6. تنمية مفهوم الإدارة الذاتية أي إتاحة الفرصة لجميع العاملين لإبداء الرأي والمشاركة الايجابية في العمل والإدارة (النجار :1979: 241)

وتتمثل مبادئ إدارة الجودة الشاملة في:رضا العميل الداخلي أي العامل بالمنظمة ،رضا العميل الخارجي، وهم عملاء المنظمة، صفرية الأخطاء قدر الإمكان،التركيز على جودة العمليات سواء كانت سلعة أو خدمة ، التطوير و التحسين الدائم لمعايير الجودة .

ثالثاً: العناصر الرئيسة لإدارة الجودة الشاملة:(حاروش:163،2012)

- **تخطيط الجودة**:يقصد بها تحديد الأهداف بدقة متناهية ومعرفة احتياجات العملاء ومشاركة العاملين في تحقيق أهداف المنظمة أو المؤسسة الخدمية أو الانتاجية وإشراكهم في عملية التخطيط .

- **ضبط الجودة**:والمقصود بها وضع المعايير والمقاييس المناسبة للجودة وتقويم الأداء الفعلي وحصر الانحرافات وتوجيهها .

- **تحسين الجودة**:تشجيع المبادرات الهادفة وفتح المجال للإبداع والابتكارات وسبل عملية التحسين عن طريق التدريب والحوافز، والسعى دائماً نحو تحسين الجودة بصفة دائمة ومستمرة .

المحور الثاني:الجودة في المؤسسات الصحية

أولاً: التطور التاريخي لجودة الخدمات الصحية:عند الحديث عن تطور جودة الرعاية الصحية، من المهم أن نستعرض أعمالُ دونابيديانُ حول نظام الجودة .فقد قام دونابيديانDonabedianفي عام 1966بإدخال أنموذجه لقياس الجودة القائم على "نظرية النظم البسيطة".فهو يعتبر-أي رعاية صحية نظاماً كامل التطور له أغراضه ومقوماته .ولكل النظم بشكل عام تقسم إلى ثلاثة مكونات هي، المُدخَلات أو الموارد، والعملية، والمُخرَجات أو الحصيلة ،فأن دونابيديان قد وصف جودة الرعاية الصحية بأنها نظام ذو ثلاثة مكونات مماثلة وهي:البنية Structure،والعملية Process،والنتيجة Outcome،وإذا طبقنا أنموذج دونابيديان لنظام الرعاية الصحية ونظرنا إلي تاريخ الجودة فى الرعاية الصحية، وجدنا أن الجودة قد تطورت متنقلة من أحد مكونات النظام إلى مكون آخر .ففى السنوات الأولى (1850-1910) كانت الجودة تركّزعلى تحسين النتيجة، وكان هذا التركيز من السمات البارزة لعصر "فلورانس نايتنغيل[1] Nightingale Florance وغيرها.(اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط :2000) ومع تطور مفهوم الجودة تحول الاهتمام من النتيجة إلى البنية .ففي سنة 1910أدى تقرير أبراهام فلكيسنرFlexnor،المبني على دراسة شاملة للكليات الطبية في الولايات المتحدة وكندا إلى إعادة تنظيم جذري للتعليم الطبي في البلاد.(آدى وآخرون :27،2000)وفى عام 1915،طورت الكلية الأمريكية للجراحين برنامجا لمعايير معينة على أداء المنشآت الصحية.(بن سعيد، 1997: ص15) وكان أحد أهداف ذلك البرنامج يكمن فى وضع طريقة رسمية لاعتماد المستشفيات والتحقق من جودة الرعاية الصحية المقدمة وقد اشتمل برنامج المعايير على خمس نقاط رئيسة :

- التأكيد على أهمية تنظيم الأفراد .
- التأكيد على أهمية الاجتماعات الشهرية .
- التأكيد على أهمية التدقيق فى السجلات الطبية .
- التأكيد على أهمية الإشراف الفعال والكفء.
- التأكيد على أهمية اعتماد الأطباء وإجازتهم المهنية للقيام بممارسة مهنة الطب .

[1] قامت "فلورانس نايتيغيل"بتقييم جودة الرعاية المقدمة في المستشفيات الانجليزية ،ووضعت أول مجموعة من المعايير الخاصة بالتمريض ،والتي أدت إلى خفض كبير فى معدلات الوفيات بالمستشفيات .

وقد أعقب هذه الفترة إنشاء اللجنة الأمريكية المشتركة لاعتماد المستشفيات ، فى عام 1952 التى أعيدت تسميتها وأصبحت تعرف باسم اللجنة المشتركة لاعتماد مؤسسات الرعاية الصحية، وبهذه الطريقة ساعد مفهوما الاعتماد Accreditation والإشهاد Certification على تطور عملية الجودة ،مع مواصلة التركيز على العناصر البنيوية وعلى المعايير ذات الصلة بالبنية. (اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط:2000)، وقد تم إنشاء العديد من المنظمات المهنية لتوجيه الأنشطة المهنية فى دائرة اختصاص كل منها نحو اتخاذ معايير معينة وبعض الدلائل الإرشادية لرصد الامتثال لتلك المعايير.غير أنه لم يتم حتى السبعينيات من القرن العشرين تحويل الاهتمام من المعايير المتعلقة بالبنية إلى المعايير المتعلقة بالعملية،واعتمدت بعض الدلائل الإرشادية لهذا الغرض . وفى الولايات المتحدة طلبت الحكومة من القطاع الخاص المساعدة على إقامة منظمات للمراجعة لوضع معايير للعملية أو الرعاية وبثها ورصدها وقد استغرقت حقبة أنشطة الجودة المتعلقة بالعملية طوال عقد السبعينات واستمرت زمنا طويلاً فى عقد الثمانينات ، حتى إذا حلّت أواخر الثمانينات أخذ قطاع الرعاية الصحية يبحث عن طرق بديلة لقياس الجودة وتطويرها ، وهكذا بدأ اتجاه الاهتمام يتحول مرة أحري من المعايير المتعلقة بالعملية إلى المعايير المتعلقة بالنتيجة. وقد عزَّز من هذا الاتجاه اتخاذ بعض المبادرات، مثل مبادرات التحسين المستمر للجودة، وتحسين الجودة الكلية، وتحسين الأداء.

ثانياً:مفهوم جودة الخدمات الصحية:قبل التطرق لمفهوم جودة الخدمات الصحية ،لابد من الضروري توضيح الفرق بين مفهومين وهما: الرعاية الطبية والرعاية الصحية(مذكور:230،1997)،فالرعاية الطبية تهتم بالعمليات الباثولوجية، و تتضمن التشخيص المبكر وإعادة التأهيل الطبيعي و ذلك عند الحاجة، ولذا فهي تركز على المرض والملامح الطبية لعمليات الرعاية .بينما تذهب الرعاية الصحية إلى ماهو أبعد لأنها تشمل أنشطة المنع، رعاية المريض، الرعاية الطبية ، إعادة التأهيل الاجتماعي .فالرعاية الصحية تركز على جودة الحياة بصفة عامة.وبالرغم من الاهتمام المتزايد بجودة الخدمات الصحية ،غير أنه من الصعب إيجاد تعريف لهذا المفهوم يتفق عليه الجميع، و يمكن عرض مجموعة من التعريفات التي تناولت مفهوم جودة الرعاية الطبية منها:تعرف الرعاية الطبية الجيدة على أنها" تلك التي تمارس وتدرس من قبل قادة مهنة الطب في فترة معينة من التطور الاجتماعي والثقافي و المهني في مجتمع معين "ووفقا لهذا المفهوم الذي يعبر عن المنظور التقليدي فان جودة الرعاية الصحية تعنى مطابقة المعايير والمواصفات المهنية.(الأحمدي:

2000،ص412)وتعرف الهيئة الأمريكية المشتركة لاعتماد منظمات الرعاية الصحية الجودة بأنها "درجة الالتزام بالمعايير المتعارف عليها لتحديد مستوى جيد من الممارسة ومعرفة النتائج المتوقعة لخدمة أو إجراء أو تشخيص أو معالجة مشكلة طبية معينة "(مخمير:2003،ص187) ويتضح من المفهوم السابق إن الجودة تحدد على أساس الالتزام بالمعايير المهنية، وتقاس بأثر رجعى باستخدام المعايير المحددة السابقة، بهدف التحسين والتطوير المستمر.وتعرف الجودة من خلال تحقيقها لاحتياجات المريض على الآتي " درجة تمكن الرعاية الصحية من تلبية جميع احتياجات المريض ، على أن تكون هذه الرعاية سهلة المنال، منخفضة التكاليف، وموثقة جداً"(الأحمدي: 2000،ص412)وتعرف جودة الخدمات الصحية "بأنها جميع الأنشطة الموجهة نحو الوقاية من الأمراض أو علاج هذه الأمراض بعد حدوثها ثم الأنشطة التأهيلية التي قد يتطلبها استكمال التخلص من آثار المرض ، أوهي الرعاية التي تقدم للمريض ،والتي تتضمن فحصه و تشخيص مرضه وإلحاقه بإحدى المؤسسات الصحية وتقديم الدواء اللازم لعلاجه والغذاء الجيد الملائم لحالته مع حسن معاملة الفريق العلاجي له لمساعدته على استعادة صحته "(القبندي: 2004،ص540)وعرفت جودة الخدمات الصحية بأنها "تحقيق أفضل نتيجة لكل مريض وتجنب المضاعفات التي قد يسببها الطبيب المعالج ثم الاهتمام بالمريض وذويه بصورة تحقق التوازن بين ماأنفقه المريض وما حصل عليه من فوائد، إضافة إلى ضرورة التوثيق المعقول للعملية التشخيصية والعلاجية "(بن سعيد:1997، ص65) و مما سبق فإن الباحثة تتبنى المفهوم التالي لجودة الخدمات الصحية: جودة الرعاية الصحية هي الدرجة التي تبلغها الخدمات الصحية المقدمة للأفراد والجماعات في تحقيق الحالة الصحية المطلوبة، وفق أحدث التطورات العلمية والمهنية في وقت محدد وبتكاليف مقبولة.

ثالثاً:عناصر جودة الخدمات والرعاية الصحية :

1. **فعالية الرعاية والمقصود بها**:درجة تحقيق الإجراءات الصحية و العلاجية المستخدمة للنتائج المرجوة منها والأهداف المسطرة أي أن تؤدى الرعاية الصحية إلى تحسن متوسط العمر-متوسط الأمل في الحياة–مع توافر القدرة على الأداء الوظيفى والشعور بالرفاهية و السعادة بشكل مستمر .
2. **الملاءمة:**وهي اختيار الإجراءات الصحية الملائمة لحالة المريض التى تستجيب لها حالته المرضية في الزمان والمكان .

3. **القبول:** يعنى قبول المريض وأفراد عائلته والمجتمع برمته الإجراءات والاستخدامات والبرامج الصحية المعتمدة من طرف المستشفى أو الهياكل الصحية الأخرى .
4. **إمكانية الحصول على الخدمة الصحية:**وهي أن طالب الخدمة الصحية مهما كان نوعها كالاستعجال أو الفحص أو الكشف أو التحاليل أو مواعيد الاستشارة والمراجعة والمراقبة يحصل عليها المريض فى الوقت المناسب حتى لا تتعرض حالته الصحية لمضاعفات أخرى .
5. **العدالة:**وهي تقديم العلاج لطالبه وذلك حسب حاجته وعدم وجود تفاوت في إمكانية الحصول عليها بين فئات المجتمع لأسباب غير صحية.
6. **الكفاءة:**الاستخدام الأمثل للموارد المادية والمالية والبشرية دون التقصيرأوإهمال لاحتياجات المرضى الآخرين الذين سيأتون في المستقبل ،لأنه لا أحد يعلم متى يمرض ومتى يحتاج للرعاية الصحية . (حاروش:2012،ص169)

المحور الثالث:فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية ومعوقاتها:

أولاً: فوائد تطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية :

تعد أهداف إدارة الجودة الشاملة عامل أساسي ونتيجة في الوقت نفسه ، حيث أن تطبيقها في المستشفيات يجنبها العديد من المشكلات والأزمات غير متوقعة الحدوث، فضلا عن الرضا لدى جميع العاملين في الإدارة بالمستشفى ومرضى وعملاء مستفيدين من خدمات المستشفى ، وتتمثل الفوائد في :

- خفض التكاليف
- خفض الوقت لإنجاز المهمات
- تحقيق الجودة

والهدف من تطبيق إدارة الجودة الشاملة هو تحقيق مستويات عالية من الجودة في الرعاية الطبية التي توفرها المستشفيات والاستخدام الأمثل لمواردها المادية والبشرية وذلك عن طريق ترشيد النفقات ، كذلك تستهدف إدارة الجودة الشاملة تقديم خدمة صحية عالية بما يتفق مع تطلعات المرضى المستفيدين من الخدمات من خلال عملية تستهدف تحسيناً مستمراً للجودة ، وبالمشاركة في

صنع القرار من قبل العاملين في المستشفي فهم يعتبرون عملاء داخليين يجب إرضاهم .

ثانياً:معوقات تطبيق الجودة في المؤسسات الصحية:إن تطبيق مفهوم إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي العام ليس بالأمر السهل ،حيث يتطلب التطبيق الناجح العمل على توفير مجموعة من المتطلبات اللازمة ، والأخذ في الاعتبار لهذه المعوقات التي تقف عائقا أمام تطبيق الجودة الشاملة في قطاع الصحة ومنها :(حاروش:2012،:163)

- فقدان الثقة في المدير.
- الاتصالات الرديئة وغير الناجحة.
- عدم انضباط الموظفين .
- ضيق الوقت .
- الانفراد في الرأي .
- سوء نظام المكافآت والحوافز.
- عدم وجود المنافسة في القطاع العام .
- عدم وضوح الأهداف .
- عدم تطبيق أنظمة العقوبات و المساءلة في حالة التجاوزات .
- عدم إعطاء أي أهمية لعملية قياس وتقويم الأداء.
- عدم توافر الخبرات والمهارات الجيدة .
- عدم التركيز على تشجيع الإبداع والابتكار .

الإجراءات المنهجية :

1 . **نوع البحث والمنهج المستخدم**:ينتمي هذا البحث إلى نمط الدراسات الوصفية التحليلية، وبواسطة هذا النوع من الدراسات يمكن الحصول على المعلومات والحقائق المتعلقة بطبيعة الظاهرة المدروسة التي تهتم بتطبيق إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات الصحية ،واتفاقاً مع مشكلة البحث تم استخدام أسلوب المسح الاجتماعي بالعينة .

2.**أدوات البحث:**اعتمدت الباحثة في جمع البيانات والمعلومات لتحقيق أهداف البحث على استمارة الاستبانة التي تم تصميمها بعد الاطلاع على الدراسات السابقة والأدبيات النظرية المتعلقة بالموضوع،وإجراء مقابلات عدة حول أبعاد الاستمارة مع متخصصين في مجال الإدارة الصحية والجودة .

3. **صدق الأداة** :تم عرض الاستمارة على عدد (10) محكمين من أعضاء هيئة التدريس بقسم الإدارة والخدمة الاجتماعية وعلم الاجتماع ،ونتيجة لذلك أضيفت بعض الأسئلة و ألغى بعضها الآخر،وكانت نسبة اتفاقهم لاتقل عن (85%) صدق محكمين .

4. **مجالات البحث :**

أ- **المجال المكاني** :يتمثل المجال المكاني بمستشفى شارع الزاوية باعتباره أحد المستشفيات العامة بمدينة طرابلس، ويستقبل المئات من الأفراد الذين يقصدونه للعلاج في مختلف التخصصات.

ب- **المجال البشري:** تمثل المجال البشري في عينة من (الأطباء ، تمريض ،إداريين) وعاملين بالمستشفى.

ج- **المجال الزمني**: استغرقت الفترة الزمنية لجمع بيانات البحث من (2-1-2014م) إلى (14-2-2014م).

5. المعالجات الإحصائية: تم استخدام الأساليب الإحصائية التالية :

1. التكرارات والنسب المئوية .
2. حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة لترتيب العبارات .

جدول رقم (1) يوضح خصائص عينة البحث ن=45

البيان	الفئات	التكرار	النسبة
المجموع	-	45	100%
العمر	30-25	15	%33.33
	35-30	7	%15
	40-35	8	%17.77
	45-40	10	%22.22
	45فما فوق	5	%11.11
المجموع	-	45	%100

الحالة الاجتماعية	أعزب	25	%55.55
	متزوج	18	%40
	مطلق	2	%4.44
المجموع	-	45	%100
التخصص	طبيب عام	10	%22.22
	طبيب اختصاصي	5	%11.11
	تمريض	21	%46.67
	موظف إداري	9	%20
المجموع	-	45	%100
سنوات الخبرة	أقل من 5 سنوات	16	%36
	من 5-10 سنوات	17	%38
	من 10-15سنة	10	%22.22
	20فما فوق	2	%4.44
المجموع	-	45	%100

يتضح من بيانات الجدول (1) أن خصائص عينة البحث، تتمثل في أن نسبة الإناث تبلغ (67%) بينما الذكور (33%) ويشير ذلك إلي حقيقة الوضع بأن نسبة العنصر النسائي العاملين في المستشفى يفوق الذكور. كذلك أعلى نسبة من المبحوثين تقع أعمارهم في الفئة العمرية من (25 إلى 30) بنسبة (33.33 %) تليها نسبة (22.22%) وتتركز على الفئة العمرية من(35إلى40)، وهذا يوضح بأن أغلبية المبحوثين هم في مرحلة الشباب وبنسبة (55.55%) و حالتهم الاجتماعية في وضع أعزب ،وبإمكانهم تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمستشفى ، وأن أغلب المبحوثين لديهم سنوات خبرة من 5 الى 10 سنوات

بنسبة (38 %) ، يليه من لديهم خبرة أقل من 5 سنوات بنسبة (36%) ،وأعلى تخصص بنسبة (46.67%) هم من التمريض(ممرضات وممرضين) يليهم الأطباء العاملون بنسبة (22.22%) ثم الموظفون الإداريون بنسبة (20%) بينما الأطباء الاختصاصيون بنسبة(11.11%).

جدول (2-1) يوضح البعد الأول لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	الجوانب الملموسة	ممتازة	جيدة	متوسطة	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	التصميم والتنظيم الداخلي للمبنى المستشفى	5	10	30	115	25.38	2
.2	حداثة المعدات والأجهزة الطبية ومسايرتها للتكنولوجيا	5	15	25	110	24.28	3
.3	مظهر الأطباء والعاملين	4	6	35	121	26.71	4
.4	جاذبية مبنى المستشفى والتسهيلات المادية	8	12	25	107	23.62	1
	المجموع				453	%100	
	القوة النسبية	(%83.8)					

يتضح من معطيات الجدول (2-1), البعد الأول لقياس جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المبحوثين ، حيث يتمثل البعد في النواحي المادية الملموسة في الخدمة بالمستشفى و أكدت نتائج التحليل الإحصائي ،في ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات أن القوة النسبية (83.8 %) ،وقد احتلت المرتبة الأولى جاذبية مبنى المستشفى والتسهيلات المادية ،والتصميم و التنظيم الداخلي لمبني المستشفى، ويقاس هذا البعد من خلال تقويم المستفيد (المريض) من مباني المستشفي ومعداتها وأجهزتها والإمكانات والتسهيلات المادية الأخرى كماهو مبين بالجدول السابق.

جدول (2-2) يوضح البعد الثاني لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	الاعتمادية	ممتازة	جيدة	متوسطة	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	الوفاء بتقديم الخدمة الصحية في الموعد المحدد	2	13	30	120	17.62	5
.2	الدقة وعدم الأخطاء في الفحص والعلاج	4	20	21	107	15.71	4
.3	توافر التخصصات المختلفة	5	10	30	115	16.88	3
.4	الثقة في الأطباء والأخصائيين والممرضين	8	12	25	107	15.71	1
.5	الحرص على حل مشكلات المريض .	7	14	24	107	15.71	2
.6	الاحتفاظ بالسجلات والملفات الطبية الدقيقة .	-	10	35	125	18.35	6
	المجموع				681	%100	
	القوة النسبية	(%84.07)					

من خلال معطيات الجدول (2-2) ،البعد الثاني لقياس جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المبحوثين ، حيث يتمثل البعد في الاعتمادية في الخدمة بالمستشفى وهى تعبر عن درجة ثقة المستفيد من المستشفى ومدى اعتماده عليها في الحصول على الخدمات التي يتوقعها،وأكدت نتائج التحليل الإحصائي، وفي ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات أن القوة النسبية (84.07%) ،وقد احتلت المرتبة الأولى الثقة فى الأطباء والأخصائيين والممرضين كما هو موضح في الجدول السابق .

جدول (2-3) يوضح البعد الثالث لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	الاستجابة	ممتازة	جيدة	متوسطة	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	السرعة فى تقديم الخدمة الصحية المطلوبة	10	30	5	115	20.42	2

.2	الاستجابة الفورية لاحتياجات المريض مهما كانت درجة الانشغال .	2	10	33	121	21.49	5
.3	الاستعداد الدائم للعاملين للتعاون مع المريض .	8	32	5	117	20.78	3
.4	الرد الفوري على الاستفسارات والشكاوى .	15	20	5	95	16.87	1
.5	التوضيح الدقيق للمريض عن موعد تقديم الخدمة والانتهاء منها .	5	10	30	115	20.42	4
	المجموع				563	%100	
	القوة النسبية	(%83.4)					

يتبين من معطيات الجدول (2-3), البعد الثالث لقياس جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المبحوثين،حيث يتمثل البعد في الاستجابة للخدمة بالمستشفى ، و أكدت النتائج في ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات، أن القوة النسبية (83.4%) وقد احتلت المرتبة الأولى الرد الفوري على الاستفسارات والشكاوى .

جدول (2-4) يوضح البعد الرابع لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	الأمان	ممتازة	جيدة	متوسطة	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	الشعور بالأمان في التعامل	-	10	35	125	18.46	6
.2	المعرفة والمهارة المتخصصة للأطباء .	5	20	20	105	15.50	4
.3	الأدب وحسن الخلق لدى العاملين .	8	22	15	104	15.36	2
.4	استمرارية متابعة حالة المريض	5	10	30	115	16.98	3
.5	سرية المعلومات الخاصة بالمريض	10	20	15	100	14.77	1
.6	دعم وتأييد الإدارة للعاملين	3	2	40	128	18.90	5

	لأداء وظائفهم بكفاءة .					
	المجموع			677	%100	
	القوة النسبية	(%83.5)				

من خلال معطيات الجدول (2-4), البعد الرابع لقياس جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المبحوثين،حيث يتمثل البعد في الأمان ويعنى بشعور الفرد المريض أو المستفيد بأنه تحت مظلة من الرعاية الصحية بالمستشفى، و أكدت نتائج التحليل الإحصائي وفي ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات أن القوة النسبية (83.5%) ،وقد احتلت المرتبة الأولى سرية المعلومات الخاصة بالمريض كما هو مشار إليه في الجدول السابق .

جدول (2-5) يوضح البعد الخامس لتطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	التعاطف	ممتازة	جيدة	متوسطة	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	تفهم احتياجات المريض	10	20	15	100	15.72	1مكرر
.2	وضع مصالح المريض فى مقدمة اهتمامات الإدارة والعاملين .	8	22	15	104	16.35	3
.3	ملاءمة ساعات العمل والوقت المخصص للخدمة المقدمة .	5	30	10	115	18.08	4
.4	العناية الشخصية بكل مريض .	10	20	15	100	15.72	1مكرر
.5	تقدير ظروف المريض والتعاطف معه .	5	15	25	110	17.29	5
.6	التعامل مع المريض والتركيز على الجانب النفسي والاجتماعي	8	12	25	107	16.82	2
	المجموع				636	%100	
	القوة النسبية	(%78.5)					

أوضحت نتائج الجدول (2-5)، البعد الخامس لقياس جودة الخدمات الصحية من وجهة نظر المبحوثين، حيث يتمثل البعد في التعاطف ويعبر عن مدى إحساس المريض بالرعاية والتعاطف من جانب المستشفى وأكدت نتائج التحليل الإحصائي،وفي ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات أن القوة النسبية (78.5%) ،وقد احتلت المرتبة الأولى تفهم احتياجات المريض والعناية الشخصية بكل مريض ،كما هو مبين في الجدول

جدول(3) يوضح المعوقات والصعوبات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة ن=45

م	المعوقات	موافق بشدة	موافق	غير موافق	مجموع الأوزان	النسبة المرجحة	الترتيب
.1	فقدان الثقة في المدير والكوادر الإدارية .	35	10	-	125	16.60	4
.2	الاتصالات الرديئة بين المريض والفريق المعالج والكادر الإدارى .	40	5	-	130	17.26	2
.3	عدم انضباط الموظفين ووجودهم في مكاتبهم .	25	10	10	105	13.94	5
.4	عدم إعطاء أي أهمية لعملية قياس وتقويم الأداء .	40	5	-	130	17.26	2مكرر
.5	الانفراد في الرأي وعدم توافر الخبرات والمهارات الجيدة	40	2	3	128	16.99	3
.6	سوء نظام المكافآت والحوافز	45	-	-	135	17.92	1
	المجموع				753	%100	
	القوة النسبية	(% 92.9)					

يتبين من الجدول رقم (3) المعوقات والصعوبات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة بمستشفى شارع الزاوية , وفي ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات الدالة على هذا البعد وجد أن القوة النسبية

(92.9 %) ،ويعكس ذلك أن هناك العديد من المعوقات وقد جاءت ترتيب العبارات وفقا للنسب المرجحة كالتالي:-

1.سوء نظام المكافآت والحوافز،بنسبة مرجحة (17.92%) وهي أعلى نسبة .

2. عدم إعطاء أي أهمية لعملية قياس وتقويم الأداء والاتصالات الرديئة بين المريض والفريق المعالج والكادر الأدارى سجلت بنسبة مرجحة لكل من العبارتين (17.26%)، مما يدل ذلك علي أنه من المعوقات الأساسية التي تعيق تحقيق أهداف المستشفى ورسالته وجاءت في الترتيب الثاني .

3.الانفراد في الرأي وعدم توافر الخبرات والمهارات الجيدة بنسبة(16.99%) ، وحلت هذه النسبة الترتيب الثالث .

4.فقدان الثقة في المدير والكوادر الإدارية. سجلت بنسبة مرجحة وترتيب رابع للعبارات بمعدل (16.66%).

5.عدم انضباط الموظفين ووجودهم في مكاتبهم سجلت بنسبة مرجحة (13.94%) وتحصلت على الترتيب الخامس.

يتضح من معطيات الجدول رقم (4) وجهة نظر المبحوثين حول الشروط **اللازم** توافرها لحدوث تطبيق ناجح وفعال لنظم وبرامج الجودة بمستشفى شارع الزاوية، وفي ضوء حساب الأوزان المرجحة والنسب المرجحة وترتيب العبارات الدالة على هذا البعد وجد أن القوة النسبية (89.5 %) ،ويعكس ذلك ضرورة توفر هذه الشروط وأن من أول الشروط من وجهة نظر المبحوثين جاء العمل بروح الفريق بنسبة مرجحة (18.62 %)، و هذا يدل على أن لنجاح المستشفى وأداء دوره العلاجي والوقائي يتطلب من الجميع العمل كفريق معالج،وفي المرتبة الثانية جاء التأكيد على وجود خطة سنوية تحتوى على رسالة المستشفى ورؤيته بنسبة مرجحة (17.24 %) وذلك لضمان دور المستشفى ونجاحه ،أما الشرط الثالث فهو التزام المستشفى بالتطبيق الكامل للجودة وتبنى قيادات المستشفى لمختلف المستويات الإدارية لبرامج الجودة وقد تساوت العبارتين بنسبة مرجحة (16.55%) وهما شرطان أساسيان لنجاح إدارة الجودة الشاملة بالمستشفى، يليه الشرط الرابع وهو وجود نظام للتوثيق لكافة أنشطة المستشفى سجل نسبة مرجحة (15.86%)، ويحتل الشرط الخامس وهو الاقتناع التام من قبل القيادات العليا للمستشفى بأهمية الجودة بنسبة مرجحة (15.17%).

ملخص النتائج:

1. ركزت الدراسة على تطبيق إدارة الجودة الشاملة بمستشفى شارع الزاوية،التي تم تطبيقها في الجانب النظري البحثي والميداني كآلية لتطبيق الأبعاد والأساليب المعروفة من خبراء إدارة الجودة الشاملة، حيث وجدنا بأن هناك دعما وفهما من القيادات الإدارية العليا لرضا المستفيد من الخدمات بالمستشفى من خلال برامج الجودة،أي أن تطبيقها ضعيف في الإدارات والأقسام بشكل عام مما يتطلب تفعليها و تطويرها وتحسينها في ضوء الاتجاهات العالمية والاحتياجات المحلية.
2. من خلال البحث تبين ضرورة وضع الإطار المفهومي لإدارة الجودة الشاملة بالمستشفى ،فالجودة من المنظور المهني الطبي هي تقديم أفضل الخدمات وفق أحدث التطورات العلمية والمهنية ، ومن الناحية الإدارية تعنى بالدرجة الأساسية كيفية استخدام الموارد المتوفرة والجودة ، ومن منظور المستفيد أو المريض تعنى طريقة الحصول على الخدمة ونتيجتها النهائية .
3. بالنسبة للمعوقات والصعوبات التي تحد من تطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمستشفى من وجهة نظر المبحوثين فقد تبين بأن هناك معوقات مادية وبشرية وإدارية.
4. بالنسبة للشروط اللازم توافرها لتطبيق إدارة الجودة الشاملة بالمستشفى فقد تم التأكيد على ضرورة العمل بروح الفريق ، حيث إن إدخال الجودة يتطلب الكثير من التعاون والتنسيق بين مختلف الجهات المسؤولة بالمستشفى ويتطلب وجود إطارات داخل هياكل للجودة تعمل بصورة فاعلة لإدخال البرامج والنظم إلى حيز التنفيذ.

توصيات البحث :

- إعداد وتنفيذ برامج توعية حول مفهوم أهمية إدارة الجودة وتطبيقها في المستشفى وضرورة، توجيه هذه البرامج لكافة المستويات الإدارية والقيادات العليا ولكافة المستويات الوظيفية .

- التوسع في تفويض الصلاحيات وإشراك كل العاملين في رسم السياسات الخاصة بالمستشفى,من خلال روح فريق العمل .

- إعادة النظر في الحوافز والمكافآت الخاصة بكل العاملين بالمستشفى .

- زيادة فعالية الاتصالات الجيدة بين الفريق المعالج و المواطنين المستفيدين من الخدمات بالمستشفى .

- نشر فلسفة إدارة الجودة الشاملة بين الموظفين والاقتناع بها ثقافة للمستشفى.

- وضع تكوينات للموظفين وفقا لبرامج تدريبية حول إدارة الجودة الشاملة

-استخدام أسلوب تجميع المعلومات وتحليلها من أجل استخدامها في تحسين الخدمات .

- استقطاب الكفاءات ذات الجودة من أجل تقديم أفضل الخدمات.

المراجع العربية :

1. اللجنة الإقليمية لشرق المتوسط ، جدول الأعمال المبدئي, ضمان الجودة وتحسينها في النظم الصحية ولاسيما في الرعاية الصحية الأولية مسئولية مشتركة ،والجودة ،القاهرة ،جمهورية مصر العربية ،1-4 أكتوبر2000 .

2.إبراهيم ياسين ، المعجم الوسيط ،ط2 ، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ،مصر 1985م

3. برهان الدين حسين، دور القيادة في تطبيق أسس ومبادئ إدارة الجودة الشاملة : دراسة تطبيقية على مصنع سيراميك راس الخيمة ، رسالة ماجستير ، الأكاديمية العربية البريطانية للتعليم العالي .2011

4. حنان عبد الرحيم الأحمدي،التحسين المستمر للجودة :المفهوم وكيفية التطبيق في المنظمات الصحية ،مجلة الإدارة العامة ،دورية علمية متخصصة ومحكمة يصدرها معهد الإدارة العامة ،الرياض– المملكة العربية السعودية ،المجلة الأربعون ،العدد الثالث أكتوبر 2000 ص.412

5. .سهام على أحمد اقبندى،تقويم الخدمة الاجتماعية الطبية بالمستشفيات العامة والتخصصية والتخطيط لتطويرها بدولة الكويت،مجلة العلوم الاجتماعية مجلة فصلية محكمة ، مجلس النشرالعلمى جامعة الكويت ، المجلد32،العدد.2004،3

6. شادية عبد الحليم ومصطفي عبد السميع محمد، الجود وفى برنامج التعليم المفتوح، المكتبة العصرية ، مصر ،2010م .

7.صلاح عبد الباقى ، قضايا إدارية معاصرة ، دار الثقافة ، القاهرة ، مصر 1999م

8. عبد الستار العلي ، تطبيقات في إدارة الجودة الشاملة ، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،2008م.

9. عبد العزيز مخيمر،محمد الطعامنة،الاتجاهات الحديثة فى إدارة المستشفيات (المفاهيم والتطبيقات)المنظمة العربية للتنمية الإدارية،القاهرة ،مصر، 2003، ص187 .

10. فريد راغب النجار وآخرون : إدارة المستشفى المصري ،الاتجاهات الحالية والمشكلات،(القاهرة :الجهاز المركزي للتنظيم والإدارة المركزية للبحوث،1998)

11. فرانسيس ، ماهونى ، كارل جي ثور، ترجمة عبد الحكيم أحمد الخزامى ، ثلاثية الجودة الشاملة ، مصر ، دار الفجر للنشر والتوزيع1999 م

12. فريد النجار ، إدارة الأعمال الاقتصادية والعالمية ، القاهرة : المكتبة الإدارية 1979

13. فوزي شعبان مدكور،مدي إدارك وتطبيق مديرية المستشفيات العامة المصرية لطرق جودة رعاية المريض،المجلة العلمية للاقتصاد والتجارة،مجلة تصدرها كلية التجارة،جامعة عين شمس، العدد الثالث،1997م.

14. فريد عبد الفتاح زين الدين: إدارة الجودة الشاملة في المؤسسات العربية ،بدون ناشر ،القاهرة ،.1996

15. لوآن آدى ، تشارلز بيجلي،دافيد ليرسون،كارل سيلتر،ترجمة عبد المحسنبن صالح حيدر،تقويم نظام الرعاية الطبية الفعالية والكفاءة والإنصاف معهد الإدارة العامة الرياض المملكة العربية السعودية 2000م

16. موسى إدريس جعفر عبد لله ،عبد الرحمن بن عبد الله الأختر، إمكانية تطبيق إدارة الجودة الشاملة على خدمات التعليم العالي من أجل التحسين المستمر وضمان جودة المخرجات والحصول على الاعتمادية : دراسة حالة جامعة الطائف بالخرمة ،مجلة أماراباك المجلد 3 ،العدد 7 ، .2012

17. محمد بن عبد العزيز الراشد، إدارة الجودة الشاملة : دراسة نظرية ونموذج مقترح لها في مكتبة الملك فهد الوطنية ، مجلة مكتبة الملك فهد، مجلد17عدد2 .2011

18. محمد عبد الوهاب العزاوى ، إدارة الجودة الشاملة ، عمان، 2004 .

19. مريزق محمد عدمان، مداخل في الإدارة الصحية،دار الراية للنشر والتوزيع ، عمان 2012م.

20.محمد الطعامنة: إدارة الجودة الشاملة في القطاع الحكومي :حالة وزارة الصحة بالأردن"أبحاث اليرموك "مجلد 17، عدد .2001،1

21. منظمة الصحة العالمية ، التقرير الخاص بالصحة في العالم ،لعام 2008م .

22. نور الدين حاروش ، الإدارة الصحية وفق نظام الجودة الشاملة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن 2012م

المراجع الأجنبية :

1.Jablonski,J, Implementing Total Quality Management : An Overview, San Diego: Pfeiffer & Company, 1991.

2. Eduardo A –Rodríguey Y Claudia Roque , calidad de los Servicios de Salud en , Editorial: Evdencia Medica y Investigacion en salud, Vol. 5, Núm. 3 • ,México Julio-Septembre
. 2012

3. Lombarts,M.J.M.H.(2009), Application of quality improvement strategies in 389 European hospitas: results of the MARQulS project, Quality and Safety in Health Care, V.18 ,No 1.

أثر سياسة الولاة العثمانيين في النشاط الزراعي بالجبل الغربي خلال العهد العثماني الثاني

د- المدني سعيد عمر - كلية الآداب/ جامعة الجبل الغربي، ليبيا

المقدمة: تعد الزراعة المصدر الرئيس لحياة سكان منطقة الجبل الغربي، لاعتمادها على المياه الساقطة من الأمطار في فصلي الشتاء والربيع، كما كان وقتها متقلب، تتحكم فيها وفرة المياه وقلتها، ومدى اهتمام الولاة العثمانيين بها، في مساعدة الأهالي على النشاط الزراعي، حيث شهد العهد العثماني الثاني نقلة مهمة في إصدار بعض القوانين التي كان لها أثرها الإيجابي للنهوض بهذا النشاط.[1] كانت الزراعة تمثل أحد أهم الجوانب الاقتصادية لدى معظم السكان في الجبل الغربي، وقياساً باستغلالها على مساحة الولاية الكبيرة والقاحلة، وقله عدد سكانها، فإن معظم الأسر كانت تمتلك، أراضي واسعة لإستغلالها رعياً و زراعة حسب إمكانيتها المتاحة.[2]وعلى أثر تدهور تجارة القوافل الصحراوية، وجهت الدولة العثمانية مجهوداتها بإصلاحات لدعم الموارد الزراعية، ولرفع مستوى الانتاج الزراعي في الولاية، وعملت على الإكثار من غرس الأشجار وتشجيع الفلاحين.وفي أواخر القرن التاسع عشر عملت الدولة العثمانية على النهوض بالزراعة في ولاية طرابلس الغرب، التي كانت آخر ولاية عثمانية في الشمال الأفريقي، بإصدار عدة قوانين ولوائح، كان هدفها هو إعادة تنظيم الزراعة في البلاد، على ضوء ما شهدته من بزوغ عصر التنظيمات العثمانية والإصلاحات الخيرية ولم تكتف الدولة العثمانية بإصدار جملة من القوانين، بل إنها عملت على تشجيع النشاط الزراعي، وإدخال أنواع من المحاصيل الزراعية في منطقة الجبل؛ لأن السنوات الأولى من العهد العثماني المباشر انشغل الولاة بإخماد الفتن والثورات ولم يهتموا بالإصلاحات الزراعية.[3]

في هذا البحث نطرح عدة تساؤلات منها:-

- ماهي أهم المناطق الزراعية؟
- ماأهم المحاصيل الزراعية التي يعتمد عليها سكان الجبل؟
- ما مدى دعم السلطات المحلية في تشجيع الأهالي على الزراعة؟

---

[1] ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي 1835–1911م رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآدب، جامعة المرقب،2006، ص52.

[2] مصطفي هويدي، العجيلات باب طرابلس الغربي، طرابلس، 2007، ص 22.

[3] سالم عبد الله عمر الزناتي، الاطماع الاستعمارية الايطالية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة العثمانيتين (1881-1911)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة، 1997م، ص6.

- ما أبرز الولاة العثمانيين الذين اعتنوا بالزراعة في منطقة الجبل؟
- ما الصعوبات التي واجهت النشاط الزراعي؟

هذه الأسئلة وغيرها سنحاول الإجابة عنها من خلال سياقنا في هذا البحث.

لمحة جغرافية عن المنطقة:-أطلق العثمانيون على المنطقة المعروفة بجبل نفوسة، عند منتصف القرن السادس عشر الميلادي منذ مجيئهم إلى البلاد 1551م، اسم الجبل الغربي تميزاً له من الجبل الأخضر على المنطقة الممتدة من وازن غرب الإيالة إلى غريان حيث ظهر التنظيم الإداري، وأطلق لواء الجبل، على المنطقة الممتدة من غريان إلى ككله غرباً، وأن هذه التسمية تعتمد أساساً على تحديد سكاني في رقعه جغرافية تضم نوعية من القبائل المستقرة في منطقة معينة أو قضاء أو ناحية ونظراً لعدم وجود الخرائط الطبيعية الإدارية التي رسمت حدود اللواء، وهذا يعود إلى المواصفات التي اتبعتها السلطات العثمانية في إيالة طرابلس الغرب، التي لم تهتم برسم الحدود لإدارية الجغرافية لكل فضاء أو ناحية، والتي أسهمت في اهتمام الولاة في تحديد الوحدات الإدارية.[1] ونستطيع القول إن التقسيمات الإدارية في الولاية بصفة عامة اعتمدت أساساً على تحديد مكاني،وذلك بتحديد مجموعة من القبائل المستقرة، حتى تتمكن السلطات العثمانية من عملية تقدير الضرائب على مزروعات الأهالي[2]، كما يمتاز الجبل الغربي بعدة ظواهر جغرافية متنوعة فهو يشمل هضاباً وسهولاً وأودية، وتلال، ومن مميزاته وجود نتوءات يصل ارتفاعها إلى 900م فوق سطح البحر وخاصة في قمة رأس العمود في بني وزير بغريان التي استغلت فيما بعد لتكون مجمعا لمياه النهر الصناعي الذي يغذي المناطق الأخرى في الجبل الغربي، حيث تصل قمتها إلى حوالي 884 م فوق سطح البحر [3]، وكذلك يوجد بالجبل بعض من الأودية لجلب مياه الأمطار من أعلى قمم الجبل، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر وادي المزايدة، وادي زارت بككلة، وادي زقوط وأبوشيبة، وادي سوق الجين الذي ينبع من الرحيبات ويتجه نحو سوف الجين ثم ينتهي في تاورغاء، وهذا ما تناولته المأثورات الشعبية بالقول**(رأسه تين ووسطه بازين ونهايته عجين)**وعند سقوط الأمطار تصب في سهل الجفارة، لوجود أودية تنحدر نحو الجنوب

---

(1) محمد ناجي، محمد نوري، طرابلس الغرب، ترجمة كمال الدين محمد احسان، طرابلس، مكتبة الفكر، 1973، ص60.

(2) فاتح قداره، الزاوية الغربية خلال العهد العثماني الثاني 1835–1911، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزاوية، 2002م، ص22.

(3) نوري أبو فائد، الموارد المائية بمدينة غريان، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية الآداب، جامعة الزاوية 2002، ص2، وعبدالرؤوف إبراهيم المناع، اكتشف ليبيا، طرابلس، 2013، ص144.

لتصب في وادي غان ثم تصب في وادي الهيرة باتجاه سهل الجفارة، ومنها وادي المسيد، والقرقاب، وادي التفاح وساقية الفرس، وتوجد بالمنطقة أيضاً نتوءات جبلية أهمها جبل منطروس، وجبل أبورشادة، وجبل سيدي عبدالجليل وجبل تكوت بنالوت، ومن أشهر السهول بالمنطقة سهل قطيس محاذي لسهل الجفارة. ([1])وسهل القطامة، وسهل جندوبة، والمرموثة بالزنتان، فهي تستغل دائماً لزراعة الحبوب، بالإضافة إلى كونها أحد المناطق الرعوية في الجبل. كما توجد عدة مناطق زراعية في الجبل الغربي تشتهر بزراعة الزيتون، لوجود أراضي خصبة تنمو فيها أشجار الفواكه بأنواعها مثل بعض الواحات التي تستغل لغرس فسائل النخيل مثل واحة الرابطة، والصلاحات بالقواسم، و العين الزرقاء بجادو، وأم القرب بالرحيبات([2])، أما المناخ فهو مناخ البحر المتوسط من حيث تحكمه في سقوط الأمطار، وتذبذبها من حين لآخر، وهذا ما تأثرت به الزراعة والغطاء النباتي، ومن أهم أنواع هذا الغطاء هو نبات الحلفا الذي يعد المورد الأساس في مصادر الدخل حيث يجمع ويصدر إلى الخارج، و يدخل في صناعة الورق، وتوجد بالمنطقة الأشجار البرية مثل البطوم الذي ينمو في الجبال والوديان وتنتج هذه الأشجار حبوبا تسمى القضوم الذي يستخرج منه زيت يعرف بزيت القضوم يستعمل في علاج بعض الأمراض ([3])، كما تنمو بعض الأعشاب الطبية مثل الرويبة والزعتر، والشيح وغيرها كما اشتهرت منطقة الجبل الغربي وخصوصاً منطقة غريان بنبات الزعفران ([4]) ، حيث تعد الزراعة من أهم الأنشطة التي يزاولها السكان في تلك المنطقة.

أنواع ملكية الأراضي الزراعية في الجبل:-لم يعرف الأهالي التسجيل العقاري للأراضي إلا بعد صدور قانون الأراضي في أوائل 1858([5]) لأن في البداية عارض الأهالي خوفاً من مطالبة السلطات العثمانية بدفع الرسوم المالية وتعد الأراضي الصالحة للزراعة أحد ركائز العناصر المهمة التي تجذب السكان للاستقرار فيها، وتتوقف عمليات الإنتاج الزراعي بها لذلك كانت حيازة الأرض موزعة ملكيتها بين الدولة والأفراد والجماعات والقبائل والوقف، حيث

[1] ياسين شهاب الموصلي، مرجع سابق، ص66.

[2] محمد ناجي، محمد، نوري، مصدر سابق، ص37.

[3] العربي البهلول الزروق، غريان في العهد العثماني 1551-1911، دراسة في الأوضاع العامة، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية، 2006، ص129.

[4] العربي البهلول الزروق، مرجع سابق، الصفحة نفسها.

[5] تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب، طرابلس 1988م، ص102.وفي عهد حافظ باشا 1199 أمر بتعداد النفوس بتسجيل الأراضي(الطابو)، راجع الطاهر الزاوي، ولاة طرابلس الغرب من بداية الفتح الإسلامي إلي نهاية العهد العثماني، دار الفتح، بيروث ،1970،ص278.

نظم القانون العثماني في12أبريل1858، ملكية الأرض في الولايات العثمانية، تقسم الأرض إلى خمسة أقسام يمكننا نعطي لمحة موجزة عن هذه الملكية من الأراضي. وكان هدف الدولة العثمانية من إصدار هذا القانون وضع حد للفوضى والمنازعات التي كانت تحدث وفي الوقت نفسه بسط سيطرتها عليها باعتبارها مالكة لجميع الأراضي.[1]

1:أراضي الملكية الخاصة:وهي الأرض الخاصة ولا يجوز التصرف فيها إلا بإذن صاحبها، وعادة ما تكون مساحات محدودة تخضع لضريبة العشر، وفي هذه الحالة يمكن لصاحبها البيع والتصرف فيها وتوثق هذه المعاملات بوثائق أو سندات ملكية، وفي منطقة الجبل لا تكاد أي أسرة تملك أراضي إلا ولديها وثائق أو سندات تفيد ملكيتها لهذا العقار.[2] ويجوز ممارسة النشاط الزراعي عليها إذا كانت الأرض معدة للزراعة.

2: الأراضي المملوكة للدولة:-وهي الأراضي التي تعد فيها الدولة المالكة الوحيدة، وتعود ملكيتها إلى بيت المال أي الخزينة العامة، حيث نص قانون الأراضي على أنه يمكن الاستفادة منها عن طريق استغلالها في الزراعة لمن يريدها بشرط دفع مقابل الاستغلال والاستفادة منها، وذلك عن طريق استغلالها بمقابل يدفع وفق إجراءات إدارية تحددها السلطات العثمانية للانتفاع بها[3]، هذا وقد شجع الوالي أحمد راسم الأهالي على استثمار هذه الأراضي، فأحدث فيها بساتين وسواني وأدخل زراعة محاصيل جديدة سنتطرق لها في سياق هذه الدراسة.[4]

3: أراضي الوقف:وهي التي توقف على المساجد والزوايا والمدارس وغيرها من الأعمال الخيرية[5] هو الصدقة المحرفة التي لاتباع ولا توهب ولا تورث الأراضي المجيدية والموهوبة [6]، ويتم تحبيسها على المساجد والزوايا و الأضرحة والمدارس وهي قسمان هما وقف الأراضي المملوكة ملكية خاصة و هذا النوع لا يمكن التصرف فيه وإنما جعلت وقفا، ويكون فيه إيرادات و

---

[1] مختار محمد الأمير، ملكية الأرض واستغلالها في ولاية طرابلس الغرب، خلال العهد العثماني 1835-1911، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة السابع من أبريل (الزاوية حالياً)، 2000، ص33.

[2] ياسين شهاب الموصلي، مرجع سابق، ص53.

[3] نوفل نعمة الله، الدستور العثماني، قانون الأراضي، المادة 2، ص14.

[4] فتحية علي المريمي، نبات الحلفا كمورد اقتصادي بولاية طرابلس الغرب 1868-1911، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس2006، ص50.

[5] مختار محمد الأمير، مرجع سابق، ص34.

[6] الهمالي مفتاح الهمالي، تطور نظام الوقف في ولاية طرابلس الغرب إبان العهد العثماني الثاني، 1835-1911، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الفاتح، 2003، ص15.

مصروفات الموقوف عليه عن طريق تأجيرها للأفراد حسب سندات رسمية ويكون دخلها للوقف فقط[1]، وهذا النوع في منطقة الجبل يراجع ذلك للتحايل من أجل عدم دفع الضرائب وهذا النوع من الأراضي لا يجوز التصرف فيه إلا بإذن من هو وكيل عليها.

4: الأراضي المتروكة:وهي الأراضي التي تتطلبها المصلحة العامة، ولا يجوز لأحد من السكان أو الأفراد، الانفراد بها دون الآخرين، وقد قسمها القانون إلى قسمين هما:الأراضي المتروكة للعامة كأراضي الطرق أو الجسور والمعابر، وقسم آخر لعموم السكان والقرى لأغراض الرعي أو ما شابه ذلك.[2] وهي أراضي زراعية لا يجوز استغلالها.

5: أراضي الأموات:وهي الأراضي غير الصالحة للزراعة ولا تعود ملكيتها لأحد من الأفراد وغير مسكونة وبعيدة عن مناطق العمران، ويكون استصلاحها واستغلالها للزراعة ويفوض فيها الأفراد إذا استصلحت لمدة ثلاث سنوات دون المطالبة بأحقيتها وتصبح ملكية له وذلك لانطباق الحديث الشريف عليها من ستصلح أرض موات فهي له، أي عن تحويل الأرض الجرداء إلى أرض منتجة المحصول.[3] وفي حالة استغلالها زراعةً لم يطالب أحد بأحقيته لها ينطبق عليه الحديث سالف الذكر.

6:الملكية القبلية الجماعية:وجاء هذا النوع من التملك الجماعي في المناطق الداخلية، التي تقل فيها سيطرة الدولة، وتدار تلك الأراضي من القبائل وفق أعراف سائدة فيما بينهم، وإن كانت الدولة تتدخل في بعض الأحيان لحل بعض الخلافات في هذا الصدد حدثت منازعات بين أهالي نالوت والصيعان.[4]وأيضاً وهي الأراضي التي يشترك أفراد القبيلة الواحدة في ملكيتها، وتخضع للتوزيع السنوي فيما بينهم، وهذا النوع من الملكية لم ينص عليه القانون العثماني، وإنما جاء كمورث تقليدي اجتماعي قديم وهو قائم على المشاركة الجماعية للقبيلة، و يوجد في منطقة الجبل الغربي،عدة قبائل كالزنتان، وغريان والمشاشية وأولاد أبوسيف ووادي قطيس حيث سادها نمط الملكية القبيلة،[5] حيث كانت هذه الأراضي الخاصة بزراعة الحبوب في أوقات مواسمها، عادة ما يقع على

---

(1) مختار محمد الأمير، مرجع سابق، ص4.

(2) الموسوعة العربية الميسرة ، المجلد الأول، أ- ب، دار الجيل، الجمعية العربية، 2006، ص230.

(3) مختار محمد الأمير، مرجع سابق، ص10.

(4) مختار محمد الأمير، مرجع سابق، ص37.

(5) المبروك حسن محمد شاقان، تطور الزراعة في ولاية طرابلس الغرب 1951-1961، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة طرابلس، 2003، ص32.

النوع من الأراضي نزاعات قبلية في مواسم الحراثة، وقد صدر مرسوم ولائي في عهد الوالي أحمد راسم باشا(1882-1898) نص القانون على أن من يتجاوز أراضي الغير عليه غرامة تقدر بنصف حاصلات الزرع لأصحابها، كما خفف هذا القانون من حدة المنازعات بين الأفراد والقبائل إلا أنه لم يقض عليها نهائياً.[1]

المناطق الزراعية:- قسمت منطقة الجبل الغربي إلى عدة مناطق زراعية خصصت منها المنطقة الممتدة من غريان إلى ظاهر الجبل بزراعة الزيتون و الأشجار المثمرة أما مناطق بقية الجبل فهي تعد مناطق صحراوية ورعوية للاستفادة منها في تربية الحيوانات والماشية، كما قسم الجغرافيون منطقة الجبل منها قليلة الارتفاع ومنطقة التلال الشمالية واللافت للنظر

أن المنطقة متداخلة مع بعضها لا يمكن الفصل بينها من حيث المناخ والتربة، حيث تتراوح كميات الأمطار الهاطلة من 254 – 304 مم في السنة، مقارنة باتساع رقعة الأرض الجبيلة، حيث تقل نسبة الأمطار باتجاه الحدود التونسية غرباً لتصل 70 – 100 مم في السنة[2] كما استعملت عدة طرق وأساليب لنظام العمل بالنشاط الزراعي منها نوع نظام العمل بالمغارسة وهو اتفاق بين طرفين وهذا يحدث في حالة زراعة الحبوب وهو السائد في منطقة الجبل الغربي.[3] و نعطي لمحة مختصرة على أنواع الزراعة:-

أ- **الزراعة البعلية:**يعد هذا النمط السائد في منطقة الجبل الغربي، لاعتمادها على مدى سقوط الأمطار والتي تشمل المناطق الزراعية المعدة لزراعة الحبوب وبعض البقوليات وكذلك الأشجار ذات الجذور العميقة التي تقاوم الجفاف كالزيتون والنخيل لإستفادتها من المياه النازلة في التربة[4] فيتم استغلال هذه الأرض عن طريق الاستغلال بالأجرة، حيث يتم هذا النمط في زراعة الحبوب كالقمح والشعير باعتماده على مياه الأمطار وكلما كانت الأمطار غزيرة تتساقط في شهر مارس يكون الإنتاج وفيراً، حيث أشارت سجلات المحكمة الشرعية بمنطقة الجبل الغربي على عقود في المغارسة والبيع والشراء وكذلك منح أراضي

(1) ياسين شهاب الموصلي، مرجع سابق، ص 56.
(2) المبروك شاقان، مرجع سابق، ص39.
(3) غيث العربي، مسلاتة في العهد العثماني الثاني 1835-1911، دراسة في الأوضاع السياسية والإدارية و الاقتصادية والثقافية، رسالة ماجستير، كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، 2007، ص60.
(4) ياسين شهاب الموصلي، مرجع سابق، ص60.

المغارسة هو أكثر الأنماط في العملية الزراعية وهناك أيضاً الغرس بالمناصفة وكذلك إجراء عقود بالمحكمة لتوثيقها وكيفية عملية التعاقد[1]

ب- **الزراعة المروية:**ينتشر هذا النمط من الزراعة في الواحات المنتشرة في ربوع الجبل، حيث يزرع بعض من الخضروات والفواكه التي تحتاج إلى مياه بكميات كبيرة بالإضافة إلى غرس أشجار النخيل كما هو واضح في واحة الرابطة وغيرها، بالإضافة إلى وجود الوديان التي تستغل لإقامة سدود عليها[2]وبالرغم من صغر المساحات المروية فإن بعض اصحاب الأراضي لم يكن في مقدرتهم إدارتها لوحدهم، بسبب ضعف الإمكانات والعمل الشاق، وخاصة فيما يتعلق بسحب المياه من الآبار فيضطر المالك إلى استغلال بعض الأهالي في مساعدته بأجرة يومية أو شهرية، حسب الاتفاق فيما بينهم، فتدفع الأجرة أحياناً بشكل محاصيل بعد الانتهاء من العمل المتفق عليه، أو بعد نضوج الثمار[3]

مصادر المياه ووسائل استخراجها:-

1- الأمطار:-إن جميع الكائنات الحية بمختلف أشكالها وأحجامها تحتاج إلى الماء لكي تستمر على قيد الحياة، قال تعالى: (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)[4]يعد المصدر الرئيسي للمياه في منطقة الجبل الغربي، هو الأمطار، وذلك في زراعة الحبوب عليها، حيث تبدأ الأمطار في الهطول من سبتمبر إلى مارس في السنوات الخصبة كما أن الأمطار هي التي تتحكم في أنتاج المحاصيل الزراعية من حبوب وغيرها.ويعد الجبل الغربي من المناطق ذات مناخ معتدل، إلا أن لا توجد به أنهار أو مساقط مائية، حيث اعتمدت بالدرجة الأولى على مياه الأمطار الساقطة من السماء، وبعض من المياه الجوفية الممثلة في العيون، حيث نلاحظ تذبذب تساقط الأمطار من حين للآخر وهذا يؤثر في المناطق الزراعية وتتراوح كمية الأمطار علي الجبل الغربي ما بين شهري 6/3 إلى 300 ملمتر على مقربه من مدينة طرابلس وفي الأجزاء الوسطي والشرقية من منطقة الجبل الغربي.[5]وبذلك تشكل الزراعة البعلية في منطقة الجبل الغربي وخاصة المنطقة المحصورة ما بين غريان والأصابعه وكذلك منطقة الظاهر بيفرن بالإضافة إلى الوديان والروافد إلى تشكيل كميات

---

(1) أسماء بو دبوس، سجلات محكمة غريان الشرعية كمصدر للتاريخ الاجتماعي والاقتصادي 1702 - 1900، رسالة ماجستير، قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، 2006، ص123-131.

(2) انطونيو جوزيف كاكيا، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، الدار العربية للكتاب، 1971، ص60.

(3) سجل رقم 7 بسنوات 1257 – 1258، ص12.

(4) سورة الأنبياء، الآية (30).

(5) مجلة الفلاح الليبي، مصادر المياه، العدد الأول، السنة الثالثة، سيدي المصري، طرابلس، 1963، ص24.

وافره من المياه وهي أنهار موسمية يمكن الاستفادة منها إذا أقيمت عليها سدود حجرية وترابية لإعاقة حركة المياه الجارية بما يسهم في تجمعها في أحواض يمكن الاستفادة منها في ري المحاصيل.[1]

2- **العيون:** إن المنطقة المعروفة بطبيعتها الجبلية، يصل بعض قممها الجبلية إلى 830م فوق مستوى سطح البحر كما يوجد بها عدة عيون تستغل في الزراعة والشرب أيضاً وعددها حوالي 12 عينا[2] في منطقة غريان، و يستفاد منها في ري بعض الزراعات المروية كالخضروات مثلاً، وذلك وفق نطام متعارف عليه، حتى يستطيع كل مزارع ري أشجاره ويوجد في منطقة يفرن حوالي خمسة عيون أهمها عين الرومية، وقي منطقة الرحيبات تقدر17عينا، وفي جادو3 عيون جل هذه العيون صالحة للزراعة والشرب، حيث يزرع فيها عدد من أنواع الأشجار.[3] وتقع هذه العيون في المناطق التي تشكل طبقاتها الحجر الجيري المتشقق والذي تتخلله من الجزء العلوي طبقات من المارل وتحتوي هذه الطبقات على المياه الصالحة للشرب وتعد من المناطق المغذية للعيون.

3- **الآبار:** تجلت مجهودات الولاة العثمانيين لزيادة النشاط الزراعي خلال النصف الثاني من القرن التاسع العشر في غرس الأشجار، والخضروات وتعد الآبار أحد الوسائل المهمة للحصول على المياه من سقوط الأمطار التي في باطن الأرض وتستخرج المياه منها عن طريق الدلو* الذي يستعمل لري الأشجار عند غرسها كالزيتون والنخيل وغيرها من الأشجار التي لا تنمو في البداية إلا بريها بالماء، والآبار في منطقة الجبل عبارة عن حفر في باطن الأرض وتكون عمقها لا يتعدى عشرة أمتار تحفر ما بين زاويتين داخل الأرض وتكون عادة طول الزاوية هي حفرة داخل البير تقدر مساحتها حسب قدرة المالك من خمسة مترا داخل الأرضي إلى أكثر من ذلك ثم تطلى بالجبس وكذلك حجر المياه داخل البئر وتعمل له ما يعرف بالرقادة والتي يتجمع فيها الماء تم يدخل عن طريق فتحة إلى البئر والذي يطلق عليها سكان الجبل (بالماجن)

---

(1) المبروك شاقان، مرجع سابق، ص35.

(2) نور الدين مصطفى التني، أنظمة توزيع مياه العيون القديمة بمنطقة الجبل الغربي وغدامس(دراسة ميدانية) المجتمع الليبي1835-1950أعمال الندوة العلمية الثانية التي عقدت بمركز الجهاد الليبية في الفترة 26-27-9-2000م، مركز جهاد الليبيين في الدراسات التاريخية، 2000 ص 780_788.

(3) محمد الطوير، تاريخ الزراعة في ليبيا، إثناء الحكم العثماني، الدار الجماهرية للنشر، مصراتة، 1991 ،ص122، وكذلك المبروك شاقان، مرجع سابق، ص35.

* وعاء يستعمل في إخراج الماء من البئر ويصنع من جلد الحيوانات وتختلف احجامه من الصغير الذي يستطيع الانسان حمله اما الكبير الذي يحمل عن طريق الحيونات.

وتستخدم طريقة سحب الماء بالطرق التقليدية التي كانت سائدة في تلك الفترة وهي (الدلو والجرارة والبكرة) والحبال بالإضافة إلى ما سبق ذكره من قوة الإنسان والحيوان[1] في سحب الماء من الماجن وفي هذا الصدد وجه الوالي مصطفي هاشم في 1899/19 رسالة إلى مجلس قضاء غريان، مفادها بتخصيص مبلغ مالي يقدر بحوالي (20،000) قرش من إيرادات البلدية لأجل توفير الماء في قطيس شمال غريان، وضع اعتراض الوالي هذا المشروع إلا إنه أخيراً حفر البئر على أساس المناصفة بين الأهالي والبلدية، وامتداد رئاسة هذا المشروع إلى رئاسة قادمة.[2] كما يدل على اهتمام الولاة العثمانيين على النشاط الزراعي في حياتهم اليومية، يوجد مصدر آخر في منطقة الجبل وهو المياه الجوفية التي تتمثل في وجود العيون التي سبقت الإشارة إليها. [3]

4- المياه الجوفية: إلى جانب الأمطار كمصدر أساسي من مصادر المياه التي اعتمد عليها الأهالي، يرجع أصل المياه الجوفية التي تغديها مياه الأمطار التي تغور في باطن الأرض وتكوّنت مع مرور الزمن طبقة مائية تبقى في باطن الأرض، حيث إن الأرض تتألف من طبقات مختلفة منها الصلبة والطرية و منها الرملية، وتتراكم المياه على الطبقات الصلبة التي لا تسمح بتسرب المياه وفي موقع معين ما يحدث لهذا التجميع من المياه ما يسمي بالعيون المتجددة مثلا عين الرومية، العين الزرقاء عين الرابطة وعين تاكنيت وغيرها من العيون التي كانت تستغل في زراعة بعض الخضروات كالفول والطماطم و البطيخ وغيرها.[4]وتعتمد الزراعة في الجبل الغربي على الزراعة البعلية و الزراعة المروية وتعتمد الزراعة البعلية على معدلات سقوط الأمطار وهي غالباً تشمل زراعة الحبوب وهي أكثر الأراضي استعمالاً، لذا تم اللجوء إلى أنماط زراعيه يتعارف عليها في استغلال هذه الأرض منها الاستغلال بالأجرة حسب الاتفاق بين صاحب الأرض وبعض العمال المزارعين على إجراءات لهذا العمل منها حرث الأرض أو حتى المحصول مقابل أجرة يومية نقدية

---

(1) جورج جحا، مصادر المياه في ليبيا، مجلة الفلاح الليبي، العدد الأول، السنة الثالثة، يناير 1963، طرابلس، سيدي المصري، ص26.

(2) د-م-ت-ط، وثيقة رقم 20.

(3) الهادي الفقهي، قضاء ترهونة في العهد العثماني الثاني، 1835- 1911، دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، رسالة ماجستير، كلية الأداب، جامعة السابع من أبريل (الزاوية حالياً)، 2008، ص166.

(4) د-م-ت-ط، وثيقة رقم 200، بشأن حفر بئر بمنطقة قطيس شمال غريان نقلاً عن محمد الطوير، مرجع سابق، ص58.

محددة.[1]ومن الملاحظ أن هذه العيون قد تطورت فيما بعد لاستحداث الآلات الزارعية واستخدام التقنية لحفر آبار المياه فقد اختفت خاصة عين الرومية الذي يلاحظه المار من طريق الغنائمة إلى يفرن، ويتوقف الإنتاج الزراعي في كل انحاء المعمورة على عنصرين اساسين هما المقومات الطبيعية والبشرية، فالمقومات الطبيعية تتمثل في الموارد المائية وسقوط الامطار وكذلك نوعية التربة من حيث صلاحيتها للزراعة[2]وأهم هذه المقومات الزراعية تثمل في:-

1 – الأيدي العاملة.يتطلب النشاط الزراعي عددا من الأيدي العاملة للنهوض بمتطلبات الزراعة، التي تتمثل في العمالة الراعية للأشراف على المحصول أو المزروع أو الإشراف على سحب الماء من البئر وتوزيعه على المزروعات، حتي ثمار الزيتون أو النخيل وحصد المحصول كالقمح والشعير وغيره، وحراته الأرض أو تقليب التربة ومتابعة نمو المحصول متعدد الأنماط والعمل في المجال الزراعي، كان بالمغارسة والعمل بالمسافات وبالأجرة.

4- تمهيد الأرض:عند القيام بالنشاط الزراعي يتطلب الأمر تسوية الأرض واعدادها للغرس، فأول عمل هو القيام بتسويتها، وإقامة السدود خاصة بمناطق ذات طبيعة جبلية جافة مياه الأمطار وعند الحرث يستخدم المحراث الخشبي المصنوع محليا ويتم جره بواسطة الجمال والحمير مثلا، في حرث الأرض وهذا عادة ما يحدث في الجنينات أو البساتين، بواسطة آلة تسمي الفأس، **وعادة ما يحدث** في شهر أكتوبر وهو بداية موسم الحرث وتساقط الأمطار وفي هذا الصدد يقول المثل: المتداول في الأوساط الشعبية إللى ما حرث في أكتوبر ما يلحقه شهر مارس، لأن الاستفادة من هطول المطر في مارس يعد ذهباً خالصاً ، وذلك راجع إلى أهمية سقوط المطر في هذا الشهر وفي شهر مارس يزرع الفلفل والباذنجان والخيار وغيرها و كذلك أشجار الفواكه.[3] ويحرص الفلاحون على ضرورة تمهيد الأراضي، عندما تكون الأرض طينيه أو رملية فالسماد هنا مهم جداً لأنه يحي الأرض ويقويها، وكانت طرق الحصول على السماد تتم عن طريق حظائر الحيوانات الماعز والاغنام أو محطات القوافل الإبل إذا كانت قريبة من الأرض المراد استغلالها حيث يقومون بجمع السماد في أقفاف تصنع من القديم وتحمل على الحيوانات هذا فيما يتعلق بتسوية الأراض أما فيما

(1) ياسين شهاب الموصلي، مرجع سابق، ص60.
(2) حسن محمد الجديدي، الزراعة المروية وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، الدار الجماهيرية للنشر، 1987، ص286.
(3) صحيفة طرابلس الغرب، العدد العاشر العام، 1301 ه، 1883، ص37.

يتعلق بالبذور فعندما يأتي موسم الحرث يتم الاهتمام بالبدور وتوفيرها وقد تكون مخزنة لديه أو يقوم بشرائها وعادة ما تكون بذور الشعير مخزنة في مطامير، وفي هذا الإطار يتطلب معرفة الأوقات المناسبة للحرث وتكون عادة في اكتوبر حيث هناك مثل شائع في تلك المنطقة اللي ما حرث في أكتوبر ما يلحقه صهد مارس وهذا يؤكد على أهمية هذا الشهر الذي تتم فيه، زراعة الحبوب خاصة الشعير.

الوسائل والمعدات والأدوات المرتبطة بالزراعة:-لاشك أن عملية الإنتاج تتحكم فيها عدة عوامل، لعل من أهم هذه العوامل هي الأدوات المستخدمة في استغلال الأرض، والأدوات بدائية نسبيا وهـي:-

أولاً-الأدوات الزراعية:-تعد الأدوات المستخدمة في النشاط الزراعي ضرورية للقيام بهذا النشاط الذي ورثه الأبناء عن الآباء في العهد العثماني وكانت تشمل الآتي:-

1- **المحراث:**وهو عبارة عن عمود من الخشب يصنع من أشجار البطوم والزيتون مركب عليه سكة معدنية طولها لا يتجاوز 10 سم لتشق الارض وتجر بواسطة بعض الحيوانات كالجمال والحمير مثلاً، وهذه الحيوانات تساعد الفلاح في عملية استخراج الماء من الآبار وحراثة الأرض[1]
2- **المسحة:** وهي قطعة حديدية ذات اشفار متصلة بذراع خشبي وتستعمل في تسوية الأرض وفتح سميتها وقت السقي. [2]
3- **المشط:** وهو بمثابه الخباشة الآن تستعمل لتنقية الأرض من الأحجار الكبيرة لتمهيد الأرض للزارعة.
4- **الفأس:** ويستعمل لقطع الخشب وتكسير الأرض الصلبة وتنقيتها من الأعشاب. [3]
5- **المذرة:** وهي عبارة عن قطعة حديدية بها ثلاثة أو أربعة أسنان تتصل بدارع خشبي وتستعمل في وقت دراسة المحصول سواء كان قمحا او شعيرا لكي يتم فصل التبن عن الحبوب بعد دراستها.[4]
6- **المنجل والمحشة:** وتستعمل في حصاد القمح والشعير عندما ينتج.
7- **الغرارة:** وهي كيس كبير يصنع من شعر المعز ووبر الإبل وتعد الغرارة من المتطلبات التي استعملت في جمع المحصول بعد نضجه[1]

---

[1] أسماء بو دبوس، مرجع سابق، ص164.
[2] تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص141.
[3] المرجع السابق، الصفحة نفسها.
[4] تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص145س.

ثانياً-أدوات السقاية:-

1- **الدلو:**يصنع من جلد الابقار والابل، ويستخدم في استخراج الماء من الآبار لسقي المزروعات وكذلك الحيوانات.
2- **الحمالة:**ممر في الأرض يجري فيه الماء أثناء انتقاله إلى الجداول الأخرى.
3- **الجدولة:**وهو حيز صغير من الأرض تزرع فيه بعض من المحاصيل التي تعتمد على مياه الآبار أو العيون.
4- **مرمة:**قفة من سعف النخيل تستخدم في نقل التربة التي تعيق حركة المياه أثناء انتقالها بين الجداول.

الحصاد:تأتي هذه المرحلة بعد نضوج القمح والشعير ويتم ذلك في أواخر شهر مايو، حيث تقيم العائلة مجتمعة عادة ما يعرف بالرغاطة في حصد هذا المحصول، يأتي كل واحد بعائلته من الحصادين.

ثالثاً-أدوات الحصاد:-عندما تنضج الحبوب سواء كانت قمحا أو شعيرا يتم الاعتماد على مجموعة من الأدوات في جمع المحصول وتشمل الآتي:

1-**المنجل**:وهو أهم الأدوات المستخدمة في حصاد المحصول الذي يقوم به الحصاد لجمع المحصول.

2-**المعلف**:وهي عبارة عن وعاء من سعف النخيل يستخدم حتى الوقت الحالي لجميع المحصول ونقله إلى النادر.[2]

3- **النادر**:عبارة عن مكان واسع يسمي بالمندرة يجمع فيه محصول القمح أو الشعير بعد الانتهاء من الحصاد.

المحاصيل الزراعية ودعم السلطات العثمانية لها:اهتمت السلطات العثمانية بعملية غرس الأشجار على الاخص الأشجار المثمرة والاهتمام بزراعة حبوب القمح والشعير المصدر الرئيس لغذاء السكان، حيث زاد الاهتمام بها وزراعتها بمساحات كبيرة نظرا لعدم حاجتها الماء كثيراً واعتمد في زراعتها على سقوط الامطار.وكان من أهم المحاصيل الزراعية زراعة الحبوب والشعير الذي يزرع في شهر أكتوبر، ويعد الغذاء الرئيس لحياة السكان في الجبل الغربي

---

[1] اسماء بو دبوس، مرجع سابق، ص160.
[2] النادر، هو مكان مسطح ومستوى ليجمع فيه المحصول بعد حصادته.

ومن الشعير تعد وجبة البازين وهي من الوجبات الرئيسية لسكانه،([1]) ويستعمل المحصول أيضا كعلف لخيول الجيش العثماني التي كانت تنقل الذخائر وتجر القطع الحديثة كالمدافع مثلاً.

من أهم المحاصيل الزراعية:-

1- **الشعير:**-يعد الشعير من أهم المحاصيل الزراعية، التي عرفت بها منطقة الجبل الغربي، كما أنه الدخل الرئيسي لكثير من الفلاحين من أهالي الجبل، من حيث ملاءمته للظروف المناخية، وتجود به الأراضي الصالحة للزراعة عند سقوط الأمطار بغزارة([2]) فقد قدر الانتاج في سنة 1896 حيث قدر الانتاج في هذه السنة بحوالي 20 الف طن تقريباً فهو يدل على تحسين أوضاع الفلاحين كما أشارت اليه الوثيقة العثمانية([3]) وفي هذا الاطار شجعت السلطات العثمانية على تحسين بذور القمح وتنقيتها حتى يكون له مردود اقتصادي جيد([4]) ويعد دقيق الشعير من الوجبات الرئيسية في منطقة الجبل الغربي كالبازين والزميتة وهي من الوجبات الشعبية المعروفة لدى سكان الجبل.

2- **القمح**:-يأتي القمح في المرتبة الثانية بعد الشعير، إلا ان الأهالي لم يقبلوا على زراعته كثيرا كالشعير، الأمر الذي أدى إلى تدخل الوالي أحمد عزت باشا 1844، وأجبر المواطنين على زراعة نصف الأراضي قمحا ويشارك في حصاده معظم أفراد العائلة والقبيلة وهذه السياسة تهدف إلى توفير الغذاء للجنود العثمانيين. ([5]) وإلى جانب هذين المحصولين، كان الأهالي يزرعون بصورة خاصة الفول والحمص و العدس والبازيلاء وغيرها. ([6])

أما في فصل الصيف، فإن الزراعة كانت تعتمد على الري الدائم المتمثل في العيون التي كانت قليلة في الجبل ومن أهم المزروعات كانت الطماطم وتزرع في فصل الصيف والبطيخ وغيرها، إلا أن هذا الانتاج كان يسد حاجات السكان بإستثناءالسنوات التي يندر فيها سقوط المطر، حيث يحرم

---

[1] العربي البهلول الزروق، مرجع سابق، ص116.

[2] نادية كاجيجي، احوال الزراعة والبستنة والموارد الطبيعية الأخرى لولاية طرابلس الغرب، مجلة الشهيد، العددان السابع والثامن، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية،1987، ص337.

[3] د.م.ت.ط، وثيقة غير مصنفة، ملف متفرقات.

[4] مخلوف محمد سلامة ، الاصلاحات العثمانية وأثرها في ولاية طرابلس الغرب 1839-1911،رسالة ماجستير، قسم التاريخ كلية الآداب، جامعة الزاوية 1997، ص88.

[5] محمد الطوير، مرجع سابق ، ص17.

[6] العربي البهلول الزروق، مرجع سابق، ص117.

الأهالي من حراثة الأرض، الأمر الذى يحرمهم من جمع محاصيلهم من هذا النوع.[1] وبالرغم من أن الزراعة كانت هي العمود الفقري والأساس لحياة الناس إلا أنها كانت بدائية تعتمد على الأساليب الزراعية التقليدية، وكانت تعاني من فترات الجفاف الذى يقل فيه سقوط الأمطار، بالإضافة إلى قلة المياه الجوفية حيث لا توجد أنهار أو وديان دائمة الجريان للمياه وهذا راجع إلى تقلب المناخ، وعدم انتظام سقوط الأمطار، وكانت الزراعة تعتمد على الأدوات القديمة المتمثلة في المحراث، وبعضهاً من الحيوانات، بالإضافة إلى إنهاك التربة وانتشار الآفات الزراعية وعدم مقاومتها بالطرق الحديثة ناهيك عن صعوبة المواصلات والنقل وقلة الأيدي العاملة في الزراعة واهتمت السلطات العثمانية بغرس الزيتون، هذا ما تؤكده الوثيقة رقم (22) المؤرخة في19 شباط 1335ه بإصدار تعليماتها بغرس الزيتون و تتضمن عشر مواد منها الاهتمام بالشجرة في السنة الأولى، وإذا أكلها حيوان تتم العقوبة بإجباره بدفع كافة المصاريف للمشتكي إذا عاود ذلك تكون العقوبة أشد، وأن تكون هناك حراسة من أفراد القبيلة.وتعد منطقة غريان و ضواحيها من المناطق الرئيسية في الجبل الغربي التي كانت تترتكز فيها الزراعة خلال القرن التاسع عشر ومن أهمها منطقة جندوبة بالأصابعة، وبن خليفة وبن نصير وبني داوود حيث اهتم الأهالي بزراعة المحاصيل الزراعية، وحرصوا على زيادة إنتاجها، إلا أن الظروف المناخية كثيرا ما كانت تتحكم في الزراعة، التي تعتمد على سقوط الأمطار وتذبذبها، ففي بعض السنوات ازداد معدل سقوط الأمطار ففي سنة 1896 تساقطت الأمطار بدرجات كبيرة، الامر الذى ادى الى زيادة المحاصيل حيث بلغ محصول الحبوب في منطقة طرابلس والخمس وغريان حوالي عشرة آلاف طن من القمح وأربعين ألف طن من الشعير كما أشارت إليه إحدى الوثائق التاريخية.أما في السنوات التي يندر فيها سقوط الأمطار فحدث مجاعات الأمر الذى يؤدي إلى هجرة بعض الأهالي من الجبل بحثا عن قوتهم وهروبا من جور العثمانيين المتمثل في دفع الضرائب وخاصة في سنوات الجفاف والقحط الذى يندر فيه سقوط المطر، ففي السنوات 1879-1882-1893، حدثت في هذه السنوات المجاعات والقحط فأصبح الأهالي يؤرخون بها في ولاداتهم ووفياتهم بسنوات الكوارث.[2] وقد حاول الأهالي بمنطقة الجبل

[1] عبد القادر جامى، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، قدم له على مصطفى المصراتي، ج1، دار المعارف العربية، القاهرة، 1970، ص36.
[2] محمد الطوير، مرجع سابق، ص29.

الغربي، الاستنجاد بالوالي العثماني أحمد راسم[1] في طرابلس حيث تقدموا بطلب يأملون فيه تخفيف حالة الجفاف التي حلت بهم، وكانت الوثيقة المؤرخة في،10 رمضان،1326/ الموافق1910 بدار المحفوظات التاريخية موقعة من ثلاثة وخمسين من أعيان منطقة الجبل يصفون فيها الجفاف الذي حل بمدنهم، الامر الذي أدى إلى "يبس الأشجار وقلة الثمار لعدم سقوط الأمطار، كما أكدوا في طلبهم عدم قدرتهم على مقاومة الجفاف وأنهم باتوا على الهلاك بعد أن ضاعت عدة نفوس من الجوع، كما طالبوا بضرورة تزويدهم بعشرة آلاف كيلة شعير وخمسة آلاف كيلة قمح ومساعدة مالية قدرها مائتا ألف قرش حتى يستطيعوا مقاومة هذا الجفاف، ومن الأدوات المستخدمة في الزراعة المحراث التقليدي الذي يصنع من سيقان الأشجار، التي تنمو بالجبل مثل الزيتون ثم تطور إلى محراث حديدي وهذا ينطبق مع المثل الذي يقول لا محراث من دون حدادة لأنه يستخدم لحراثة الأرض وزراعة الحبوب أو حراثة أشجار الارض التي تسمح تلك الطبقات المفككة لشرب المياه عند سقوط الامطار حتى لا تيبس الأرض وتؤدي إلى عدم نمو الأشجار، فقد كانت تستعمل الحيوانات كالإبل و الحمير والبغال في جر المحاريث كانت الأيدي العاملة تلعب دورا مهما في مقومات الزراعة في الجبل الغربي، وخاصة في زراعة الحبوب كالقمح و الشعير، وعند نضوج هذا المحصول تتكاتف الجهود ففي أواخر، وأوائل الصيف دائماً يحصد المحصول فتشارك القبيلة في مساعدة بعضها بنظام الرغاطة[2]، حتى يتمكنوا من جني محصول الحبوب، ويجمع في أماكن معينه تسمى بالمندرة وهي عبارة عن أرض منبسطة يتم مسحها ويكدس عليها المحصول ثم يقوم الأهالي بدراسته عن طريق الحيوانات خاصة الإبل منها أو الحمير وذلك لفصل الحبوب عن التبن، وبعد ذلك يقوم بتصفيته وتصنيف التبن اكواما وحده ومحصول الشعير أو القمح لوحده ثم يعبأ في غرارات وهي تحمل عددا من المرطات فكانت من الأدوات المستخدمة.

[1] أحمد راسم: ولد في إسطنبول 1825 وتلقى العلوم الأولية في أثينا، كان يتقن العديد من اللغات الأوروبية، و تقلد العديد من المناصب الإدارية في الدولة وتولى إدارة العديد من الولايات خلال فترة حكمه (1807-1882) حتى تم تكليفه والي على طرابلس الغرب، واستمر فيها من 1896 حتى ثم استدعاءه ليكون أحد أعضاء الدائرة الملكية كشورى الدولة، انظر: أحمد صدقي الدجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الايطالي، مكتبة الفرجاني، ص64 و كذلك اهتم بحرصه الشديد على النهو بولاياته حتى يجعل فيها الولاية أكثر تقدماً وتحضراً فهو الذي قضى على الاضطرابات المحلية في الجبل الغربي وعمل على أنشاء البساتين التي غرس فيها العنب والزيتون. انظر الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص273.

[2] الرغاطة: هي عمل جماعي منظم يشارك فيها أفراد والعائلة والقبيلة في إتجار شيء معين.

دعم السلطات العثمانية للأهالي في غرس الأشجار المثمرة:

الزيتون:اهتم الولاة العثمانيون بعملية غرس أشجار الزيتون في ولاية طرابلس الغرب فأصدرت، السلطات العثمانية عدة مناشير وشددت على المتهاونين بعزلهم في حالة عدم تطبيق هذه الأوامر الصادرة بالخصوص[1] تعد هذه الشجرة ذات اهمية بالغة بالنسبة للسكان في كافة العصور وهي مساويه للنخلة من حيث الأهمية، حيث ذكر بن خلدون في تاريخ البربر، كانت غريان التي تظهر بمظهر المدينة الرئيسية الشعير فيها وفير والتمور ممتازة و أشجار الزيتون كثيرة، وكان الزيت والزعفران هو الأخص في العالم ويصدر إلى مصر [2]، وقد اشتهرت المناطق الساحلية والجبلية بزرعتها وخاصة في منطقة غريان وجادو وجبل نفوسة والرحيبات وكاباو التي تتميز بجودة زيتونها[3] و تعد سجلات المحاكم الشرعية حيث شملت كافة عقود المغارسة كل غرس هذا النوع من الأشجار المثمرة.

عرف الليبيون زراعة أشجار الزيتون قبل مجيء العثمانيين بمئات السنين إلا أن الاهتمام بها من جديد لم يبدأ إلا خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر وذلك يرجع إلى اهتمام الولاة العثمانيين بالزراعة الذين شجعوا الأهالي عليها، حيث وجهت الولاية رسالة بتاريخ 17 تموز 1326إلى قائم مقام غريان ليجهز في نهاية تشرين الثاني نوفمبر 2000 شتلة زيتون وتين و عنب ويأمره فيها بالعناية بغابات أشجار الزيتون، وتعيين حراس من المشاة و الفرسان ومراقبتهم مراقبة شديدة، وفي نطاق الاهتمام بغرس شجرة الزيتون كانت السلطات العثمانية تصدر مناشير خاصة بزراعته، توضح فيها كيفية غرس هذه الشجرة.[4] وفي اطار ذلك صدر مرسوم كلف فيه الوالي محمد نظيف باشا أهالي قضاء غريان بغرس 19000 شجرة زيتون في أواخر القرن التاسع عشر، موزعة على 61 قبيلة من قبائل قضاء غريان وملحقاته ووزعت حسب عدد السكان في كل قبيلة، وشجع الوالي على غرس الأشجار كما قامت بإعفاء الأهالي من ضريبة الميري لمزارعي أشجار الزيتون[5] فقد اهتم أهالي الجبل الغربي بغرس أشجار الزيتون لما لها من فائدة وقيمة اقتصادية حيث يعد

---

(1) مخلوف سلامة، مرجع سابق، ص84.

(2)عبدالرؤوف إبراهيم المناع، مرجع سابق، ص156 وبعدها.

(3) جون فرنسيس ليون،من طرابلس إلى فزان، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس،1976. نقلاً عن فتحية المريمي مرجع سابق ص27.

(4) العربي البهلول الزروق، مرجع سابق، ص121.

(5) محمد امحمد الطوير، مرجع سابق، ص95 .

زيت الزيتون من أجود أنواع الزيوت في ليبيا لأنه بعلي ولا يحتاج كثيراً من المياه. ([1]) كما كان يُصدر إلى الخارج فقد أشار أحد الرحالة العرب الذين زاروا المنطقة عند مروره بمنطقة الجبل إلى وفرة الزيتون بمناطق الجبل كغريان، حيث يصدر هذا الزيت بكميات كبيرة من الجبل الى الاسكندرية ومدن أخرى، وفي نطاق الاهتمام بغرس أشجار الزيتون كانت السلطات المحلية تصدر منشورات خاصة بزراعة أشجار الزيتون تتضمن تعليمات في ذلك الخصوص.([2]) وتغرس شتلة الزيتون في فصل الخريف في شهري أكتوبر و نوفمبر، وهي شهور يكون فيها المناخ معتدلا ودائما ما تتساقط فيه الأمطار، لأن غرسه يكون بعليا يعتمد على سقوط الأمطار ولا يقوم الأهالي بالري إلا في فترات الجفاف القاحط وهذا نادر ما يحدث إلا في سنوات معينة، لأن هذه الشجرة تتحمل العطش وعادة ما يطلق على هذا النوع الزيتون الفرعوني، دلالة على طول عمرها وفي الوقت نفسه تعطي انتاجا وفيرا من الزيت وشجرة الزيتون عدة انواع هي (كراسلي، الفيرازي، الغنيمي، الملاحي، الصفاقسي) جميعها لها شهرة بجودة زيتها. ومن أهم المناطق الجبلية التي انتشرت فيها هذه الشجرة: غريان، فساطو، نالوت، الرجبان، كاباوا كما حاول حافظ محمد نشر هذه الشجرة في المناطق الصحراوية ذات الامطار المناسبة، فأرسل في أواخر القرن التاسع عشر ألف شتله من زيتون غريان إلى فزان مع أشجار أخرى من العنب والتين([3]) وفي نطاق اهتمام الولاة العثمانيين بهذا النوع من الأشجار قاموا بإصدار منشورات خاصة بزراعة الزيتون، تتضمن تعليمات بالاهتمام و الحرص عليها. ([4])

1- **النخيل:** اهتم الولاة العثمانيون بغرس أغصان النخيل وتعد أهمية النخيل من حيث قيمتها الاقتصادية فهي الغذاء والدواء والمسكن، فقد ارتبطت ببيئة الإنسان الليبي منذ القدم، فأصبحت جزءاً من حياته وتاريخه وموروثة الثقافي إلا أنها في أواخر القرن العشرين تعرضت للزحف العمراني الذى شهدته البلاد فيما بعد. ([5]) آثار العديد من الرحالة الذين زاروا تلك المناطق إلى أهمية النخلة فانتشر في واحات الجبل الغربي وفي

[1] مخلوف محمد سلامة، مرجع سابق، ص84.

[2] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجى ومحمد الاخضر، ط2 دار العرب الاسلامي، بيروت، 1983، ص106

[3] فرانسيشكو كورو، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، 1970، ص113.

[4] فتحية المريمي، مرجع سابق، ص41.

[5] المختار عفيف، النخلة وأهميتها الاقتصادية والاجتماعية، مجلة الثرات، العدد 66، 2014.ص56.

كل من الرابطة، وتاكنيت شمال الأصابعة بعد منطقة الرابطة، وقصر الحاج، وشكشوك وغيرها وقد لعبت دوراً مهماً في حياة الشعب الليبي لعلاقتها الوطيدة بغذائه اليومي، فمنها غذاؤهم وغذاء حيواناتهم، وصنعوا من جذوعها وجريدها سقفا لبيوتهم ومن سعفها صنعوا القبعات والقفاف و المكانس.([1]) وتنتشر أشجار النخيل في الواحات و الوديان الصحراوية بكثرة لوفرة المياه الجوفية، وتنمو في الجبل الغربي أشجار النخيل في الواحات الموجودة في تلك المنطقة وقد وضعت قوانين شديده بفرض رسوم غرامة مقدارها مائه وخمسون قرشاً على من يقوم بقطع أشجار النخيل وإستخراج منها اللاقبي لأنه يؤثر في تلك الزارعة من هذا النوع، الأمر الذى دعا السلطات العثمانية إلى الاهتمام بها بإصدار جملة من القوانين التي تعاقب على الإساءة بها؛ لأن تعد أحد الموارد الاقتصادية كونها غذاء ودواء ومجالا فسيحا للصناعات التقليدية.([2])هذا وقد شجع العثمانيون على غرس فسائله، حرصا منهم على توفير أكبر قدر ممكن من الغذاء للسكان، ونتيجة لانتشار زراعة النخيل على نطاق واسع في مناطق الولاية وجنوبها فإن السلطات المحلية سعت إلى تشجيع سكان بعض المناطق على غرس فسائل النخيل.

2- **التبغ**:لم يعرف الجبل زراعة هذا النوع إلا في 1884، عندما وقعت الدولة العثمانية اتفاقيه مع إحدى الشركات الفرنسية المتخصصة في زارعة التبغ، حيث خصص للشركة المذكورة، مساحات من الارضي في الولاية لزراعتها، كما خصصت قطعة أرض زراعة في منطقة الجبل الغربي بالتحديد في غريان لزراعة التبغ قدرت بحوالي250 دونم وفي هذا الصدد حددت الشركة شروطا قاسية لمن يرغبون في مزواله هذا النشاط في أراضيهم ومن أشهر أنواع التبغ الذي كان يزرع في غريان هو نوع الفزاني وعادة تتم زراعته في يناير ويجني محصوله في يوليو من كل عام.

3- **غرس أشجار العنب واللوز والتين والغابات:**كانت هذه الأشجار خاصة العنب والتين والرمان منتشرة في الجبل في كل من يفرن وغريان ونالوت وجادو، حيث كانت هذه الأشجار المورد الاقتصادي المهم لدى سكان الجبل الغربي،الذين كانوا يجنون ثمار الكروم والعنب و يقومون بتخزينها وبيع ما يزيد عن حاجاتهم اليومية. ([3])وقد شجعت

[1] المختار العفيف، مرجع سابق، ص61.

[2]

[3] محمد الطوير، مرجع سابق، ص41.

السلطات العثمانية على هذا النشاط بإعفاء اشجار الكروم والعنب من الضرائب ونظرا لأهمية هذه الأشجار كغذاء للسكان، فإن الجبل الغربي شهد عملية غرس عشرات الآلاف من هذه الأشجار جيدة النوعية، مما مكن العديد من الأسر من امتلاك مئات من أشجار الكروم والتين والخوخ واللوز، وخاصة الأسر ميسورة الحال، ذات النفوذ السياسي والاجتماعي حتى بلغت صادرات المحاصيل الزراعية التي تحصلت عليها أسرة الشيخ غومه المحمودي في السنة الواحدة 1000 قرش مقابل ثمار الكروم والتين في غريان[1]، وستين جرة من زيت الزيتون بغريان.إلا أنه من الملاحظ أن جميع إنتاج الكروم كان يستهلك محليا ولا يصدر إلى الخارج بالرغم من و فرته في مناطق الجبل الغربي التي مازالت آثاره موجودة إلى الوقت الحالي، لأنه يدخل في صناعة الخمور المحلية بالدرجة الأولى، حيث كانت السلطات العثمانية لا تمانع في ذلك.

4- **نبات الحلفاء:**كان النشاط الزراعي يتركز على نمطين أساسين هما نمط الزراعة المروية والزراعة البعلية التي تعتمد على الأمطار وهو النمط الذي يمارسه سكان الجبل وتعد الحلفاء من النباتات المعمرة من الفصيلة النخيلية لذا عند قطعه ينمو من جديد في المكان نفسه ، دون زراعته أو القيام بأي مجهود من قبل الإنسان للاهتمام به، فهو ينتشر طبيعيا على سفوح الجبال، وعرف هذا النبات في ليبيا منذ أقدم العصور و أطلق عليه اسم حسمارتوم– تايفوم ويستخدم لصنع الحبال والسلاسل و الحصر والأحذية[2]،ومن أهم مميزات هذا النبات أنه يقاوم الحرارة المرتفعة فهو سهل ومرن وينبت متأخرا ولا يعطي محصولا قبل أن يبلغ عمره (12) سنة.وتعد مناطق مسلاته، وترهونة والجبل الغربي ومناطق سهل الجفارة الممتد من الساحل وحتى المرتفعات الجبلية جنوب طرابلس حيث نشط الليبيون بجمعه وبيعه منذ 1862 عند بدء اهتمام الشركات الأجنبية وخاصة الإنجليزية بشرائه، وأخذ الليبيون يجمعونه و ينقلونه على ظهور الجمال نحو موانئ التصدير، وفي هذا الصدد وجه الوالي أحمد و إلي باشا قائم مقام غريان رسالة مفادها تحصيل الضرائب من سكان غريان منوهاً في هذه المراسلة بقدرة أهالي غريان على الدفع لأن لهم

---

[1] محمود ناجي، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة عبدالسلام أدهم ومحمد الاسطي، الجامعة الليبية، بنغازي، 1970، ص35.

[2] فتحية المريمي، مرجع سابق، ص27، وكذلك عبدالله إبراهيم، نبات الحلفة وقيمتها الاقتصادية في ليبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، المجتمع الليبي من 1835- 1950 أعمال الندوة العلمية الثانية التي عقدت بمركز جهاد الليبيين في الفترة 26-27 شهر9_2000م، ص713.

ثروة من الزيتون والحلفاء تزيد نسبتها عن الاقفية الأخرى وهذا ما يؤكد على أهمية هذا المورد الاقتصادي.

5- **زراعة البن:**حاول أحد الولاة العثمانيون[1]إدخال نوع جديد من المزروعات إلى ولاية طرابلس الغرب، فوقع الاختيار على زراعة القهوة في 1894، حيث وصل خبراء مختصون في زراعتها من اليمن لإمكانية تحقيق هذه التجربة وإنجاحها في الجبل الغربي واتضح أن الموقع غير ملائم لغرس هذا النوع في الجبل الغربي ويمكن زراعته في منطقة الجبل الأخضر، فقدر لهذا المشروع الإهمال وعدم الجدية في تنفيذه خاصة بعد إشارة التقرير لذلك. [2]

الصعوبات التي واجهت النشاط الزراعي:لقد تعددت المشاكل التي واجهت النشاط الزراعي في الجبل الغربي قيد الدراسة، تمثلت في مشاكل جغرافية متمثلة في معدلات سقوط الأمطار من حين لآخر، وخاصة في السنوات 1871-1882-1893 التي تعد سنوات جفاف، ونظرا لعدم وجود مياه أو أنهار إلا في بعض الواحات وهي محدودة في مناطق الجبل، ولا تكفي لسد حاجات السكان، وكذلك نظرا لكبر مساحة الجبل وقلة الأراضي الزراعية إلا في مناطق محدودة، بالإضافة إلى كثرة الضرائب العثمانية على المنتوجات الزراعية، وهذا ما تؤكده برقية وكيل متصرف الجبل الى الولاية بتاريخ 30 مارس1911 مفادها حالة الأهالي السيئة من الجوع والقحط الذى أصاب البلاد، بالإضافة الى المنازعات القبلية التي تحدث على الأراضي القبلية وغيرها وهذا ناتج عن عدم تسجيل الأهالي لأراضيهم إلا مؤخراً عندما اصدرت السلطات العثمانية قانون الطابو. ونظرا لكل ذلك شجع العثمانيون الزراعة البعلية التي كانت تعتمد على وسائل تقليدية في تصريف المياه كالدلو والبقرة والجمل و الحمار وسحبها من الآبار بواسطة الدلو، بل أن البعض لا يمتلك مثل هذه الحيوانات بالإضافة الى سوء الأحوال الاجتماعية، حيث كانت الأميه منتشرة بين الناس والأمراض تفتك بأرواح المئات كل شهر بسبب اهمال الولاية. ومن الجدير بالذكر ان السلطات العثمانية اعتمدت في تمويلها المشاريع الزراعية على الأهالي بإجبارهم على دفع مبالغ معينه من المال أو نقل مواد من مكان لآخر دون مقابل او شراء.

أ- **الضرائب:** لم تكن الضرائب أقل أهمية من المشاكل التي تؤثر في الزراعة في الجبل الغربي، فقد اثقلت كاهل الفلاح، فضلا عن عمليات

---

[1] تيسير بن موسى، مرجع سابق، ص127.

[2] في عهد الوالي أحمد راسم باشا تم إجراء اختبار لزراعة القهوة، محمد الطوير، مرجع سابق، ص50.

السلب والنهب، حيث تعد غريان من أهم المراكز ذات الثروة في ولاية طرابلس الغرب، من حيث الانتاج الزراعي والرعوي، فإن الضرائب وطرق جبايتها أدت مع غيرها من الأسباب إلى الثورات الدائمة في منطقة الجبل وذلك لدفاع السكان عن مقدراتهم وقوتهم اليومي.[1]

في إطار الإسراع بتحصيل الضرائب من قضاء غريان حث الوالي أحمد راسم قائم مقام غريان في رسالة مؤرخة في 14 اغسطس 1892، طالبا فيها بقدره الأهالي على دفع الذين لهم ثروة من الزيتون والحلفاء التي تزيد نسبتها عن الأقضية الأخرى، وتؤكد هذه المراسلة على ثروة الجبل الاقتصادية ومقدر الأهالي على دفع الضرائب المقررة حيث كانت تشكل أهم مورد للدولة العثمانية وكانت تسمى بطريق الويركو أي الضرائب الزراعية التي كانت تجبى من المحاصيل الزراعية، فقدرت في 1897 ما مقداره عن كل15 شجرة زيتون بحوالي 30 قرش تركي وبالعملة الانجليزية 4 شلنات وكذلك الحال في أشجار النخيل.

ب- **قلة مصادر المياه:**تفتقر منطقة الجبل إلى الوديان دائمة الجريان واعتمادها على سقوط الامطار، ومن الطبيعي ان تتأثر المناطق الزراعية بتذبذب سقوط الأمطار من حين إلى آخر والذي ينجم عنه انخفاض الانتاج الزراعي، الأمر الذي يؤدي إلي حدوث مجاعات وهجرات فلاحية من المناطق الزراعية والريفية إلى المناطق المجاورة كما حدث في السنوات 1858-1871 لدا فإن مشكلة المياه تكون حجر عثرة امام النشاط الزراعي و هذا ما تؤكده الوثيقة العثمانية الصادرة بالخصوص في وصف الجفاف الذي ساد المنطقة نتيجة قلة سقوط الامطار فأثر في الزراعة وحرث الأرض.

ج- صعوبة المواصلات:وتعد مهمة في نقل المنتوج من مكان إلى آخر وذلك لصعوبة الطرق الجبلية الأمر الذي يؤدي إلى استغراق فترة طويلة من الزمن لبيعه في الاسواق.

الخاتمة خلاصة القول أن الولاة العثمانيين في العهد العثماني الثاني قد بذلوا جهود أفضل عما كانت عليه الزراعة في العهدين السابقين حيث استفاد قطاع الزراعة من الاصلاحات العثمانية مثل قانون الطابو، وقانون الولايات الجديد الصادر1864، بتحويل الإيالة إلى ولاية، حيث شهدت طرابلس والمناطق المجاورة نهضة زراعية ملحوظة خاصة في زراعة الحبوب وأشجار الزيتون والنخيل مع إدخال زراعة جديدة في الجبل كزراعة البن، والقيام بحفر آبار

[1] د-م-ت-ط، وثيقة رقم77، ملف الزراعة.

ارتوازية، كما استفادت ايطاليا بعد نهاية الحكم العثماني من تحسين كل وسائل الإنتاج الزراعي في ليبيا.

لمصادر والمراجع

أولاً: المصادر:-

1- القرآن الكريم

ثانياً: الوثائق المحفوظة بدار المحفوظات التاريخية :-

1- د_ م_ ت _ط، وثيقة رقم 20، بشأن حفر بئر بمنطقة قطيس.
2- د_ م_ ت_ ط، وثيقة غير مصنفة، ملف الزراعة والصناعة.
3- د_ م_ ت_ ط، وثيقة غير مصنفة، ملف المتفرقات.
4- صحيفة طرابلس الغرب، العدد العاشر العام، 1301 ه، 1883.
5- نوفل نعمة الله، الدستور العثماني، قانون الأراضي.

ثالثاً: المصادر العربية والمعربة:-

1. حسن الوزان، وصف إفريقيا، تحقيق محمد حجى ومحمد الاخضر، ط2 دار العرب الاسلامي، بيروت، 1983.
2. عبد القادر جامى، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، قدم له على مصطفى المصراتي، ج1، دار المعارف العربية، القاهرة، 1970.
3. عبد القادر جامى، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى، ترجمة محمد الأسطى، قدم له على مصطفى المصراتي، ج1، دار المعارف العربية، القاهرة، 1970.
4. فرانسيشكو كورو، ليبيا أثناء الحكم العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، دار الفرجاني، طرابلس، 1970
5. محمد ناجي، محمد نوري، طرابلس الغرب، ترجمة كمال الدين محمد، مكتبة الفكر، 1993.

رابعاً: المراجع والدوريات:-

1. تيسير بن موسى، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني، الدار العربية للكتاب طرابلس، تونس،1988.
2. حسن محمد الجديدي، الزراعة المروية وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، الدار الجماهيرية للنشر، 1987.
3. الزاوي الطاهر الزاوي، ولاة طرابلس الغرب من الفتح الاسلامي الى نهاية العهد العثماني، دار الفتح، بيروت، 1970.
4. صحيفة طرابلس الغرب، العدد العاشر العام، 1301 ه، 1883.
5. عبدالرؤوف المناع، اكتشف ليبيا، طرابلس، 2013.
6. العربية الميسرة ، المجلد الأول، أ- ب، دار الجيل، الجمعية العربية، 2006.
7. فتحية علي المريمي، نبات الحلفا كمورد اقتصادي لولاية طرابلس الغرب، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس 2006.
8. المجتمع الليبي من 1835- 1950 أعمال الندوة العلمية الثانية التي عقدت بمركز جهاد الليبيين في الفترة 26-27 شهر9_2000.
9. مجلة التراث العدد 66-2014.
10. مجلة الشهيد، العدد السابع والثامن، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1987.

11. محمد الطوير، تاريخ الزراعة في ليبيا أثناء الحكم العثماني، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة، 1991.

12. مصطفي هويدي، العجيلات باب طرابلس الغربي، طرابلس2007.

خامساً- الرسائل العلمية :-

1. أسماء بو دبوس، سجلات محكمة غريان الشرعية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، 2006.

2. سالم عبدالله الزناتي، الاطماع الاستعمارية الايطالية في ولاية طرابلس الغرب وبرقة العثمانيتين (1881-1911)، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العربية العليا، القاهرة، 1997م.

3. فاتح رجب قداره، الزاوية خلال العهد العثماني الثاني 1835–1911، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزاوية، 2002.

4. مختار محمد الأمير، ملكية الأراضي واستغلالها في ولاية طرابلس الغرب، رسالة ماجستير، كلية الآدب جامعة السابع من أبريل (الزاوية حالياً)، 2000.

5. مخلوف محمد سلامة، الإصلاحات العثمانية وأثرها في ولاية طرابلس الغرب، (1839-1911) قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الزاوية،1997.

6. مفتاح الهمالي، تطور نظام الوقف في ولاية طرابلس الغرب إبان العهد العثماني الثاني، 1835-1911، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الفاتح، 2003.

7. نوري أبو فائد، الموارد المائية بمدينة غريان، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم الجغرافية، كلية... جامعة الزاوية 2002.

8. الهادي عبدالله الفقهي، قضاء ترهونة في العهد العثماني الثاني، 1835- 1911، دراسة تاريخية للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، رسالة ماجستير، كلية الآدب جامعة السابع من أبريل (الزاوية حالياً)، 2008.

9. ياسين شهاب الموصلي، الأوضاع الاقتصادية في ولاية طرابلس الغرب ومتصرفية بنغازي 1985–1911رسالة ماجستير قسم التاريخ، كلية الآدب، جامعة المرقب2006.

ثأثير العولمة في النظام التعليمي في ليبيا

د/ فريحة عوض إبراهيم - قسم العلوم السياسية – جامعة بنغازى

مقدمة:انتشر استخدام مصطلح العولمة على نطاق واسع من بداية التسعينيات من القرن العشرين ، فقد ارتبط بالمتغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية. فهناك علاقة وثيقة بين العولمة والسياسيات التعليمية وخاصة في الدول النامية ومنها الدول العربية. باعتبار ان قوة المجتمع تستمد اساسا من النظم التعليمية، حيث ان مخرجات العملية التعليمية تعكس تقدم مستوى الادارة والتنظيم في المجتمع ، ويعتمد ذلك على حسن استثمار العناصر البشرية التي يتم تاهيلها بالمواد التعليمية. وباعتبار ان العولمة ولدت لتبقي ولا يمكن لأي دولة أن تعيش بمعزل عنها. فالدول المتقدمة من خلال العولمة سعت إلى تحقيق الغزو الثقافي والفكري وفرض ثقافات الدول الكبرى على ثقافات الدول النامية ومنها الدول العربية، بقصد إلغاء خصوصيتها الثقافية وجعلها في إطار مفهوم التبعية، وهذا جعل هذه الدول تواجه اليوم الكثير من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيداً عن أداء دورها في العطاء القيمي والثقافي والتعليمي، وتحول دون تحقيق رسالتها ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية و العربية. وبالرغم من ايجابيات العولمة فإن آثارها السلبية في سير العملية التعليمية في ليبيا ظهرت واضحة بعد دمج مفاهيم عالمية جديدة في العملية التعلمية تتعلق بالقضايا العالمية وذلك من خلال استخدام التربية الشمولية في اطار عالمية بعيد عن الخصوصية الثقافية والتربوية، فالعولمة لها انعكاسات مركبة علمية وتقنية وكذلك انعكاسات ثقافية،والخطورة هنا كامنة بالأساس في التغيير الاجتماعي المصاحب للعولمة الذي يشمل القيم والعلاقات الاجتماعية، ويعيد الإعلام وسيلة مباشرة لنشر هذه القيم العالمية التي تؤثر على العملية التعليمية.السياسة التعليمية الجديدة ليست بمعزل عن الإعلام الذي يعتبر كتابا مفتوحا لتلقي أفكار وقيم بعيدة عن قيم المجتمع المحلي وأفكاره، تحاول هذه الورقة أن تضع مجموعة من التساؤلات تحاول الإجابة عنها:

- ما أثر الثورة التكنولوجية في العملية التعليمة في ليبيا؟
- وما هي سبيل مواجهة تحديات العولمة؟
- كيف تستطيع السياسة التعليمية في ليبيا تقويم الضعف الداخلي في مواجهة تحديات العولمة ؟

التعليم والعولمة:تعتبر العولمة إحدى المشاكل التي واجهت التعليم في ليبيا ، و ذلك من خلال ادخال بعض المفاهيم العالمية في المراحل التعليمية الجامعية و دمج مثل هذه القضايا وغيرها في المناهج التعليمية، ونذكر على سبيل المثال منظمة اليونيسكو واليونيسيف التي عملت على دمج بعض القضايا العالمية في مناهج التعليم وترسيخ الدعاية للنظام العالمي مثل مشاكل تلوث البئية، الحرية الدينية،وحقوق الإنسان والديمقراطية والمجتمع المدني، وما إلي ذلك من مفاهيم تتمثل في إتجاهين الأول في برنامج الشرق الأوسط في مجال التربية الشمولية والآخر في برنامج التنمية التربوية في حوض البحر المتوسط تحت اسم التعليم العالمي"Global education".وهذا التدخل أدى إلى تخبط في العملية التعليمة بين واقع تحكمه العلاقات الاجتماعية والقيم العائلية وبين نظريات و توجهات غريبة تطرح علي شكل مفاهيم تعكس تطور المجتمع و تقدمه.ويمكن أن نحصر مجموعة من السلبيات التي واجهت المجتمع الليبي باعتباره مجتمعا بسيطا وغير مركب تعتبر فيه الأسرة والقبيلة أهم تركيبة اجتماعية في المجتمع، ويمكن حصر آثار العولمة وأخطارها في التعليم في الآتي:-

1- **استهداف الخصوصية الثقافية للمجتمع الليبي:**وهنا تجدر الإشارة إلى توضيح نقطة مهمة وهي أن هناك مفاهيم عالمية مثل التبشير والاستشراق و الاستغراب وغيرها من المفاهيم المغلوطة التي كانت تعبر عن الاستلاب الثقافي والحضارى للخصوصية الليبية من خلال الجمعيات الاهلية الموجة و المعتمدة على المعونات والمنح الخارجية التي في كثير من الأحيان ما يكون الغرض منها هي محاربة الثقافة العربية والإسلامية.وقد كانت هذه المفاهيم البراقة خدعة للمجتمع الليبي، بالاضافة إلى ذمج هذه المفاهيم في مناهج تعليمية بغرض شمولية التعليم وإدخال بعض المفاهيم العالمية على البيئة المحلية للدولة.وهنا قد أتفق جزئيا مع **د.محمد الجابرى** بأن العولمة سلاح ذو حدين فهناك اختراق ثقافي موجود من الغرب الذى يستخدم الإعلام والوسائل التقنية الحديثة في توصيل رسالته من أجل أن تكرس ثقافتها وخاصة أمريكيا، ولكن في عصر العولمة هذه الوسائل نفسها إذا استطعنا توظيفها فيما يتماشى مع ثقافتنا من أجل تنميتها وأسماع صوتتا للخارج. كذلك بالإمكان أن نستعمل كل شيء بما يسهل علينا عملية التقدم بطبيعة الحال، أما إذا بقينا وحرصنا على أن نبقى على وسائلنا التي أصبحت الآن متخلفة، ففي هذه الحالة سيكون وضعنا غير مواكب للتطور، وغير مواكب للعالم.([1]) ومع ذلك فإن اختلاف

[1] محمد عابد الجابرى ، مستقبل الثقافة العربية والاسلامية في ظل العولمة الثقافية ، مجلة الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والابحاث ، العدد 18 السنة الخامسة 1998.

المجتمعات وعادتها وتقاليدة يجعل من الحذر ان نختار من العالمية ما يتمشى مع القيم الوطنية وهذا لا يعني أن نكون في عزلة عن المجتمع الدولي. وفي اتجاه آخر يشير **د.علي الدين هلال** في كتابه ثقافة الشباب العربي والهوية في عصر العولمة، أن ثقافة أي مجتمع تعتبر بمثابة الكائن الحي فهي تتغير و تتجدد دائما بتأثير التغيرات الاقتصادية والاجتماعية، وبتأثير التقدم العلمي و التكنولوجي. غير أن هناك دائمًا عملية مزج ثقافي بين الموروث من ناحية ، وما يستجد على ثقافة المجتمع بتأثير هذه التغيرات، ومن أنموذجات ذلك استخدام الإنترنت من قبل الشباب العربي أو إطلاعهم على ثقافات شعوب أخرى من خلال القراءة أو السفر أو الاحتكاك المباشر، أو حتى التعرض للمنتج الثقافي لهذه الشعوب من فنون وآداب واستخدام للتكنولوجيا الحديثة بما تحدثه من تغيير في نمط الحياة اليومية. ويؤكد على أن هذه العملية بتفاعلاتها المختلفة هي بمثابة عملية تحديث ثقافي، لأنها تنتج في النهاية شيئا مختلفا عن الموروث القديم من ناحية كما أنها لا تتطابق في تفصيلاتها مع كل ما هو وافد وهو ما يعني أن كل منتج ثقافي لا يظهر أو يتطور فجأة أو أنه منبت الصلة بما سبقه.**([1])** وهنا ايضا يجب التاكيد على انه من ضمن اشكال تأثيرات العولمة على النظام التعليمي واستهداف الهوية الثقافية من خلال إنتشار المدارس الانجليزية والأمريكية بهدف غرس القيم الدينية والثقافية الغربية لدى الطلاب من خلال الحملات التبشرية والإستشراق والإستغراب، فهناك وجهة نظر تتبني اصلاح العملية التعليمة من خلال معرفة ثقافة الآخرين ، و هذا لا غبار على هذا، ولكن يتم من خلال سياسات تعليمة محلية تراعي فيها قيم المجتمع وليس من خلال إنشاء مدارس أجنبية يتم فيها الإستفراد بالطلاب والتركيز على مناهج عالمية قد تضر بالهوية الثقافية للمجتمع. وأيضا قد تؤدي إلى أنشاء جيل ينتمي بثقافته إلي الغرب كما يحدث الآن في مفاهيم الإنبهار بثقافة الغرب والمجتمع المدني وحقوق المرأة و الحريات الدنينة والشخصية، بما قد يتعارض مع قيم المجتمع وعاداته و تقاليده.وإنتشار ما يسمى بالتربية الشمولية من خلال استغلال الطلاب و إبتزازهم التربوي عن طريق المنح و المعونات الخارجية للدراسة بالخارج من قبل الجمعيات الأهلية ودور الإعلام في نشر ثقافة الغرب كطرح بعض القضايا التي لا تتماشي مع الدين الإسلامي ولا الثقافة المحلية للمجتمع الليبي مثل قضايا المثلية. وهذا يتطلب الإهتمام بالعملية التعليمية من خلال إطار

([1]) علي الدين اهلال ، ثقافة الشباب العربي وهويته في عصر العولمة ، صحيفة المدينة تصد عن مؤسسة المدينة للصاحفة والنشر العدد 19606، 2016 .

محلي وطني يراعى فيه التطور في أساليب التعليم دون الإتجاه نحو ثقافة العولمة التعليمية والتركيز على دور المعلم و تأهيله وإعداده بشكل يمكنه من غرس القيم وتنمية المواهب والإبداع عند الطلاب في مواجهة العولمة، وذلك بتحصين الطلاب والتركيز على اللغة العربية بإعتبارها وعاء للثقافة والهوية الثقافية للمجتمع وتفعيل النشاط المدرسي وإشراك المجتمع في العملية التربوية ومكافحة الإتجار بالتعليم و إنهاء الدروس الخصوصية،والأخذ بمفهوم التربية المستدامة واتباع معايير الجودة في التعليم وإعداد المعلم القدوة الفعال في المجتمع والأخذ بالأساليب الحديثة في التعليم والتقويم .([1])

2- **أستخدام الاعلام كوسيلة في توجيه المجتمع:**الإعلام أيضا يعتبر سلاح ذو حدين فمن ناحية يعتبر الإعلام بانه وسيلة للتعبير والتوجية وسيلة حديثة لنقل المعلومات النصح والإرشاد والتوجية، ولكن من ناحية أخرى يتم من خلاله بث القيم والثقافات المتنوعة، وخاصة في عصر الفضائيات التي غالبا ما تكون مخالفة للخصوصية الثقافية لأي مجتمع و خاصة المجتمعات المحافظة.هذا يجعله يمثل محور خطير على العملية التربوية، ولهذا تسخر المجتمعات الغربية الإعلام في ترسيخ المبادى والقيم العالمية، بدافع استهداف الفكر الإنساني وعولمة ثقافته من خلال أبعاده عن الأخلاق والتربية بإشاعة الجريمة والتمرد من خلال بث قيم اخرى مناقضة لقيم المجتمع عن طريق المسلسلات والأفلام المسئية للنظام التعليمي والحياة الثقافية والعلاقات الاجتماعية ونمط الحياة الاقتصادية في العالم العربي و العالم الإسلامي.فماذا تستطيع أن تقدم المدرسة أمام وسائل الإعلام وخاصة من خلال ما يطرحة الإعلام من مفاهيم حول الحرية الشخصية والعلاقة بين الجنسين مثل المواضيع التي نشاهدها اليوم تبث عبر وسائل الإعلام عن مفهوم المثليه بالاضافة إلى وما يعرضة من صور تركز على الرغبات و الشهوات التي تؤدي إلى الإباحية والتحلل الخلقي وإشاعة الجنس والعنف و الجريمة.([2]) فالإعلام من أشد وسائل التربية خطر لسهولة تقبله، ولهذا نراه ينشئ جيلا فارغ من العقيدة والثقافة، ومزعزع الثقة بنفسه ومنحل أخلاقيا، مما يجعله فريسة سهلة للتنظيمات الإرهابية والإجرامية .

3- **ضعف الموسسات التعليمية في ليبيا** يعتبر ضعف المؤسسة التعليمة في ليبيا أيضا من ضمن أسباب هيمنة العولمة على المجتمع، فقدرة النظام التعليمي على مواجهة العولمة تكمن في السياسيات التعليمية التي تعتبر بمثابة الحصانة لتلقائية من أي مؤثرات خارجية، والعكس هنا في حالة

([1]) فلاح القريشي، اثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي، جريدة الصباح الكويتية ، 20 يوليو 2007 .
([2]) محمود محمد ابراهيم واخرون ، الاسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة ،1999، ص 147 .

وجود ضعف في المناهج التعليمية أو في العملية التعليمية فإن هذا يؤدى إلى أستعداد المجتمع إلى أستقبال أي توجهات خارجية يمكن أن تكون التكنولوجية والنفوذ الالكتروني واحداً منها.فالتحديات التربوية والتعليمية اليوم تكمن في قدرة المجتمع على مواجهة التحديات من خلال المناهج التعليمية القوية والحفاظ علي الهوية الثقافية للمجتمع، فالتعليم هو المدخل الفعلي لمواجهة أي تداعيات سلبية للعولمة ويكمن ذلك من خلال رؤية واضحة لبناء الإنسان القادر على فهم سلبيات العولمة ومواجهتها.

يعاني النظام التعليمي في ليبيا من ضعف من حيث المنهج ووسائل التدريب والتعليم، فالمجتمع يتعلم وفقا لطاقة التعليم المتاحة وليس للإحتياجات المجتمع الفعلية. بالإضافة إلى النظام التعليمي التقليدي القديم الذي يعتمد علي التلقين المباشر، والذي يضع حاجزا بين التعليم النظري و المهارات العملية، وذلك يرجع إلى عدم تكافؤ فرص التعليم بسبب إنتشار ثقافة الدروس الخصوصية في ليبيا مؤخرا، وعدم فاعلية البحث العلمي و إنفصاله عن المشكلات العملية، وكذلك تدني مستوى الخريجين، بالإضافة إلى وجود الكادر التعليمي الضخم، وفقدان المجتمع ثقتة بمؤسساته التعليمية، وتخلف المناهج وطرق التدريس، وضعف الإدارة التعليمية نتيجة لقلة الامكانات والخبره التعليمية المناسبة.وبما إن التعليم في العصر الحديث يعد ليس مجرد تنشئة للفرد المسلح بالعلم والقادر على الإنتاج فقط ، وإنما هو قضية تتعلق بالأمن القومي والسلام الوطني للمجتمع.([1]) فالمجتمع الذي تتفشي فيه الأمية ويسوده الجهل يسهل إختراقة والسيطرة عليه، وهنا فالعولمة تجد بيئة مناسبة لها في المجتمعات التي تنتشر فيها الأمية، والجهل، كذلك البيئة الضعيفة القابلة إلى إستقبال ثقافة الآخر بسرعة دون تمييز ما ينفع منها،وما يتمشى مع ثقافتها، وهي نفسها المجتمعات التي تنتشر فيها الجريمة ويسهل السيطرة عليها من أي جماعات دينية متطرفة، وهي ذاتها المجتمعات التي تعاني من العزوف الفكري والثقافي والعقائدى عن طريق شبكة المعلومات الدولية، ووسائل الاتصال الحديثة فائقة السرعة و قوية التاثير والإنتشار، التي تحمل أفكاراً كثيرة لا تتناسب مع عقائدنا ومبادئنا. و يرجع أسباب ضعف التعليم في ليبيا إلى جملة من العوامل نذكر علي سبيل المثال منها:

أ- القدرات التأهيليه للمعلمين وفاعليتهم، وهنا يمكن التأكيد على أن دور المعلم القدير وهو العنصر الأول والمهم في العملية التعليمية، وله دور هام

([1]) احمد جابر الأسمر ، مثدمة في التربية الاسلامية انتماء وارتقاء ، دار الفرقان ، عمان ، 2004 ،ص ص 485، 493 .

في تحسين المستوى التعليمي للطلاب، وعدم إعدد المعلم في ليبيا من حيث التأهيل العلمي، والتأهيل التربوى الذي يمكنه من قدرته على إيصال المعلومات إلى الطلاب بطريقة سهلة ومفيدة، بعيدا عن الحفظ والتلقين.([1]) وكذلك الطريقة الأفضل والتربوية التي يستطيع أن يتعامل بها مع الطلاب ، أدى إلى ضعف العملية التعليمية في ليبيا.

ب- الفارق الزمني بين مواكبة التطورات العلمية في الخارج بالمقارنة مع ليبيا ، يشير إلى ضعف وتأخير إدخال الحاسوب إلى المدارس كمادة علمية، فينبغي على المعلمين أن يتعاملوا مع البرامج الحاسوبية التعليمية، والتعليم بالوسائط المتعددة الحديثة في نقل المعلومات إلى الطلاب، مثل التعليم التفاعلي والتدريس الافتراضي، والتعليم بالاتصال المباشر من أجل تحفيز عملية التعليم والتقدم بها حتي يمكن تحقيق نتائج علمية وعملية مفيدة. في المقابل نجد اعتماد الطلاب على الدورس الخاصة التي أخذت في الأنتشار في السنوات الأخيرة بشكل ملحوض في ليبيا، وهذا جعل المدارس العامة و الخاصة في ليبيا عبارة عن التزام فقط بدوام الدارسة من الناحية الكمية، أما من الناحية الكيفية فقد اعتمد الطلاب على الدروس الخصوصية التي في الغالب ما يقوم بها مدرس المادة نفسه في المدرسة .

ج-جمود المنهج التعليمي،أو ضعف المادة العلمية، واتباع الطريقة التقليدية في حشو المعلومات والتي غالبا ما يتم تلقينها وحفظها ونسيانها، ولذا فإن نتيجة أسلوب التدريس المتبع في ليبيا هو أنتقال الطالب من مرحلة إلى أخرى، دون إدراك أو فهم حتى وصول الطلاب إلى المرحلة الجامعية وتكون المحصلة النهائية أن الطالب لا يستطيع القراءة والكتابة بشكل صحيح، ولا يحمل كماً من المعلومات التي قد يكون قد درسها خلال السنوات التي تسبق المرحلة الجامعية، وهذا يرجع إلى أعتماد الطلاب على الحفظ والتلخيص والتلقين.ولهذا أصبحت مخرجات النظام التعليمي في ليبيا ضعيفة جدا، ولا تتناسب مع سوق العمل، فبدل من أن تخرج الجامعات قدرات مؤهلة من الناحية الكيفية تسهم في بناء المجتمع أصبحت تخرج أعداد وكميات من الخريجين أصبحوا عائق لسوق العمل في ليبيا.وهذا أدى بدوره إلى تدني نوعية التعليم، وذلك في إثبات عجز المؤسسات التعليمية على إدارة التعليم المتقدم، الذي يعتمد علي الأساليب الحديثة مثل المشاركة الديمقراطية في أنشطة الصف، والتعليم التعاوني، وحل المشكلات التي تتطلب قوة إبداعية، وهذا كله أصبح عائقا كبيرا أمام توفير تعليم أفضل، مما

سبب في عجز النظام التعليمى على إخراج المبدعين، والذي أدى بدوره إلى ضعف الثقة بالنظام التعليمي.([1])

4- أنحرف الهدف من التعليم في ليبياوهنا تجدر الإشارة إلى أن أكبر مشكلة واجهت العملية التعليمة نتيجة لتاثير العولمة على التعليم هي تحويل النشاط التعليمي في ليبيا الي نشاط تجاري، وذلك من خلال أسواق ومجالات النشاط الجديد المتمثل في الخصصة التي ظهرت في الربع الأخير من القرن العشرين وخاصة في الدول التي صنفت بأنها دول مستهلكة، حيث هيمنت السياسات الاقتصادية الليبرالية الجديدة بضغط قوي على الدول وتحويل القطاعات العامة من الصحة والتعليم إلى أنشطة تجارية ، فعلى سبيل المثال أصبحت تسويق مجالات التعليم ينطوي على إعادة هيكلة الدورات والبرامج التعليمة الحديثة من خلال القروض الطلابية ورسوم الدورات التعليمة و ذلك من خلال التوسع في التعليم العالي الذي ساعد إلى تغيير إتجاه الناس إلى التعليم العالي بعيد عن أن المشاركين نحو كونهم قوى مستهلكه، والزيادة الهائلة في الإلتحاق بالجامعة والحصول على الشهادات العليا، وهذا المتغير أثر بشكل كبير جدا في سوق العمل حيث أصبحت أعداد كبيرة من الناس محرومة من فرص العمل.من جهة أخرى فإن وجود أعداد كبيرة في الجامعات والمعاهد العليا أدى إلى الإنخفاض التدريجي في نوعية التعليم، فقد أدت خصخصة التعليم إلى فتح سوق للشهادات التعليمة بأعداد كبيرة جدا. وقد أدى ذلك إلى تحويل التعليم إلى سلعة عبر شركات خاصة، و تشجيع دخول المؤسسات التجارية التي تعبر عن السياسة الليبرالية الجديدة، وكذلك تبني هذه السياسات من خلال العولمة، ساعد على نقل هذه الأنشطة التعليمية التجارية من دول الغرب مثل بريطانيا وإيرلندا وأمريكا إلى الدول العربية مما أثر سلبا في العملية التعليمية ومخرجاتها .

إن تغيير الهدف في العملية التعليمية من كونها عملية تربوية تسعى إلى نمو الفرد وغرس المبادئ والقيم الوطنية فيه إلى عملية تجارية لكسب المال وإنتشار أستخدام المدرسة كوسيط الإعلان لتكون سوقا تجاريا من خلال أشرطة الفيديو التي ترعاها، والإعلانات على شاشات الكمبيوتر و الشوارع والشركات الكبيرة القادرة على تحقيق العلامة التجارية الخاصة ، فمن الممكن لإستهداف الإعلان والتسويق والعجز في تمويل الجوانب الأساسية من التعليم مثل الحوسبة والرياضة والترفيه والمعدات الرياضية، كلها تحمل في طياتها أجندة تعليمية خاصة بهم، كما هو في جميع المشاريع

([1]) اليونسكو ، التعليم ذلك الكنز المكنون ، مركز الكتل الإردني ، عمان 1996 عمان ص 127

التي تحمل العلامات التجارية. فإنه لا يكفي لوضع علامة على المدرسة مع عدد قليل من الشعارات، بل يوضع الكثير من العلامات التجارية في المدارس على أنها أسواق تجارية. وهنا يمكن القول بأنه قد يكون إنخفاض الموارد المالية التي توفرها الدولة سببا رئيسا لفتح الباب أمام تجار العلم للإتجار بالتعليم المفتوح، وذلك لتقديم أجندة خارجية تدار بشكل مباشر و نلاحظ العلاقة الوثيقة بين التعليم والصناعة ومواد المناهج الدراسية و الملابس المدرسية التي تحولت إلى ثقافة المستهلك ونتيجة لهذا التوغل التجاري، تسرب على نطاق واسع من الإدارات التعليمية النزعة الإستهلاكية في توجيه المعلمين وهو عدم القدرة الأساسية في العديد من الأنظمة السياسية وخاصة في قطاعات التعليم معالجة مسائل خطيرة حول العولمة، والعلامات التجارية والاستهلا ك المصاحب للتعليم كالمنتجات التي يستخدمها الطلاب في المدرسة والمعهد والجامعة والملابس التي يرتدونها .

إن إنحراف مسار التعليم وتحويله من مهمة تربوية تنموية إلى مهمة استهلاكية تجارية واستغلال المتعلمين ينذر بكونه مصدر قلق عميق، فقد شاهدنا تزايد الأفكار الليبرالية في التعليم .وقد شوه التعليم بشكل متزايد على إنها سلعة أو كإستثمار بدلاً من أن تكون وسيلة لإستكشاف القدرات الذهينة للطلاب وتنميتها بما يخدم المجتمع حتي يسهم التعليم في إزدهار الإنسان و المجتمع. أصبح وسيلة لنشر الأيديولوجيات والتوجهات العالمية التي تؤثر بدورها في القيم الاخلاقية والاجتماعية للمجتمع وذلك بتحويلة إلى سلعة هدفه الأساسي الربح والحصول على الأموال .

5- قلة الإنفاق علي قطاع التعليم

إن عملية الانفاق على العملية التعليمية كان من أحد العوامل المهمة التي تسهم في سير العملية التعليمية، فتوفر الامكانات التي تزيد من في قدرة الطلاب والمعلمين، لقد كان هناك تأثير للعولمة على طبيعة الطلاب والشباب والكبار فهي تهدد اسقلالية التزم العملية التعليمية المحلية وسيادة الدولة.فقد جعلت المجتمعات المتماسكة اجتماعيا تنهار، رغم أن النظام السياسي لديه حرية كبير للتدخل في نظم التعليم وحماية العملية التعليمية من خلال زيادة حجم التوجيه المركزي، والتدخل في أستخدام متطلبات المناهج المحلية التي تتناسب مع الثقافة المحلية للمجتمع، وذلك من خلال المبادرات الخاصة التي تشمل التمويل المباشر على العملية التعليمية. ففي النظم السياسية العربية بشكل عام وليبيا بشكل خاص، فقد أسهمت ليبيا في توجيه التعليم العام وتحويلة إلى التعليم الحر الذي أدى بدوره إلى تدنى المستوى التعليمي، والتحصيل العلمي وتزوير الشهادات العلمية وشرائها، وترحيل الطلاب من سنة دراسية إلى أخرى دون

تقويم معتمد وصادق من المؤسسات التعليمية الخاصة، بالإضافة إلى دخول مناهج تعليمية جديدة دون مراقبة الحكومة الليبية وتزوير الحقائق التاريخية و الدينية التي بدورها قد تؤدي إلى طمس الثقافة المحلية لليبين.([1]) بالإضافة إلى ذلك فمن تأثيرات العولمة على الحياة التعليمية، أنها من خلالها يتم أتخاذ خيارات سياسية محدودة تؤدي إلى تشكيل العلاقات الاجتماعية داخل الدولة، و بذلك فإننا أمام مواجهة ثقافية كونية تعمل على تهديد الخصوصية الثقافية للمجتمعات من خلال العملية التعليمية.وهذا يقتضي منّا مواجهة العولمة و التصرف بنوع من الذكاء والتحصين الذاتي للأمة العربية والإسلامية، وذلك بجعل التعليم يقوم على أستراتيجية متكاملة تعمل على ضرورة توسيع التعليم العالي، وتطوير محتواه لتحقيق التنمية والأمن القومي العربي، وذلك بتفعيل العمل العربي وإكتساب القدرة التنافسية والإستفادة من الخبرات الدولية عن طريق التعاون الإيجابي.

كيف نستطيع أن نقارع العولمة:

1- بناء نظام تربوى قوي مبني على المعرفة القادرة على مواجهة أي مفاهيم بعيدة عن الخصوصية الثقافية، للمجتمع وذلك من خلال تبني موقف تربوي وسياسي موحد ضد الضغوطات العالمية،التي تسعى إلى إدخال الثقافات الغربية التي لا تتماشي مع المجتمع تحت مسميات كثيرة منها الحرية الشخصية التي قد تكون سبب في تبني المواطن أساليب لا تتماشي مع المجمتع وعادته وتقاليده. ولهذا فإن تبني نظام تربوى قوي يساعد على تبني مفهوم النظام الأمني الذي يكون مستعد لمواجهة أي تحديات للعولمة التي يراد بها الاختراق الثقافي والتربوى والنفسي.وهذا يتم من خلال مواجهة أي تحديات بالإضافة إلى توعية الأجيال الشابة بخطر الإستسلام للهيمنة العالمية، من خلال المؤتمرات الأهلية والتربوية لمناقشة أي موضوعات تتعلق بالعملية التعليمية.كذلك إشتراك المعلمين ونقابات المعلمين والجمعيات التربوية و النفسية في الحوار والدعوة إلى التحصين الثقافي ، بإعتبار أن هدف العولمة بالدرجة الأولى هو إدخال المناهج التي تسعى إلى تغيير عقول الشباب وطمس هويتهم الثقافية والعقائدية حتى يسهل بث الثقافات الغربية البعيدة عن العادات والتقاليد. فالحفاظ على الهوية الثقافية هي الحفاظ على اللغة التي تمثل الهوية الأساسية للمجتمع .

[1] **http://infed.org/mobi/globalization-and-the-incorporation-of-education/**

2- تغيير المناهج التروبوية والتعليمية بما يتمشي مع التطور العصرى ، وهنا يمكن التركيز على أصلاح المناهج التقليدية التي تعتمد على التلقين و الحفظ. فالتربية من أهم القوي الفاعلة في المجتمع فهي التي تؤسس المفاهيم و تحولها الي أفكار وممارسات ، فأذا كانت عمل المناهج يسعى إلى طمس الهوية الثقافية والأنتماء وأستبدلهم بالمفاهيم الغربية والديمقراطية الغربية، و أستبدال النظام الأجتماعي الذى يتركز علي الرابطة الأجتماعية بالنظام العلماني، وترسيخ مقياس النفعية والدعوة إلى الحريات العلمانية . فالمناهج العلمية هي حصن الوحيد للهوية الثقافية للمجتمع الليبي، والخصوصية الحضارية، فالعولمة تسعي الي الضغط علي تشكيل مفاهيم العلمانية وتغيير العقول بما يتمشى مع الثقافات الغربية، وتهميش الثقافات المحلية. لذا يجب ان تكون المناهج العلمية التربوية مصاغة بشكل يمكن من خلاله أنشاء جيل متعلم وقادر علي مواجهة أى تحديات للعولمة.وهذا يحتاج الي أعداد المعلمين بشكل أفضل، والاخذ بمبدأ النموا المهني للمعلم، وتحسين الظروف الاجتماعية و الاقتصادية للمعلمين حتي يشعروا بالأمن الوظيفي ويساعدهم هذا على المنافسة في أداء واجباتهم ، مما يسبب تطور في العملية التعليمية، ويساعدهم على أداء رسالتهم باتقان. وذلك من خلال الأخذ بالمفاهيم الحديثة للتقويم النهائي لإتمام السنة الدراسية بما يتمشي مع التطور العملي الحديث وأساليب التقويم الحديثة .[1]

3- الإعتزاز بالهوية المحلية ، وهنا نشير إلى أن الإعتزاز بالهوية يساعد على مواجهة تحديات العولمة. هذا يأتي من خلال عملية تعليمية صحيحة يتم من خلالها غرس القيم والمبادئ الثقافية الصحيحة التي تشكل أساس المجتمع الليبي، التي تساعد على التغلب على الانهزام النفسي وفقدان الثقة بالثقافة المحلية اللذان يكونا سببا رئيسيا في سيطرة ثقافة العولمة.أن الثقة بالثقافة المحلية تمكن المواطن من التحرر من الانبهار بالثقافة الغربية، والتخلص من التبعية الثقافية ، فظاهرة العولمة موجودة ويجب التعامل معها من خلال عملية تعليمية تربوية سلمية وهذا يتطلب الثقة بقدرة المجتمع على المواجهة، ومحاولة تعميم ثقافة واحدة علي العالم لن يستمر في وجود تحديات علمية تربوية، ولذا علينا أن نحافظ علي هويتنا الحضارية .[2]

[1] جودت احمدو السرطاوي ،واخرون ، استخدام الحاسوب الانترنتن في ميادين التربية والتعليم ،دار الشرق غزة ، 2003، ص 128 .

[2] محمد ابراهيم مبروك واخرون ، الاسلام والعولمة ، الدار القومية الاهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999، ص 147

بالاضافة الي ذلك فان تحديات العولمة تكمن في أستخدام الطرق الحديثة في تأهيل المعلمين بكفاءة عالية ورفيعة المستوى من الناحية الأكاديمية والمهنية والثقافية والاخلاقية، وهذا يحتاج إلى قدارت المعليمين الذين يساهمون في عملية التغير الاجتماعي للمجتمع من خلال تعليم المهارات والتفكير الابداعي ومهارت البحث والاستكشاف الذاتي للطلاب. ايضا ابتعاد المعلمين عن فكرة أعتبار أنهم موظفون يؤدون عملا روتينيا جامدا ، هدفه ملء أذهان التلاميد وليس تكوين وأثراء خطوات حب الاستطلاع عند الطلاب ، وتنمية حساسيتهم ووعيهم وقدراتهم علي الاكتشاف. ولن يسطيع المدرسون أحداث تغيرات في مهارات وتفكير الطلاب إلا من خلال قربهم من أفكار تلاميذهم ومحاكاتهم لهم. [1]

3- توحيد الخطاب التربوي والخطاب السياسي ، فمن ضمن مشاكل التعليم في ليبيا أيضا أنه يعاني من مشكلة الخطاب التربوى الرسمى، فالأصلاح التعليمي يبدأ من المعلم القدوة القادر علي كشف التناقض بين الخطاب السياسي، وبين الواقع حتي يبدا علمية التغيير.وهذا يحتاج إلى إدخال عناصر التعليم التدبري في برامج أعدد المعلم، والمعلم المتدبر هو الذي يتدبر ما يقال له وما يقال عنه، وما يقوم به من أعمال وكذلك ما ينتج عنها من نتائج . فالمعلم المتدبر هو من يقوم علي عملية تدبر شاملة لتكوين رؤية اشكالية لعمليتي التعليم والتعلم، وهو علمية هادفة لانتاج المعرفة حول تحسين وتطوير العملية التعليمية ويسعي إلى اكتساب الطلاب بالمعرفة والأساليب النظرية التي تمكنهم من إدراك ما وراء الطبيعة المادية.وقد يرجع جمود النظام التعليمي في المنطقة العربية بشكل عام وليبيا بشكل خاص الي مفهوم السلم التعليمي الذى يحدد سنوات الدراسة، وآليات محددة للانتقالها عبر هذا السلم.[2]

ويكمن خطر العولمة علي التعليم في معظم الدول العربية وخاصة ليبيا ، في أن هناك منظمات دولية مهتمة بشؤون التعليم حيث تحاول جاهدة بتضمين المناهج قيم عالمية في مناهج التعليم المحلي في المنطقة العربية، و نحن ندرك الفرق بين قيمنا العربية والاسلامية وبين قيم العولمة. فقيم العولمة تعمل علي إزلة الفوارق والحواجز بهدف أختراق النظم التربوية، وتغييب الآفراد عن وعيهم بتاريخهم وهويتهم ، فلا يوجد تشابة بين تربية الإسلام القائمة على قيمة الإنسانية العالمية وبين العولمة وتربيتها الشمولية التي تغلف قيمها

[1] فريري بالو، المعلمون بناة ثقافة: رسائل إلى الذين يتجاسرون علي اتخاذ التدريس مهنة، ترجمة حامد عمار واخرون، الدار المصرية للنيانية ، القاهرة ، 2004 ، ص ص 62-64

[2] سامي محمد نصار، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة ، الدار المصرية اللبنانية القاهرة 2005 .ص 67

الزائفه عن السلام والامن الدوليين، والعيش المشترك وحسن الجوار و التي تعمل عن تذويب القيم الاخرى وسحق هويتها واستنزاف خيراتها . والتي تعمل علي تذويب القيم الاخرى وسحق هويتها واستنزاف خيراتها، فمن الناحية الواقعية فقيم العولمة تعمل على تكريس الانانية وتعزز المصلحة الشخصية وتنمي الحرية الفردية دون مصلحة الجماعة واحترام الاخرين و تقديرهم، أن الفرق كبير بين المفهومين واهدافهما، فليس كل من أدعي العالمية أو تكلم علي بعض الأزمات من منطلق ما، هو منادى بالعالمية كما نفهمها وندركها، بل معظم تلك النداءات هو صادرة عن أيمان بموكبة الغرب وتقليدهم والتشبه بهم . ([1])

5- توفير البئية المبدعة في التعليم، ولذا فأن من مهام العملية التعليمية أن تقوم علي قيم مشتركة جامعة، التي يجسدها الإنسان لصالح المجتمع في انتاج نماذج واعية بمسؤوليتها وأنتاج نماذج المثل الأعلي التي تبرهن علي القيم التربوية الصالحة لكل زمان ومكان، وهى ذاتها القادرة على تشكيل الإرادات وإكتشاف الطاقات الفاعلة. ويجب على مختلف المؤسسات التعليمية تفعيل دور المسرح المدرسي لتقديم التاريخ الصحيح بعيدا عن التزييف، وتشوية المستغربين والمستشرقين لتاريخ الوطن وقيمه.وبث قيم الأمة وعطائها الحضارى، وإستدعاء التاريخ بالوعي به، وليس فقط مجرد القراءة فقط و السرد التاريخي فقط، فالتاريخ الإسلامي جزء من هوية الأمة، واللغة و العقيدة والتاريخ، وهذه الهوية بعناصرها تشكل خطوط دفاع في مواجهة العولمة الهدامه ، مع ضرورة أستعمال اللغة الفصحى، والإبتعاد عن العامية في الآداء المسرحي. وهذا يقودنا إلى التركيز على أهمية الإهتمام بالموهبين والمبدعين من الطلاب ، فالابداع أحد مقومات التقدم الحضاري، وجسر تقدم الإنسان وإعداده لمواجهة مشكلات الحياة وتحديات المستقبل، ويرجع الفضل في إبراز الانتاج الإبداعي إلى التربية والملاحظة. أن السعي وراء تقدير التعليم للجميع ينتج عنه أغفال احتياجات الموهوبين وتطبيق معامله واحدة على التلاميذ ذوي القدرات المتبانية.([2]) فالإنسان المبدع لابد من توفير بيئات تعليمية ثرية ينشأ فيها التعليم، وذلك من خلال الإكتشاف والتعليم بالعمل و تنمي القدرة على الإبداع والإبتكار والتقويم، ومراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، وإعادة تنظيم وبناء التربية ومناهجها من أجل إعداد الإنسان العالمي الذي يواجه التحديات في عالم سريع التغير.فالإنسان المبدع هو الثروة الحقيقة

([1]) طه جابر العلواني ، ابعاد غائبه عن فكر وممارسات الحركات الاسلامية المعاصرة ،دار السلام ، القاهرة ، 2004، ص ص 51-52

([2]) اليونسكو ، التعليم ذلك الكنز المكنون ، مصدر سبق ذكره ، ص 119 .

المؤكدة في هذا الوطن، والنظام السياسي والمجتمع هما المسؤلان عن إطلاق العقول المهمومة بمسيرة التقدم، مما يوفر البيئة التعليمية المناسبة للإبداع و تجنيب التلاميد أساليب التهديد والاقصاء. فالبئية التعليمة المتصفه بالتهديد تضعف قدرة الدماغ علي عمل الارتباطات والادراك الواسع، ويكتفي الطلاب بالحفظ والتذكر. فالاجهاد يضعف من قدرة الطالب على التميز وأيضا تعلم العجز، وهو ما ينتج في الغالب عن تعرض الطفل لصدمة تشعرة بفقدان السيطرة علي التفاعلات الذاتية.ولهذا فإن التعليم الناتج عن الاهتمام بالقدارات الذهنية والاهتمام بالابداع يخلق التقدم والعكس صحيح.([1]) لذلك فإن تشكل المناهج أحد ركائز البيئة المبدعة، التي تستطيع الإستجابة للمتغيرات المعاصرة والتحديات المستقبلية، والسرعة الدائمة في تغيير المعلومات و المعارف وفقا لتطورها وتقدمها، بيما يتفق مع الخصوصية الثقافية و الحضارية والتاريخية للمجتمع ، وذلك بالاعتماد علي المهارات المتجددة في التفكير والبحث والإطلاع بالإضافة إلى مهارات الحياة لتخريج الإنسان القادر علي التعامل مع متطلبات العصر الحديث. وهنا تجدر الاشارة إلى ضرورة تقليل حجم المقرارات بما لا يتعارض مع من المستوى التعليمي، وكذلك و الابتعاد عن التعليم التلقيني والتركيز علي المهارات المتجددة في التفكير و الاطلاع والبحث بما يتمشي مع متطلبات العصر.([2]) وهذا ما يساعد إلى وجود مخرجات تعليمية ممكن أن تسهم في تقدم المجتمع وتطورة وتخلق الابداع في التعليم، من خلال أسلوب الحوار والمنافسة والإهتمام بافكار الطلاب حتي التي تخالف آراء المعلمين، وغرس الثقة بين الطلاب، هذا بالإضافة إلى وجود حوافز تشجيعيه،وخلق بئية عائلية داخل المؤسسات التعليمة بين الطلاب والمعلمين وخارجها. مع وجود وسائط تعلمييية حديثة يعتمد فيها الطالب على إيجاد المعلومات مثل المكتبات المقروة وأستخدام الشبكة العنكبوتية مع مراعاة الخصوصية الثقافية للمجتمع.ولذا فإن أخطار العولمة هي ربط النظام التربوى التعليمي بالنظام العالمي، وهذا كما أسلفنا يؤثر على المجتمع من خلال التغيرات العالمية في عالم السياسة والاقتصاد و الجانب التعلمي. لذلك يجب أن تكون العملية التعليمية محلية مرتبطة بالأسلوب التربوى الذى يعتمد علي الأسلوب الحديث، ولا يقتصر التعليم على حشوة المعلومات. فالتعليم التربوي هو عملية تربوية تؤدي إلى تنمية القدارات

([1]) احمد معاذ الخطيب الحسني وآخرون ، ما لا نعلمة لاولادنا ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة، 2004 ، ص 436.

([2]) شحاته حسين ، مداخل الي تعليم المستقبل في الوطن العربي ، الدار المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2004 - ص 191 .

الذهنية ،وتمنية الوازع الديني والوطني للطلاب. والتأكيد على الخصوصية الثقافية والهوية الثقافية للمجتمع ومواجهة القيم الغربية التي لا تتماشي مع الثقافة المحلية للمجتمع.([1])وبإعتبار أن النظام التعليمي في ليبيا نظام مفتوح فهو يتأثر بمجمل التغيرات المختلفة التي تحدث في العالم و ينعكس هذا علي جميع عناصر النظام من مدخلاته ومخرجاته. ولهذا فإن العولمة في جميع الأحول تحمل في طياتها آثار على ماهو قائم حاليا، ومنها ما يكون له تاثيره مستقبلا ويستطيع أن يرسم معالم الغد وأنعكاساتها قد تكون إيجابية وقد تكون سلبية. إن ضعف إعداد المعلمين وتأهيل الشباب ثقافيا كما اسلفنا، وإعادة النظام التعليمي وتغيير المناهج لإنتاج نفسها،هو المصدر الوحيد للعلم و المعرفة حيث لم يعد المعلم هو الناقل الوحيد للمعلومات فهناك مصادر متعددة للأدوات لتلقي المعرفة علينا أن نستخدمها في إطارها السليم.

6- توظيف الأساليب ومصادر المعرفة.فالعملية التربوية لا تهدف إلى الحفظ والتكرار، ولكن العملية التعليمية تدور حول مهارات المعرفة العلمية في طرق التدريس وأيصال المعلومة إلى الطالب وتفاعله معها وفهمه وتساؤلاته. و يستطيع الطالب من خلال المعرفة أن ينظم ويفسر ويوظف المعلومات العقلية كالتصنيف والتبويب ، والتأمل والنقد واكتساب روح المغامرة واحتمال التجربة والخطأ وحل المشكلات، ويعتمد التوظيف الفعال لاتقانه في التعلم والتعليم عبر شبكات الانترنت على تأسيس صورة ذهنية علمية لمصادر المعرفة في محيط المدرسة والمعهد والجامعة ودوائر البحوث العلمية. بإعتبار أن من أخطر سلبيات العولمة إغفالها للآثار الثقافية والاجتماعية للمجتمع نفسه، فهذا يكون سببا مدمرا لأنها تهمل الأبعاد الاجتماعية والإنسانية، وتزيد التفكك الاجتماعي كما ذكرنا سالفا. وهي تقوم على صياغة ثقافة عالمية واحدة هي ثقافة السوق أو كما تعرف ثقافة العرض والطلب بهدف محو الخصوصية الثقافية لشعب من الشعوب، وقطع وصل الأجيال الحديثة بتراثها وجذور حضارتها وما فيها، و كذلك التركيز على النجاح الفردي وجمع الثروة وإضعاف الثقافة الوطنية لأن الدور العملي للعولمة يتناول المشتركات في الحضارة العلمية ولا يهتم بخصوصيات الوطن والمجتمع.([2]) إن ثقافة العولمة قائمة على الغزو والفرض والضغط ، وهذا يمكن أن يؤدي إلى كارثة بفعل الهيمنة التي تقودها أمريكيا اليوم ، التي تهدف إلى توحيد الثقافات في قالب واحد، وهذا بكل المعاني كارثة إنسانية، أن التنوع الثقافي والتربوي هو دليل على قدرة الإنسان على التكيف

([1]) فلاح القريشي ، أثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي، مصدر سبق ذكره .
([2]) نفس المرجع السابق

مع الظروف والبيئات المختلفة. وأن تحقيق الرفاه والتقدم والنمو لا يمكن بلوغه إلا بالمحافظة على التنوع المبدع وأثرائه، وأن ديمومة الجنس والنمو لا تتحقق إلا على أساس التنوع الثقافي والحضارى والتاريخي. وقد يؤدي الفكر الآحادي للعولمة المهيمن اليوم، والذي يستند إلى منطق السوق بإعتباره المتحكم و المفسر لكل شيء إلى عولمة ليبرالية تستند إلى ثلاث قواعد، وهي سلطة السوق وسلطة المؤسسه الانتاجية، وسلطة المال. هذه الثلاثه هي أساس مصدر القوة وهي مقوماتها مع القاسم المشترك لهذه السلطات هو الربح و كمية المال المتحكم فيها ، وهذا التحكم يعتمد على القوة مع القانون فالضعيف هو المحروم من الكسب المالي.وطالما أن العولمة الليبرالية التي تعتمد على السوق، ومنطق الربح وتنشئ كل الأشياء من البضاعة إلى الأدوات والأفكار، لذا فلابد من الإنتباه إلى أن المرافق والخدمات والمنتجات الثقافية لا يمكن أعتبارها من البضاعات الاستهلاكية للانتاج الفكري بعد أن تحمل في طياتها هوية وقيم ومعاني منتجيها. وأن الإنتاج يستهدف الفعل والروح لذلك لابد من حماية هذه الأبعاد خلال سياسة ثقافية محفزة للابداع، والتجديد ضمن حرية كاملة لتنقل الأفكار والأعمال والآثار الثقافية.لا يمكن تطبيق قواعد التجارة على المنتجات الثقافية لانها منتجات لها خصوصية تحمل في طياتها قيما رمزية وافكارا و أنماط حياة تمثل هوية جماعية، وبيئية حضارية معينة وتؤثر على التطبيقات و الإستعمالات الثقافية لذلك ترى المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم ''الالكسو'' أن قطاعي التربية الصحة من المرافق العمومية التي لا يجب أن يطالها منطقا الربح والسوق[1]غير أن تفاقيات المنظمة العالمية للتجارة و الخدمات (GATS) أخضعت قطاعي التعليم والصحة للخصخصة، وترى منظمة الألكسو الإنتباه إلى خطورة هذه الخصخصة وتحويل الأدوات التربوية والصحية إلى جملة من البضائع تتحكم فيها قوانين العرض والطلب جاعلين من الربح الهدف المنشود بدلاً من مساعدة البشرية للقضاء على الجهل والأمية والمرض.[2] ولذا فان العولمة تهدف إلى تخطى أميركيا بالسيادة على العالم لأنها تمتلك القوة والتقنية الحديثة. والعولمة جزء مهم للهيمنة وتنميط وتشكيل الناس وجعلهم منشغلين بالربح بدلا من الإنشغال بالقيم النبيلة والقيم الإنسانية العليا وهذا ما يظهر عليه مجتمعا الليبي اليوم، فالمجتمع الرأسمالي يكرس أفكارا تربوية في عقول الأجيال ويؤكد على قيم الربح، ومقدار ما يحقق الإنسان من أرباح فهي مصدر سعادته ونجاحه حتى تصبح ظاهرة الربح ظاهرة سلوكية لا يمكن الفرار منها.فنماذج السلوك والثقافة الأميركية يخترق

(1) نفس المصدر

(2) فلاح القريشي ، اثر العولمة في المجال التعليمي والتربوى ، مصدر سبق ذكره .

التربية ونظام التعليم المحلي،ويستغل العلم والمعلومات والتقنيات الحديثة، و أجهزة الإعلام من خلال الشركات العملاقة إلى فرض النمط التربوي الأميركي وأمركة مظاهر الحياة وسلوك الفرد حتى عاداته وتقاليده. لذلك تؤثر ظاهرة العولمة في المجال التربوى في المجتمع وثقافته فهي تكرس الفوارق الكبيرة بين الدول الغنية والدول الفقيرة والنامية وتؤدي إلى زيادة البطالة و الحروب و التكتلات الاقتصادية وسيطرة الإتجاهات النفعية، كما يحدث اليوم في المنطقة العربية التي اشتعلت بنيران الحرب تحت مسمي الربيع العربي، و إنتشار الأمية و كذلك تؤدي إلى ضعف الفلسفة التربوية والأهداف لكل أمة و بلد معين لأن له خصوصيته وفلسفته وهكذا فآثار العولمة في الجانب التربوي والتعليمي هي من أخطر سلبيات العولمة في المجال العربي الإسلامي.[1]. فالنظام العالمي الجديد له تأثيرات مختلفة على الدول طبقاً لموقعها في النظام العالمي، فهناك دول توحدت ضمن تحالفات إقليمية، ودول نامية، ودول أقل نمواً، ودول متطورة وغير متطورة أو متخلفة، فالتأثيرات تقلّ في بعض البيئات وتزداد في بيئات أخرى، ولذلك فإن العولمة بحد ذاتها هي ظاهرة عالمية غير موحّدة.

الخاتمة :بقدر ما في العولمة من فوائد فهي أيضا تشكل خطراً على ثقافة المجتمعات المحلية كما تم طرحه في هذه الورقة، حيث تسعى الدول المتقدمة من خلال العولمة إلى تحقيق الغزو الثقافي والفكري وفرض ثقافات الدول الكبرى على ثقافات الدول النامية، ومنها الدول العربية بقصد إلغاء خصوصيتها الثقافية وجعلها في إطار مفهوم التبعية. مما جعل الأمة العربية الإسلامية تواجه اليوم الكثير من التحديات والعقبات التي تحاول أن تدفع بها بعيداً عن أداء دورها في العطاء القيمي والثقافي، وتحول دون تحقيق رسالتها الخالدة ومشروعها الحضاري ذي الأبعاد الإنسانية والإسلامية والعربية، و تزداد هذه التحديات في ظل الهيمنة الأميركية والقطب الواحد الذي يحاول النيل من الإسلام حضارةً ودولةً وتربيةً وتعليماً. من هنا يأتى دور المؤسسات التعليمية على أختلاف مراحلها حيث تعد أداة لتحقيق رسالته وأهدافه و تحويلها إلى نماذج حية، وهي التي تحافظ على هوية الأمة بما تصنعه وما تعدّه من أجيال، فإما أن تكون تلك المؤسسات قلعة الأمة وحصنها الحصين و الصخرة التي تتحطم عليها أحلام الغزاة، أو أن تكون الثغر للاختراق الثقافي. وتؤكد الحقائق الأكاديمية على أهمية التعليم وضرورته، إذ يعدّ قوة دافعة للمجتمع لتنوير العقول وتحقيق النهضة الاقتصادية وتفعيل مختلف البرامج

[1] نفس المصدر

التنموية، وإحراز العديد من المكاسب الاجتماعية والثقافية، لذلك فإن قوة المجتمع تستمد أساساً من قوة النظم التعليمية، كما أن ثراءه يعتمد على حسن استثمار العناصر البشرية التي يتمّ تأهيلها وتزويدها بالمعارف كافة و بمختلف المواد التعليمية. يواجه العالم العربي تحديات ضخمة في هذه لفترة التي يجب أن نواجهها بالعلم النافع ،والتطور الحاصل الذي يوفي بمتطلبات العصر ويسهم في مواكبة التطور الأكاديمي العلمي الذي تشهده الدولة و المنطقة، خصوصاً أن أدركت قيادات المجتمع إلى أهمية العلم والتعليم في الحياة الحديثة ،وأهتمت بالإنسان وطوّرت من أدائه حتى يرتقي بوطنه و يكون قادراً على مواجهة التحديات التي فرضتها العولمة وأثّرت على النواحي الثقافية والتعليمية كافة. وهناك جانب آخر لتأثير العولمة في التعليم العالي يتصل بالاتجاه إلى وضع نظام عالمي لتقويم المؤهلات ، ووضع نظم لتحديد المستويات التعليمية، ويضاف إلى العوامل الاقتصادية والاجتماعية عوامل أخرى ذات طبيعة سياسية تقوم على تجاوز الحدود الوطنية بتحديد السياسات العامة للتعليم وأتخاذ القرارات التعليمية . فالعولمة لها أنعكاسات مركبة علمية وتقنية وكذلك ثقافية، والخطورة كامنة بالأساس في التغيير الاجتماعي المصاحب للعولمة، الذي يشمل القيم والعلاقات الاجتماعية، و الهدف تدمير الثقافة وبالتالي تدمير المجتمع حتى يمكن التحكم فيه . والمدقق في رؤية النظام التعليمي الحالي يلاحظ أنه نظام تقليدي غير متطور، ولا يسمح في كثير من الأحيان للطلاب بالعمل، بحيث إنه لا يؤهلهم للالتحاق بالوظائف التي تحتاج إمكانات متميزة وتقنيات متخصصة. لذلك يجب أن تكون هناك دور جاد لتطوير النظام التعليمي في ليبيا ومساعدة الجامعات على تحقيق هدفها الرئيس المحدد في تأهيل الطالب لسوق العمل، وتوفير المستلزمات الضرورية لتمكين مخرجات التعليم المهني والتقني في إحداث تغيير إيجابي في نطاق العمل والعطاء الكامل، وأن تتلاشى الرؤية الدونية للعمل المهني الذي تنهض به البلاد، بل لابد من التوسع في الإختصاصات المهنية والتى تشجع الطلاب والطالبات على الإلتحاق بالتخصصات المهنية والفنية المختلفة.أيضا يجب تفعيل خدمات التوجيه والإرشاد التربوي و المهني في المؤسسات التعليمية والإعلامية وتطويرها، وذلك من خلال التوعية بأهمية دراسة التخصصات المهنية والفنية التي تتوافق مع قدرات الدارسين من ناحية، ومتطلبات العمل من ناحية أخرى.وتطوير المناهج التربوية والخطط الدراسية الجامعية بما يتوافق ومتطلبات سوق العمل، و كذلك دعم قيم الإنتماء والمواطنة لدى الطلاب والطالبات. أيضا منح حوافز مادية ومعنوية لتشجيع الالتحاق بالتخصصات المهنية والفنية الدقيقة والتنسيق

بين الجهات المختصة بين وزارتي التعليم المتوسط والتعليم العالي من حيث توجيه الطلاب والطالبات لإختيار التخصصات المهنية والفنية. كذلك التنسيق بين الجامعة ومؤسّسات الدولة المختلفة، وكذلك مؤسّسات القطاع الخاص و الأهلي للوفاء بإحتياجات سوق العمل ومتطلباته.وكذلك عقد دورات تدريبية متطورة لتنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس بالجامعات والتوسع في خدمات التعليم والتدريب المهني لكلّ من الجنسين. وفي هذا السياق يجب ألا نغفل قيمة الحوار والنقاش في القضايا الوطنية والقضايا المهمة وأهميته في المؤسّسات التعليمية الأكاديمية لكونه يحقق التوازن والإستقرار الفكري كما يتمّ من خلاله الموازنة العقلانية في كلّ ما يطرح عليه من أفكار ومقترحات تتعلق بخصوصية الفكر والعقيدة حتى تبقى خصوصيتنا وهويتنا ولا تذوب في خضم العولمة وتتلاشى القيم والمعايير والأفكار والخصوصيات التي تميّز وطننا العربي الأصيل والإسلامي .

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

- احمد جابر الأسمر ، مثدمة في التربية الاسلامية انتماء وارتقاء ، دار الفرقان ، عمان ، 2004 .
- احمد معاذ الخطيب الحسني وآخرون ، ما لا نعلمة لاولادنا ، دار السلام للطباعة والنشر ، القاهرة، 2004
- جودت احمدو السرطاوي ،واخرون ، استخدام الحاسوب الانترنتن في ميادين التربية والتعليم ،دار الشرق غزة ، 2003
- سامي محمد نصار، قضايا تربوية في عصر العولمة وما بعد الحداثة، الدار المصرية اللبنانية القاهرة 2005 .
- شحاته حسين ، مداخل الي تعليم المستقبل في الوطن العربي، الدار المصرية للكتاب ، القاهرة ، 2004 -
- طه جابر العلواني ، ابعاد غائبه عن فكر وممارسات الحركات الاسلامية المعاصرة ،دار السلام ، القاهرة ، 2004
- علي الدين اهلال ، ثقافة الشباب العربي وهويته في عصر العولمة ، صحيفة المدينة تصد عن مؤسسة المدينة للصاحفة والنشر العدد 19606، 2016 .
- فريري بالو، المعلمون بناة ثقافة: رسائل إلى الذين يتجاسرون علي اتخاذ التدريس مهنة، ترجمة حامد عمار واخرون، الدار المصرية للنيانية ، القاهرة ، 2004
- فلاح القريشي، اثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي، جريدة الصباح الكويتية ، 20 يوليو 2007 .
- محمد ابراهيم مبروك وآخرون، الإسلام والعولمة ، الدار القومية الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان ، 1999
- محمود محمد ابراهيم وآخرون ، الاسلام والعولمة ، الدار القومية العربية ، القاهرة ،1999.
- اليونسكو ، التعليم ذلك الكنز المكنون ، مركز الكتل الإردني ، عمان 1996 .

ثانيا:الدوريات

- محمد عابد الجابرى ، مستقبل الثقافة العربية والاسلامية في ظل العولمة الثقافية ، مجلة الكلمة تصدر عن منتدى الكلمة للدراسات والابحاث ، العدد 18 السنة الخامسة 1998.

. ثالثا:الأنترنت

http://infed.org/mobi/globalization-and-the-incorporation-of-education/

أهمية **برامج الخدمة الاجتماعية في مجال إنحراف الأحداث**

د/ صلاح عبد السلام الضعيف - عضو هيئة التدريس بقسم الخدمة الاجتماعية - بجامعة الزيتونة

تمهيد،، تعاني المجتمعات الإنسانية منذ بدء تاريخها وحتى اليوم، من ظاهرة انحراف بعض الأحداث عن القوانين والقيم السائدة، فقد كرست المجتمعات كل ما تستطيع من جهد؛ لتوفير الرعاية والظروف الملائمة من الناحية الجسمية و النفسية والثقافية لنمو الأحداث فيها نمواً سليماً تطبيقاً للمبدأ القائل "الوقاية خير من العلاج"، وهذا لا يعني التركيز على الجانب الوقائي واغفال الجانب العلاجي، لذلك توالت الاهتمامات الدولية والإقليمية والمحلية في وضع التشريعات التي تتناول مشكلات الأحداث ومتطلباتهم، سواء في مجال الرعاية ،أو القضاء، أو شرطة الأحداث، إنشاء المؤسسات الإصلاحية. والخدمة الاجتماعية لها دور مهم في إعادة تعديل سلوك المنحرفين، وتوافقهم داخل المجتمع وأصبحت لها موضع اهتمام متزايد في المؤسسات الإصلاحية والعقابية، فهي تسعى دائماً في وضع الخطط والبرامج المخطط لها مسبقاً؛ بهدف إبعاد الأحداث عن الوقوع في صحبة عصابات الشوارع أو ذوي السلوك الجانح ، وإيجاد البدائل المفيدة والنافعة لملىء أوقات الفراغ لهم.

أولاً:-مشكلة البحث وأهميتها: يُعد موضوع انحراف الأحداث من أهم الموضوعات التي تثير اهتمام الباحثين والعلماء في مختلف المجالات و التخصصات، كالأطباء، والتربويين، وعلماء النفس، والاجتماعيين؛ لارتفاع معدل انحراف الأحداث بشكل ملحوظ، والتعرف على الأسباب المؤدية لتزايد حجم الانحراف، وإمكانية البحث عن الحلول؛ للتقليل من أعداد المنحرفين في جميع دول العالم، وقد ارتبط مصطلح الحدث بانحراف صغار السن على مر التاريخ الحديث، بأنهم أحداث منحرفون، ولكن معظم الباحثين والمتخصصين بهذا المجال توصلوا إلى أن المجرمين هم أشخاص عاديون جداً، لكنهم تعرضوا لظروف بيئية، واجتماعية قاسية ، ساعدت على الوقوع في الجريمة، ونتيجة لتضخم المشكلة في الآونة الأخيرة أصبحت تؤرق المجتمع ككل، مما دعا إلى تعدد الأبحاث والدراسات التي تناولت جوانب متعددة وحاولت رصد ظاهرة الأحدث، وهذا ما أكدته نتائج وتوصيات الدراسات التالية :

دراسة (صفاء عبد العظيم 2001م) التي أكدت على دور الاخصائي الاجتماعي الذي يعمل مع جماعات الأحداث هو المساعدة في تفريغ الطاقة الجسدية الزائدة المسببة في بعض الأحيان للعنف داخل المؤسسة[1] .

دراسة (أمال عبدالكريم 2005م) التي توصلت إلى ضرورة مواكبة التطوير في النماذج ومداخل الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية، واستخدام هذه النماذج، والمداخل وخاصة في المؤسسات العقابية يؤدي إلى تعديل اتجاهات المنحرفين حتى يصبحوا مواطنين صالحين في مجتمعهم[2] .

دراسة (نجاة صالح الشيباني 2012م) التي أكدت على الدور المهني للاختصاصي الاجتماعي في التعامل مع المواقف والخبرات السلبية التي تواجه الأحداث المنحرفين وهم داخل دور الرعاية وتوجيه الأحداث[3]. وعلى ذلك فإن برامج الرعاية الاجتماعية تسهم في تأهيل الحدث، وإعداده للحياة في مجتمع يستطيع أن يستغل فيه قدراته، وإمكاناته إلى أكبر حد ممكن، كما يستطيع أن يشق طريقه في الحياة مع الآخرين معتمداً على نفسه.

وتعتبر ظاهرة انحراف الأحداث من الظواهر الاجتماعية التي تنذر بخطر داهم، إذا لم يتم مواجهتها والتصدي لها بغرض الحد منها، كونها تمس شريحة مهمة جداً من الأبناء الصغار، وأي خلل يحدث في البناء يؤثر في سلامة المجتمع الذي يعيشون فيه، فالحدث بحاجة إلى رعاية وتوجيه من نوع خاص، يتناسب مع ما لديه من صفات تضمن له حياة سعيدة، حتى يتمكن من خلالها أن يستمتع بالحقوق والحريات التي تمكنه من النمو الجسمي والعقلي والروحي و الاجتماعي، بعيداً عن القلق والخوف والحقد، فالحدث يعاني من اضطراب حاد في الوعي والإدراك، ويعجز عن تقدير عواقب الأمور عند ارتكاب السلوك المنحرف[4]. ونتيجة لذلك ظهرت الحاجة إلى مهنة تقدم الخدمات الاجتماعية و القيم الإنسانية السامية، وهي مهنة الخدمة الاجتماعية التي تكمن أهميتها في الدور الذي تقوم به في مجال رعاية الأحداث، ليشمل تركيزها على النواحي الإنشائية، والإنمائية، والوقائية، والعلاجية التي تتعلق بالحدث، وهذه المهنة

---

[1]- صفاء عبد العظيم، دراسة تقويمية لمدى استخدام أخصائي الجماعة أسلوب القدوة الحسنة في تقليل عنف الأعضاء، بحث منشور، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، ع10، جامعة حلوان، 2001م.

2- آمال فهمي عبد الكريم، استخدام مدخل الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتعديل الاتجاهات الانحرافية للأحداث المعرضين للانحراف، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2005م.

[3]- نجاة صالح أحمد الشيباني، دور الاختصاصي الاجتماعي في التعامل مع المواقف والخبرات السلبية للأحداث المنحرفين، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، 2012م.

[4]- عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 1985م، ص50.

يقوم بتأديتها اخصائي اجتماعي يمارس دوره المهني في مؤسسات تربية الأحداث وتوجيهم في عدد من المهام، التي من بينها الإسهام مع الفريق العلاجي أو التأهيلي في إعادة تأهيل الحدث، ومساعدته في الاستفادة من فرص العلاج والوقاية من الانحراف. ونظراً لأن مهنة الخدمة الاجتماعية من المهن التي تضطلع بالعمل في العديد من المجالات الإنسانية، وتتعامل مع كثير من المتغيرات، فقد وضعت تلك المتغيرات المتلاحقة عباً إضافياً على هذه المهنة، فلم يصبح الهدف من ممارستها هو مجرد المساعدة في حل مشكلات الناس فحسب؛ بل تعدى الأمر إلى محاولة البحث عن إيجاد أفضل الطرق ، و النماذج ، والأساليب العلاجية التي يتم من خلالها ممارسة ذلك، كما فرضت تلك المتغيرات المتلاحقة بعض التحولات الضرورية التي حدثت على مختلف جوانب الممارسة. فممارسة مهنة الخدمة الاجتماعية رغم حداثتها مقارنة بالعلوم الإنسانية الأخرى فإنها تشهد اهتماماً كبيراً وتطوراً مستمراً على المستويين العالمي والمحلي؛ وذلك لمواجهة متغيرات الحياة الاجتماعية ومستجداتها ، فقد عملت على تسخير قواها ومعارفها لاكتساب المشكلات وتحليلها والوقوف على أسبابها، وطرق التعامل معها، وتستحدث الأساليب و النماذج العلاجية مستفيدة من تطور العلوم الإنسانية الأخرى في صياغة منهجية مستقله، تستطع التعامل مع كل ما يستجد على طالبي المساعدة نظراً لسرعة تطور الحياة المدنية، وما يواكب ذلك التطور من مشكلات على الأفراد والجماعات تستلزم التدخل لإزالتها، أو التخفيف من حدتها[1]. وتسعى مهنة الخدمة الاجتماعية في مؤسسات الضبط الاجتماعي سواء المؤسسات الإصلاحية أو العقابية لتحقيق أهداف علاجية وتنموية ووقائية في الأداء الوظيفي الاجتماعي للأفراد والأسر والمجتمع ككل[2] ، وهذا يتمثل في كل أشكال وأساليب التدخل المهني وما يترتب عليها من إجراءات وتدابير في تحديد الإشكاليات والمواقف ومسؤوليات طالبي المساعدة والمهنيين ومهامهم و أدوارهم في ضوء الموارد والإمكانات المتاحة[3] .ومن خلال هذا العرض فإن مشكلة البحث تتحدد في إبراز دور الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية

[1]-عبد الناصر عوض، العلاقة ممارسة العلاج المعرفي مع الطلاب غائبي الأب وزيادة قدرتهم على الضبط الداخلي، بحث منشور، المؤتمر العلمي 8، القاهرة، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية، 1995م، ص 260.

[2]- ماهر أبو المعاطي، الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، القاهرة، مكتبة زهراء للشرق، 2000م، ص 225.

[3]- طلعت مصطفي السروجي، الخدمة الاجتماعية أسس النظرية والممارسة، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث، 2009م، ص 53.

انحراف الأحدث، ومن ثم طرح مقترحات وتصورات لتطوير برامج الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية انحراف الأحداث .

ثانياً:- أهداف البحث:

1. التعرف على دور الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية انحراف الأحداث.
2. طرح مقترحات وتصورات لتطوير برامج الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية انحراف الأحداث.

ثالثاً:- منهج الدراسة : تم استخدام المنهج الوصفي وهو الطريقة لجمع المادة العلمية اللازمة للتعرف على الجوانب النظرية للموضوع، وضبط مختلف المفاهيم، ويقوم الباحث بعملية جمع البيانات والمعلومات النظرية بهدف تكوين منظور لموضوع البحث معتمداً على الكتب العلمية، والمجلات المحكمة، و الرسائل العلمية، والبحوث، والمطبوعات، وشبكة المعلومات الدولية (الانترنت).

رابعاً:- مفاهيم البحث: الدور: "هو السلوك المتوقع ممن يشغل مركزاً أو مكانة معينة، وذلك من خلال مجموعة من الحقوق للشخص في موقف معين، وما يقوم به من أعمال، وما يتم من تفاعل بينه وبين الآخرين"[1]. ويعرف الدور في البحث الحالي : بأنه كل ما يقوم به الاخصائي الاجتماعي العامل بمجال رعاية الأحداث من سلوكيات متوقعة منه، وينتظرها طالب المساعدة، يتم ذلك وفقاً لما يشغله الاخصائي الاجتماعي من مكانة أو مركز داخل مؤسسات تربية الأحداث و توجيههم.

-1 الخدمة الاجتماعية:"هي فن توصيل الموارد المختلفة إلى الفرد والجماعة والمجتمع لإشباع احتياجاتهم عن طريق استخدام طريقة علمية لتمكين الناس من مساعدة أنفسهم"[2]. ويعرفها فريدر لاند: "بأنها نوع من الخدمات المهنية التي تعتمد على قاعدة من المعرفة العلمية والمهارات المختلفة في ميدان العلاقات الإنسانية وتمكن

[1] - عبد الله القوضي ، نظريات خدمة الفرد ،ج 2 ،القاهرة ، دار الثقافة ،1983م، ص 726.

[2]- سيد أبو بكر حسانين، مقدمة في الخدمة الاجتماعية، منشورات الجامعة الليبية، 1973م، ص201.

مساعدة الأفراد كحالات أو جماعات للوصول إلى مستوى من التكيف والنضج والاعتماد على أنفسهم" [1].

ويقصد بالخدمة الاجتماعية: هي تلك الجهود والخدمات الإنسانية التي تقدم بطرق علمية، ويمارسها أخصائيون متخصصون في مجال رعاية الأحداث مستخدمين في ذلك مجموعة من البرامج الوقائية والإنشائية والعلاجية داخل المؤسسة، وخارجها بهدف إحداث التغيير المطلوب في اتجاه النمو الاجتماعي السليم[2].

ا **-2**

الانحراف: يعرف الانحراف في اللغة بأنه: "الميل وإذا مال الإنسان عن شيء يقال تحرف وانحرف" [3]**.فالإنحراف** هو:"الفعل الذي يضر بمصلحة الجماعة، أو المجتمع، ويهدد كيانه، وهو سلوك انحرافي بمعنى عدم التزام من يقوم به بالقيم، والمعايير في المجتمع، والتي تقيمها الجماعة، أو تحرص عليها" [4].**كما يعرف بأنه:**"الابتعاد عن القواعد التي يحددها المجتمع للسلوك السليم أو تجاوز درجات السماح التي يقرها المجتمع" [5].إذاً فالانحراف هو الخروج عن القوانين والقيم والعادات، والتقاليد، والأعراف التي يرتضيها المجتمع كونها لا تنسجم مع معتقداته.

-3

الحدث: يشير مفهوم الحدث في القانون إلى:" صغير السن الذي لم يتجاوز السن التي حددها القانون لبلوغه الرشد"[6].**ومن وجهة نظر القانون في ليبيا**:"هو الإنسان الذي لم يتم الثامنة عشرة من عمره، ذلك لأن مسؤولية الصغير جنائياً عن أعماله غير المشروعة تعتبر ناضجة، فقد أوضحت التشريعات القانونية أن الصغير دون السن السابعة من عمره لا يسأل مطلقاً عن فعل إجرامي يعاقب عليه الكبار، وإذا تجاوز السابعة من عمره ولم يبلغ الرابعة عشرة من عمره لا

---

[1]- محمد سيد فهمي، السلوك الاجتماعي للمعوقين دراسة في الخدمة الاجتماعية، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 2001م، ص24.

[2] - محمد سيد فهمي، أسس الخدمة الاجتماعية، الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1992م ، ص208.

[3] - ابن منظور، لسان العرب المحيط ، بيروت، دار الصادرة، 1988م، ص43.

[4] - مصطفى أحمد خاطر، الخدمة الاجتماعية (نظرة تاريخية)، الاسكندرية، مكتبة الجامعة الحديثة، 1998م، ص 272.

[5] - السيد علي شتا، الانحراف الاجتماعي والأنماط والتكلفة، الإسكندرية، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، 1999م، ص23.

[6]- على محمد جعفر، الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ، 1984م ،ص47.

يسأل جنائيا، ولكن يجوز للقاضي أن يتخذ في شأنه التدابير الوقائية الملائمة" [1]. وعندما يتم الصغير الرابعة عشر ولم يبلغ الثامنة عشرة وقت ارتكاب الفعل الإجرامي، فيسأل جنائيا على أن تخفض العقوبة إلى مقدار الثلثين، وإذا ارتكب الصغير قبل بلوغه الثامنة عشرة جناية عقوبتها الإعدام أو السجن المؤبد تستبدل العقوبتان السجن لمدة لا تقل خمس سنوات في دار تربية الأحداث وتوجيهها [2].

4- البرامج :

تعرف البرامج:"بأنها مجموعة أنشطة عملية وتربوية يمارسها الأفراد، و الجماعات كوسيلة من وسائل ترابطهم الاجتماعي، باعتبارها جُزءاً بالغ الأهمية من حياتهم الإنسانية" [3].**ويعرف البرنامج في الخدمة الاجتماعية: "** بأنها كل شيء تقوم به الجماعة مادام يعمل على تحقيق حاجاتها ورغباتها و إشباع ميول أعضائها ومادامت هذه البرامج تعود على الفرد الواحد في الجماعة ككل بالنفع**" [4].**

البرامج الإصلاحية:الإصلاح هو غرس قيم الخير وتنميتها لدى الإنسان سواء من الناحية الدينية، أو الأخلاقية، ويعتبر الإصلاح هدفاً أساساً لجميع المؤسسات الإصلاحية في المجتمع [5]. وفى ضوء ذلك فالبرامج الإصلاحية هي نشاط مخطط يهدف إلى إحداث تغيرات في الفرد والجماعة من ناحية المعلومات والخبرات والمهارات وطرق العمل وتعديل السلوك والاتجاهات.

البرامج العلاجية:هي الجهود المبذولة من قبل المؤسسات الإصلاحية لإخراج الجانح من حالة الجنوح ،أو الجريمة وعدم العود إليها، أو عدم تكرار الأفعال الإجرامية عن طريق التدخل الطبي أو بتدخل المختصين في المجال الديني، و التربوي، والأخلاقي، وغيرها من المجالات الأخرى .

---

[1]- عبد الله زكي بانون،"الإطار التشريعي لرعاية الأحداث "دراسة قدمت للمؤتمر الثالث للأسرة المنعقد في البطنان، طبرق، 1987م،ص301.

[2]- قانون الضمان الاجتماعي رقم 13 لسنة 1980م "المادة الأولى" .

[3]- السيد عبد الحميد ، الخدمة الاجتماعية وذوي الاحتياجات الخاصة ،الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، 2001 م، ص 207 .

[4] - سلمى محمود جمعة، ديناميكية طريقة العمل مع الجماعات، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، 1999م، ص 21.

[5]- عبد الله نوح عبد الرحمن وزن، دور برامج دُور الملاحظة في مجال أحداث الانحراف، رسالة دكتوراه غير منشورة الأكاديمية العربية المفتوحة، كلية التربية والآداب، قسم علم الاجتماع،2014م.

والبرامج في البحث الحالي:هي أي شيء تؤديه مهنة الخدمة الاجتماعية لتحقيق أهدافها وإشباع احتياجاتها، ورغباتها بمساعدة أخصائي اجتماعي، و التي توضع بمعرفة الجماعة، وبمساعدة متخصصين لمقابلة حاجاتهم وإشباع رغباتهم .

خامساً:- الاتجاهات المفسرة لجنوح الأحداث: هناك ثلاثة اتجاهات رئيسة و لكل اتجاه من هذه الاتجاهات عامل أساسي يكمن وراءه انحراف الأحداث وهذه الاتجاهات هي:

1ـ **التفسير البيولوجي:** ظهر هذا الاتجاه عندما لاحظ الباحثون وجود علاقة بين ظاهرة الانحراف والإجرام وبين سمات خاصة تتضح في هيئة الشخص المنحرف أو المجرم وملامحه أو شكله وطبعه، كرأس ضخم وملامح غير مستوية ، وطبيعة عدوانية ، مما جعل النظريات التي تبني على هذا الاتجاه تعتبر التكوين البيولوجي للفرد بمثابة المحدد الرئيس للسلوك ، وتقوم النظرية البيولوجية على الآتي : يرجع اتجاه الفرد للإجرام أو الانحراف إلى استعداد فطري بيولوجي موروث في الفرد وإلى خلل بيولوجي في تكوين الدماغ و الجهاز العصبي ، كما ترى أن هناك علاقة بين السلوك الإجرامي وتكوين الجسم سواء من ناحية الشكل العام للجسم أو من ناحية الأداء الوظيفي لأجهزته المختلفة وخاصة الغدد الصماء إن الوراثة هي المسؤولة عن السلوك الانحرافي ، وتعني الوراثة انتقال الموروثات من الأصل إلى الفروع ،أي من السلف إلى الخلف ، أي أن المجرم يورث إجرامه بيولوجياً لأبنائها مثل ما يورث صفات جسمه كلون الشعر أو العينين أو الطول أو القصر هذا وكان العالم الإيطالي (لمبروزو) من أقدم هؤلاء الذين جعلوا الوراثة أساس كل جريمة ، فقد كان يرى أن الفرد يولد مزوداً منذ ميلاده بخصائص موروثة تسوقه إلى الجريمة ، أما ما يخص التكوين العضوي الجسمي فيقصد به مجموعة الصفات التي تتعلق بالفرد منذ ولادته بالنسبة لشكله الخارجي و تركيبه الحيوي كالنقص في التكوين الجسدي والأمراض والعاهات الدائمة أو المؤقتة ، والنمو غير الطبيعي ،إن اختلال أعضاء الجسم قد يسبب اختلالاً في السلوك وكذلك العاهات التي تصيب الشخص قد تدفعه إلى الانحراف [1] . إن النظرية البيولوجية اهتمت بالتكوين العضوي والجسمي للإنسان وأيضاً بأن

[1] - الوحيشي بيري , عبد السلام الدويبي , علم الاجتماع المشكلات الاجتماعية . بدون بلد نشر : مطابع اديتار، 1992, ص 99 .

الوراثة لها دور كبير في الإنحراف السلوكي وأهملت أو تجاهلت تماماً دور العوامل الاجتماعية والبيئة التي تؤثر بشكل كبير في الانحراف .

2ـ **التفسير النفسي:** إن شخصية المنحرف تتسم بذات ضعيفة لا تمكنه من إدراك الواقع وتجعله أداة سهلة لتنفيذ الرغبات والسلوكيات الشاذة، وفقدان التوازن والتوفيق بين دوافعه الفطرية ومقتضيات الواقع حيث يفقد الشخص القدرة على ضبط التعبير والتحكم في هذه الدوافع. ويلاحظ أن " النظرية النفسية منطلقة من محاولة تحليل السلوك المنحرف من خلال البعد الذاتي للشخصية المنحرفة ولا تهتم به كظاهرة اجتماعية ، أنها تركز على الحدث المنحرف كفرد قائم بذاته ، ومن خلال دراسة هذا الحدث تحاول الوصول إلى اكتشاف أسباب انحرافه ، ويرجع اهتمامها للأسباب النفسية إلى ما يعانيه الفرد من صراع نفسي، أو اضطرابات مرضية نفسية وعقلية ، ومن أهم هذه النظريات المفسرة لجنوح الأحداث ما يعرف بنظرية النقص العقلي ، ونظرية التحليل النفسي والتقليد".[1] كما يلاحظ أن نظرية النقص العقلي تقوم على أربعة أسس مهمة هي :-

أ- أن المجرم أو المنحرف هو شخص مصاب بضعف أو نقص في قواه العقلية وفي هذا تتشابه هذه النظرية مع أصحاب المدرسة البيولوجية في أن المجرمين يولدون بصفات وسمات ثابتة كالتركيب الجسمي والضعف العقلي فناقصو العقول لا يستطيعون التوافق الاجتماعي لذلك يندفعون تلقائياً للانحراف و ارتكاب الجرائم .

ب- أن النقص العقلي صفة وراثية تنتقل عبر الأجيال وفقاً لقانون الوراثة .

ج ـ أن الشخص المصاب بضعف عقلي يكون في أغلب الأحيان غير قادر على فهم القانون أو المعايير السلوكية أو تقدير نتيجة سلوكه وأفعاله وبذلك يمكن التأثير فيه للقيام بعمليات انحرافية وإجرامية خاصة من قبل العصابات المنحرفة والمجرمة .

د- إن وضع سياسة لتقويم ضعاف العقول، أو عزلهم في معاهد أو دور رعاية خاصة هو أفضل الطرق لمقاومة الجريمة وأحسن طريقة لمعاملة المجرمين، و إلا أنه لا يمكن الاعتماد على النقص العقلي كعامل وحيد منعزل لتفسير الإجرام والانحراف وذلك لأن هناك ممن نسميهم ضعاف العقول .

[1] - المرجع السابق , علم الاجتماع المشكلات الاجتماعية ، ص 100 .

أما نظرية ((التقليد)) ترى أن التقليد هو أساس تعلم السلوك بوجه عام وأن الإنسان يتعلم السلوك الإجرامي إذا قلد غيره وكان هذا المقلد مجرماً. ويعد (جبرائيل تارد) زعيم هذه النظرية ورائدها، إن تارد يعتقد بأن الإجرام ظاهرة اجتماعية ونفسية ،ويري أن سلوك الخارجين عن القانون سببه عامل نفسي اجتماعي نتيجة المحاكاة ، وهو عمل يتعلمه الطفل من البيئة الاجتماعية المحيطة به عن طريق تقليد المجرمين من أسرته وأصدقائه .[1]

ثالثاً:العوامل المؤدية لانحراف الأحداث:ـ إن السلوك الإنساني هو نتاج مجموعة من المتغيرات والعوامل التي تختلف من إنسان لآخر كما أن هذه المتغيرات نفسها قد يتغير مفعولها على الشخص نفسه.[2] لذا سيتم عرض العوامل المؤدية لانحراف الأحداث على النحو التالي :-

1ـ **العوامل الشخصية الذاتية:** "هي تلك العوامل الشخصية لمجموعة من العناصر التي تشكل المقدمات البيولوجية والنفسية للحدث , والتي تتعلق بتكوين الجسم الخارجي وحالته الصحية وتاريخ المرض وعليه فإن العناصر الذاتية التي تتشكل في شخصية الحدث هي العناصر البيولوجية والسيكولوجية ".[3] فالعناصر البيولوجية تشمل كل ما يتعلق بالصفات الجسمية وتاريخ المرض و كل ما يتعلق بذات الحدث وأوجه القصور الذي يعانيه الحدث والاضطرابات السلوكية في شخصيته التي تحدث خللا وعدم توازن ، بينما تمثل العناصر السيكولوجية كل المؤثرات اللاشعورية التي تُحدِث اختلالا وعدم اتزان في الشخصية .وبالتالي تهيئ الشخصية للانحراف ، التي منها التوتر والقلق الذي يكون أساسه عوامل قيمية رسمت في النفس أو صراع تعرض له الحدث نتيجة نقص ما "فالسلوك الذي يسلكه الحدث سواء أكان سوياً أم سلوكاً منحرفاً ليس إلا محاولة نفسية حيوية تسعى إلى تحقيق تلائم الفرد مع مقتضيات الحياة ، وهذه العملية تتم بطريقة لاشعورية لا يحس بها الفرد في أول الأمر ، ثم تتخذ طريقها إلى الشعور فتبدو حينئذ مظاهر السلوك الذي يتأثر به المجتمع بالرضا إذا جاء خاضعا لقيود المجتمع وأحكامه ، أو إذا خرج عن النمط المتعارف

[1] - على الحوات وآخرون , دراسات المشكلات الاجتماعية . طرابلس : المعهد العالي للخدمة الاجتماعية , 1985 .

[2] - محمد سلامة غباري , مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث . الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث , طبعة الثانية , 1989 , ص 109 .

[3]- على محمد جعفر , الأحداث المنحرفون . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات , 1990 , ص 36 .

عليه وهو ما يطلق عليه سلوك منحرف ".[1] ونجد أن الأمراض العضوية كغيرها من الأمراض الأخرى التي تساعد الحدث على السير في طريق السلوك المنحرف ومن هذه الأمراض النقص في التكوين العضوي حيث يولد لدى الحدث شعور بالنقص والقصور وهذا الشعور يدفعه أحياناً لسلوك طريق الجريمة .[2]

2ـ **العوامل الاجتماعية الداخلية:** التي تتمثل في الأسرة والحالة الاقتصادية و الظروف السكنية:-

أـ **الأسرة:**هي أول مصدر لتكوين خبرات الطفل في الحياة وهي أول جماعة ينتمي إليها حيث تعتبر الأسرة هي المجتمع الوحيد الذي يختلط به الحدث في طفولته الأولى فيرسخ في داخل شخصيته ما يدور أمامه من أحدث وينطبع في مشاعره ما يتلقاه من قسوة وعنف أو رقة وحنان.[3] إذاً فقد كان على الأسرة دور كبير في ميل الحدث أو عزوفه عن السلوك المنحرف ، فإذا كانت الأسرة سليمة ومتماسكة يسود بين أفرادها الوئام والحب والرحمة والاحترام ، ويكون بالتالي هذا داعياً إلى اتخاذ الأبناء مسلكاً سليماً، أما تصدع كيانها كان ذلك دافعاً إلى أن يسلك الأبناء السلوك الإجرامي،" فمن الملاحظ أن الأب المنحرف والأم المنحرفة يلعبان الدور الرئيس في انحراف أبنائهما ، لأنه ينشأ في جو التصدع والعصبية وفي بيئة ينقصها الأمن والإشباع العاطفي " .[4]

ب ـ الحالة الاقتصادية:من العوامل التي لها أثرها البالغ والتي تعد مهمة في انحراف الأحداث هي العوامل الاقتصادية، ومن هذه العوامل الفقر ، فالفقر تندرج تحته العديد من صور انحراف الأحداث ومنها التسول والتشرد ومن الأمور التي لا يمكن إنكارها الارتباط بين الفقر والانحراف.[5]

---

[1] - محمد سلامة غباري , مدخل علاجي جديد لانحراف الأحداث . الإسكندرية : المكتب الجامعي الحديث , طبعة الثانية , 1989 , ص 109 .

[2] - على محمد جعفر , الأحداث المنحرفون . بيروت : المؤسسة الجامعية للدراسات , 1990 , ص 36 .

[3] - منير العصرة , رعاية الأحداث ومشكلة التقويم . الإسكندرية . بدون دار نشر : 1975 , ص 67 .

[4] - عدلي سليمان , إسماعيل رياض , رياض الخدمة الاجتماعية . بدون بلد نشر : مطبعة الاستقلال الكبري , 0791 , ص 355 .

[5] - أحمد محمد أضبيعة , مجالات الرعاية الاجتماعية. طرابلس : المكتبة العربية للكتاب , 2005 .

نلاحظ أن الفقر يمثل عاملا رئيسا في تهيئة الفرد للانحراف ، إذ إنه في غياب الحاجات الأساسية للفرد والتي لا يمكن إشباعها إلا إذا كان مستواه الاقتصادي يتلاءم مع متطلبات الحياة فإن لم يشبع هذه الحاجات فيكون عرضه للانحراف بغية تحقيق إشباع احتياجاته . إن انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة والذي يترتب عليه مسكن لا يوفر ظروفاً صحية أو اجتماعية مرغوبة ، وعدم توفر المسكن للأسرة وازدحام المسكن بأسرة كبيرة يجعل الطفل يفقد حاجته إلى المعيشة الطبيعية وبالتالي يفقد الحاجة إلى الرعاية.[1]

3ـ العوامل الاجتماعية الخارجية:ـ

أ ـ المدرسة: تشكل المدرسة دوراً مهما في مساعدة الطفل على أن يتعلم كيف يساعد غيره وكيف يقوم بالواجبات الموكلة إليه وأيضاً أن ينتمي إلى جماعات ويتعرف على عادات المجتمع وتقاليده هذه إحدى مسؤوليات المدرسة ، و بالتالي تكمن مسؤوليتها في صقل المواهب وتوجيه النشاطات وتنمية الشخصية بمعني أن المعلم في المدرسة يقوم بالدور الموجه التربوي ، ويجب على المدرس أن يتعرف على مشاكل طلابه ويساعدهم على إيجاد الحلول المناسبة لها بالتعاون بين الأخصائيين الاجتماعيين . حيث تضم المدرسة في العادة عدداً كبيراً من الأطفال المتقاربين في السن ومختلفين في قيمهم وبيئاتهم ، فبعضهم قد يكون منحرفاً فيفرض نفسه ويقودهم إلى الانحراف ، وكذلك حتى كانت شخصيتهم قوية ومؤثرة .[2] فالفترة التي يقضيها الطفل في المدرسة كافية لتؤثر في تكوين شخصية الحدث سواء كان التأثير سلبيا أو إيجابيا , فإذا كان سلبيا ستكون اتجاهات الفرد تميل نحو الانحراف وتتعارض مع قيم المجتمع ، أما إذا كان هذا الاتجاه إيجابيا فإنه يحترم المعايير الاجتماعية و الإطار العام للمجتمع الذي يعيش فيه. بما أن المدرسة تؤثر على شخصية الطفل من الناحية الفكرية والتربوية ، إذاً المدرسة تلعب دوراً مهما في التأثير في تكوين شخصيته من حيث إنها قد تجعله يكتسب سلوك إيجابي وهو السلوك السوي أو تجعله يتبع السلوك غير السوي وهو المنحرف والمتعارض مع المجتمع .

ب ـ **الرفاق والأصدقاء:** ـيعد الرفاق من المؤثرات التي لها دور بالغ الأهمية في التأثير في شخصية الحدث حيث إن أثر الرفاق والأصدقاء يتميز دائماً

[1] - خيري خليل الجميلي , الخدمة الاجتماعية للأحداث المنحرفين . الإسكندرية : المكتب الجامعي , 1994 , ص 60 .

[2] - أحمد محمد أضبيعة , مجالات الرعاية الاجتماعية ، مرجع سابق , ص 106 .

بتهيئة جو ملائم للطفل يشعر فيه بالحرية والانطلاق ، وذلك ليشعر أنه متحرر من جو المنزل أو المدرسة المشحون بالضغوط الانفعالية التي تحرم عليه إشباع رغباته وخصوصاً النفسية وهذا من شأنه أن يجعله دائماً يظهر في جماعات قد ترتكب سلوكيات منحرفة وبالتالي تهيئه للانسياق إلى السلوك نفسه وهو الانحراف .[1]

ج ـ **وقت الفراغ :-** من المعروف أن الطفل يحتاج إلى اللعب حيث يكون لدى الطفل نشاط ضروري لتكوينه البدني ولنموه النفسي والاجتماعي ، والطفل إن لم يجد في منزله ما يشبع رغباته واحتياجاته فإنه من المؤكد أنه سيتجه إلى الشارع ليجعله المكان الذي يلجأ إليه لممارسة نشاطه. [2] فوقت الفراغ له تأثير في سلوك الفرد حيث إنه إذا لم يتم سد وقت الفراغ وإشباعه بشيء يفيد الحدث في حياته ، فهذا من شأنه أن يجعله ينحرف عن القواعد والقوانين وبالتالي يصبح منحرفا .

سادساً: البرامج والانشطة رعاية الاحداث:[3] تمثل الخدمة الاجتماعية الجهود والخدمات الإنسانية التي تقدم بطرق علمية منظمة ومعروفة يمارسها اخصائيون اجتماعيون تم إعدادهم اعداداً علمياً لتقديم الخدمات العلاجية و الوقائية والإنمائية بما تساعد على مقابلة احتياجات الإنسان كفرد أولا وعضو في الجماعة أو المجتمع ثانياً من خلال المؤسسات الاجتماعية التي تمارس من خلالها مهمة الخدمات الاجتماعية.فالنشاط بمختلف فروعه يعد جانباً تربوياً و توجيهياً مهما كما يعد وسيلة من الوسائل العامة في الإصلاح و التقويم داخل المؤسسة التي تقوم بوظيفة تربوية شاملة وواسعة لإعادة توافق الحدث مع ذاته ومجتمعه ليكون فرداً متكامل الشخصية ومتمسكا بدينه وتقاليده ونافعاً لوطنه و يمكن بإيجاز استعراض أبرز البرامج والأنشطة المنفذة بالمؤسسة وفق ما يلي:-

---

[1] - المرجع السابق , ص 83 .

[2] - المرجع السابق , ص 83 .

[3] - أكرم نشأت ، مدخل لدراسة ظاهرة جنوح الأحداث بالدول العربية ، الحلقة الدراسية لرعاية الأحداث الجانحين بالدول العربية ، 1983 .

أولاً : البرامج :

1. الرعاية الاجتماعية:

أ. البحث الاجتماعي: يقوم الأخصائي الاجتماعي بدراسة الحدث دراسة متكاملة يتعرف من خلالها على تاريخه الاجتماعي ونوع الانحراف الذي سلكه وطبيعة شخصيته ما يتصل بها من جوانب جسمية تتمثل في الصحة و المرض والعاهات أو مظاهر نفسية كمزاج الحدث العام أو ما يعانيه من عقد نفسية أو الجوانب الاجتماعية كنوع علاقاته مع الأخرين وطبيعة القيم الاجتماعية و شكلها التي يتعامل معها وتؤثر في سلوكه.ويقوم الأخصائي الاجتماعي بتوفير العلاج الذي يتناسب وشخصية الحدث ويشنمل على تقديم خدمات مباشرة سواء بالتعاون مع المدرسة أو البيئة التي يعيش فيها وخدمات غير مباشرة تهتم بتعديل اتجاهات المحيطين بالحدث في حال كانوا هم السبب فيما وصل إليه الحدث من جنوح ، فالأخصائي الاجتماعي يعمل على دعم ثقة الحدث بنفسه و مساعدته على التكيف في المجتمع والتخفيف من التوتر والقلق والخوف و الاحباط والعدوانية وذلك من خلال الطرق العلاجية التي يتبعها الأخصائي الاجتماعي من نصح وإرشاد .

ب. العمل مع الجماعات:يصنف الأحداث إلى جماعات يشرف على كل جماعة أخصائي اجتماعي يعاونه عدد من المشرفين الاجتماعيين ، ويتولى الأخصائي المسؤول عن الجماعة تقديم الرعاية للحدث خلال المقابلات الإرشادية و الأنشطة المختلفة وتوزيع الأدوار داخل الجماعة وتتم متابعة تطور سلوكيات الحدث خلال ووجوده داخل الدار من خلال تقارير المتابعة للجوانب السلوكية والتعليمية والمهنية للحدث .

الرعاية النفسية:ويقصد بها استخدام الطرق النفسية المختلفة لمساعدتهم على حل مشكلاتهم الخاصة وإعادة التوافق واستغلال إمكاناتهم على خير وجه ، و العمل على إزالة المخاوف والإضطراب النفسي بسبب الحكم الصادر بحقه و إبعاده عن بيئته الخارجية حيث يتم تهيئة الحدث لإجراء الاختبارات النفسية و مقاييس القدرات بهدف تحديد قدراته الفعلية ومستواه الذهني وسماته الشخصية من خلال الأخصائي النفسي .

الرعاية الدينية:وتشمل البرامج الثقافية والتوجيهية الملائمة لمستويات الأحداث الثقافية والعمرية ، وهذا الفرع من الأنشطة له وظيفة مهمة في عملية تزويد الأحداث بالثقافة الدينية لتقوية الوازع الديني لديهم ، كما أنه موجه للسلوك السوي والعلاقات السليمة، ويتكون من عدة أنشطة وبرامج مهمة تتمثل في:((إقامة حلقات لتدريس القرآن الكريم وتحفيظه - إقامة مسابقات ثقافية - عقد ندوات ومحاضرات ذات علاقة بتوجيه وإصلاح سلوك الأحداث)) .

الرعاية المهنية:"ويقصد بها كافة العناصر التي ترتبط بالممارسة المهنية في الخدمة الاجتماعية والتي ترتكز على(العضو، الجماعة، الأخصائي، البرنامج) الارتباطات بين كل عنصر وباقي العناصر الأخرى وما تشمله من مقومات و مبادئ ومهارات يلتزم بها أخصائي العمل مع الجماعات".[1]، ويتحقق التدخل المهني من خلال قيام أخصائي بدوره مع الأعضاء والجماعات من خلال مواقف التي تمر بها الجماعة أثناء ممارسة أوجه نشاط البرنامج مستخدماً مبادئ ومعارف ومهارات وتكنيكات الطريقة لتحقيق أهداف المؤسسة التي تنتمي إليها هذه الجماعة.[2]

ثانياً: الأنشطة:

النشاط الرياضي: يهدف إلى استثمار وقت فراغ الأحداث بما هو مفيد كونه وسيلة فاعلة لإكسابهم اللياقة البدنية وبعض المهارات الرياضية المختلفة و الاستفادة منه في تعديل وتقويم سلوكيات الأحداث غير السوية .

النشاط الاجتماعي: ويهدف إلى إكساب الأحداث الاتجاهات السليمة والأنماط السلوكية المتوافقة مع القيم الدينية للمجتمع وتقاليده ، إضافة إلى اعتباره وسيلة فعالة في إكساب الحدث التوازن العاطفي والتوافق النفسي والاجتماعي وتنمية المسؤولية الاجتماعية لديه ويحتوي هذا النشاط على:((النشاط المسرحي- انشاء معسكرات داخلية بالدار))

النشاط الترفيهي: يهدف إلى اكساب الأحداث مهارات فنية تساعدهم على تنمية هواياتهم وإشباع رغباتهم الفنية وشغل أوقات فراغهم بما يعود عليهم بالنفع والفائدة ، ومن أهمها ما يلي:((رسم اللوحات الفنية - إقامة مسابقة في الرسم - دورات في تحسين الخط إقامة معرض فني)) .

سابعاً: طرق الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية الأحداث :

1ـ طريقة خدمة الفرد في مجال رعاية الأحداث: يتعرض الأحداث للعديد من المشكلات، مما يجعلهم في أمس الحاجة إلى المساعدة، ومن هنا برز دور خدمة الفرد مع هذه الفئة، حيث تقف بجانبهم، وتساعدهم على مواجهة العقبات التي تعوقهم لأداء وظائفهم الاجتماعية ، وتعمل جاهدة على إنماء شخصياتهم حتى يستطيعوا الاعتماد على أنفسهم في حل تلك المشكلات، ويعتبر الأخصائي الاجتماعي من أهم الرواد الذين يعملون في مؤسسات رعاية المنحرفين، فهو

---

[1] ـ **السيد عبد الحميد عطية وآخرون،النظرية والممارسة في خدمة الجماعة ,المكتب الجامعي الحديث,2011 ، ص259 .**

[2] ـ **نصيف فهمي منقريوس ، أساسيات وديناميات التدخل المهني في العمل مع الجماعات، المكتب الجامعي الحديث، دار الكتب والوثائق القومية، 2012، ص10.**

أول من يستقبل الحدث في المؤسسة، ومن ثم تبرز أهمية ممارسة دوره كأخصائي خدمة الفرد تقبل الحدث بفرديته الخاصة به، وبعدها يعمل على إقامة العلاقة المهنية معه، تلك العلاقة التي عن طريقها يستطيع الأخصائي الاجتماعي تقويم اتجاهاته، وسلوكه، وعلاقته مع الآخرين، فالحدث يحتاج أيضاً إلي الشعور بالثقة ، وهي تعتبر من العناصر الأساسية التي تجعل الحدث يحي حياة اجتماعية سليمة ولن يتأتى هذا إلا بتهيئته كي يواجه المواقف الجديدة بالثقة والطمأنينة.[1]

كما يقوم الاخصائي الاجتماعي بعمليات وأساليب مهنية مهمة وهي:

أ- دراسة العوامل المؤدية لانحراف الحدث: حيث يتضمن هذا الجانب:

دراسة شخصية الحدث:أي التعرف على العوامل الذاتية المرتبطة بمكونات شخصية الحدث، وهي "عوامل جسمية، ونفسية، وعقلية، والتاريخ التطوري للحدث".

دراسة بيئة الحدث:وتتطلب التعرف على العوامل البيئية المحيطة التي تؤثر في الحدث، ويتأثر بها وتؤدي به إلي الانحراف وأهمها "الأسرة من حيث تكوينها، ترتيب الحدث في الأسرة، وعلاقاته داخلها، المستوى الاقتصادي، و الثقافي، والديني، ومدى علاقته بزملائه، ودرجة تحصيله، واتجاهاته نحو الحياة الدراسية.[2]

الملاحظة والإشراف على الحدث: يجب على الأخصائي الاجتماعي ملاحظة سلوك الحدث ودارسته مستخدماً في ذلك أداء الملاحظة حتى يتمكن من مساعدة الحدث، ويتم ذلك على النحو التالي: استقبال الحدث والحصول على مجموعة البيانات الأولية المعروفة عن شخصية الحدث، وتعريف الحدث بالجماعة التي سينضم إليها بالدار وتشجيعه على الاندماج معهم.وتعويد الحدث على الاعتناء بأماكن النوم، ونظافة الحجرات، والمشاركة في أي عمل، وذلك لغرض غرس قيمة الولاء نحو المكان الذي يقطن به.والاتصال بأسرة الحدث و التعرف على اتجاهاتها نحوه، ونحو المشكلة، ومساعدته على زيارته حتى يشعر الحدث بأنه مرغوب فيه، و تبدأ نظرته تتحسن نحو نفسه ومجتمعه .

العلاج الاجتماعي النفسي للحدث:يركز الأخصائي الاجتماعي هنا على الجوانب الذاتية والبيئية للحدث، على اعتبار أن الحدث مريض يجب علاجه لا مجرماً يتم عقابه، وعليه فالعلاج الذاتي يوجه للحدث ليعوضه عن نوع

---

[1]-محمد السيد فهمي، السيد عبدالحميد عطية، عمليات طريقة العمل مع الجماعات، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث،2003 م،ص222 .

[2]-معالي الرماح الجرد، الأداء المهني للأخصائيين الاجتماعيين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية من وجهة نظر العاملين بها، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس، جامعة الفاتح (سابقا)، 2010م،ص77.

الحرمان، والعداء المحيط به عن طريق علاقة وُد وتوافق مع الأخصائي الاجتماعي ،أما العلاج البيئي فيشمل على: محاولة تعديل اتجاهات بعض الأفراد الدين يعيشون مع الطفل (كالوالدين، والأخوة، وزوجة الأب) [1]

طريقة خدمة الجماعة في مجال رعاية الأحداث:لكي تنجح مؤسسات رعاية الأحداث في تحقيق أهدافها، لابد وأن تمارس فيها طريقة خدمة الجماعة، على يد أخصائيين اجتماعيين مهرة، والهدف من تطبيق هذه الطريقة هو إشباع الحاجة إلى الانتماء والولاء وتنمية الضوابط الاجتماعية عن طريق خبرات الجماعة الموجهة التي تساعد الأحداث على تحمل المسؤولية من خلال قواعد منظمة واضحة، مما يجعلهم يتمسكون بالجماعة، ويدافعون عنها، ولتحقيق هذه الأهداف يجب على الأخصائي الاجتماعي أن ينظم الحياة الجماعية داخل مؤسسات الأحداث كالتالي:

أ- **تقسيم الأحداث إلي جماعات:** وذلك بتقسيم الحدث إلي جماعات – أسرة – تتألف كل أسرة من الأفراد المتجانسين في السن والميول والقدرات و يقوم الأخصائي الاجتماعي بدور الأب أو الأم بهذه الأسرة ويعاونه مشرفً أو مشرفةً اجتماعية.

ب- **الإسهام في البرامج والأنشطة الجماعية:** تحتاج الجماعات التي تضم الأحداث إلى توفير برامج تشبع رغبات الأعضاء وحاجاتهم من ناحية، وتخفف التوتر والقلق والسلوك العدواني من ناحية أخرى، كما يعتبر البرنامج في طريقة العمل مع الجماعات من الأدوات المهمة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في مساعدة الحدث على النمو سواءً من الناحية الجسمية، أو الاجتماعية، أو النفسية، أو العقلية، حيث تتيح البرامج والأنشطة للأحداث في تكوين العلاقات الاجتماعية التي تساعده على حل مشكلاته الشخصية، وإتاحة الفرصة له بالترويح عن نفسه من الرغبات المكبوتة، وهذا يعتبر هدفاً وقائياً مهما ضد الانحراف [2].

1- طريقة تنظيم المجتمع في مجال رعاية الأحداث:تسعى مهنة الخدمة الاجتماعية إلي تغيير أغراض العقوبة بالمؤسسة، وتركز على التأهيل و التهذيب وتسمح للحدث بالاتصال بالعالم الخارجي، وخاصة مع أسرته حتى تخفف عنه قسوة الإيداع بالمؤسسة، ولا ينفصل عن أسرته انفصالاً كلياً، وهذه الطريقة تهدي من نفسيته، مما تجعله يستجيب مع الأساليب التقويمية التي

[1]-عبد المنصف حسن رشوان، مدخل الممارسة المهنية لطريقة خدمة الفرد، القاهرة، المكتب الجامعي الحديث،2006م،ص89.

[2]- جلال الدين عبد الخالق، الدفاع الاجتماعي من منظور الخدمة الاجتماعية "الجريمة والانحراف"، الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر، 1996م،ص169.

يستخدمها الأخصائي الاجتماعي في عملية الاندماج بالمجتمع بعد الإفراج عنه، **و للاتصال الخارجي عدة صور من أهمها:**

أ. الزيارات الأسرية: تتضمن زيارات الأسر للمؤسسة حتى يشعر الحدث بأنه لايزال مرغوباً فيه من قبل أسرته، فهذه الزيارات تزيد من استقراره وتسهل عملية التأثير الإيجابي في تعديل سلوكه بسهولة، أما الأحداث الذين لا أسر لهم، ولا يوجد من يكفلهم فيجب على المؤسسة تنظيم برامج خاصة بهم أثناء زيارة الأسر الأخرى لأبنائها كالرحلات الخارجية، أو تنظيم برنامج ترفيهي أو رياضي داخل المؤسسة حتى لا يؤثر فيهم زيارة أسر زملائهم.

ب. الأنشطة الجماعية: يجب أن يضع الأخصائي الاجتماعي بالمؤسسة برامج وأنشطة متعددة يشترك فيها الأحداث بالمؤسسة مع مؤسسات أخرى مثلاً: كالمدارس، والنوادي الصيفية، في أنشطة مختلفة كالأنشطة الرياضية، و المسابقة الثقافية، والحفلات الدينية، والمناسبات الوطنية، فهذه البرامج والأنشطة تسهم في استمرار علاقته بالمجتمع الخارجي.

ج. التدريب المهني أو التعليم خارج المؤسسة: حيث يتضمن هذا البرنامج كبداية للتمهيد للإفراج عن الحدث، والأحداث الذين حان الوقت لزيادة اتصالهم بالمجتمع الخارجي تمهيداً لانفصالهم بطريقة طبيعية عن المؤسسة حتى لا يتعرض لمفاجأة الخروج، ولهذا نجد بعض المؤسسات تخصص أخصائيين اجتماعيين للقيام بتشغيل الأحداث بالمصانع الخارجية، أو ألحاقهم بدورات تدريبية بها، كما تلحق بعض الأحداث بالمدارس الخارجية في المجتمع لموصلة تعليمهم [1] .

- **ومن هنا يتضح دور الاخصائي الاجتماعي في مجال رعاية الأحداث في الآتي:**
- دراسة الحالة الاجتماعية للحدث منذ التحاقه بالمؤسسة.
- استقبال الحالات التي تم تحويلها من الجهات الرسمية، وما تتطلبه من إجراءات.
- التعاون مع الجهاز الفني للمؤسسة لتوفير الرعاية المتكاملة للأحداث.
- الاشتراك في أعمال اللجان الفنية وتسجيل اجتماعاتها ومتابعة قراراتها.
- مساعدة الأحداث على معرفة حقوقها والوعي بمشكلاتهم، وتعريفهم بالوسائل المناسبة للحصول على هذه الحقوق.

[1]- جلال الدين عبد الخالق، الدفاع الاجتماعي من منظور الخدمة الاجتماعية "الجريمة والانحراف"، المرجع السابق،ص173.

- إعداد البرامج والأنشطة الاجتماعية التي تتناسب مع طبيعة الأحداث.
- تلقي ملاحظات المشرفين خلال ممارستهم النشاط اليومي وملاحظة سلوك الأحداث.
- اكتشاف ميول الأحداث ومهاراتهم وتوجيهها التوجيه المناسب للاستفادة من برامج المؤسسة.
- الإشراف على مرافق المؤسسة، والتأكد من نظافتها، والإشراف على التغذية.
- العمل على تدعيم صلة الأحداث بأسرهم والوسط المحيط بهم.
- استلام الإعاشة اليومية مع باقي أعضاء الفريق وذلك حسب المواصفات التي تم تحديدها.
- التعاون مع أجهزة المؤسسة في إجراء البحوث والدراسات لتطوير سير العمل بها.
- إعداد التقارير الشهرية والدورية والسنوية عن خدمات المؤسسة وأنشطتها.
- توفير فرص التشغيل المناسب والتوجيه المهني بما يتناسب مع قدرتهم.
- تنوير الرأي العام بالوسائل الإعلامية بمشكلات الأحداث وتعديل الاتجاهات الخاطئة التي تعتبرهم عائلا على المجتمع.
- توعية الأسرة التي يعود إليها الحدث المنحرف بالأساليب المناسبة للرعاية وتجنب العودة مرة ثانية للانحراف.

ثامناً:طرح مقترحات وتصورات لتطوير برامج الخدمة الاجتماعية في مجال رعاية انحراف الأحداث:

1- العمل على تذليل المعوقات الخدمية التي تواجه تنفيذ برامج خدمات الرعاية الاجتماعية

2- العمل على إنشاء ملاعب متعددة داخل المؤسسات لممارسة النشاطات المختلفة للأحداث .

3- تفعيل البرنامج الصحي وخاصةً الكشف العام عند الدخول، ووجود الممرضين المقيمين بالمؤسسات الإصلاحية.

4- دعم المؤسسات بالأخصائيين الاجتماعيين المتمرسين في مجال الخدمة الاجتماعية.

5- العمل على استخدام الأساليب الحديثة فيما يتعلق بعمليات التقويم والمراجعة الدورية لقياس نجاح البرامج الإصلاحية، والعلاجية المقدمة للأحداث .
6- الاهتمام بالحرف اليدوية المختلفة.
7- توفير كوادر بشرية مؤهلة على جميع الأصعدة.
8- التركيز على البرامج التوعوية الدينية للأحداث.
9- عمل دورات تدريبية على مختلف المؤسسات الإصلاحية تساعدهم على إيجاد وظيفة بالدولة بعد خروجهم من المؤسسة.
10- العمل على تكثيف عمليات الإرشاد النفسي للأحداث وبحث مشاكلهم النفسية والاجتماعية.
11- الاهتمام بالموظفين والعاملين بدور تربية الأحداث وتوجيههم ودعمهم وتطويرهم من خلال الدورات التدريبية الهادفة والمثمرة سواء داخل المؤسسة أو خارجها.

وهناك الكثير من الاتجاهات الحديثة التي تعمل على حماية الحدث وعدم تعرضه للانحراف، وتتمثل في وسائل تدعيم الأسرة للقيام بوظائف التنشئة الاجتماعية على أكمل وجه، وكذلك في أداء المدرسة لوظائفها، وتحسين الظروف البيئة للحدث، وسوف نحاول طرح جملة من الاتجاهات الحديثة قد تقوم بوظائف وقائية وعلاجية للحدث في المجتمع :

1. التعاون مع الجهات المسؤولة والمشتركة في تقديم برامج الرعاية للأحداث على المستوى المحلي، كوزارة الداخلية ، ووزارة العدل بشأن دور الخدمة الاجتماعية في الوزارات.
2. التخطيط لتوسيع مؤسسات الرعاية الاجتماعية للأحداث وتطويرها.
3. تنظيم الخدمات والبرامج للحدث، وغرس فيه روح الانتماء، والولاء للوطن.
4. إنشاء مراكز متخصصة لتنمية المجتمع المحلي في كافة المدن، وتختص برعاية أسر الحدث، الذين في حاجة إلي رعاية.
5. استحداث مكاتب الخدمة الاجتماعية في مراكز الشرطة، ومحاكم الأحوال الشخصية، للقيام بدراسة أسباب التفكك الأسري، واقتراح المعالجات التي تحفظ للأسرة تماسكها، وحماية الطفل من الانحراف.
6. تحقيق التعاون بين المدرسة، والأسرة للإسهام في نجاح عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، وتفعيل مكاتب الخدمة الاجتماعية المدرسية للمساعدة على الكشف المبكر عن بوادر انحراف، وجنوح الأطفال، والاهتمام بالمشاكل السلوكية.

7. العمل على رفع كفاءة المؤسسات الخاصة برعاية الأحداث عن طريق برامج التدريب للأخصائيين العاملين بالمؤسسة.
8. العمل على تنمية القدرات والمهارات لدى الأحداث عن طريق الورش المختلفة أثناء وجودهم بالمؤسسة، أو عن طريق استخدام الإمكانات المتاحة في المجتمع.
9. العمل مع الأخصائي اجتماعي لكي يقوم بتعديل سلوكهم، وإشباع احتياجاتهم، واستعادة توافقهم الاجتماعي، والنفسي، وتحسين أدائهم الاجتماعي.

وخلاصة القول فإن البرامج هي اللبنة الأساسية لوظيفة مؤسسات الإصلاح والتأهيل، فمن خلالها يتمكن المجتمع من إعادة تنمية هذه الفئة المنحرفة، و الوصول إلى أفضل مستوى للتوافق وتحسين ظروف الحياة، بحيث تجعلهم قادرين على تحمل المسؤولية الاجتماعية، ومسؤولية التقدم والرقي على مختلف المستويات والمجالات انطلاقاً من الدور التنموي للخدمة الاجتماعية، في ظل مجتمع سريع التغيير، والانفجار السكاني الهائل، والبطالة المنتشرة في مختلف المجتمعات، كل ذلك وغيره أدى إلى تفاقم ظاهرة انحراف الأحداث، و أصبح لزاماً على مهنة الخدمة الاجتماعية التدخل السريع لمواجهة هذا الوضع باستخدام الأساليب المهنية الحديثة للمهنة، وتوظيف المعارف العلمية و أتباع كافة الإمكانات المتطورة للعمل في هذا المجال الحيوي.

المراجع:

1. آمال فهمي عبد الكريم، استخدام مدخل الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتعديل الاتجاهات الانحراف للأحداث المعرضين للانحراف، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2005م.
2. جلال الدين عبد الخالق، الدفاع الاجتماعي من منظور الخدمة الاجتماعية "الجريمة والانحراف"، الإسكندرية: المكتب العلمي للكمبيوتر، 1996م.
3. سمير كامل محمد، محاضرات في الخدمة الاجتماعية وانحراف الصغار والكبار، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1981م.
4. صفاء عبد العظيم، دراسة تقويمية لمدى استخدام أخصائي الجماعة أسلوب القدوة الحسنة في تقليل عنف الأعضاء، بحث منشور، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، ع10، جامعة حلوان، 2001م.
5. طلعت مصطفي السروجي، الخدمة الاجتماعية أسس النظرية والممارسة، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث، 2009م.
6. عبد الرحمن العيسوي، سيكولوجية التنشئة الاجتماعية الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، 1985م.
7. عبد الله زكي بانون، "الإطار التشريعي لرعاية الأحداث "دراسة قدمت للمؤتمر الثالث للأسرة المنعقد في البطنان، طبرق، 1987م.
8. عبد المنصف حسن رشوان، مدخل الممارسة المهنية لطريقة خدمة الفرد، القاهرة: المكتب الجامعي الحديث،2006م.

9. عبد الناصر عوض، العلاقة ممارسة العلاج المعرفي مع الطلاب غائبي الأب وزيادة قدرتهم على الضبط الداخلي، بحث منشور، المؤتمر العلمي 8، القاهرة، جامعة حلوان، كلية الخدمة الاجتماعية، 1995م.
10. عبد الله نوح عبد الرحمن وزن ، دور برامج دُور الملاحظة في مجال أحداث الانحراف، رسالة دكتوراه غير منشورة الأكاديمية العربية المفتوحة، كلية التربية والآداب، قسم علم الاجتماع،2014 .
11. على الهادي الحوات، وأخرون، دراسات في المشكلات الاجتماعية، طرابلس: المعهد العالي للخدمة الاجتماعي، 1985م.
12. على محمد جعفر، الأحداث المنحرفون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1984م.
13. فاطمة مبارك الحميدي، السلوك العدواني وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، 2003م.
14. قانون الضمان الاجتماعي رقم 13 لسنة 1980م "المادة الأولى".
15. ماهر أبو المعاطي، الخدمة الاجتماعية في مجال الدفاع الاجتماعي، القاهرة: مكتبة زهراء للشرق، 2000م.
16. محمد السيد فهمي، السيد عبدالحميد عطية، عمليات طريقة العمل مع الجماعات، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 2003 م.
17. محمد سلامة غباري، أسباب جنوح الأحداث، ط2، الإسكندرية: المكتب الجامعي الحديث، 1989م.
18. محمد محمود مصطفي، فعالية برنامج التدخل المهني خدمة الجماعة باستخدام نموذج تفاعل العلاج الجماعي المعرفي السلوكي والمساهمة في تعديل المنحرف، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، جامعة حلوان، ع 10.
19. معالي الرماح الجرد، الأداء المهني للأخصائيين الاجتماعيين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية من وجهة نظر العاملين بها، رسالة ماجستير غير منشورة، طرابلس، جامعة الفاتح (سابقا)، 2010م.
20. مفيد شهاب وآخرون، طموحات الخدمة الاجتماعية وقضايا التحديث، القاهرة: المؤتمر العلمي السابع عشر، مجلد السادس، 2004م.
21. نجاة صالح أحمد الشيباني، دور الاختصاصي الاجتماعي في التعامل مع المواقف والخبرات السلبية للأحداث المنحرفين، رسالة ماجستير غير منشوره، جامعة طرابلس، كلية الآداب، قسم الخدمة الاجتماعية، 2012م.

صحافة البيانات: طرح معرفي

د. محمد سالم المنفي عضو هيئة تدريس بكلية الإعلام جامعة بنغازي

مقدمة الدراسة وإشكاليتها: صحافة البيانات من الموضوعات الحديثة والتي لم تأخذ نصيبها من البحث علمي بشكل كافي. وهذا يعني إن المعلومات عنها ناقصة أو غير مجمعة وغير مرتبة ومصنفة في إطار معرفي شبه كامل و واضح المعالم. وفقاً لما سبق بلور الباحث إشكالية الدراسة في التساؤل الرئيس التالي:- ما هي صحافة البيانات؟

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الآتي:-

- التعريف بصحافة البيانات من حيث المضامين التي تعكس معناها ودورها المتزايد في العملبة الصحفية (الممارسة)
- تحديد الدور الإيجابي الفاعل لصحافة البيانات بين منتجوا المادة الصحفية وعديد من التخصصات الأخرى مثل علم الحاسوب والإخراج الصحفي...الخ.

تساؤلات الدراسة: تسعى هذه الدراسة الإجابة عن التساؤلات الآتية:-

- ما هي صحافة البيانات؟
- أين تكمن أهمية صحافة البيانات؟
- ما هي برامج التحقق من معلومات صحافة البيانات؟
- ما هي متطلبات صحافة البيانات؟
- ما أساليب عرض صحافة البيانات؟
- ما هي أهداف صحافة البيانات؟

هذا وتمن الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال الإطار المعرفي وماكتب حول صحافة البيانات من بحوث ودراسات وكتب ورسائل علمية التي توفرت لدى الباحث.

تعريف صحافة البيانات :تعددت التخصصات الموضوعية الصحفية من حيث المضامين التي تعكس معناها ودورها المتزايد في استخدام البيانات الرقمية والأخصائية خلال إنتاجها وتوزيعها للمعلومات بما يتناسب مع عصر الأرقام والمعلوماتية الرقمية. وتأسيسا علي ذلك فإن صحافة البيانات تلعب دورا بارزا في إيجاد التفاعل الايجابي لدى منتجي المضامين لمحتويات (الصحفيون) و العديد من التخصصات الأخرى المتعددة مثل علم الحاسوب والتصميم والإخراج الفني والإحصاء وعلوم الأرض والمساحة وعليه يرى بعض المختصين في مجال الصحافة. أن صحافة البيانات تمثل مجموعة متداخلة من الكفاءات المستمدة من المجالات والعلوم الأخرى.(1) وجاء استخدام صحافة البيانات علي نطاق واسع بهدف التوافق والانسجام في استخدام العديد من المفاهيم وربطها بالعمل الصحفي من اجل إثباتها وانتشارها بصورة علمية تسهم في تزايد المعرفة وواقعيها بالتالي يراها البعض من خلال أنها القدرة الحقيقة علي التعامل مع التقنيات الجديدة بما يساعد علي توظيف العلوم و تسخيرها للقراء.بالإضافة إلى أنها مستويات تقنية ومراحل تفعل العلم في الصحافة وضوابطه المعرفية والعلمية والإجرائية.ويرى البعض الآخر "أنها لا تعتمد على المضمون كجزء موضوعي لها إنما على القدرة علي معالجة البيانات بالأدوات الفنية ومواكبة توافقها مع القصة الإخبارية أو الرواية الصحفية التي يتم نشرها علي صفحاتها (ii).ويرى آخرون من المختصين في مجال العمل الصحفي أنها نظام إدارة المعلومات والبيانات والإحصاءات من حيث أجزاؤها وترتيباتها في قاعدة بيانات معينة لغويا ومعرفيا بصورة تختلف تماما عن بناء المعالجة التقليدية للعمل الصحفي .ويؤكد القائمون على الاتصال بالصحافة على أنها مجموعة من الأرقام التي يتم تجميعها في جداول بيانية وتشير إلى تقارير معلوماتية وهذا النوع من البيانات هو الأكثر استخداما في الصحافة قديما ونظرا لتطور الحياة والعلوم والتقنيات الفنية والتوظيفية وهيمنة الرقمية على مختلف العلوم أصبح من الضروري التعامل مع وصف الأشياء على مختلف مجالاتها وتخصصاتها بالأرقام والإحصائيات الدقيقة وهذا أما انعكس على الصحافة وأصبحت صحافة البيانات شكلاً من أشكال الصحافة عامة.ولذلك أصبحت صحافة البيانات الرقمية تنتشر بشكل واضح علي كافة الأصعدة والدول والهيئات والمنظمات للعدة أسباب أهمها:-

- توحيد العديد من المفاهيم وربطها بالعمل الصحفي .
- ظهور العديد من البرامج التقنية ذات الصلة بالعمل الصحفي التي ساعدت على توظيف أجهزة الحاسوب وملحقاتها في العمل الصحفي.

- طبيعة الجمهور القارئ واعتماده بنسبة كبيرة على البيانات الرقمية بوصفها مصادر معلومات.
- تنمية مفاهيم أوسع للصحافة والفاعلين فيها.

ومن خلال هذه الأسباب يمكن القول أن صحافة البيانات هي التي تعكس العلاقة بين الصحفيين وبين استخداماتهم الواقعية لتقنيات عامة والتقنيات الخاصة والعمل الصحفي وظهرت صحافة على وجه الخصوص.وتعد صحيفة ((الجارديان البريطانية)) من أوائل الصحف التي اعتمدت علي صحافة البيانات حيث أطلقت في 2007 ما أسمته (داتا بلوج) (مدونة البيانات), وهي أول مؤسسة إخبارية تبنت هذا المفهوم .حيث اعتمدت علي استخدام البرمجة في تحويل عمليات الجمع للمعلومات من مصادرها المختلفة التي من بينها المصادر الحكومية والمحلية ومراكز الشرطة وغيرها من المصادر وذلك بهدف إتمام عملية دمج تلقائية بين الوقائع والبيانات الرقمية. (2) علي سبيل المثال ما قام بها (ادريان هولفاتي) في صحيفة شيكاغو فيما يخص معالجة الجرائم والحوادث.ويؤكد ادريان هولوفاتي على ضرورة القدرة والمهارة في استخدام الحاسوب وتقنيات المعلوماتية وبالأخص في هذا النوع من الصحافة لكونه يتعمد بشكل كبير على الأرقام والبيانات والإحصاءات, و الوقائع الرقمية المحددة على اعتبار أنه يتم إنتاج القصص الإخبارية والتقارير الصحفية ومرفقاتها وفقا لقواعد البيانات الرقمية التي تعمل بطريقة التفاعل بين المعلوماتية الرقمية بين الواقع والأحداث واقعيا برسومها البيانية والتصوير المرئي المبسط للبيانات الرقمية والتصوير التفاعلي المرئي والمجالات الحركية مثل تصوير المحاكي للمضمون وما يتضمنه من استخدامات تقنية رقمية.(3)

أهمية صحافة البيانات:أن أي مطبوع يصدر لابد له من أهمية ولو نسبية أو قليلة وعليه فإن صحافة البيانات تكتسب أهمية على اعتبار أنها تركز بالدرجة الأولى علي البيانات والمعلومات الدقيقة الموثقة التي لا تتصل التأويل و التحريف علي أساس أنها من مصادرها الرئيسة وبناء على ذلك يمكن تقسيم أهمية صحافة البيانات علي النحو التالي:- (4)

- **أهمية صحافة البيانات بالنسبة للقارئ :-** تبرز أهميتها بالنسبة للقراء في النقاط التالية :-

1. تكتسب أهميتها من كونها تقدم بيانات ومعلومات تخصصية في مجالات العلم المتعددة بصورة رقمية مفيدة غير قابلة للشك.
2. تكتسب أهميتها من كونها تقوم ببناء عقلية القراء بصورة عملية مبينة على التعامل مع الأرقام كأداء لاقتناع الاتجاهات وتكوينها.
3. تقدم قيمة الاستماع المعرفي الذهبي من خلال البيانات والمعلومات المبني علي المنفعة المعلوماتية التي تسهم في إحلال التسلية والتثقيف المبنية على الواقعية .

- **أهمية صحافة البيانات بالنسبة للمؤسسة:-**

1. تظهر أهميتها في كونها تسهم في تشكيل أرشيف معلومات وبيانات واقعية للمؤسسة.
2. تكمن أهميتها في كونها تعكس الصورة العلمية المعرفية حول المؤسسة وابراز مكانتها من الناحية العلمية و الرقمية.
3. تكمن أهميتها في إظهار الدور البحثي العلمي للمؤسسات بناء على معلوماتها وبياناتها الرقمية التي يتم الاعتماد عليها في البحوث والدراسات العلمية.
4. تكمن أهميتها في تفصيل العلاقات الرسمية والعلمية بين المؤسسات من الناحية العلمية لما تملكه من قاعدة بيانات ومعلومات موثقة وبالتالي هي مرجعية علمية لهذه المؤسسات يمكن الاستفادة منها في وضع الاستراتجيات والخطط.

ومما سبق تتضح أهمية صحافة البيانات على مستوى القراء والمؤسسات وكذلك تتضح قيمتها المعلوماتية التي يحتاجها المجتمع بكل مكوناته.

المجالات التي تغطيها صحافة البيانات:-لأهمية صحافة البيانات ودقتها و معلومات نبئاها واستراتيجيات الاقناعية أصبحت الضرورة العلمية تفرض مجالات بعينها لابد أن تقوم صحافة البيانات بتغطيتها بحيث تتناسب مع طبيعيتها وقيمتها العلمية والرقمية .ولهذا نستعرض أهم المجالات التي تتناولها وتركز عليها وهي:- (5)

1. التقارير المعملية المعتمدة على الحاسوب وقواعد البيانات والمعلومات الضخمة بهدف تقديم معلومات وحقائق إخبارية صحفية مميزة متصلة بالواقع.
2. القيام بالمخططات والاستراتجيات المعلوماتية البيانية التي تستخدم في المنظمات والهيئات والمؤسسات لاستخدامها وفق مجالها وأنشطتها ذات الصلة بالجمهور والأعمال الاقناعية بالأسلوب العقلاني و المنطقي.

3. تصوير البيانات الرقمية وهذا المجال للصحافة البيانية بعد من أهم مجالاتها لكونه يعكس أسلوب المحاكاة الذي يقوم على المعلومات و البيانات الرقمية الذي يحتاج إليه الكثير من الباحثين والمختصين من أجل نقل المعلومات والبيانات بصورة تصورية قريبة من الواقع و المنطق العلمي.
4. التصوير التفاعلي وهذا يعتمد كثيرا على البيانات والمعلومات الرقمية ذات الصلة المباشرة والتفاعلية بالموضوعات التي يتم بنشرها بهذا النوع من الصحف حيث أنه يعكس درجة التفاعل والمشاركة بين القراء والموضوعات التي يتم معالجتها وهذا المجال من أصل العمليات الاتصالية العلمية ويتم ذلك باستخدام الوسائط التفاعلية الحركية .
5. الألعاب التفاعلية تعتمد صحافة البيانات علي هذا المجال في استخدام البيانات والمعلومات الرقمية في تنشيط الذاكرة والفكر لدى القراء من خلال الاعتماد على أساليب الألعاب التفاعلية التي تحقق وظيفة المتعة والتسلية المعرفية بما تتضمه من تنوع في الأسلوب والطريقة المعرفية التي تقدم بها المعلومات والبيانات الجامدة.
6. البيانات الهيكلية وتعتمد صحافة البيانات الرقمية علي هذا النوع من المجال العلمي وتداول الحقائق والأحداث الواقعية على أساس إداري وفي تنظيم المعلومات وسريانها وهذا ما يعرف في مجال المعلومات نظام إدارة المعلومات ,ويتم من خلال قاعدة البيانات الرقمية التي يتم تجمعيها بأساليب علمية دقيقة.(6) التي تسهل عملية التعامل مع البيانات والمعلومات الرقمية بما يتناسب مع سرعة العصر ومتطلباته واستناداً على ما سبق يمكن القول بان صحافة البيانات ذات صفة خاصة ومجالات محددة بصورتها العلمية الرقمية المنظمة بأساليب علمية فنية ذات قيمة معرفية .

أسباب أهمية صحافة البيانات:اكتسبت صحافة البيانات أهميتها مما تميزت به من خصائص وسمات رقمية متناهية في المعلومات والمتابعات والتقارير الصحفية ذات الطابع الواقعي المعلوماتي ومن أهم أسباب أهميتها : (7)

- **تصفية البيانات وتدقيقهها:**لما كانت المعلومات شخصية وتتطلب جهود كبيرة للحصول على الأخبار وجمعها من مصادر متعددة بالتالي كانت لابد أن تمر بأساليب معينة منها:أسلوب تحليل البيانات بهدف هيكلية سيل المعلومات غير المحدودة وكذلك عرض المعلومات الأكثر أهمية والرقمية بالإضافة إلي معالجة معلومات العلوم بأسلوب عملي و تحقيقها بما يتناسب مع أهمية هذا الصحافة وقيمتها.

- الحاجة إلي نهج جديد في المعالجة والعرض في كمية المعلومات بأساليب رقمية مميزة تتناسب والمعطيات الاقتصادية للمؤسسات الصحفية والصحف نفسها على أساس أن مصطلح صحافة البيانات الرقمية مصطلح يضمر مجموعة عديدة من الأدوات والتقنيات الفنية و الأساليب الأمر الذي استوجب إيجاد نهج يتناسب مع طرح القصص الإخبارية الرقمية ويتضمن كذلك إعداد التقارير بمساعدة الحاسوب و اعتماد البيانات الرقمية كمصدر أساسي وذلك بالطريقة التطبيقية التي تحقق خصائص صحافة البيانات وسماتها.وذلك بهدف توفير المعلومات حول الأحداث والوقائع والتحليلات الصحفية المبينة علي الرقمية التي تساعد علي إثراء القراء بالأخبار والمعلومات التي تخص القضايا البيانية المهمة.
- متطلبات العمل الصحفي الجديد والتعامل مع الأرقام والرقمية و التكنولوجيا المعلومات وذلك لكون العملية أصبحت اقتصادية من حيث المصروفات والمدخلات التي تقوم عليها العملية الصحفية و بالتالي أصبح التعامل مع صحافة البيانات الرقمية ضرورة حتمية لدى المؤسسات والقراء والمجتمع ككل.
- أن التصدير الرقمي واستخدامه في مجال الصحافة أصبح أحد أهم المؤثرات النفسية التي تسهم في تزايد اهتمام القراء بالموضوعات و بالتالي تؤدي إلى ارتفاع مستوى الثقافة المعلوماتية الرقمية لدى المجتمع ككل وقراء الصحافة علي وجه الخصوص.

ومما سبق تتضح الأسباب التي جعلت صحافة البيانات ذات أهمية بالنسبة القراء بالدرجة الثانية وللمجتمع بكل شرائحه عموما

- **موصفات صحفي صحافة البيانات**:-القدرة على تدقيق البيانات و تخديرها من الكم الهائل والتعامل مع المصادر الأساسية للبيانات الرقمية بصورة فنية عملية للمحافظة على قيمة البيانات والرسوم المعلوماتية المتزايدة.

1. القدرة القائمة على تحليل البيانات بصورة مجردة قائمة على الطابع العملي التطبيقي وتوظيفها بما يحقق خصائص الصحافة البيانية و رسوماتها.
2. المهارة والقدرة على اكتشاف المعلومات والبيانات والبحث عنها بأساليب تسهم في تحقيق الآتية والمهنية العالية في الأداء و التوظيف الصحفي لها.

3. التميز بالمهارة العلمية والتعامل مع معايير البيانات الرقمية وتنوعها و إمكانية تحويلها في صورة صحفية صحيحة مهنية.
4. القدرة علي تصوير المعلومات والبيانات بصورة تتناسب والموارد الاقتصادية للصحافة وقدرتها المالية مضات علي تناسبها مع مستويات قرائها.
5. التميز بالقدرات والإمكانات الكتابية التي تمكن الصحف من تحويل البيانات الخاصة الرقمية إلى قصة صحفية مقبولة لدى القراء.
6. القدرة على التقويم السليم للبيانات من أجل التخطيط والتنظيم المستقبلي لاستفادة من المعلومات وابتكار المشروعات المعلوماتية من خلالها.

ولابد للصحفيين الذين يرغبون في العمل بصحافة البيانات أن يتحلوا بمهارة إقناع الناس والقراء بأهمية البيانات والمعلومات الرقمية وقيمتها في سبل حياتهم

- القدرة والمهارة للتغلب على الصعاب والتحديات التي تواجهها والعمل الفني المتمثل في معالجة المعلومات والبيانات الرقمية بصورة صحفية مميزة بعيدة عن الصحافة التقليدية مثل كيفية تقديم القوانين والبيانات وتحليلها رقميا.
- الفهم العميق للمعرفة العلمية المؤسساتية التي تمكنه من معالجة الأمور المتعلقة بها بشكل علمي رقمي يتناسب مع مكانتها واختصاصها.
- يجب أن يتحلى بالمهارة الفنية من حيث صناعة الجداول وتصميمها بما يخدم توظيف الأرقام ووضعها في الموضع العلمي المناسب للعمل أي بمعني المعرفة بعلم الرياضيات والإحصاء.
- ضرورة التدريب على عمل صحافة البيانات بشكل علمي كبير نظرا لعدم تدريس صحافة البيانات في معظم مدارس الإعلام وكلياته باستثناء البعض القليل جدا .

برامج التحقيق من معلومات صحافة البيانات:من المسائل الجوهرية الايجابية في صحافة البيانات التحقيق من معلوماتها الرقمية وتفحصها بأساليب علمية تتناسب مع مميزات هذا المجال الصحفي وخصائصه حيث إنه لابد من الاشتراك مع المجموعات الاستقصائية الباحثة عن المعلومات وتقصي الحقائق والإحصاءات الرقمية الدقيقة على اعتبار أن هذه المعلومات تدخل في العديد من عمل القطاعات المختلفة على سبيل المثال كجداول الرواتب بالقطاعات

العامة, وهذا من الممكن أن يتم عبر صحافة البيانات بكل جوانبها ,ولتحقيق هذا لابد من استخدام برامج تقنية معينة من أهمها:-(8)

من أهم برامج التحقق من البيانات:-

- **برنامج إكسل EXCEL:**يعتبر برنامج الإكسل هو أحد برامج الجداول الممتدة التي تخدم عدداً كبيراً من المستخدمين ويتيح عملية إدخال البيانات بسهولة سواء كانت بيانات رقمية أو حرفية.
- **محرر مستندات جوجل Google Doce**: يعمل علي تنسيق الفقرات بسهولة, ويمكن الاختيار بين المئات من الخطوط وإضافة روابط وصورة ويمكن الوصول إلى المستندات وإنشائها وتعديلها في أي وقت ومن أي مكان سواء من جهاز الكمبيوتر أو الهاتف المحمول.
- **جداول فيوجن fusion Tables**
- **برنامج MYSOL:** هو برنامج خاص بقواعد البيانات العلائقية, يقوم بإدارة قواعد البيانات متعددة المستخدمين وأيضا للرسوم البيانية نستخدم باقة برامج ADOBE .SUITE وهي مجموعة من البرامج تصميم الجرافيك, و تحرير الفيديو وتطوير مواقع الانترنت.
- **برامج RDF** و **SPARQL**: ويسمح بالتوافق بين بعض التطبيقات التي تبادل معلومات غير رسمية.

- **استخدام خرائط جوجل وبينغ وجوجل ايرث إلي جانب خرائط ARCMAP**

يمكن استخدام الخرائط على الكمبيوتر أو الهاتف أو الجهاز اللوحي للبحث أو الاستكشاف والعثور على طريقك حول العالم.والحصول علي معلومات حول مكان معين او الاتجاهات.ويتميز بأنه يتيح لك السفر عبر الزمن .

- **قواعد بيانات ACCESS وsolar**

من ناحية المظهر يشبه جدول قاعدة البيانات حيث يتم تخزين البيانات في صفوف وأعمدة لذلك في معظم الأحوال يكون من السهل استراد جدول

متطلبات صحافة البيانات:

- تحديد مصادر البيانات الرقمية التي يعتمد عليها في بناء محتويات صحافة البيانات وذلك وفقا للأنماط والصيغ المتعارف عليها في سبل التعامل مع مصادر البيانات بصورة مباشرة
- اعتماد محركات مميزة ذات جودة فنية عالية للبحث في البيانات الرقمية بما يتناسب مع ملفات صحافة البيانات , و كيفية التعامل مع الجداول البيانية علي سيبل المثال كملف أو ملف scv.
- الاعتماد علي الاختزال كأسلوب بحثي في صحافة البيانات وهو مايعرف بالبحث بجزء من العنوان .
- ضرورة مواكبة تطور التكنولوجيا عامة وتكنولوجيا المعلومات خاصة من الناحية المتعلقة بطرق المعالجة والناحية الفنية في استخدام التوظيف .
- ضرورة ربط التواصل المعلوماتي مع الجهات والهيئات و المنظمات ذات العلاقة بالبيانات ومعالجتها والتحقيق منها من أجل التأكيد على مصداقيتها وإمكانية توظيفها في صحافة البيانات وعلي رأس هذه الجهات ما يلي:-
  - مشروع إعداد التقارير حول الفساد والجريمة المنظمة
  - المنتدى الإفريقي للتقارير الاستقصائية.
  - إعلاميون من اجل صحافة استقصائية عربية (اريج)
  - الشبكة العالمية للصحافة الاستقصائية.
- ضرورة التعامل مع البيانات علي أساس أنها لا تتقادم بمرور الفترات الزمنية الطويلة إنما يمكن تجديدها بإضافة تطبيقات معلوماتية من خلال صحافة البيانات في إعداد التقارير والتحليلات المعلوماتية فضلا عن أن هذه البيانات يمكن استخدامها على المستوى الداخلي للمؤسسات والهيئات وغيرها بما يحقق أهدافها.
- ضرورة تحويل البيانات التي تعتمد عليها المعالجة الصحفية بصحافة البيانات إلي جدول البيانات الذي يقوم أساسا علي برنامج EXCEL أو موقع GOOGLE DRIVEوالذي يتطلب تحميل البيانات في صيغة قيم بيانية مفصولة عن بعضها بفواصل واضحة.
- ضرورة تفتح البيانات مهما كان مصدرها وثقتك فيه لجعلها مميزة واكتر دقة من خلال إعادة تنظيمها (ممكن مشاهد مقاطع الفيديو

الخاصة بالبرنامج التعليمي للحصول علي إرشادات بشأن عملية التنفيع)

- بهذه المتطلبات مجتمعة يمكن إن نصل إلي صحافة بيانات مميزة بخدماتها الشاملة التي تسهم في بناء قاعدة بيانات معلوماتية رقمية يمكن الاستفادة منها في وضع الخطط و البرامج العلمية للمؤسسات بشكل عام. (9)

أساليب عرض ومعالجة المعلومات بصحافة البيانات:

يعتمد عرض ومعالجة المعلومات في صحافة البيانات علي الإمكانية الفائقة في دمج العلوم البرمجية والبيانات مع أدواتها والمهارة الصحفية في تقديم القصة الخبرية أو الصحفية, علي اعتبار أنها عملية دمج بين الألوان والأحجام والخطوط بصورة تصويرية تعطي انطباع ذهني من خلال الرموز (الاختزال بشرط إن يتم اختيارها بعانية ومعناها يصل إلي القارئ ولا يتعارض مع المفاهيم الساندة في المجتمع والمعمول بها).وهذه المسألة تتوقف بالدرجة الأولى علي الانترنت والبرامج الفنية التي تمكن الصحفي من تحويل المعلومات إلي بيانات رقمية ويتم ذلك من خلال الأتي:-

- تطوير المعلومات العام وتحويلها إلى صور تعبيرية بصرية و إحصاءات دقيقة يتم الإشارة إليها من خلال الأشكال البيانية المختلفة .تحويل البيانات العامة إلي تصوير بصري تصاحبه رسوم بيانية بما يتناسب وحجم المعلومات والتي يتميز إمكانية تغيرها في أسرع وقت حسب تطوير المعلومات و تغيرها.الاعتماد علي الجرافيك في عر ض ومعالجة المعلومات بصورة تستهل علي القارئ متابعة الوقائع و الأحداث بشكل تسلسلي ومنطقي مواكب الحياة اليومية و قضاياها. أن تكون البيانات من مصدرها الحقيقي المتعددة بحيث يمكن تنصفيها منتظمة وضرورة التأكد والتأكيد علي صحتها من اجل العمل علي تبسطيها بصورة بصرية رقمية حسب أهمية المعلومات .

- معالجة الأخبار التي تحتوي على الملايين من المعلومات وكذلك الميزانيات المتعلقة بالمؤسسات علي مختلف مستوياتها بأسلوب رقمي لا يفقدها قيمتها المعلوماتية وعدم تجريدها من معناها عن طريق تصويرها بطريقة سلسلة تضعها في مساحة أوسع و أكتر دقة تساعد القارئ على اتساع رؤيته بحيث ينظر للأخبار بصورة أعمق والتي تكشف له علاقاتها وأنماطها.(10)

- من هنا جاءت ضرورة العمل بهذه الأساليب من اجل الوصول إلى صحافة بيانات تقوم علي القصة الخبرية الرقمية التي تعكس الإحصاءات التي هي الجزء الأساس للخبر وبالتالي تستطيع مواكبة التدفق الهائل للمعلومات والبيانات وإحداثها وفاعليتها وهذا ما جعل الصحف العالمية تقوم بإنشاء أقسام خاصة بتغطية القصص الخبرية من أجل الاستفادة منها في البحوث والدراسات العلمية ,وذلك نظرا ولكبر حجم هذه البيانات تقوم الصحف بمعالجاتها بعيدا عن الاستعراض الجمالي فقط.

أهداف صحافة البيانات:

1- ضرورة مشاركة الناس في نشر المعلومات وصياغتها والحصول عليها.
2- التركيز على دمج الجمهور المستهدف في أحداث المجتمع ومتابعتها
3- الاستفادة من التطور العلمي في مجال الأنترنت والبرامج الفنية التي تتعامل مع البيانات والمعلومات بصورة أكتر حيوية ودقة.
4- العمل على تحويل البيانات العامة والمعلومات العامة إلى أرقام يمكن فهمها في أسرع وقت
5- تبسيط المعلومات وتقديمها في صورة فنيه بصرية جذابة باستخدام الرسوم البيانية والألوان والأحجام في عملية المعالجة والتوضيح.
6- تسهيل الفهم لدى القارئ للقضايا المجتمعية من خلال القضية البصرية الرقمية بأساليب المعالجة وهذا من شأنه يشكيل رأياً عاماً حولها يتصف بالدقة المعلوماتية.
7- إبراز الفوارق في المعلومات التي سبق وان تم معالجتها و المعلومات والبيانات الحالية بصورة رقمية جديدة من خلال استخدام الرسوم البيانية وغيرها من الأشكال الفنية.
8- الاستخدام الجيد للتقنيات الجديدة في العمل الصحفي عامة والأبحاث العلمية و الصحفية خاصة من خلال البيانات الدقيقة التي تدعمها صحافة البيانات.

صور من صحافة البيانات:

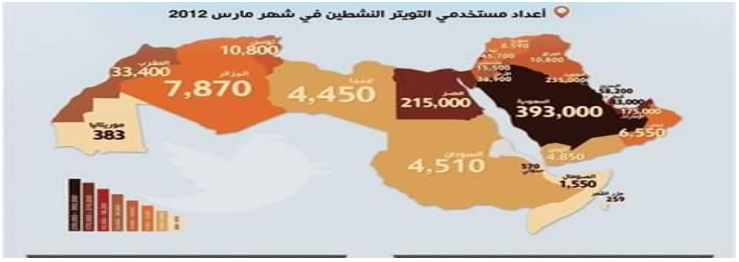

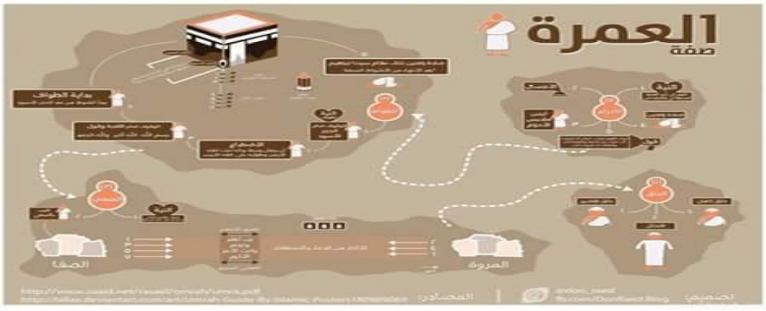

الهوامش:

(1) مشروع التعليم الإعلامي- مركز تطوير الإعلام – جامعة بيرزيت –جامعة تامبيري TAMPERE UNIVERSITY الدليل الإعلامي, (بدون مكان طبع. بدون تاريخ).

(2) حسن الإبراهيم, "البيانات سر النجاح في صحافة العصر" موقع صحفية تشرين علي الإنترنت 20/02/2015 /http;//tishreen.nws.sy

(3) حسن الإبراهيم, "البيانات سر النجاح في صحافة العصر" موقع صحيفة تشرين علي الانترنت 20/01/2015 http://tishreen.nws.sy

(4) انظر إلي: _منصور الحمري ، حسن الإبراهيم, "البيانات سر النجاح في صحافة العصر" موقع صحيفة تشرين علي الانترنت 20/01/2015 http://tishreen.nws.sy

(5) أنظر إلي:

- بدون اسم "توجه عالمي متزايد لتبني صحافة المعلومات والرسوم البيانية 8 إبريل 2013 صحيفة الاتحاد http://wwwalittihad.ae
- "من الأدلة إلي الأخبار " http://sudandatra.otrg

(6) أنظر إلي:

- بدون اسم "توجه عالمي متزايد لتبني صحافة المعلومات والرسوم البيانية 8 إبريل 2013 صحيفة الاتحاد http://wwwalittihad.ae
- "من الأدلة إلي الأخبار " http://sudandatra.otrg

(7) أنظر إلي :

_ عبد الله هيضة الانفوغراف " وجه في صحافة السعودية يتحدي أمواج الإعلام المتضخم صحيفة الشرق الأوسط , العدد (13733) 4 يوليو 2016 موقع صحيفة الشرق الأوسط , http://aawsat.com

- بدون أسم" إنفوتايمز متعة صحافة البيانات", ملحق السفير العربي, 30 أكتوبر 2013, http://arabi.assafir.com/artcle/761/.com
- حنان سليمان, "صحافة البيانات إعلام مستقل ومريح عربياً". موقع رواد الأعمال, 5 أغسطس 2016 http://entreprenpreneuralarabiya.com/

(8) حنان سليمان," صحافة البيانات إعلام مستقل ومريح عربياً". موقع رواد الأعمال , 5 أغسطس 2016, http://entrepreneuralarabiya.com

(9) خالد خطاك, " نصائح وأدوات أساسية لصحفيي البيانات " 24 أكتوبر 2016 شبكة الصحفيين الدوليين https//ijet.org

(10) آيات الحبال, "الانفوجرافيك (صحافة البيانات) بين لالكتروني والمطبوع, موقع شبكة الصوت الحر" http://asahnetwork.org

قائمة المراجع :-

1. مفهوم صحافة البيانات

- مشروع التعليم الإعلامي- مركز تطوير الإعلام - جامعة بيرزيت – جامعة تامبيري TAMPERE UNIVERSITY الدليل الإعلامي, (بدون مكان طبع بدون تاريخ).
- جوناثان غراي – ليليان بونيغرو, لوسي شيمبرز, دليل صحافة البيانات, ترجمة أبوبكر خلاف, بدون طبعة (القاهرة : دار الكتب المصرية 2014).

2. أهمية صحافة البيانات

- جوناثان غراي – ليليان بونيعرو, لوسي شيمبرز, صحافة البيانات: كيف نستخرج الأخبار من أكرم الأرقام والمعلومات في الأنترنت, (بيروت: شبكة الجزيرة الإعلامية, 2015) منصور الجمري , "وثائق بنما" اكبر إنجاز لصحافة البيانات الاستقصائية" صحيفة الوسط, العدد 4959 , 5 إبريل 2016.

3. أسباب أهمية صحافة البيانات لا

- حسن الإبراهيم, "البيانات سر النجاح في صحافة العصر" موقع صحيفة تشرين علي الإنترنت 20/02/2015
  http://tishreen.nws.sy

4. خصائص صحافة البيانات

- رشيد جنكاري, صحافة البيانات, معلومات البيانات, معلومات مطروحة في الطرقات" مجلة الصحافة, 26 مايو 2016 موقع المجلة http://www/sasapost.com
- آيات الحبال, "الانفوجرافيك (صحافة البيانات) بين الالكتروني والمطبوع, موقع شبكة الصوت الحر" 24شباط 2014 http://asahnetwork.org

5. معالجة صحافة البيانات

- خالد خطاك, "نصائح وأدوات أساسية لصحفي البيانات " 24 اكتوبر 2016 شبكة الصحفيين الدوليين http://ijet.org
- آيات الحبال "النفوجرافك (صحافة البيانات) بين الالكتروني والمطبوع, موقع شبكة الصوت الحر", 24شباط 2014 , http://aitnews.com

6. نماذج من صحافة البيانات

- عبد الله هيضه الانفوغراف "وجه في صحافة المعلومات والرسوم البيانية 8 ابريل 2013 صحيفة الاتحاد http://wwwalittihad.ae
- " من الأدلة إلي الأخبار" http://sudandatra.otrg

7. نماذج صحافة البيانات

- عبد الله هيضة الانفوغراف "وجه في صحافة السعودية يتحدي امواج الإعلام المتضخم صحيفة الشرق الأوسط, العدد (13733) 4 يوليو 2016 , موقع صحيفة الشرق الأوسط http://aawsat.com
- بدون اسم "انفوتايمز متعة صحافة البيانات" ملحق السفير العربي, 30 أكتوبر 2013 , http://arabi.assafir.com/artcle/761
- حنان سليمان, "صحافة البيانات إعلام مستقل ومريح عربياً" . موقع رواد الأعمال, 5 أغسطس 2016, http://entrepreneuralarabiya.com